أعلام التصوف

إعداد
دكتور/ رجب محمود إبراهيم بخيت

بطاقة فهرسة

مكتبـة كنـوز المعرفة

اسم الكتاب: أعلام التصوف

إعـــــداد: د. رجب محمود بخيت

رقم الإيداع:

الطبعة الأولى ٢٠١٢

مكتبة
كنوز المعرفة
شارع جيهان - أمام بوابة الجامعة ت: ٠١٠٠٠٤٠٤٦
Tokoboko_5@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي علا في دنوه ودنا في علوه فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما خلق ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداعاً وعدله اصطناعاً فأحسن كل شيء خلقه وتمم مشيئته وأوضح حكمته فدل على ألوهيته، فسبحانه لا معقب لحكمه ولا دافع لقضائه تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لسلطانه ووسع كل شيء فضله، لا يعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده إلهاً تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه وعلا عن صفات كل مخلوق، وتنزه عن شبيه كل مصنوع فلا تبلغه الأوهام ولا تحيط به العقول ولا الأفهام، يُعصى فيحلم ويُدعى فيسمع ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون.

وأشهد شهادة حق وقول صدق بإخلاص نية وصحة طوية أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه وخالصته وصفيه ابتعثه إلى خلقه بالبينة والهدى ودين الحق، فبلغ مألكته ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله لا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يصده عنه زعم زاعم ماضياً على سنته موفياً على قصده حتى أتاه اليقين فصلى الله على محمد وعلى آل محمد.

أما بعد..

فالتصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري وذلك كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وإلى شدة العبادة تعبيرًا عن ردة الفعل المعاكسة للانغماس في الدنيا والترف الحضاري، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقًا مميزة معروفة بطرق الصوفية.

والتصوف بدأ بالزهد الذي جاءت به السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكي التسليم، ثم مع تباعد السنين شهد ميلاً عن طريق الحق الذي جاء به الرسول ﷺ وأصحابه الكرام من بعده رضوان الله عليهم.

ففي خلال القرنين الأولين ابتداءً من عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين حتى وفاة الإمام الحسن البصري رحمة الله عليه لم تُعرف الصوفية لا باسمها ولا برسمها ولا بسلوكها، بل كان المسمى الجامع هو المسلمين أو المؤمنين أو بعض المسميات الخاصة مثل الصحابي أو البدري أو أصحاب البيعة أو التابعين، ولم يَعرف ذلك العهد هذا الغلو التعبدي أو الاعتقادي إلا بعض النزعات الفردية في التشديد على النفس الذي نهاهم عنه النبي ﷺ في أكثر من مناسبة، ومنها قوله ﷺ للرهط الذين سألوا عن عبادته ﷺ وكأنهم تقالوها، فمن حديث أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا؛ وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر؛ وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله ﷺ،

فقال: ﴿أنتم الذين قلتم كذا وكذا؛ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني﴾ (١).

وقوله ﷺ للحولاء التي طوقت نفسها بحبل حتى لا تنام عن قيام الليل كما في حديث عائشة رضي الله عنها قال ﷺ: ﴿عليكم من العمل ما تطيقون فإن الله لا يملّ حتى تملّوا وأحبّ العمل إلى الله أدومه وإن قلّ﴾ (٢).

وهكذا كان الصحابة والتابعين وتابعيهم على هذا المنهج يسيرون، يجمعون بين العلم والعمل، والعبادة والسعي على النفس والعيال، وبين العبادة والجهاد في سبيل الله والتصدي لأهل البدع والأهواء، وقد تصدى ابن مسعود رضي الله عنه لبدعة الذكر الجماعي في مسجد الكوفة وقضى عليها وتصديه لأصحاب معضد بن يزيد العجلي(٣) لما اتخذوا دُورًا خاصة للعبادة في بعض الجبال وردّهم عن ذلك رضي الله عنه.

في القرن الثاني الهجري في عهد التابعين وبقايا الصحابة ظهرت طائفة من العباد آثروا العزلة وعدم الاختلاط بالناس فشددوا على أنفسهم في العبادة على نحو لم يُعهد من قبل، ومن أسباب ذلك: بزوغ بعض الفتن الداخلية، وإراقة بعض الدماء الزكية، فآثروا اعتزال

(١) أخرجه البخاري في: ٦٧ كتاب النكاح: باب الترغيب في النكاح.
(٢) أخرجه الطبراني (٢٢٨/١٨، رقم ٥٦٨)، قال الهيثمى (٢٥٩/٢): إسناده حسن.
(٣) معضد بن يزيد العجلي ويكنى أبا زياد، كان أيضا من المجتهدين العباد، وكان خرج هو وعدة من أصحاب عبد الله إلى الجبانة يتعبدون فأتاهم عبد الله فنهاهم عن ذلك، وغزا أذربيجان في خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وعليها الأشعث بن قيس، فقتل بها شهيدا.
محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: ١ - ١٩٦٨ م، ٦ / ١٦١.

المجتمع تصونّاً عما فيه من الفتن، وطلباً للسلامة في دينهم، يضاف إلى ذلك أيضاً فتح الدنيا أبوابها أمام المسلمين، وبخاصة بعد اتساع الفتوحات الإسلامية، وانغماس بعض المسلمين فيها، وشيوع الترف والمجون بين طبقة من السفهاء، مما أوجد ردة فعل عند بعض العباد وبخاصة في البصرة والكوفة حيث كانت بداية الانحراف عن المنهج الأول في جانب السلوك.

والحقيقة أنه يجب التفريق بين التصوف الصحيح الذي التزم فيه أصحابه بشرع الله عز وجل وسنة الحبيب محمد ﷺ ومنهج السلف الصالح وهذا التصوف أقرب للزهد منه للتصوف، وبين التصوف الذي خرج به أصحابه عن الغاية المنشودة وعن المنهج الصحيح وظهرت في كلامهم مصطلحات شاذة وغريبة لم تكن معروفة قبل ذلك مثل: الوحدة، الفناء، الاتحاد، الحلول، السُّكر، الصَّحو، الكشف، البقاء، المريد، العارف، الأحوال، المقامات، ألفاظ كثيرة لم تكن معروفة، وشاع بينهم التفريق بين الشريعة والحقيقة وتسمية أنفسهم أرباب الحقائق وأهل الباطن، وسمَّوا غيرهم من فقهاء المسلمين بأهل الظاهر والرسوم؛ مما زاد العداء بينهم وبين علماء الشريعة الربانيين، وغير ذلك مما كان غير معروف عند السلف الصالح من أصحاب القرون الأولى المفضلة، ولم يكن معروف كذلك عند الصوفية الأولى؛ مما زاد في انحرافها؛ فكانت بحق تمثل البداية الفعلية لما صار عليه تيار التصوف الآن من انحراف وبدع وخرافات.

ثم جاءت بعد ذلك صوفية خلطت التصوف بالفلسفة اليونانية وظهرت أفكار وعقائد منحرفة عليها كالحلول والاتحاد ووحدة الوجود[(١)].

والتصوف الصحيح هو مشاركة إيجابية فى الحياة الإسلامية والتصوف الصحيح في الإسلام مشروع أقر برفعة سالكيه أئمة أعلام أمثال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وكتابه الزهد حافل باخبار الزهاد العباد المتصوفة، وقد أثني علماء السلف علي البعض من أئمة التصوف أمثال الجنيد قال فيه ابن تيمية: (كان الجنيد رضي الله عنه سيد الطائفة إمام هدى) [(٢)]. وكررها بعد، فقال: (والجنيد وأمثاله: أئمة هدى) وقال: (كان الجنيد رضي الله عنه سيد الطائفة، ومن أحسنهم تعليمًا وتأديبًا وتقويمًا) [(٣)] فالتصوف سلوك وتحقيق لحقيقة الشريعة التي أمرنا بها فليس التلفظ بالشهادة إثبات للمعتقد وتصديق به بل الإقرار بالقلب هو الأصل، فالتصوف الصحيح ليس من البدع ولا يؤاخذ أهل التصوف بجريرة كل مدع له وهو في الحقيقة مخالف له ثم أن التصوف سمة من سمات ومزايا اتصف بها بعض السلف الصالح.

والصوفي الحقيقي هو من يلتزم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويبتعد عن البدع احتمال سقط، واستشهد في ردوده بأقوال عدد من أهل التصوف أنفسهم، ومن بينهم الشيخ أبي القاسم النصر آبادي

(١) أي: أن الموجود الحق هو الله، ومعنى الحلول والاتحاد: أي: أنهم يعتقدون أن الخالق اتحدّ مع المخلوق - عياذًا بالله - وأن الخالق حلّ في المخلوق - عياذًا بالله -، وهذه الأقوال توافق تمامًا ما تقوله الفلاسفة الملاحدة.

(٢) مجموعة فتاوى ابن تيمية ٤٩١/٥.

(٣) مجموعة فتاوى ابن تيمية ٦٨٦/١٠.

الذي قال: " أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع، وتعظيم المشائخ ورؤية أعذار الخلق والمداومة على الأوراد، وترك الرخص والتأويلات " كما استشهد بما أنشده أبي القاسم الجنيد في حال هؤلاء المدعين فقال:

أهل التصوف قد مضوا ::: صار التصوف مخرقة
صار التصوف ركْوة ::: وسجادة ومزلقة
صار التصوف صيحة ::: وتواجداً ومنطقة
كذبتك نفسك ليس ذي ::: سنن الطريق المخلقة [(١)]

ومعرفة تاريخ وظروف ظهور التصوف أو الصوفية يكشف لنا حقيقة ماهية التصوف، فقد ظهرت عندما طغت المادية، وغلّب الجانب العقلي؛ الجانب الماديّ، نتج عن الترف الذي أغرق بعض الطبقات، بعد اتساع الفتوحات، وكثرة الأموال، وازدهار الحياة الاقتصادية، مما أورث غُلوًّا في الجانب المادي، مصحوبًا بغلوّ آخر في الجانب العقلي، أصبح الإيمان عبارة عن " فلسفة " و" علم كلام " " وجدل "، لا يشبع للإنسان نهمًا روحيًا، حتى الفقه أصبح إنما يعنى بظاهر الدين لا بباطنه، وبأعمال الجوارح. لا بأعمال القلوب وبمادة العبادات لا بروحها. ومن هنا ظهر هؤلاء الصوفية ليسدُّوا ذلك الفراغ، الذي لم يستطع أن يشغله المتكلمون ولا أن يملأه الفقهاء، وصار لدى كثير من الناس جوع روحيّ، فلم يشبع هذا الجوع إلا الصوفية الذين عنوا بتطهير الباطن قبل الظاهر، وبعلاج أمراض النفوس، وإعطاء الأولوية لأعمال القلوب، وشغلوا أنفسهم

(١) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تلبيس إبليس، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٣٣.

بالتربية الروحية والأخلاقية، وصرفوا إليها جُلَّ تفكيرهم واهتمامهم ونشاطهم. قال ابن خلدون في مقدمته: " وهذا العلم - يعني التصوف - من العلوم الشرعية الحادثة في الملّة؛ وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق، والخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًّا في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية " [١].

فلم يظهر هذا المصطلح في زمن النبي ﷺ، ولا صحابته الأبرار، إنما ظهر في أواخر عهد التابعين، والسبب في ذلك: أنه لم يكن هناك حاجة لظهور من يدعو إلى تلك المعاني التي حمل لواءها الصوفية فيما بعد؛ لأن أهل هذا العصر - عصر الصحابة - كانوا أهل تقوى وورع، وأرباب مجاهدة وإقبال على العبادة بطبيعة حالهم، وبحكم قرب اتصالهم برسول الله ﷺ، فقد كانوا يتسابقون ويتبارون في الاقتداء به في أحواله كلها، ولم يكن ثمة ما يدعو إلى تلقينهم علماً يرشدهم في أمرٍ هم قائمون به فعلا، ومثلهم في ذلك مثل العربي القُح؛ فإنه لا يحتاج إلى دراسة علوم النحو والبلاغة وغيرها من العلوم اللغوية، وإنما يحتاجها من فشا اللحن في لسانه وضعف ذوقه في التعبير.

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٨١.

والمتتبع لمنشأ العلوم الإسلامية عامة يجد أن كل علم أحاطت به ظروف، دفعت الغيورين عليه لتأصيله وتدوينه ووضع الضوابط التي تضمن عدم انحرافه، وبقائه في الأمة، ليحفظ من الضياع والاختلاط، وكل علم يصلح أن يكون مثالاً واضحاً لهذا الزعم الذي أقوله، وهو أمر مسلم به عند أهل العلم.

لذلك تم تأصيل علم التصوف وأطلق عليه هذا الاسم الذي لم يكن موجوداً من قبل، فلم يكن موجوداً من قبل، لكن عندما اتسعت رقعة الإسلام، ودخل في الإسلام أمم شتى كانت تعيش في الباطل، واختلطت تلك الأمم بالمسلمين، تأثر المسلمون بذلك وضعف عندهم هذا الجانب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تأثر المسلمون بما جلبت لهم تلك الفتوحات الإسلامية من غنائم وخيرات، زُينت الحياة الدنيا لهم، فضعف الجانب الإيماني، وضعفت المعالجات القلبية لدى الناس، وأصبحت هذه المسائل سلعة غير رائجة، بل وبضاعة مزجاة عند كثير من المسلمين وقتها، والتي كانت عند أسلافهم تمثل رأس مالهم، وذروة عيشهم، عند ذلك كله انبرى من ينادي بتلك المعاني من جديد؛ تذكيراً للناس، وتعليماً للجاهل منهم، وتحذيراً من زخرف الحياة الدنيا، ضاربين من أنفسهم الأمثلة العملية في ذلك، وقدوة حسنة للتحقق بتلك المعاني الربانية.

فهي منهج ومسلك تربوي يركز على أعمال القلوب والعبادات والقربات إلى الله تعالى عز وجل، لينجو المسلم من كل الآفات قدر الإمكان؛ فطهارة النفس، ونقاء القلب، والمواظبة على العمل، والالتزام والإلزام به، والإعراض عن الخلق بقلة الخلطة، وكثرة الصمت وضبط اللسان وعفته، والإكثار من الذكر وقراءة القرآن

وأنواع العلوم، والحب في الله، والارتباط على الخير، وأخذ العهود في ذلك.. الخ، ليحصل المسلم ويصل إلى مقام الإحسان:﴿**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**﴾ (١) هذه هي المعاني التي يركز عليها التصوف النقي كمسلك تربوي.

ومما لا شك فيه - عند المنصفين - أن الصوفية قد بلغوا مرتبة عالية في علاج النفوس ودوائها، وطبها والرقي بها، بلغوا مبلغاً لم يصله غيرهم من المربين، ومن طالع كلام أعلامهم المشهود لهم من أهل العلم بالتوثيق والعدالة، وأضاق نفسه مجانبة الهوى، وتجرد وأقبل على كلامهم بمكيال الكتاب والسنة، وجد دقة كلامهم على النفس وغوائرها، وانشرح صدره وإيمانه لقبول أقوالهم وطريقتهم في التربية. على أننا لا ننكر وجود من خلّط وانحرف وبالغ للحد الذي يجعله يقع في بدع كبار، إن لم نقل كفر صريح، وفق الكتاب والسنة كذلك، لكنني أهمل هؤلاء المنحرفين، لوضوح شذوذه وشذوذهم، ولأن الجانب المظلم في الصوفية بات مضيئاً في عقول الكثيرين من طلاب العلم اليوم وشباب الصحوة الإسلامية، بالرغم من أن أحادية النظرة خلل في التفكير، وهذه الأحادية آفة واضحة اليوم في الكثير من الشباب المتحمس المنتسب للسلف، بل ولدى بعض الدعاة أيضا!.

والذي يجب علينا هو أن الأمور بالعدل والإنصاف ولا نغفل عن الوقت التاريخي لظهور التصوف والظروف المحيطة بذلك وحقيقة التصوف كمسلك تربوي عبادي يعنى بتربية النفس ولا نبخسهم

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب الطويل.

دورهم وحقهم وعلمهم وأن نعترف بأن كلام أئمة التصوف الأولين كله موافق لشرع الله، وهم أئمة في دين الله وهؤلاء الأئمة أول الناس رفضاً ومحاربة لكل مخالفة شرعية.

وأنه بعد أن توسع التصوف وراج أمره، ودخل فيه الناس، بحسب أحوالهم وأهوائهم وعلمهم، فكان منهم الغث والسمين، الصالح وغير ذلك، وبدأ الانحراف يدب فيه، بدرجات مختلفة، فمع مرور الزمن حدث التساهل، وحدث معه الانحراف؛ سواء على مستوى الاعتقاد، أو مستوى السلوك، وهذا الانحراف له أسبابه الكثيرة، منها: عدم تحلي بعض المشايخ في الطرق الصوفية بالعلم الشرعي، الذي يعصم السير من الزلل والانحراف والابتداع في الدين، خلافاً لسابقيهم من أعلام التصوف الذين يشهد لهم بالعلم والتقوى معاً واعتقاد بعض المتصوفة في مشايخهم اعتقادات منحرفة عن نظرة الإسلام للرجال، وصل في كثير من أحيانه إلى حد التقديس والقول بالعصمة، وأن الشيخ له علاقة خاصة بربه، وأشياء أخرى من الخرافات كأن يقال بأن المدد يأتيهم من السماء، واتسعت هذه الدائرة لينشأ عنها التفاخر بين الأتباع كل بشيخه وما يحدث له من خوارق العادات أو الكرامات والتباس الرؤية عند بعضهم في النظرة إلى كرامات المشايخ، وعدم تميزهم بين الكرامة وتلبيسات الشيطان، وهذا ما دفع ابن تيمية لكتابة كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) فقد كان عصره يعج بأمثال هؤلاء المنحرفين، فكان جواباً وافياً لهم وعليهم، ودخول أصحاب الأهواء في التصوف ووصولهم إلى مراكز التأثير في الطرق الصوفية، والانحراف بها، وفقاً لأهوائهم وتحقيقاً لأغراضهم ومكاسبهم الذاتية،

وتأثر بعض الطرق الصوفية بالداخلين الجدد في الإسلام من الأمم الأخرى، مثل الفرس والهند والروم، والذين لم يخلص انتسابهم لدين الله، ودخلوا هذه الطرق بما عندهم من خرافات وكفريات وأذاعوها بين الصفوف فضلوا وأضلوا، كما أن هذا الطريق - طريق الاهتمام بالجانب الروحي - يضفي شعوراً في النفس بالصفاء والطمأنينة، لكن هذا الشعور إن لم يكن صاحبه محاطاً بتوفيق من الله أولاً وآخرا، ويستشعر دائماً أنه بغير ذلك لن يستقيم أمره، ويكون على علم وبينة بضوابط الشرع الحكيم التي تنير وتؤصل له طريقه هذا، فإن صاحبه أكثر من غيره عرضة لتلبيسات الشيطان، لأنه يظنها حالة من حالات الكرامة والرضا من الله، بينما هي - إن تعرت من الشرع - مدخل ومزلق من مزالق الشيطان، لذا كتب ابن الجوزي " ٥٩٧ هـ " كلاماً طويلاً في تلبيس إبليس عن أولئك المتصوفة، وكذا ابن تيمية " ٧٢٨ هـ " وإن كان بن تيمية أكثر موضوعية.

وساهم المستشرقون في تشويه صورة التصوف، زاعمين أن التصوف فكر عالمي، فمنه التصوف البوذي ومنه الهندي والنصراني، الأمر الذي يجعل النفرة كبيرة لدى بعض المنتسبين للسلف من مجرد اسم التصوف والصوفية، بل أمست التسمية عند البعض نوع من المسبة والتعيير.

وتنوعت الطرق الصوفية وتعددت الاجتهادات، واختلط الحابل بالنابل كما يقولون، وأمسى التفريق يصعب على الناس، وبات التعامل مع الصوفية على ثلاثة أحوال:

الأول: الاعتقاد أنهم على الصواب وأنهم على وراثة النبوة، وأنهم أفضل الخلق، الثاني: الاعتقاد أنهم على ضلالة وانحراف، يجب محاربتهم وفضح عوراتهم ونبذ كل شي منهم، وفي بعض الأحيان إخراج كل التصوف عن أهل السنة والجماعة، والثالث: الاعتدال في الحكم، ومجانبة التعميم، وأخذ أحسن ما عندهم، ورد ما فيهم من مخالفات.

والحق فيهم هو المذهب الثالث، فقد قال ابن تيمية: (والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسن اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه " (١).

وقال ابن القيم في مدارج السالكين عما يقع من شطحات وانحرافات لدى بعض المتصوفة، قال رحمه الله: (هذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس:

إحداهما: حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة، ولطف نفوسهم، وصدق معاملتهم، فأهدروها لأجل هذه الشطحات، وأنكروها غاية الإنكار، وأساءوا الظن بهم مطلقاً، وهذا عدوان وإسراف، فلو كان كل

(١) الفتاوى: ١٨/١١.

من أخطأ أو غلط: ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات، والحكم، وتعطلت معالمها.

والطائفة الثانية: حجبوا بما رأوه من محاسن القوم، وصفاء قلوبهم ونقصانها، فسحبوا عليها ذيل المحاسن، وأجروا عليها حكم القبول والانتصار لها، واستظهروا بها في سلوكهم. وهؤلاء أيضًا معتدون مفرطون.

والطائفة الثالثة: وهم أهل العدل والإنصاف، الذين أعطوا كل ذي حق حقه، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح، بل قبلوا ما يقبل، وردوا ما يرد). وقال: " البصير الصادق يضرب في كل غنيمة بسهم ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها " [١].

فقد عد الإمام ابن القيم كلا طرفي النظر للمتصوفة من المعتدين المفرطين، وأخذ المنهج الوسط، وكان منهجه الوسطي هذا وافياً في كتابه مدارج السالكين، حتى أنه - رحمه الله - أمسى في الكتاب مردداً لعبارات هي معروفة عن الصوفية، أمسى يكررها لأن معناها صحيح غير مخالف للشرع، كمثل لفظ المريد والسير إلى الله ونحوها، ويجد ذلك واضحاً من درس الكتاب.

والذي لا ينكره أحد هو أن للفكر الصوفي المنحرف أثراً سيئاً في الأمة في جوانب حياتها، كما كان له الأثر الطيب كما ذكرنا، ومن أبرز جوانب الانحراف التي أثرت في الأمة في الفكر الصوفي مقالة بعضهم في القضاء والقدر، وأن الإنسان مسير في قدر الله، وعليه

(١) مدارج السالكين ٢/٣٧٠.

أن يستسلم ويرضى بما يجري من أمور، ولا يتحرك مع هذا القدر بقدر آخر، هو يسعى له بمشيئة الله تعالى وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي نقطة متولدة من النقطة الأولى، وأصاب التبلد الأمة، وخارت النفوس، وترك الجهاد، وساد الاهتمام بالذات على حساب مصالح الأمة، ودفع الصائل عنها، حتى أمست الشعوب اليوم راضية بكل ما يصيبها من جلاديها، قانعة بقضاء الله وقدره!!

والاعتماد على الخرافة والقصص والكرامات، بدلاً من الاعتماد على الإنجاز والتحرك والعمل المثمر وفق شرع الله، وسادت عادات كثيرة في الشعوب جراء هذا التخلف.

وهذه الأمور الثلاثة قد تأثرت بها الشعوب من الفكر الصوفي - المنحرف - ولم تكن موجودة في صفاء التصوف، ولا لدى قادته الكبار.

فالموضوعية تقتضي منا أن نتعامل بالعدل والإنصاف، وأن نأخذ الصواب والحق منهم، ونرد مالهم من شطحات وانحرافات، لا أن نبالغ ونرفض كل شيء.

وكما وجدت الكثير من الفرق الصوفية التي لها شطحات ونزغات وصلت بها إلى الخروج على الشرع والسنة والمنهج السليم وجدت فرق كانت على الجادة في منهجها وفي رجالاتها ومن هذه الحركات الصوفية " الحركة السنوسية " في ليبيا، التي كان لها الدور الكبير في نشر الإسلام في أسقاع أفريقيا، وفي محاربة الاستعمار والتصدي له، ضاربة بذلك المثل العالي للتصوف العملي الصافي من كل كدر، المجاهد في سبيل الله تعالى، ومن أبرز أعلام

الحركة الإمام السنوسي والإمام أحمد الشريف الذي رشح للخلافة، ومن أبرز رجالاتها الشيخ عمر المختار أسد الصحراء وشيخ المجاهدين، الذي تربى منذ صغره في الحركة السنوسية، وهاجر لأفريقيا داعية فيها للإسلام، ونشره بين أهلها، وكان حافظاً للقرآن معلما له، ثم أمسى قائد الجهاد في ليبيا ضد الطليان، ضاربا بذلك المثل العالي لكل رجالات الدنيا في حسن السلوك والعمل والعلم والدعوة، برغم كبر سنه رحمه الله [١].

وقد اقتصر عملنا في هذا الكتاب علي ذكر أعلام وطلائع الصوفية الذين كانوا إلى الزهد أقرب منه إلى التصوف ممن اشتهر عنه الطاعة والعبادة على منهج الله وسنة الحبيب محمد ﷺ والسلف الصالح، متبعاً أسماء من ورد في كتاب " طبقات الصوفية " للسلمي، وقد اجتهدت - قدر المستطاع - تنقيح ما ورد عن هؤلاء الأعلام من مواقف وألفاظ وأشعار قد تتعارض مع شرع الله وسنة الحبيب ﷺ ومنهج السلف الصالح، وما وجد في هذا الكتاب يخالف ذلك، فلا شك قد مر دون عمد أو جهلاً مني وأنا منه بريء.

وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل وأن يتقبله مني ويثيبني عليه.

رب تقبل عملي ولا تخيب أملي

أصلح أموري كلها قبل حلول الأجل

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

(١) علي الصلابي، الحركة السنوسية في ليبيا، ٣/١١٠.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه
رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

الفضيل بن عياض

أعـــلام التصـوف

الفضيل بن عياض

الخشية من الله والبكاء يلازمانه، لا يُرى إلا وعيناه تفيض من الدمع، كلما ذكر اسم الله تعالى عنده ظهر عليه الخوف والوجل، وارتعشت كل أعضاء جسده، ترى من يكون هذا الرجل الذي غمر الإيمان قلبه؟ !

كان عاصيًا فتاب الله عليه، وجعله من عباده المؤمنين، تحول من قاطع طريق يُرَوِّع الآمنين إلى عابد زاهد، وكان سبب توبته؛ أنه كان يتسلق جدران أحد المنازل بالليل؛ فسمع صوتًا يتلو قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} [الحديد: ١٦]، فلما سمعها قال: بلي يا رب، قد آن.

فرجع فمرَّ على أرض خربة، فوجد بها قومًا، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: ننتظر حتى نصبح، فإن الفضيل يقطع علينا الطريق، قال- أي-: الفضيل: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني!! وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع أي أن الله قدَّر لي أن آتي إلى هذا المكان لأتوب وأرجع إليه) اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.. لقد جعل مظاهر توبته مجاورته لبيت الله حيث الرحمة والبركة، يدعو الله ويستغفره، ويندم على ما فرط في حقه.

في أرض خراسان ولد الفضيل بن عياض ثم رحل إلى الكوفة في العراق، فسمع الأحاديث النبوية الشريفة والفقه من العلماء؛ أمثال الأعمش ويحيى بن سعيد الأنصاري وجعفر الصادق فأثرت تأثيرًا كبيرًا في شخصيته، حتى أصبح من الزهاد الذين يرون أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولا تستحق أن يتكالب الناس عليها،

ويتصارعون من أجلها، فهي فانية زائلة، بل الأولى أن يعمل الناس لأخراهم، فهي الباقية الدائمة بفعل الخير، وتجنب المعاصي، ثم انتقل إلى مكة وأقام بها حتى توفي.

إنه هو الفضيل بن عياض بن سعود بن بشر أبو علي التميمي. شيخ الإسلام والإمام القدوة، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي رضي الله عنه. وممن روى عنه شيخه سفيان الثوري أجل شيوخه. وترجمته زاخرة بالحديث عن زهادته وعبادته وتأثير مواعظه في القلوب.

وكان إذا خرج في جنازة مع الناس، يعظهم وَيُذَكِّرهم بالآخرة، حتى إذا وصل إلى المقبرة، جلس في حزن شديد، وظل يبكي ولا ينقطع بكاؤه، سأله الخليفة هارون الرشيد ما هي صفات المؤمن أيها الزاهد؟ فقال له الفضيل: صفات المؤمن؛ صبر كثير، ونعيم طويل، وعجلة قليلة، وندامة طويلة.

ومرَّ الفضيل بن عياض على جماعة أغنياء، فوجدهم يلعبون ويشربون ويلهون؛ فقال لهم بصوت عال: إن مفتاح الخير كله هو الزهد في الدنيا، وقد سأله أحدهم: وما الزهد في الدنيا؟ فقال: القناعة والرضا وهما الغنى الحقيقي، فليس الغنى في كثرة المال والعيال، إنما الغنى غنى النفس بالقناعة والرضا في الدنيا، حتى نفوز في الآخرة، ثم توجه إلى الله داعيًا: اللهم زهدنا في الدنيا، فإنه صلاح قلوبنا وأعمالنا وجميع طلباتنا ونجاح حاجتنا.

وحجَّ هارون الرشيد ذات مرة؛ فسأل أحد أصحابه أن يدله على رجل يسأله؛ فدله على الفضيل، فذهبا إليه، فقابلهما الفضيل وقال

للرشيد: إن عمر بن عبد العزيز لما ولّي الخلافة دعا أناسًا من الصالحين فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء- يعنى الحُكم- فأشيروا علي.. فعدَّ عمر الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فبكى الرشيد، فقال له صاحب الرشيد: ارفق بأمير المؤمنين، فقال الفضيل: تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا؟ يقصد أن عدم نصحه كقتله فقال له الرشيد: زدني يرحمك الله..

فأخذ يعظه وينصحه، ثم قال له: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺ قال:﴿ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاشٌ لهم إلا حَرَّمَ الله عليه الجنة﴾ (متفق عليه) فبكي هارون وقال له: أعليك دين أقضيه عنك؟ فقال: نعم، دين لربي لم يحاسبني عليه، والويل لي إن ناقشني، فالويل لي إن لم ألهم حجتي، قال: إنما أعني من دين العباد قال: إن ربي لم يأمرني بهذا؛ أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره، فقال الرشيد: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادة ربك، فقال الفضيل: سبحان الله، أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا، سلَّمك الله ووفَّقك، ثم صمت فلم يكلمنا؛ فخرج الرشيد وصاحبه، وكان الفضيل شديد التواضع، يشعر دائمًا بأنه مقصر في حق الله، رغم كثرة صلاته وعبادته.

وتمضي الأيام، ويتقدم السن بالفضيل بن عياض وذات مرة كان بعض الناس جلوسًا عنده، فقالوا له: كم سنك؟ فقال:

بلغتُ الثّمانين أوجُزْتَهَا ::: فَمَاذا أُؤمِّلُ أو أَنْتَظِرْ
عَلَتْني السِّنُون فأبْلَيْنَني ::: فَدَقَّ العِظامُ وَكَلَّ البَصَرْ

ومرض الفضيل، فسُمِع يقول: ارحمني بحبي إياك، فليس شيء أحب إلي منك، وأقام الزاهد العابد الفضيل بن عياض بـ (مكة) حتى توفي عام ١٨٧هـ وأطلق عليه هناك شيخ الحرم المكي.

قال إبراهيم بن الأشعث: ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله أو ذكر عنده أو سمع القرآن، ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه وبكى حتى يرحمه من بحضرته، وكان دائم الحزن شديد الفكرة ما رأيت يريد الله بعلمه وأخذه وإعطائه، ومنعه وبذله، وبغضبه وحبه، وخصاله كلها غيره - يعني الفضيل.

روي عن إبراهيم بن الأشعث قوله كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة لا يزال يعظ ويكر ويبكي، حتى لكأنه يودع أصحابه، ذاهباً إلى الآخرة حتى يبلغ المقابر فيجلس، فكأنه بين الموتى، جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم، ولكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.

مواقف من حياة الفضيل:

لو طابت لأولئك لطابت لي:

حدث سفيان بن عُيَيْنَة قال: دعانا الرشيد، فدخلنا عليه ودخل الفضيل آخرنا مقنعاً رأسه بردائه، فقال لي: يا سفيان، أيهم أمير المؤمنين؟ فقلت: هذا، وأومأت إلى الرشيد، فقال له: أنت يا حَسَنَ الوجه، الذي أمر هذه الأمة في يدك وعنقك، لقد تَقَلَّدْتَ أمراً عظيماً، فبكى الرشيد، ثم أتى كل رجل منا ببدرة، فكلٌ قبلها إلا الفضيل، فقال له الرشيد: يا أبا علي، إن لم تستحلها فأعطها ذا دين، وأشبع بها جائعاً واكس بها عرياناً، فاستعفى منها، فلما خرجنا قلت له: يا أبا

علي، أخطأت، ألا أخذتها وصرفتها في أبواب البر، فأخذ بلحيتي ثم قال: يا أبا محمد، أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط؟ لو طابت لأولئك لطابت لي.

أنت هو يا حسن الوجه!

قال الرشيد لسفيان بن عيينة: إني عزمت أن أرى الفضيل بن عياض، فقال له سفيان: يا أمير المؤمنين، إنه رجل قد زهد في الناس والدنيا جميعاً، وأخاف أن تأتيه فتستجفيه، فقال له: كلا ما عزمت على إتيانه حتى وطنت نفسي على احتمال ما يكون منه؛ يا سفيان، إن عز القوي عز لا يزحمه منكباً إمرة ولا خلافة. قال: فأتيت فضيلاً بما قال: فقال: ما أعقله لولا أنه يحب العاجل، ثم قال: إني لأحب أن يأتيني وأكره أن يأتيني، فأما محبتي لمجيئه فلعلي أعظه بموعظة ينتفع بها هؤلاء الناس، وأما كراهيتي لمجيئه فلأني أراه يرفل في النعم عارياً من الشكر. قال: ثم أذن، فمضيت مع الرشيد إليه، وقد اختلط الظلام، وعلى الرشيد طيلسان غسيل قد غطى به رأسه، فلما هجمنا عليه في بيته وشم الرائحة سمعته يقول: اللهم إني أسألك رائحة الخلد التي أعددتها لأوليائك المتقين، فرفع طرفه إليه وعينه تقطر فقال: أنت هو يا حسن الوجه؟ ثم وعظه فجعل يبكي حتى اشتد نشيجه، ثم قال له: ازدد من هذا، فما أعرف في هذه الليلة أحداً أحوج إليه منك، ثم وثب إلى صلاته، وما كان ذاك إلا كخطفة الطير. فلما صرنا إلى صحن الدار قال لي الرشيد: يا سفيان، ما رأيت التقوى في وجه أحد قط أبين منها في وجه هذا الشيخ، ولولا التحشم منك لقبَّلت ما بين عينيه، فقلت له: والله لعل ودي أن تكون فعلت ذلك، فكتب الله لك ثوابه وأجره، فقال: إني أرجو أن يكون قد

كتب لي ثوابه بالنية ولو لم أفعل. انظر - فديتك - إلى هذا الحديث، وانظر إلى زمانك وإمامك وسلطانك، فإنك ترى فرقاً يوحش القلب، ويورث الأسف، ولله أمر هو بالغه لا نعترض عليه، ولا ننازع فيه، ولكن نلجأ إلى كنفه، ونسأله زيادة من عطفه، فإنه رحيم بعباده ودود.

لكني سمعت قوله:{يعرف المجرمون بسيماهم}:

كان الفضيل يعظ ابنه كثيراً على الزّهد ويقول: يا بُنيّ، ارفق بنفسك؛ وكان يوماً خلف الإمام يصلّي فسمع سورة الرحمن، فظلّ يتلوّى وأبوه ينادي: أما سمعت قوله:{حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٌ فِي ٱلۡخِيَامِ} [الرحمن: ٧٢]، فقال: يا أبت، لكني سمعت قوله:{يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ} [الرحمن: ٤١].

لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن:

قال سعد بن زنبور: كنا على باب الفضيل بن عياض، فاستأذنا عليه، فلم يؤذن لنا، قال: فقيل لنا: إنه لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن، قال: وكان معنا رجل مؤذن، وكان صيتاً فقلنا له: اقرأ فقرأ:{أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١} [التكاثر: ١]، ورفع بها صوته، قال: فأشرف علينا الفضيل، وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع، ومعه خرقة ينشف بها الدمع من عينيه، وأنشأ يقول:

بلغت الثمانين أو جزها ::: فماذا أؤمل أو أنتظر؟
أتاني ثمانون من مولدي ::: وبعد الثمانين ما ينتظر؟

علتني السنون فأبلينني

قال: ثم خنقته العبرة، قال: وكان معنا علي بن خشرم فأتمه له، فقال: فدقت عظامي وكل البصر.

لو كانت الدنيا ذهباً يفنى:

وقال الفضيل رحمه الله تعالى: لو كانت الدنيا ذهباً يفنى، وكانت الآخرة خزفاً يبقى، لوجب أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفنى، فكيف وقد اخترنا خزفاً يفنى على ذهب يبقى؟ تأمل بعقلك هل آتاك الله تعالى من الدنيا ما آتى سليمان بن داود عليهما السلام، حيث آتاه ملك جميع الدنيا والإنس والجن والطير والوحش والريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، ثم زاده الله تعالى ما هو خير منها فقال له تعالى:{هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾} [ص: ٣٩]. فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها، ولا حسبها كرامة كما حسبتموها، بل قال عند ذلك: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر. وهذا فصل الخطاب لمن تدبره أن يقول له ربه في معرض المنة:{هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾} [ص: ٣٩]. ثم خاف سليمان عليه السلام أن يكون استدراجاً من حيث لا يعلم. هذا وقد قال لك ولسائر أهل الدنيا: {فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾} [الحجر: ٩٢ - ٩٣]، وقال:{وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧].

يا أمير المؤمنين إنك تموت وحدك وتحاسب وحدك:

لما دخل ابن السماك على هارون قال له: عظني. فقال: يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض لخلافته في عباده غيرك، فلا ترض من نفسك إلا ما رضي به عنك، فإنك ابن عم رسول الله ﷺ وأولى الناس

بذلك. يا أمير المؤمنين من طلب فكاك رقبته في مهلة من أجله كان خليقاً أن يعتق نفسه. يا أمير المؤمنين من أذاقته الدنيا حلاوتها بركون منه إليها، أذاقته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها. يا أمير المؤمنين ناشدتك الله أن تقدم على جنة عرضها السماوات والأرض، وقد دعيت إليها وليس لك فيها نصيب. يا أمير المؤمنين إنك تموت وحدك وتحاسب وحدك، وإنك لا تقدم إلا على حالة نادم مشغول، ولا تخلف إلا مفتوناً مغروراً، وإنك وإيانا لفي دار سفر وجيران ظعن.

إن هذا الأمر لم يصر إليك إلا بموت من قبلك:

لما حج سليمان بن عبد الملك استحضر أبا حازم فقال له: تكلم يا أبا حازم. فقال: بم أتكلم؟ فقال: في الخروج من هذا الأمر. قال: يسيران أنت فعلته. قال: وما ذاك؟ قال: لا تأخذ الأشياء إلا من حلها ولا تضعها إلا في أهلها. قال: ومن يقوى على ذاك؟ قال: من قلده الله من الأمر ما قلدك. قال: عظني يا أبا حازم. قال: يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر لم يصر إليك إلا بموت من قبلك، وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك. ثم قال: يا أمير المؤمنين نزه ربك في عظمته عن أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك. يا أمير المؤمنين إنما أنت سوق فما نفق عندك حمل إليك من خير أو شر، فاختر لنفسك أيهما شئت.

قال: فما لك لا تأتينا؟ قال: وما أصنع بإتيانك؟ إن أدنيتني فتنتني، وإن أقصيتني أحزنتني، وليس عندي ما أخافك عليه ولا عندك ما أرجوك له. قال: فارفع إلي حوائجك. قال: قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها، فما أعطاني منها قبلت، وما منعني منها رضيت، يقول الله عز وجل:{نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الزخرف: ٣٢].

فمن ذا الذي يستطيع أن ينقص من كثير ما قسم الله، أو يزيد في قليل ما قسم الله؟ قال: فبكى سليمان بكاء شديداً فقال رجل من جلسائه: أسأت إلى أمير المؤمنين! فقال له أبو حازم: اسكت! فإن الله تعالى أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه. ثم خرج من عنده فلما وصل إلى منزله بعث إليه بمال فرده وقال للرسول: قل له يا أمير المؤمنين، والله ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسي؟

فأن في صلاحه صلاح العباد والبلاد!

قال الفضيل: جور ستين سنة خير من هرج ساعة، فلا يتمنى زوال السلطان إلا جاهل مغرور أو فاسق يتمنى كل محذور، فحقيق على كل رعية أن ترغب إلى الله تعالى في إصلاح السلطان، وأن تبذل له نصحها وتخصه بصالح دعائها، فإن في صلاحه صلاح العباد والبلاد، وفي فساده فساد العباد والبلاد.

تعالوا ندعوا ربنا أن يوفق ملوكنا

قال الفضيل: لو ظفرت ببيت المال لأخذت من حلاله وصنعت منه طيب الطعام، ثم دعوت الصالحين وأهل الفضل من الأبرار والأخيار، فإذا فرغوا قلت لهم: تعالوا ندعوا ربنا أن يوفق ملوكنا وسائر من يلي علينا وجعل إليه أمرنا.

من يحسن هذا غيرك!

قال الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة مستجابة لما أجعلها إلا في الإمام، لأنه إذا صلح أخصبت البلاد وأمن العباد. فقبَّل ابن المبارك رأسه وقال: من يحسن هذا غيرك؟

أدلك على النجاة وتكافئني بالهلاك

لما حج الرشيد دخل على الفضيل فوعظه بما وعظه، وأراد الخروج فقال: يا فضيل هل عليك دين؟ فقال: نعم دين ربي لو يحاسبني عليه، فالويل لي إن حاسبني عليه، والويل لي إن ناقشني. فقال الرشيد: إني أسألك عن دين العباد. فقال: عندنا بحمد الله خير كثير لا نحتاج معه إلى ما في أيدي الناس. قال: هذه ألف دينار فاستعن بها. فقال: يا حسن الوجه أدلك على النجاة وتكافئني بالهلاك، أسأل الله التوفيق! فلما خرج عاتبته بنيته فقالت: لو أخذتها فاستعنا بها. فقال: إن مثلي ومثلكم مثل قوم كان لهم بعير يكدونه ويأكلون من كسبه، فلما كبر وسقط عن العمل نحروه فأكلوه.

تقتله أنت وأصحابك، وارفق به أنا!

قال الفضل بن الربيع: حج هارون الرشيد، فأتاني فخرجت إليه مسرعاً فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك، فقال: ويحك قد حل في نفسي شيء فانظر لي رجلاً أسأله، فقلت: هاهنا سفيان بن عيينة، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه فقرعنا الباب فقال: من ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك، قال: خذ لما جئناك له رحمك الله، فحدثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم، قال: يا عباسي اقض دينه، فلما خرجنا، قال: ما أغنى عنك صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله، قلت: هاهنا عبد الرزاق بن همام، قال: امض بنا إليه، فأتيناه فكانت حاله كحال سفيان ابن عيينة، فقلت له: هاهنا الفضيل بن عياض، قال: امض بنا إليه، فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها، فقرعت الباب فقال: من ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، قال: مالي ولأمير

المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله! أما عليك طاعة لبشر؟ فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا فجعلنا نجول البيت عليه بأيدينا، فسبقت كف هارون الرشيد إليه قبلي فقال: يا لها من كف ما ألينها إن نجت من عذاب الله! فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام من قلب نقي فقال له: خذ لما جئناك له يرحمك الله، فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيوة فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي، فعد الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا وليكن إفطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم أخاً، وأصغرهم ولداً، فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك، وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك أو اكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت فإني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام. فهل معك مثل هذا، أو من يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غشي عليه، فقلت: ارفق بأمير المؤمنين، فقال: يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك، وأرفق به أنا؟ ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه كثرة النوم فكتب إليه عمر: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، فإنه يطرد بك إلى ربك نائماً أو يقظان، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء. قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى

قدم على عمر، فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، ولا أعود لولاية حتى ألقى الله تعالى، قال: فبكى هارون بكاءً شديد، ثم قال له: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أمرني على إمارة؟ فقال له النبي ﷺ: إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل، فبكى هارون بكاء شديداً، وقال له: زدني رحمك الله، قال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فان استطعت أن تقي هذا الوجه فإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺ قال: من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة فبكى هارون وقال له: عليك دين؟ قال: نعم، دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن ساءلني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حجتي، قال: إنما أعني من دين العباد، قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، إنما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره، فقال:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾} [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك، وتقو بها على عبادتك، فقال له: سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا، سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا، فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب، قال هارون: يا عباسي إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا، فهذا سيد المسلمين.فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به، فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا

الكلام قال: ندخل فعسى يقبل المال، فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف يرحمك الله، فانصرفنا.

تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي:

جاء أبو محمد السمرقندي إلى الفضيل ومعه أولاد البرامكة، وعليهم قمص لها جربانات عراض، فسألوه أن يحدثهم فامتنع فقام مغضباً فقال الفضيل: ردوه. فردوه فقال: بلغنا أن عيسى صلوات الله عليه قال تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إليه بالتباعد عنهم، والتمسوا رضاه بسخطهم. فقيل: يا روح الله فمن نجالس؟ فقالوا: من تذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه وترغبكم في الآخرة مجالسته.. قم فقد حدثتك.

ما هم بمجاورين

قال الفضيل رحمه الله: وضعت مكة للعبادة والتوبة والحج والعمرة والزهادة وأعمال الآخرة، ولم توضع للتجارة ولا يغرنك أقوام اتخذوا فيها حوانيت ويقولون: نحن مجاورون وقد أعياهم الكسب في بلادهم فصاروا فيها تجاراً، كذبوا ما هم بمجاورين إنما المجاور من هو مقيم بها للعبادة وعمل الآخرة، فينفق من فضل الله ما آتاه الله ولا يكسب فيها ولا يشغل نفسه بالكسب فيها، ولأن ترجع إلى بلدك فتشتري به وتبيع وتحج في كل عشرين سنة أحب إلي من أن تكون مقيماً بمكة وتحج وتعتمر كل سنة وتبيع وتشتري فيها.

اصبروا، فأنما هي الليلة

قال الفضيل بن عياض، قال إبراهيم التيمي: لما حبست الحبسة المشهورة، أدخلت السجن، فأنزلت على أناس في قيد واحد، ومكان ضيق، لا يجد الرجل إلا موضع مجلسه، وفيه يأكلون، وفيه يتغوطون، وفيه يصلون.

قال: فجيء برجل من أهل البحرين، فأدخل علينا، فلم نجد مكاناً، فجعلوا يتبرمون به، فقال: اصبروا، فإنما هي الليلة.

فلما دخل الليل، قام يصلي، فقال: يا رب، مننت علي بدينك، وعلمتني كتابك، ثم سلطت علي شر خلقك، يا رب، الليلة، الليلة، لا أصبح فيه.

فما أصبحنا حتى ضربت أبواب السجن: أين البحراني، أين البحراني؟ فقال كل منا: ما دعي الساعة، إلا ليقتل، فخلي سبيله.

فجاء، فقام على باب السجن، فسلم علينا، وقال: أطيعوا الله لا يضيعكم.

ما أنا بمسكين، ولا فقير:

عن الفضيل بن عياض، قال: حدثني رجل: أن رجلاً خرج بغزل، فباعه بدرهم ليشتري به دقيقاً، فمر على رجلين، كل واحد منهما آخذ برأس صاحبه.

فقال: ما هذا؟ فقيل: يقتتلان في درهم، فأعطاهما ذلك الدرهم، وليس له شيء غيره.

فأتى إلى امرأته، فأخبرها بما جرى له، فجمعت له أشياء من

البيت، فذهب ليبيعها، فكسدت عليه، فمر على رجل ومعه سمكة قد أروحت.

فقال له: إن معك شيئاً قد كسد، ومعي شيء قد كسد، فهل لك أن تبيعني هذا بهذا؟ فباعه.

وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت، وقال لزوجته: قومي فأصلحي أمر هذه السمكة، فقد هلكنا من الجوع.

فقامت المرأة تصلحها، فشقت جوف السمكة، فإذا هي بلؤلؤة، قد خرجت من جوفها.

فقالت المرأة: يا سيدي، قد خرج من جوف السمكة شيء أصغر من بيض الدجاج، وهو يقارب بيض الحمام.

فقال: أريني، فنظر إلى شيء ما رأى في عمره مثله، فطار عقله، وحارلبه.

فقال لزوجته: هذه أظنها لؤلؤة.

فقالت: أتعرف قدر اللؤلؤة.

قال: لا، ولكني أعرف من يعرف ذلك، ثم أخذها، وانطلق بها إلى أصحاب اللؤلؤ، إلى صديق له جوهري، فسلم عليه، فرد عليه السلام، وجلس إلى جانبه يتحدث، وأخرج تلك البيضة.

وقال: انظر كم قيمة هذه؟ قال: فنظر زماناً طويلاً، ثم قال: لك بها علي أربعون ألفاً، فإن شئت أقبضتك المال الساعة، وإن طلبت الزيادة، فاذهب بها إلى فلان، فإنه أثمن بها لك مني.

فذهب بها إليه، فنظر إليها واستحسنها، وقال: لك بها علي ثمانون ألفاً، وإن شئت الزيادة، فاذهب بها إلى فلان، فإني أراه أثمن بها لك مني.

فذهب بها إليه، فقال: لك بها علي مائة وعشرون ألفاً، ولا أرى أحداً يزيدك فوق ذلك شيئاً.

فقال: نعم، فوزن له المال، فحمل الرجل في ذلك اليوم اثنتي عشرة بدرة، في كل بدرة عشرة آلاف درهم، فذهب بها إلى منزله، ليضعها فيه، فإذا فقير واقف بالباب، يسأل.

فقال: هذه قصتي التي كنت عليها، أدخل، فدخل الرجل.

فقال: خذ نصف هذا المال، فأخذ الرجل الفقير، ست بدر، فحملها، ثم تباعد غير بعيد، ورجع إليه.

وقال: ما أنا بمسكين، ولا فقير، وإنما أرسلني إليك ربك عز وجل، الذي أعطاك بالدرهم عشرين قيراطاً، فهذا الذي أعطاك، قيراط منه، وذخر لك تسعة عشر قيراطاً.

إذا كانت الأئمة ظالمة

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: إن الله تعالى يهلك الرعية وإن كانت هادية مهدية إذا كانت الأئمة ظالمة لأن أعمال الأئمة تعلو أعمال الرعية.

فبأي شيءٍ تسوس رعيتك!

قيل: طاف الرشيد بالبيت فوطئ جرادةً، فلم يدر ما عليه فيها، فبعث بالمأمون إلى الفضيل بن عياض فسلم عليه وقال: إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: لنا إليك حاجةٌ، فأحب أن تعبر

إلينا. فلم يجب الفضيل بشيء، فرجع المأمون وقال: رأيت رجلاً ليست به إليك حاجةً، فقام الرشيد مغضباً حتى خيف على الفضيل منه؛ فوقف وسلم عليه، فوسع الفضيل له ورد عليه السلام. فلما جلس أقبل على الفضيل فقال: رحمك الله، قد كان الواجب أن تأتينا وتعرف حقنا إذ ولانا الله أموركم فصيرنا الحكام في دمائكم، والذابين عن حريمكم، وإذ لم تأتنا فقد أتيناك؛ إني وطئت الآن في الطواف على جنديةٍ فما ديتها؟ قال: فبكى الفضيل بكاءً شديداً حتى علا صوته وقال: إذا كان الراعي يسأل عن الغنم هلكت الغنم، وإنما يجب على الراعي أن يرتاد لغنمه المرعى، وجيد الكلأ، وعذب الماء، فإذا كنت يا أمير المؤمنين تسألني عن معالم الدين فبأي شيءٍ تسوس رعيتك؟ قال: فخجل الرشيد حتى عرق وانصرف.

لم أعنك رحمك الله:

وعن عبد الله الهروي قال: كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبي قيس فقال: لو أن رجلا صدق في توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى: لم أعنك رحمك الله فسكن.

وما للعالم وما للأمير

حدثنا عبد الرحمن بن عفان قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ما أقبح بالعالم يؤتى الى منزله فيقال أين العالم فيقال عند الأمير أين العالم فيقال عند القاضي ما للعالم وما للقاضي وما للعالم وما للأمير ينبغي للعالم أن يكون في مسجده يقرأ في مصحفه.

فما عوضك؟

كان لبعض الملوك نديم فسكر ففاتته الصلاة فجاءت جارية له بجمرة نار فوضعتها على رجله فانتبه مذعوراً فقالت: إنك لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فترك الدنيا وانقطع إلى العبادة وقعد يبيع البقل فدخل عليه الفضيل وابن عيينة فإذا تحت رأسه لبنة وليس تحت جنبه حصير فقالا له: إنا روينا أنه لم يدع أحد شيئا لله إلا عوضه خيراً منه فما عوضك؟ قال: القناعة والرضا بما أنا فيه.

انطلقوا حتى أريكم الدنيا:

وكان الفضيل بن عياض يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيجئ بهم إلى المزبلة فيقول: انظروا إلى عنبهم وسمنهم ودجاجهم وبطهم صار إلى ما ترون.

ما جاء بك؟

كان الفضيل جالساً وحده في المسجد فجاء إليه أخ له فقال: ما جاء بك؟ قال: المؤانسة قال: هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تتزين لي وأتزين لك وتكذب لي وأكذب لك إما أن تقوم عني وإما أن أقوم عنك.

لو علم الملوك وأبناء الملوك:

ويروى أن الفضيل بن عياض كان هو ورفيق له في بعض الصحاري فأكلا كسرة يابسة واغترفا بأيديهما ماء من بعض الغدران وقام الفضيل فحط رجليه في الماء فوجد برده فالتذ به وبالحال التي هو فيها فقال لرفيقه لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا.

من كلام الفضيل:

أوحى الله إلى الجبال أني مكلم على واحد منكم نبياً فتطاولت الجبال وتواضع طور سيناء فكلم الله عليه موسى لتواضعه.

- إن الفاحشة لتشيع في كثير من المسلمين حتى إذا صارت إلى الصالحين كانوا لها خزانا.

- الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين.

- ما عملت ذنباً إلا وجدته في خلق زوجتي ودابتي.

- وقال لرجل: كم أتى عليك؟ قال: ستون سنة. قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ. فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون. قال الفضيل: أتعرف تفسيره تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون!! فمن علم أنه لله عبد وأنه إليه راجع فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف، فليعلم أنه مسئول، فليعد للسؤال جواباً، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة. قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك فيما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقى، أخذت بما مضى وما بقى والأعمال بالخواتيم.

- حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي له أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن.

- يقول: إني لأعصي اللهَ؛ فأعرف ذلك في خلق دابَّتي وجاريتي!

- رحمه الله: إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذلّ، وغني قوم افتقر، وعالماً تلعب به الدنيا.

- لَقلعُ الجبال بالإبر أهون من قلع رئاسة قد ثبتت في القلوب.

- أدركت السلف يقولون إن لله في كل شي ء زكاة وزكاة العقل طول الحزن.

- وقال الفضيل: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير.

- عن إبراهيم بن الأشعث قال: سألت الفضيل عن التواضع قال: التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته منه، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه.

- عن إبراهيم بن الأشعث سمعت الفضيل يقول: قال الله عز وجل: يا ابن آدم إذا كنت تتقلب في نعمتي وأنت تتقلب في معصيتي فاحذرني لا أصرعك بين معاصيك، يا بن آدم اتقني ونم حيث شئت.

- قال إيضاً: ينبغي لحامل القرآن أن لا تكون له حاجة إلى أحد من الناس، إلى الخليفة فمن دونُ، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه.

- هذا زمان احفظ لسانك، واخف مكانك، وعالج قلبك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر

- كفى بالله محبوباً وبالقرآن مؤنساً وبالموت واعظاً اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً.

- إذا رأيت الليل مقبلاً فرحت به وقلت أخلو بربي وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجي ء إلي من يشغلني عن ربي.

- ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما،

- إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم قد كثرت خطاياك.

- ما من ليلة اختلط ظلامها وأرخى سربال ستره إلا نادى الخليل جل جلاله من بطنان عرشه أنا الجواد ومن مثلي يجود على الخلائق وهم عاصون وأنا لهم مراقب أكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوا وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا فيما بيني وبينهم أجود على العاصين وأتفضل على المسيئين من ذا الذي دعاني فلم أستجب له؟ من ذا الذي سألني فلم أعطه؟ من ذا الذي أناخ ببابي فطردته؟ أنا المتفضل ومني الفضل وأنا الجواد ومني الجود وأنا الكريم ومني الكرم وقيل معنى الكريم أنه إذا أذنب عبد غفر لكل من فعل ذلك الذنب وغفر لمن اسمه على اسم ذلك العبد.

- من أقام نفسه في ذل في الحلال حضره الله مع الصديقين ورفعه إلى الشهداء يوم القيامة.

- كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون.

- روي لي أن الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أخمل ذكرك.

- ألا ترون كيف يزوي الله سبحانه الدنيا عمن يحب؟ ويمررها عليهم مرة بالجوع، ومرة بالعري، ومرة بالحاجة، كما تصنع الأم الشفيقة بولدها تقمطه بالصبر مرة، وبالحضض مرة، وإنما تريد صلاحه.

- حدث عبد الرحمن بن عفان قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: في جهنم أرحية تطحن العلماء طحنا فقيل: من هؤلاء؟ قال: قوم علموا فلم يعملوا.

- حدث إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول إذا خالطت فخالط حسن الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى خير وصاحبه منه في راحة ولا تخالط سيء الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر وصاحبه منه في عناء ولأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني قاريء سيء الخلق إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس ومقتوه.

- وقال إيضاً: من طلب أخا بلا عيب بقي بلا أخ

- لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله إذن لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس فكانوا لهم تبعاً، ولكنهم ابتذلوا أنفسهم، وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا فهانوا وذلوا، ووجدوا لغامز فيهم مغمزاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، أعظم بها مصيبة.

- قال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكاً ولا متبسماً إلا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك فقال: إن الله أحب أمراً، فأحببت ما أحب الله.

- وسئل الفضيل رحمه الله عن قراءة القرآن بألحان، فقال: إنما أخذ هذا من الغناء قوم اشتهوا الغناء فاستحبوا فحولوا نصب الغناء على القرآن، وعسى أن يقرأ رجل ليس له صوت فلا يعجبهم وهو خير من صاحب الصوت؛ ويقرأ الآخر فيعجبهم صوته فيقولون: ما أحسن قرآنه! ولعله لا يجاوز قرآنه حنجرته.

- وقال أيضاً: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه. وقال: " نظر المؤمن إلى المؤمن جلاء للقلب، ونظر المؤمن لصاحب البدعة يورث العمى ". وقال: إذا رأيت مبتدعاً في طريق فخذ في طريق آخر. وقال: لا يرفع لصاحب بدعة عمل، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام.

- من مقت نفسه في الله أمنه الله من مقته.

- وعن فيض بن اسحق قال: كنت عند الفضيل بن عياضٍ رضي الله عنه إذ جاءه رجلٌ فسأله حاجةً فألح بالسؤال عليه، فقلت له: لا تؤذ الشيخ. فقال لي الفضيل: اسكت يافيض، أما علمت أن حوائج الناس إليكم نعمةٌ من الله عليكم، فاحذروا أن تملّوا النعم فتتحوّل. ألا تحمد ربّك أن جعلك موضعاً تسأل، ولم يجعلك موضعاً تسأل؟ !

- من دعاء الفضيل بن عياض رضي الله عنه: اللهم إني أسألك الغنى في الدنيا، وأعوذ بك من الرغبة فيها، وأسألك الزهد في الدنيا، وأعوذ بك من الفقر فيها.

- وقال أيضاً: كان العُلَمَاء رَبيعَ الناس إذا رآهم المَريضُ لم يسرّه أن يكون صَحيحاً وإذا نظر إليهم الفقير لم يَودَّ أن يكون غنياً " وقد صاروا اليومَ فتنة للناس ".

- استَخيروا الله ولا تتخيروا عليه فرُبما اختار العبدُ أمرًا هلاكُه فيه.

- وكان يقول: إلهي لو عَذبْتَني بالنار لم يَخْرُج حُبُّك من قلبي ولم أنسَ أياديكَ عندي في دار الدنيا وقال عبد الله بنُ مسعود: اللهم وَسِّع علي في الدنيا وزَهِّدني فيها ولا تُزْوِها عَني وتُرَغبني فيها.

- وقال: شر العلماء من يجالس الأمراء وخير الأمراء من يجالس العلماء.

- وقال: من علامة الشقاء جمود العين وقساوة القلب وطول الأمل.

- وكان يقول: حقيق على من كان الموت موعده والقيامة مورده والوقوف والحساب مشهده أن يطول حزنه وبكاؤه.

- وقال الفضيل بن عياض: قال لي ابن المبارك: ما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخاً في الله قال: فقلت له: لا يهيدنك هذا فقد خبثت السرائر، وتنكرت الظواهر، وفني ميراث النبوة، وفقد ما كان عليه أهل الفتوة.

- لو عرضت علي الدنيا بحذافيرها حلالاً أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه وقال: جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا.

- ومن كلام الفضيل بن عياض: يا ابن آدم إنّما يفضلك الغني بيومك، أمسى قد خلا وغد لم يأت، فإن صبرت يومك أحمد أمرك، وقويت على غدك، وإن عجزت عن يومك ذممت أمرك وضعفت عن غدك. وإنّ الصبر يورث البرء، وإنّ الجزع يورث السقم، وبالسقم يكون الموت وبالبرء تكون الحياة.

- لا يستريح قلبك حتى يترك كل الدنيا.

- لو شممتم رائحة الذنوب مني ما قربتموني. وأثنى على زاهد فقال: لو عرفت مني ما عرفت من نفسي لأبغضتني.

- كان الفضيل رضي الله عنه إذا أرسل غلامه ليشتري له شيئاً فرجع إليه فقال: وجدته غالياً، قال: الحمد لله إذا غلا علينا شيء تركناه.

- وذكر الزهد عند الفضيل فقال: هو حرفان في كتاب الله تعالى: {لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} [الحديد: ٢٣].

- وقال أيضاً: ثلاثة لا يلامون على الغضب: المريض والصائم والمسافر.

- لو أن رجلاً أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين.

- لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق. فإن قيل: أليس قد روى أن عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام التقيا فقال يحيى لعيسى: تلقاني ضاحكاً كأنك آمن؟ فقال عيسى: وأنت تلقاني عابساً كأنك آيس؟ فأوحى الله تعالى إليهما إن أحبكما إلي أبشكما لصاحبه. قلنا: كذلك يستحب أن يكون المؤمن وليست طلاقة الوجه والتبسم في وجه أخيك منهياً عنه، وإنما المكر ومما ذكرناه في أول الباب من التملق والتصنع.

- وقال أيضاً: المؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل.

- لكل شيء ديباج، وديباج القراء ترك الغيبة.

- ذكر الناس داء، وذكر الله شفاء.

- روى عن الفضيل بن عياض رحمة الله، أنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة فقال: الكامل من برّ والديه، ووصل رحمه، وأكرم إخوانه، وحسن خلقه، وأحرز دينه، وأصلح ماله، وأنفق من فضله، وحسن لسانه، ولزم بيته.

- وقال الفضيل بن عياض لسفيان الثوري: دلني على رجل أجلس إليه، قال: تلك ضالة لا توجد.

- وكان يقول: خصلتان يقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل.

- اجتمع الفضيل وسفيان وابن كريمة اليربوعي فتواصوا، فافترقوا وهم مجتمعون على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب، والصبر عند الطمع.

- قال: وكان الفضيل بن عياض يقول في دعائه: اللهم أجعتني وأجعت عيالي وتركتنا في ظلم الليل بلا مصباح وإنما تفعل هذا بأوليائك فبأي منزلةٍ نلت هذا منك يا رب؟

- وكان الفضيل يقول: المال يسوّد غير السيّد ويقويّ غير الأيّد.

- من أكثر من قول الحمد لله كثر الداعي له، قيل: ومن أين قلت هذا؟ قال: لأن كل من يصلي يقول: سمع الله لمن حمده.

- قال الفضيل بن عياض لأصحابه: إذا قيل لأحدكم: أتخاف الله؟ فليسكت، فإنّه إذا قال: لا، جاء بأمرٍ عظيم، وإن قال: نعم، فالخائف على خلاف ما هو عليه.

- وقال: يا ربّ إنّي لأستحيي أن أقول: توكّلت عليك، لو توكّلت عليك لما خفت ولا رجوت غيرك.

- دعاك الله إلى دار السلام، وقد آثرت في دنياك المقام، وحذرك عدوك الشيطان، وأنت مؤالفه طول الزمان، وأمرك بخلاف هواك، وأنت معانيه صباحك ومساك، فهل الحمق إلا ما أنت فيه؟ .

- الدنيا دار المرضى، والناس فيها مرضى، وللمجانين في دار المرضى شيئان: غل وقيد. ولنا غل الهوى، وقيد المعصية.

- ومن كلامه رضي الله عنه أهل الفضل هم أهل الفضل ما لم يروا فضلهم. وكان يقول من أحب أن يسمع كلامه إذا تكلم فليس بزاهد.

- وكان يقول: إذا اغتابك عدو فهو أنفع لك من الصديق فإنه كلما اغتابك كان لك حسناته.

- وكان رضي الله عنه يقول: سيد القبيلة في آخر الزمان منافقها، وهناك يحذر منهم لأنهم داء لا دواء له.

- فر من الناس غير تارك للجماعة.

- ليس هذا زمان فرح إنما هو زمان غموم.

- لكل شيء ديباجة وديباجة القراء ترك الغيبة، وكان يكره لقاء الإخوان مخافة التزين منه ومنهم.

- من فهم معنى القرآن استغنى عن كتابة الحديث، وكان رضي الله عنه يسقي على الدوام وينفق من ذلك على نفسه وعياله.

- إذ أحب عبداً أكثر غمه في الدنيا، وإذا أبغض عبداً وسع عليه دنياه، وكان يقول لو حلفت أني مراء كان أحب إلي من أن أحلف أني لست بمراء، وكان يقول: لا ينبغي لحامل القرآن أن يكون له حاجة عند أحد من الأمراء والأغنياء إنما ينبغي أن يكون حوائج الخلق إليه هو وكان رضي الله عنه يقول: تباعد من القراء جهدك فإنهم إن أحبوك مدحوك بما ليس فيك وإن غضبوا شهدوا عليك زوراً وقبل ذلك منهم.

- وجلس إليه سفيان بن عيينة فقال له الفضيل: كنتم معاشر العلماء سراجاً للبلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة وكنتم نجوماً يهتدي بكم فصرتم حيرة أما يستحي أحدكم من الله إذا أتى إلى هؤلاء

الأمراء وأخذ من مالهم وهو لا يعلم من أين أخذوه، ثم يسند بعد ذلك ظهره إلى محرابه ويقول: حدثني فلان عن فلان فطأطأ سفيان رأسه وقال: نستغفر الله ونتوب إليه.

- قراء الرحمن أصحاب خشوع وذبول وقراء الدنيا أصحاب عجب وتكبر وازدراء للعامة.

- الغيبة فاكهة القراء.

- واجتمع رضي الله عنه هو وشعيب بن حرب في الطواف فقال: يا شعيب إن كنت تظن أنه شهد الموقف والموسم من هو شر مني ومنك فبئس ما ظننت وكان رضي الله عنه يقول من طلب أخاً بلا غيب صار بلا أخ.

وكان يقول: لا تؤاخ من إذا غضب منك كذب عليك.

- قد بطلت الأخوة اليوم كان الرجل يحفظ أولاد أخيه من بعده ويعولهم حتى يبلغوا رشدهم كأنهم أولاده.

- ليس بأخيك من إذا منعته شيئاً طلبه غضب منك.

- كان لقمان قاضياً على بني إسرائيل مع كونه عبداً حبشياً لصدقه في الحديث وتركه ما لا يعنيه.

- وكان يقول طول الصراط خمسة عشر ألف فرسخ فانظر يا أخي أي رجل تكون.

- وسأله إسحاق بن إبراهيم أن يحدثه فقال له الفضيل رضي الله عنه: لو طلبت مني الدنانير لكان أيسر علي من الحديث ولو أنك يا مفتون عملت بما علمت لكان لك شغل عن سماع الحديث وكان

رضـي الله عنـه يقـول: مـن قـرأ القـرآن سـئل يـوم القيامـة كمـا تسـأل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن تبليغ الرسـالة فإنـه وارثهم، وكـان يقول عـالم الآخـرة علمـه مستور وعـالم الـدنيا علمـه منشـور، فـاتبعوا عـالم الآخـرة واحـذروا عـالم الـدنيا أن تجالسـوه فإنـه يفتـنكم بغـروره وزخرفته ودعواه الحمل من غير عمل أو العمل من غير صدق.

وكـان رضـي الله عنـه يقـول: لـو أن أهل العلـم زهـدوا فـي الـدنيا لخضعت لهم رقـاب الجبـابرة وانقـادت النـاس لهم ولكن بـذلوا علمهم لأبنـاء الـدنيا ليصيبوا بـذلك ممـا فـي أيـديهم فذلوا وهـانوا علـى النـاس ومن علامة الزهاد أن يفرحوا إذا وصفوا بالجهل عند الأمـراء ومـن داناهم وكان رضي الله عنه يقول: من عرف ما يدخل جوفه كان عند الله صديقاً، فانظر من أين يكون مطعمك يا مسكين.

- قال في قولـه تعالي:{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك: ٢].

قال: أخلصه، وأصوبه، قيل: يا أبـا علـي! مـا أخلصـه، وأصـوبه؟ فقال: إن العمل إذا كـان خالصـاً، ولـم يكن صـواباً لـم يقبل، وإذا كـان صـواباً، ولـم يكـن خالصـاً لـم يقبـل، حتـى يكـون خالصـاً صـواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة.

- إذا ظهرت الغيبة ارتفعت الأخوة في الله.

- حيث مـا كنـت فكـن ذَنَبـاً، ولا تكـن رأسـاً؛ فـإن الـرأس تهلـك، والذنب ينجو.

- كامل المروءة من بـر والديـه، وأصـلح مالـه، وأنفـق مـن مالـه، وحسن خلقه، وأكرم إخوانه، ولزم بيته.

- ما أجد لذة، ولا راحة، ولا قرة عين إلا حين أخلو في بيتي.

- صبر قليل، ونعيم طويل، وعجلة قليلة، وندامة طويلة.

- كفى بالله محباً، وبالقرآن مؤنساً، وبالموت واعظاً، وكفى بخشية الله علماً، وبالاغترار به جهلاً.

- لا تستوحش طريق الهدى؛ لقلة أهله، ولا تغتر بكثرة الناس.

- إذا أتاك رجلٌ يشكو رجلاً، فقل: يا أخي اعف عنه؛ إن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله - عز وجل - فقل: فإن كنت تحسن تنتصر بمثل، وإلا فارجع إلى باب العفو؛ فإنه باب واسع؛ فإنه من عفى وأصلح فأجره على الله؛ فصاحب العفو ينام الليل على فراشه، وصاحب الانتصار يقلب الأمور.

- خصلتان تقسيان القلب: كثرة النوم، وكثرة الأكل.

- المؤمن يزرع نخلاً، ويخاف أن يثمر شوكاً، والمنافق يزرع شوكاً، ويطلب أن يثمر رطباً.

- نعمت الهدية الكلمة الطيبة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها إلى أخيه.

- إنما تقاطع الناس بالتكلف، يزور أحدهم أخاه، فيتكلف له، فيقطعه ذلك عنه.

- خوف العبد من الله على قدر معرفته به.

- من وقي خمساً وقي شر الدنيا والآخرة: العجب، والرياء، والكبر، والإزراء، والشهوة.

- لأعلمنك كلمة هي خير لك من الدنيا وما فيها: والله لئن علم الله منك إخراج الآدميين من قلبك حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره - لم تسأله شيئاً إلا أعطاك.

- ما أحب عبدٌ الرياسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص، والعيوب؛ ليتميز هو بالكمال، ويكره أن يذكر الناس أحداً عنده بخير.

- ومن عشق الرياسة فقد تودع من صلاحه.

- أهل الفضل هم أهل الفضل ما لم يروا فضلهم.

- لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام، ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة.

- رب ضاحك، وأكفانه قد خرجت من عند القصار [(١)].

- من خاف الله لم يضره أحد، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد.

- لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق، وطلب الحلال.

- بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

- عاملوا الله - عز وجل - بالصدق في السر؛ فإن الرفيع من رفعه الله، وإذا أحب الله عبداً أسكن محبته في قلوب العباد.

- من المعروف أن ترى المنة لأخيك عليك إذا أخذ منك شيئاً؛

(١) القصار: المغسل.

لأنه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب، وأيضاً فإنه خصك بالسؤال، ورجا فيك الخير دون غيرك.

- من علامة المنافق أن يحب المدح بما ليس فيه، ويكره الذم بما فيه، ويبغض من يبصره بعيوبه، ويفرح إذا سمع بعيب أحد من أقرانه.

- إن الله - عز وجل - ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير.

- المؤمن يغبط، ولا يحسد، والمنافق يحسد، ولا يغبط.

- وقال الفضيل بن عياض: قال إبليس: يا رب، الخليقة تحبك وتبغضني، وتعصيك وتطيعني، فقال الله سبحانه: لأغفرن لهم طاعتهم إياك ببغضهم لك، ولأغفرن لهم معصيتهم إياي بحبهم لي[(١)].

* * *

(١) مصادر الترجمة: الجرح والتعديل ٤ / ٤٧٠، التاريخ الكبير: ٧ / ١٢٣، التاريخ الصغير: ٢ / ٢٤١، المعارف: ٥١١، المعرفة والتاريخ للفسوي: ١ / ١٧٩، الجرح والتعديل: ٧ / ٧٣، طبقات الصوفية للسلمي:٦ / ١٤، حلية الأولياء: ٨ / ٨٤، تاريخ ابن عساكر: ١٤ / ١٢٩ / أس، صفوة الصفوة: ٢ / ١٣٤، التوابون: للمقدسي: ٢٧، وفيات الأعيان: ٤ / ٤٧ - ٥٠، تهذيب الكمال: ١١٠٤، تذهيب التهذيب: ٣ / ١٤١ / ٢، تذكرة الحفاظ: ١ / ٢٤٥، العبر: ١ / ٢٩٨، ميزان الاعتدال: ٣ / ٣٦١، روض الرياحين لليافعي:٤١، تهذيب التهذيب: ٨ / ٢٩٤، النجوم الزاهرة: ٢ / ١٢١، ١٤٣، البصائر والذخائر: ٤ / ١٨٨، خلاصة تذهيب الكمال: ٣١٠، الجواهر المضية: ١ / ٤٠٩، شذرات الذهب: ١ / ٣٦١.

ذو النون المصري

أعـــلام التصـوف

ذو النون المصري

أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، قبطي الأصل من أهل النوبة، من قرية أخميم بصعيد مصر، أخذ التصوف عن شقران العابد أو إسرائيل المغربي كما أخذ علم الكيمياء عن جابر بن حيان، ويذكر ابن خلكان أنه كان من الملامتية الذين يخفون تقواهم عن الناس ويظهرون استهزاءهم بالشريعة، وذلك مع اشتهاره بالحكمة والفصاحة.

يعده كتّاب الصوفية المؤسس الحقيقي لطريقتهم في المحبة والمعرفة، وأول من تكلم عن المقامات والأحوال في مصر، وقال بالكشف وأن للشريعة ظاهراً وباطناً.

ويذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي، وأول من وضع تعريفات للوجد والسماع، وأنه أول من استعمل الرمز في التعبير عن حاله.

وقد تأثر بعقائد الإسماعيلية والباطنية وإخوان الصفا بسبب صِلاته القوية بهم، حيث تزامن مع فترة نشاطهم في الدعوة إلى مذاهبهم الباطلة، فظهرت له أقوال في علم الباطن، والعلم اللدني، والاتحاد، وإرجاع أصل الخلق إلى النور المحمدي، وكان لعلمه باللغة القبطية أثره على حل النقوش والرموز المرسومة على الآثار القبطية في قريته.

ويعد ذو النون أول من وقف من المتصوفة على الثقافة اليونانية، ومذهب الأفلاطونية الجديدة، وبخاصة ثيولوجيا أرسطو في

الإلهيات، ولذلك كان له مذهبه الخاص في المعرفة والفناء متأثراً بالغنوصية.

هو أول من عبر عن علوم المنازلات فأنكر عليه أهل مصر وقالوا: أحدثت علماً لم تتكلم فيه الصحابة وسعوا به إلى الخليفة المتوكل ورموه عنده بالزندقة وأحضروه من مصر على البريد فلما دخل سر من رأى وعظه فبكى المتوكل ورده مكرماً.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: كان أهل مصر يسمونه بالزنديق فلما مات أظلت الطير الخضر جنازته ترفرف عليه إلى أن وصل إلى قبره.

وكان ذو النون أول من تكلم ببلدته في بعض أمور الصوفية مثل ترتيب الأحوال، ومقامات الأولياء، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر، وهجره علماء مصر. وشاع أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف فدعاه أمير مصر وسأله عن اعتقاده فتكلم فرفض أمره وكني به ابن المتوكل، وهجروه حتى رموه بالزندقة. فقال أخوه: إنهم يقولون: إنك زنديق. فقال:

وما لي سوى الإطراق والصمت حيلة ::: ووضعي كفي تحت خدي وتذكاري

وقال محمد بن الفرخي: كنت مع ذي النون في زورق، فمر بنا زورق آخر، فقيل لذي النون: إن هؤلاء يمرون إلى السلطان، يشهدون عليك بالكفر. فقال: اللهم إن كانوا كاذبين، فغرقهم، فانقلب الزورق، وغرقوا. فقلت له: فما بال الملاح؟ قال: لم يحملهم وهو يعلم قصدهم؟ ولأن يقفوا بين يدي الله غرقى خير لهم من أن يقفوا

شهود زور، ثم انتفض وتغير، وقال: وعزتك لا أدعو على أحد بعدها.

ثم دعاه أمير مصر، وسأله عن اعتقاده، فتكلم، فرضي أمره. وطلبه المتوكل، فلما سمع كلامه، ولع به وأحبه. وكان يقول: إذا ذكر الصالحون، فحيهلا بذي النون.

وكانت وفاته في سنة خمس وأربعين ومائتين وكان من أبناء التسعين[(١)].

مواقف من حياته:

ما سبب توبتك؟

قال يوسف بن الحسين الرازي: حضرت ذا النون، فقيل له: يا أبا الفيض، ما كان سبب توبتك؟ قال: نمت في الصحراء، ففتحت عيني فإذا قنبرة عمياء سقطت من وكر، فانشقت الأرض، فخرج منها سكرجتان ذهب وفضة، في إحداهما سمسم، وفي الأخرى ماء، فأكلت وشربت. فقلت: حسبي، فتبت ولزمت الباب إلى أن قبلني.

أتعبناك يا أبا الفيض

وعن عمرو بن السرح: قلت لذي النون: كيف خلصت من المتوكل، وقد أمر بقتلك؟ قال: لما أوصلني الغلام، قلت في نفسي: يا من ليس في البحار قطرات، ولا في ديلج الرياح ديلجات، ولا في الأرض خبيئات، ولا في القلوب خطرات، إلا وهي عليك دليلات، ولك شاهدات، وبربوبيتك معترفات، وفي قدرتك متحيرات، فبالقدرة التي تجير بها من في الأرضين والسماوات إلا صليت على محمد

(١) شذرات الذهب ٢/ ١٠٨، تاريخ الخلفاء: ٣٥٠/١، سير أعلام النبلاء ٥٣٢/١١.

وعلى آل محمد، وأخذت قلبه عني، فقام المتوكل يخطو حتى اعتنقني، ثم قال: أتعبناك يا أبا الفيض.

صف لي أولياء الله

وقال يوسف بن الحسين: حضرت مع ذي النون مجلس المتوكل، وكان مولعاً به، يفضله على الزهاد، فقال: صف لي أولياء الله. قال: يا أمير المؤمنين، هم قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته، وجللهم بالبهاء من إرادة كرامته، ووضع على مفارقهم تيجان مسرته.

فليكن معك يا أخي حياء يمنعك عن الشكوى

قال عثمان: سمعت ذا النون يقول اعتل رجل من إخواني فكتب إلي أن أدعو الله لي فكتبت إليه سألتني أن أدعو الله لك أن يزيل عنك النعم واعلم يا أخي أن العلة مجزلة يأنس بها أهل الصفا والهمم والضياء في الحياة ذكرك للشفاء ومن لم يعد البلاء نعمة فليس من الحكماء ومن لم يأمن التشفيق على نفسه فقد أمن أهل التهمة على أمره فليكن معك يا أخي حياء يمنعك عن الشكوى والسلام.

ليس هكذا جاءنا الخبر

قال إبراهيم بن يحيى الزبدي لما حمل ذو النون بن إبراهيم إلى جعفر المتوكل أنزله في بعض الدور وأوصى به زرافة: وقال: أنا إذا رجعت غدا من ركوبي فأخرج إلى هذا الرجل فقال له زرافة: إن أمير المؤمنين قد أوصاني بك فلما رجع من الغد من الركوب قال له: انظر بأن تستقبل أمير المؤمنين بالسلام فلما أخرجه إليه قال له: سلم على أمير المؤمنين فقال ذو النون: ليس هكذا جاءنا الخبر إنما جاءنا في الخبر أن الراكب يسلم على الراجل قال فتبسم أمير المؤمنين

وبدأه بالسلام فنزل إليه أمير المؤمنين فقال له: أنت زاهد أهل مصر قال: كذا يقولون فقال له زرافة: فإن أمير المؤمنين يحب أن يسمع من كلام الزهاد قال: فأطرق ملياً ثم قال: يا أمير المؤمنين إن الجهل علق بنكتة أهل الفهم يا أمير المؤمنين إن لله عباداً عبدوه بخالص من السر فشرفهم بخالص من شكره فهم الذين تمر صحفهم مع الملائكة فرغا حتى إذا صارت إليه ملأها من سر ما أسروا إليه أبدانهم دنياوية وقلوبهم سماوية قد احتوت قلوبهم من المعرفة كأنهم يعبدونه مع الملائكة بين تلك الفرج وأطباق السموات لم يخبتوا في ربيع الباطل ولم يرتعوا في مصيف الآثام ونزهوا الله أن يراهم يثبون على حبائل مكره هيبة منهم له وإجلالاً أن يراهم يبيعون أخلاقهم بشيء لا يدوم وبلذة من العيش مزهودة فأولئك الذين أجلسهم على كراسي أطباق أهل المعرفة بالأدواء والنظر في منابت الدواء فجعل تلامذتهم أهل الورع والبصر فقال لهم: إن أتاكم عليل من فقدي فداووه أو مريض من تذكري فأدنوه أو ناس لنعمتي فذكروه أو مبارز لي بالمعاصي فنابذوه أو محب لي فواصلوه يا أوليائي فلكم عاتبت ولكم خاطبت ومنكم الوفاء طلبت لا أحب استخدام الجبارين ولا تولِّ المتكبرين ولا مصافاة المترفين.

يا أوليائي وأحبابي جزائي لكم أفضل الجزاء وإعطائي لكم أفضل العطاء وبذلي لكم أفضل البذل وفضلي عليكم أوفر الفضل ومعاملتي لكم أوفى المعاملة ومطالبتي لكم أشد مطالبة وأنا مقدس القلوب وأنا علام الغيوب وأنا عالم بمجال الفكر ووسواس الصدور من أرادكم قصمته ومن عاداكم أهلكته ثم قال ذو النون بحبك وردت قلوبهم على بحر محبته فاغترفت منه ريا من الشراب فشربت منه

بمخاطر القلوب فسهل عليها كل عارض عرض لها عند لقاء المحبوب فواصلت الأعضاء المبادرة وألفت الجوارح تلك الراحة فهم رهائن أشغال الأعمال قد اقتلعتهم الراحة بما كلفوا أخذه عن الانبساط بما لا يضركن تركه قد سكنت لهم النفوس ورضوا بالفقر والبوس واطمأنت جوارحهم على الدؤوب على طاعة الله عز وجل بالحركات وظعنت أنفسهم عن المطاعم والشهوات فتوالهوا بالفكرة واعتقدوا بالصبر وأخذوا بالرضا ولهوا عن الدنيا وأقروا بالعبودية للملك الديان ورضوا به دون كل قريب وحميم فخشعوا لهيبته وأقروا له بالتقصير وأذعنوا له بالطاعة ولم يبالوا بالقلة إذا خلوا بأقل بكاء وإذا عوملوا فإخوان حياء وإذا كلموا فحكماء وإذا سئلوا فعلماء وإذا جهل عليهم فحلماء فلو قد رأيتهم لقلت عذارى في الخدور وقد تحركت لهم المحبة في الصدور بحسن تلك الصور التي قد علاها النور إذا كشفت عن القلوب رأيت قلوباً لينة منكسرة بالذكر نائرة وبمحادثة المحبوب عامرة لا يشغلون قلوبهم بغيره ولا يميلون إلى ما دونه قد ملأت محبة الله صدورهم فليس يجدون لكلام المخلوعين شهوة ولا بغير الأنيس ومحادثة الله لذة إخوان صدق وأصحاب حياء ووفاء وتقى وورع وإيمان ومعرفة ودين قطعوا الأودية بغير مفاوز واستقلوا الوفاء بالصبر على لزوم الحق واستعانوا بالحق على الباطل فأوضح لهم الحجة ودلهم على المحجة فرفضوا طريق المهالك وسلكوا خير المسالك ودلهم أولئك هم الأوتاد الذين بهم توهب المواهب وبهم تفتح الأبواب وبهم يشأ السحاب وبهم يدفع العذاب وبهم يتسقي العباد والبلاد فرحمة الله علينا وعليهم [1].

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٣٧ - ٣٣٨.

مخافة أن أكون كأجير السوء

قال محمد بن إسحاق الشمشاطي سمعت ذا النون يقول: بينما أنا أسير في جبال أنطاكية وإذا أنا بجارية كأنها مجنونة وعليها جبة من صوف فسلمت عليها فردت السلام ثم قالت: أسألك مسألة قلت: سليني قالت: أي شيء السخاء؟ قلت: البذل والعطاء قالت: هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين؟ قلت: المسارعة إلى طاعة المولى قالت: فإذا سارعت إلى طاعة المولى تحب منه خيراً قلت: نعم للواحد عشرة قالت مر بإبطال هذا هذا في الدين قبيح ولكن المسارعة إلى طاعة المولى أن يطلع إلى قلبك وأنت لا تريد منه شيئاً بشيء ويحك يا ذا النون إني أريد أن أقسم عليه في طلب شهوة منذ عشرين سنة فاستحيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجر ولكن أعمل تعظيماً لهيبته وعز جلاله قال: ثم مرت وتركتني [1].

حب ربك سبحانه واشتق إليه

قال ذو النون: بينما أنا في بعض مسيري إذ لقيتني امرأة فقالت لي: من أين أنت؟ قلت: رجل غريب فقالت لي: ويحك وهل يوجد مع الله أحزان الغربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء قال: فبكيت فقالت لي: ما يبكيك قلت وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع لي نجاحه قالت: فإن كنت صادقا فلم بكيت؟ قلت: والصادق لا يبكي؟ قالت: لا قلت: ولم؟ قالت: لأن البكاء راحة للقلب وملجأ يلجأ إليه وما كتم القلب شيئا أحق من الشهيق والزفير فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب وهذا ضعف الأطباء بإبطال الداء قال: فبقيت متعجبا من كلامها فقالت لي:

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٠.

مالك؟ قلت: تعجبت من هذ الكلام قالت: وقد نسيت القرحة التي سألت عنها قلت: لا ما أنا بالمستغني عن طلب الزوائد قالت: صدقت حب ربك سبحانه واشتق إليه فإن له يوماً يتجلى فيه على كرسي كرامته لأوليائه وأحبائه فيذيقهم من محبته كأساً لا يظمأون بعده أبداً قال: ثم أخذت في البكاء والزفير والشهيق وهي تقول: سيدي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها أحداً يسعفني على البكاء أيام حياتي ثم تركتني ومضت [(١)].

قد علمت ما كان مني يا أمل المؤملين

قال محمد بن أحمد الشمشاطي: سمعت ذا النون المصري يقول: بينا أنا سائر على شاطئ نيل مصر إذا أنا بجارية تدعو وهي تقول في دعائها: يا من هو عند ألسن الناطقين يا من هو عند قلوب الذاكرين يا من هو عند فكرة الحامدين يا من هو على نفوس الجبارين والمتكبرين قد علمت ما كان مني يا أمل المؤملين قال: ثم صرخت صرخة خرت مغشياً عليها.

اطلب دواءك ممن ابتلاك

قال ذو النون: دخلت إلى سواد نيل مصر فجاءني الليل فقمت بين زروعها فإذا أنا بامرأة سوداء قد أقبلت إلى سنبلة ففركتها ثم امتنعت عليها فتركتها وبكت وهي تقول: يا من بذره حباً يابساً في أرضه ولم يك شيئاً أنت الذي صيرته حشيشاً ثم أنبته عوداً قائماً بتكوينك وجعلت فيه حباً متراكباً ودورته فكونته وأنت على كل شيء قدير وقالت: عجبت لمن هذه مشيئته كيف لا يطاع وعجبت لمن هذا

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٠.

صنعه كيف يشتكي فدنوت منها فقلت: من يشكو أمل المؤملين فقالت لي: أنت يا ذا النون إذا اعتللت فلا تجعل علتك إلى مخلوق مثلك واطلب دواءك ممن ابتلاك وعليك السلام لا حاجة لي في مناظرة الباطلين ثم أنشأت تقول:

وكيف تنام العين وهي قريرة ::: ولم تدر في أي المحلين تنزل

اطلبوا لأنسكم مثل ما وجدت أنا

قال أبو بكر محمد بن خلف المؤدب وكان من خيار عباد الله: رأيت ذا النون المصري على ساحل البحر عند صخرة موسى فلما جن الليل خرج فنظر إلى السماء والماء فقال: سبحان الله ما أعظم شأنكما بل شأن خالقكما أعظم منكما ومن شأنكما فلما تهور الليل لم يزل ينشد هذين البيتين إلى أن طلع عمود الصبح:

اطلبوا لأنسكم مثل ما وجدت أنا ::: قد وجدت لي سكناً ليس هو
في هواه عنا إن بعدت ::: قربني أو قربت منه دنا

أنشد العباس بن أحمد لذي النون المصري:

إذا ارتحل الكرام إليك يوما ::: ليلتمسوك حالاً بعد حال
فإن رحالنا حطت لترضي ::: بحلمك عن حلول وارتحال
أنخنا في فنائك يا إلهي ::: إليك معرضين بلا اعتلال
فسسنا كيف شئت ولا تكلنا ::: إلى تدبيرنا ياذا المعالي[1]

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٤.

ما سبب الذنب؟

سئل ذو النون ما سبب الذنب؟ قال: اعقل ويحك ما تقول فإنها من مسائل الصديقين سبب الذنب النظرة ومن النظرة الخطرة فإن تداركت الخطرة بالرجوع الى الله ذهبت وإن لم تذكرها امتزجت بالوساوس فتتولد منها الشهوة وكل ذلك بعد باطن لم يظهر على الجوارح فإن تذكرت الشهوة وإلا تولد منها الطلب فإن تداركت الطلب وإلا تولد منها الغفلة.

قد كان لي قلب فقدته

قال أحمد بن عيسى الوشاء: سمعت أبا عثمان سعيد بن الحكم يقول: سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم يقول: بينما أنا أسير ذات ليلة ظلماء في جبال بيت المقدس إذ سمعت صوتاً حزيناً وبكاء جهيراً وهو يقول يا وحشتاه بعد أنسنا يا غربتاه عن وطننا وافقراه بعد غنانا واذلاه بعد عزنا فتبعت الصوت حتى قربت منه فلم أزل أبكي لبكائه حتى إذا أصبحنا نظرت إليه فإذا رجل ناحل كالشن المحترق فقلت: يرحمك الله تقول مثل هذا الكلام فقال: دعني فقد كان لي قلب فقدته ثم أنشأيقول:

قد كـــان لي قلـــب أعـــيش بـــه ::: بين الهوى فرماه الحـــب فاحترقـــا

فقلت له:

لم تشـــــتكي ألم الـــــبلا ::: وأنــــت تنتحـــل المحبـــة
إن المحــــب هــــو الصــــبو ::: ر علــى الــبلاء لمــن أحبــه
حــب الإلــه هــو الســرو ::: ر مــع الشــفاء لكــل كربــه[1]

---

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٥.

إنه مر على يدي ظالم

قال إسرافيل: حضرت ذا النون في الحبس وقد دخل الجلواذ بطعام له فقام ذو النون فنفض يده فقيل له: إن أخاك جاء به فقال: إنه مر على يدي ظالم.

ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟

سأل رجل ذا النون فقال: رحمك الله ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟ فقال: ذكر المقام وقلة الزاد وخوف الحساب. ثم سمعته يقول بعد فراغه من كلامه ولم لا تذوب أبدان العمال وتذهل عقولهم والعرض على الله أمامهم وقراءة كتبهم بين أيديهم والملائكة وقوف بين يدي الجبار ينتظرون أمره في الأخيار والأشرار ثم قال: مثلوا هذا في نفوسهم وجعلوه نصب أعينهم قال: وسمعت ذا النون يقول: قال الحسن ما أخاف عليكم منع الإجابة إنما أخاف عليكم منع الدعاء [(١)].

العلم نور لصاحبه

قال إسرافيل: سمعت ذا النون يقول: كتب رجل إلى عالم ما الذي أكسبك علمك من ربك وما أفادك في نفسك؟ فكتب إليه العالم أثبت العلم الحجة وقطع عمود الشك والشبهة وشغلت أيام عمري بطلبه ولم أدرك منه ما فاتني فكتب إليه الرجل العلم نور لصاحبه ودليل على حظه ووسيلة إلى درجات السعداء فكتب إليه العالم أبليت إليه في طلبه جدة الشباب وأدركني حين علمت الضعف عن العمل به ولو اقتصرت منه على القليل كان لي فيه مرشد إلى السبيل.

---

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٦.

فاعذرني واتهم نفسك

سأل رجل ذا النون المصري عن سؤال فقال له ذو النون: قلبي لك مقفل فإن فتح لك أجبتك وإن لم ينفتح لك فاعذرني واتهم نفسك[(١)].

أعقل فأن هذا من صفوة التوحيد

قال محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري: سمعت ذا النون يقول: يا خراساني احذر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعا قلت: وكيف ذلك؟ قال: لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه ثم قال: تعلق الناس بالأسباب وتعلق الصديقون بولي الأسباب ثم قال: علامة تعلق قلوبهم بالعطايا طلبهم منه العطايا ومن علامة تعلق قلب الصديق بولي العطايا انصباب العطايا عليه وشغله عنها به ثم قال: ليكن اعتمادك على الله في الحال لا على الحال مع الله ثم قال: أعقل فإن هذا من صفوة التوحيد [(٢)].

وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك النداء

قال محمد أبو الحسن الأنصاري: سمعت يوسف بن الحسن يقول: قال ذو النون المصري يوماً وأتاه رجل فقال له: أوصني؟ فقال: بم أوصيك إن كنت ممن قد أيد منه في علم الغيب بصدق التوحيد فقد سبق لك قبل أن تخلق إلى يومنا هذا دعاء النبيين والمرسلين والصديقين وذلك خير من وصيتي لك وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك النداء [(٣)].

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٧.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٥١.
(٣) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٤.

يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريباً

قال محمد بن أحمد: سمعت ذا النون يقول: بينما أنا سائر بين جبال الشام إذا أنا بشيخ على تلعة من الأرض قد تساقطت حاجباه على عينيه كبراً فتقدمت إليه فسلمت عليه فرد علي السلام ثم أنشأ وهو يقول بصوت عليل يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريباً ويا من قصد إليه الزاهدون فوجدوه حبيباً ويا من استأنس به المجتهدون فوجدوه سريعاً مجيبا ثم أنشأ يقول:

وله خصائص مصطفون لحبه ::: اختارهم في سالف الأزمان
اختارهم من قبل فطرة خلقه ::: فهم ودائع حكمة وبيان

ثم صرخ صرخة فإذا هو ميت [١]

أصبحت من الدنيا على فناء

قال سعيد بن الحكم: سمعت ذا النون يقول: دخلت على متعبدة فقلت لها: كيف أصبحت؟ قالت: أصبحت من الدنيا على فناء مبادرة للجهاز متأهبة لهول يوم الجواز أعترف لله على ما أنعم بتقصيري عن شكرها أقر بضعفي عن إحصائها وشكرها قد غفلت القلوب عنه وهو منشئها وأدبرت عنه النفوس وهو يناديها فسبحانه ما أمهله للأنام مع تواتر الأيادي والأنعام.

كالهارب من السبع

قال: وسمعت ذا النون يقول: بينا أنا أسير في بلاد الشام إذا أنا بعابد خرج من بعض الكهوف فلما نظر إلي استتر بين تلك الأشجار ثم قال: أعوذ بك سيدي ممن يشغلني عنك يا مأوى العارفين وحبيب

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٤.

التوابين ومعين الصادقين وغاية أمل المحبين ثم صاح واغماه من طول البكاء واكرباه من طول المكث في الدنيا ثم قال: سبحان من أذاق قلوب العارفين به حلاوة الانقطاع إليه فلا شيء ألذ عندهم من ذكره والخلوة بمناجاته ثم مضى وهو يقول: قدوس قدوس قدوس فناديته أيها العابد قف لي فوقف لي وهو يقول: اقطع عن قلبي كل علاقة واجعل شغله بك دون خلقك فسلمت عليه ثم سألته أن يدعو الله لي فقال: خفف الله عنك مؤن نصب السير إليه وذلك على رضاه حتى لا يكون بينك وبينه علاقة ثم سعى من بين يدي كالهارب من السبع [1].

صوت حزين كئيب موجع القلب

قال سعيد بن الحكم: سمعت ذا النون يقول: بينا أنا أسير في بعض سياحتي فإذا أنا بصوت حزين كئيب موجع القلب أسمع الصوت ولا أرى الشخص وهو يقول: سبحان مفني الدهور سبحان مخرب الدنيا سبحان مميت القلوب سبحان باعث من في القبور فاتبعت الصوت فاذا أنا بنقب وإذا الصوت خارج من النقب وهو يقول سبحان من لا يسع الخلق إلا سره سبحانك ما ألطفك بمن خالفك وأوفاك بعهدك سبحانك ما أحلمك عمن عصاك وخالف أمرك ثم قال: سيدي بحلمك نطقت وبفضلك تكلمت وما أنا والكلام بين يديه بما لا يستأهله قدري فيا إله من مضى قبلي ويا إله من يكون بعدي بالصالحين فألحقني ولأعمالهم فوفقني ثم قال: أين الزهاد والعباد أين الذين شدوا مطاياهم إلى منازل معروفة وأعمال موصوفة نزل بهم الزمان فأبلاهم وحل بهم البلاء فأفناهم فهل أنتظر إلا مثل الذي حل

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٥.

بهم ثم أقبل على ما كان فيه فقلت: رجل غرقت نفسه عن كلام الناس فانصرفت وتركته باكيا [(١)].

يا ذا النون غض بصرك

قال محمد بن يزيد: سمعت ذا النون يقول: خرجت حاجاً الى بيت الله الحرام فبينا أنا بالطواف إذا بشخص متعلق بأستار الكعبة وإذا هو يبكي وهو يقول في بكائه كتمت بلائي من غيرك وبحت بسري إليك واشتغلت بك عمن سواك عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك ثم أنشأ يقول:

ذوقتني طيب الوصال فزدتني ::: شوقاً إليك مخامر الحسرات

ثم أقبل على نفسه فقال: أمهلك فما ارعويت وستر عليك فما استحيت وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت ثم قال: عزيزي مالي إذا قمت بين يديك ألقيت علي النعاس ومنعتني حلاوة قرة عيني له ثم أنشأ يقول:

روعت قلبي بالفراق فلم أجد ::: شيئاً أمر من الفراق وأوجعا
حسب الفراق بأن يفرق بيننا ::: وأطال ما قد كنت منه مودعا

قال فلم أتمالك أن أتيت الكعبة مستخفياً فلما أحس تحلل بخمار كان عليه ثم قال يا ذا النون غض بصرك من مواقع النظر فإني حرام فعلمت أنها امرأة فقلت: يا أمة الله مم يحوى الهموم قلب المحب فقالت: إذا كانت للتذكار محاورة وللشوق محاضرة ياذا النون أما علمت أن الشوق يوري السقام وتجديد التذكار يورث الأحزان ثم أنشأت تقول:

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٩.

لم أذق طعم وصلك حق ::: زال عني محبتي للأنام

ثم أنشأت تقول:

نعم المحب إذا تزايد مصله ::: وعلت محبته بعقب وصال

فقالت: أوجعني أما علمت أنه لا يبلغ إليه إلا بترك من دونه [١]

واشغل هواك بحور عين

حدثنا أحمد بن إسحاق ثنا أحمد بن الحسين الأنصاري ثنا أبو عصمة قال: كنت عند ذي النون وبين يديه فتى حسن يملي عليه شيئاً قال: فمرت امرأة ذات جمال وخلق قال: فجعل الفتى يسارق النظر إليها قال: ففطن ذو النون فلوى عنق الفتى وأنشأيقول:

دع المصوغات من ماء وطين ::: واشغل هواك بحور عين [٢]

وتضييعي قلباً لاأقتني مثله أبدا

- كتب الوليد بن عتبة الدمشقي إلى ذي النون بكتاب يسأله فيه عن حاله فكتب إليه كتبت إلي تسألني عن حالي فما عسيت أن أخبرك به من حالي وأنا بي خلال موجعات أبكاني منهن أربع حب عيني للنظر ولساني للفضول وقلبي للرياسة وإجابتي إبليس لعنه الله فيما يكرهه الله وأقلقني منها عين لا تبكي من الذنوب المنتنة وقلب لا يخشع عند نزول العظة وعقل وهن فهمه في محبة الدنيا ومعرفة كلما قلبتها وجدتني بالله أجهل وأضناني منها أني عدمت خير خصال الإيمان الحياء وعدمت خير زاد الآخرة التقوى وفنيت أيامي بمحبتي للدنيا وتضييعي قلباً لاأقتني مثله أبدا [٣].

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٥.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٥.
(٣) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٦.

ذو النون والمريض

دخل ذو النون على مريض يعوده فرأى المريض يئن، فقال ذو النون: ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه، فقال المريض: لا ولا صدق في حبه من لم يتلذذ بضربه، فقال ذو النون: لا ولا صدق من رأى حبه لربه، عز وجل [(١)].

لأن البكاء راحة للقلب

قال ذو النون المصري: خرجت يوماً من وادي كنعان، فلما علوت الوادي إذا بسواد مقبل علي وهو يقول: وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي. فلما قرب مني السواد إذا بامرأة عليها جبة وبيدها ركوة، فقالت لي: من أنت؟ غير فزعة مني، فقلت: رجل غريب، فقالت: يا هذا وهل توجد مع الله غربة؟ قال: فبكيت من قولها، فقالت: ما الذي أبكاك؟ قلت: وقع الدواء على داء قد قرح، فأسرع في نجاحه قالت: فإن كنت صادقاً فلم بكيت؟ قلت: يرحمك الله الصادق لا يبكي، قالت: لا، قلت: ولم ذاك؟ قالت: لأن البكاء راحة للقلب، قال ذو النون: فبقيت والله متعجباً من قولها انتهى [(٢)].

يا راقداً والجليل يحفظه

قال ذو النون المصري: بينما أنا في بعض سياحتي إذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقرباً أسود قد أقبل إلى أن جاء إلى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب فقمت لأنظر فإذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه

---

(١) السرّاج القارئ، مصارع العشاق، ١ / ٩٠.

(٢) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري،.
دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى، بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٢ / ٦٤.

فحمله على ظهره وذهب به إلى ذلك الجانب قال ذو النون: فاتززت بمئزري وعمت خلفه حتى إذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء إلى شجرة فوجدت تحتها غلاماً نائماً من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال: فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت إلى ظهر الضفدع فعبر بها إلى الماء وسار بها إلى المكان الذي جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقداً والجليل يحفظه ::: من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك ::: يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال: فلما سمع ذلك قال: أشهدك على أني قد تبت عن هذه الخصلة ثم جرينا ذلك التنين ورميناه في البحر ولبس ذلك الغلام مسحاً وساح إلى أن مات رحمه الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

إذا لم يسالمك الزمان فحارب ::: وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما ::: تموت الأفاعي من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد ::: وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
إذا كان رأس المال عمرك فاحترز ::: عليه من التضييع في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك ::: يكر علينا جيشه بالعجائب [(١)]

(١) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف،، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ١ / ٣٠٨، ٢ / ٢٥٥.

من كلامه رحمه الله:

- القرآن كلام الله غير مخلوق.

- مهما تصور في وهمك، فالله بخلاف ذلك.

- الاستغفار جامع لمعان: أولهما: الندم على ما مضى. الثاني: العزم على الترك. الثالث: أداء ما ضيعت من فرض لله. الرابع: رد المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها. الخامس: إذابة كل لحم ودم نبت على الحرام. السادس: إذاقة ألم الطاعة كما وجدت حلاوة المعصية.

- ما خلع الله على عبد من عبيده خلعة أحسن من العقل، ولا قلده قلادة أجمل من العلم، ولا زينه بزينة أفضل من الحلم. وكمال ذلك كله التقوى (١).

- تنال المعرفة بثلاث: بالنظر في الأمور كيف دبرها وفي المقادير كيف قدرها وفي الخلائق كيف خلقها.

- قرأت في باب مصر بالسريانية فتدبرته فإذا فيه يقدر المقدرون والقضاء يضحك.

- إن لله عباداً ملأ قلوبهم من صفاء محض محبته وهيج أرواحهم بالشوق إلى رؤيته فسبحان من شوق إليه أنفسهم وأدنى منه هممهم وصفت له صدورهم سبحان موفقهم ومؤنس وحشتهم وطبيب أسقامهم، إلهي لك تواضعت أبدانهم منك إلى الزيادة انبسطت أيديهم

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، القصاص والمذكرين، تحقيق د. محمد لطفي الصباغ، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م، ص ٢٨١.

ما طيبت به عيشهم وأدمت به نعيمهم فأذقتهم من حلاوة الفهم عنك ففتحت لهم أبواب سمواتك وأتحت لهم الجواز في ملكوتك بك أنست محبة المحبين وعليك معول شوق المشتاقين وإليك حنت قلوب العارفين وبك أنست قلوب الصادقين وعليك عكفت رهبة الخائفين وبك استجارت أفئدة المقصرين قد بسطت الراحة من فتورهم وقل طمع الغفلة فيهم لا يسكنون إلى محادثة الفكرة فيما لا يعنيهم ولا يفترون عن التعب والسهر يناجونه بألسنتهم ويتضرعون إليه بمسكنتهم يسألونه العفو عن زلاتهم والصفح عما وقع الخطأ به في أعمالهم فهم الذين ذابت قلوبهم بفكر الأحزان وخدموه خدمة الأبرار الذين تدفقت قلوبهم ببره وعاملوه بخالص من سره حتى خفيت أعمالهم عن الحفظة فوقع بهم ما أملوا من عفوه ووصلوا بها إلى ما أرادوا من محبته فهم والله الزهاد والسادة من العباد الذين حملوا أثقال الزمان فلم يألموا بحملها وفقوا في مواطن الامتحان فلم تزل أقدامهم عن مواضعها حتى مال بهم الدهر وهانت عليهم المصائب وذهبوا بالصدق والإخلاص عن الدنيا إلهي فيك نالوا ما أملوا كنت لهم سيدي مؤيداً ولعقولهم مؤدياً حتى أوصلتهم أنت إلى مقام الصادقين في عملك وإلى منازل المخلصين في معرفتك فهم إلى ما عند سيدهم متطلعون وإلى ما عنده من وعيده ناظرون ذهبت الآلام عن أبدانهم لما أذاقهم من حلاوة مناجاته ولما أفادهم من ظرائف الفوائد من عنده فيا حسنهم والليل قد أقبل بحنادس ظلمته وهدأت عنهم أصوات خليقته وقدموا الى سيدهم الذين له يأملون فلو رأيت أيها البطال أحدهم وقد قام إلى صلاته وقراءته فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم

فيه الناس لرب العالمين فانخلع قلبه وذهل عقله فقلوبهم في ملكوت السماوات معلقة وأبدانهم بين أيدي الخلائق عارية وهمومهم بالفكر دائمة فما ظنك بأقوام أخيار أبرار وقد خرجوا من رق الغفلة واستراحوا من وثائق الفترة وأنسوا بيقين المعرفة وسكنوا إلى روح الجهاد والمراقبة بلغنا الله وإياكم هذه الدرجة [١].

- كم من مطيع مستأنس وكم عاص مستوحش وكم محب ذليل وكل راج طالب قال: وسمعته يقول: اعلموا أن العاقل يعترف بذنبه ويحس بذنب غيره ويجود بما لديه ويزهد فيما عند غيره ويكف أذاه ويحتمل الأذى عن غيره والكريم يعطي قبل السؤال فكيف يبخل بعد السؤال ويعذر قبل الاعتذار فكيف يحقد بعد الاعتذار ويعف قبل الامتناع فكيف يطمع في الازدياد قال: وسمعته يقول: ثلاثة من أعلام المحبة الرضا في المكروه وحسن الظن في المجهول والتحسين في الاختيار في المحذور وثلاثة من أعلام الصواب الأنس به في جميع الأحوال والسكون إليه في جميع الأعمال وحب الموت بغلبة الشوق في جميع الأشغال وثلاثة من أعمال اليقين النظر إلى الله تعالى في كل شيء والرجوع إليه في كل أمر والاستعانة به في كل حال وثلاثة من أعمال الثقة بالله السخاء بالموجود وترك الطلب للمفقود والاستنابة إلى فضل الموجود وثلاثة من أعمال الشكر المقاربة من الإخوان في النعمة واستغنام قضاء الحوائج قبل العطية واستقلال الشكر لملاحظة المنة وثلاثة من أعلام الرضى ترك الاختيار قبل القضا وفقدان المرارة بعد القضا وهيجان الحب في حشو البلا وثلاثة من أعمال الإنس بالله استلذاذ الخلوة والاستيحاش من الصحبة

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٣٩.

واستحلاء الوحدة وثلاثة من أعلام حسن الظن بالله قوة القلب وفسحة الرجا في الزلة ونفي الإياس بحسن الإنابة وثلاثة من أعلام الشوق حب الموت مع الراحة وبغض الحياة مع الدعة ودوام الحزن مع الكفاية (١).

- إن لله صفوة من خلقه وإن لله لخيرة من خلقه، قيل له: يا أبا الفيض فما علامتهم؟ قال: إذا خلع العبد الراحة وأعطى المجهود في الطاعة وأحب سقوط المنزلة قيل له: يا أبا الفيض فما علامة إقبال الله عز وجل على العبد قال: إذا رأيته صابراً شاكراً ذاكراً فذلك علامة إقبال الله على العبد قيل: فما علامة إعراض الله عن العبد قال: إذا رأيته ساهياً راهباً معرضاً عن ذكر الله فذاك حين يعرض الله عنه ثم قال: ويحك كفى بالمعرض عن الله وهو يعلم أن الله مقبل عليه وهو معرض عن ذكره قيل له: يا أبا الفيض فما علامة الأنس بالله قال: إذا رأيته يؤنسك بخلقه فإنه يوحشك من نفسه وإذا رأيته يوحشك من خلقه فإنه يؤنسك بنفسه ثم قال أبو الفيض: الدنيا والخلق لله عبيد خلقهم للطاعة وضمن لهم أرزاقهم ونهاهم وحذرهم وأنذرهم فحرصوا على ما نهاهم الله عنه وطلبوا الأرزاق وقد ضمنها الله لهم فلا هم في أرزاقهم استزادوا ثم قال: عجباً لقلوبكم كيف لا تتصدع ولأجسامكم كيف لا تتضعضع إذا كنتم تسمعون ما أقول لكم وتعقلون (٢).

- إن لله عباداً عرفوه بيقين من معرفته فشمروا قصداً إليه احتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب صحبوا الدنيا

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٠.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٣.

بالأشجان وتنعموا فيها بطول الأحزان فما نظروا إليها بعين راغب ولا تزودوا منها إلا كزاد الراكب خافوا البيات فأسرعوا ورجو النجاة فأزمعوا بذكره لهجت ألسنتهم في رضا سيدهم نصبوا الآخرة نصب أعينهم وأصغوا إليها بآذان قلوبهم فلو رأيتهم رأيت قوماً ذبلاً شفاههم خمصاً بطونهم حزينة قلوبهم ناحلة أجسامهم باكية أعينهم لم يصحبوا العلل والتسويف وقنعوا من الدنيا بقوت طفيف لبسوا من اللباس أطماراً بالية وسكنوا من البلاد قفاراً خالية هربوا من الأوطان واستبدلوا الوحدة من الإخوان فلو رأيتهم لرأيت قوماً قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر وفصل الأعضاء منهم بخناجر التعب خمص لطول السرى شعث لفقد الكرا قد وصلوا الكلال بالكلال وتأهبوا للنقلة والارتحال.

- إن سكتَّ علمَ ما تريد وإن نطقتَ لم تنل بنطقك ما لا يريد وعلمه بمرادك ينبغي أن يغنيك عن مسألته أو ينجيك عن مطالبته [1]

- إن الطبيعة النقية هي التي يكفيها من العظمة رائحتها ومن الحكمة إشارة إليها [2].

- إن لله خلصاء من عباده ونجباء من خلقه وصفوة من بريته صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها في الملكوت معلقة أولئك نجباء الله من عباده وأناء الله في بلاده والدعاة إلى معرفته والوسيلة إلى دينه هيهات بعدوا وفاتوا ووارتهم بطون الأرض وفجاجها على أنه لا تخلو الأرض من قائم فيها بحجته على خلقه لئلا تبطل حجج الله ثم قال وأين أولئك قوم حجبهم الله من عيون خلقه وأخفاهم عن آفات

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٥.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٦.

الدنيا وفتنها ألا وهم الذين قطعوا أودية الشكوك باليقين واستعانوا على أعمال الفرائض بالعلم واستدلوا على فساد أعمالهم بالمعرفة وهربوا من وحشة الغفلة وتسربلوا بالعلم لاتقاء الجهالة واحتجزوا عن الغفلة بخوف الوعيد وجدوا في صدق الأعمال لإدراك الفوت وخلوا عن مطامع الكذب ومعانقة ا لهوى وقطعوا عري الارتياب بروح اليقين وجاوزوا ظلم الدجا ودحضوا حجج المبتدعين باتباع السنن وبادروا إلى الانتقال عن المكروه قبل فوت الإمكان وسارعوا في الإحسان تعريضاً للقعود عن الإساءة ولاقوا النعم بالشكر استجلالاً لمزيده وجعلوه نصب أعينهم عند خواطر الهمم وحركات الجوارح من زينة الدنيا وغرورها فزهدوا فيها عياناً وأكلوا منها قصداً وقدموا فضلاً وأحرزوا ذخراً وتزودوا منها التقوى وشمروا في طلب النعيم بالسير الحثيث والأعمال الزكية وهم يظنون بل لا يشكون أنهم مقصرون وذلك أنهم عقلوا فعرفوا ثم اتقوا ونفروا فاعتبروا حتى أبصروا فلما أبصروا استولت عليهم طرقات أحزان الآخرة فقطع بهم الحزن حركات ألسنتهم عن الكلام من غير عي خوفاً من التزين فيسقطوا من عين الله فأمسكوا وأصبحوا في الدنيا مغمومين وأمسوا فيها مكروبين مع عقول صحيحة ويقين ثابت وقلوب شاكرة وألسن ذاكرة وأبدان صابر ةوجوارح مطيعة أهل صدق ونصح وسلامة وصبر وتوكل ورضى وإيمان عقلوا عن الله أمره فشغلوا الجوارح فيما أمروا به وذكر وحياء وقطعوا الدنيا بالصبر على لزوم الحق وهجروا الهوى بدلالات العقول وتمسكوا بحكم التنزيل وشرائع السنن ولهم في كل ثار منها دمعة ولذة وفكر وعيرة ولهم مقام عل المزيد للزيادة فرحمة الله علينا وعليهم وعلى

جميع المؤمنين والصالحين قال: وسمعت ذا النون يقول: إياك أن تكون في المعرفة مدعياً وتكون بالزهد محترفاً وتكون بالعبادة متعلقاً فقيل له: يرحمك الله فسر لنا ذلك فقال: أما علمت أنك إذا أشرت في المعرفة إلى نفسك بأشياء وأنت معرى من حقائقها كنت مدعياً وإذا كنت في الزهد موصوفاً بحالة وبك دون الأحوال كنت محترفاً وإذا علقت بالعبادة قلبك وظننت أنك تنجو من الله بالعبادة لا بالله كنت بالعبادة متعلقاً لا بوليها والمنان عليك(١).

- قيل لأبي الفيض ذي النون كيف أصبحت؟ قال: أصبحت تعباً إن نفعني تعبي والموت يجد في طلبي وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت مقيماً على ذنب ونعمة فلا أدري من الذنب أستغفر أم على النعمة أشكر وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بطالاً عن العبادة متلوثاً بالمعاصي أتمنى منازل الأبرار وأمل عمل الأشرار (٢).

- من أدرك طريق الآخرة فليكثر مساءلة الحكما ء ومشاورتهم وليكن أول شيء يسأل عن العقل لأن جميع الأشياء لا تدرك إلا بالعقل ومتى أردت الخدمة لله فاعقل لم تخدم ثم اخدم (٣).

- قال يوسف بن الحسن: أتى رجل من أهل البصرة ذا النون فسأله متى تصح لي عزلة؟ الخلق قال إذا قويت على عزلة نفسك قال: فمتى يصح طلبي للزهد؟ قال: إذا كنت زاهداً في نفسك هارباً من جميع ما يشغلك عن الله لأن جميع ما شغلك عن الله هي دنيا قال: يوسف فذكرت ذلك لطاهر القدسي فقال: هذا نزل أخبار المرسلين

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٠.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٥١.
(٣) حلية الأولياء، ٩ /٣٥١.

.(١)

قال أبو عثمان سعيد بن عثمان: سمعت ذا النون المصري وسئل أي الحجاب أخفى الذي يحتجب به المريد عن الله فقال: ويحك ملاحظة النفس وتدبيرها وقال ذو النون: وقال بعضهم علم القوم بأن الله يراهم على كل حال فاحترزوا به عمن سواه فقال له غيره من أصحابه من الزهاد وكان حاضرا بمجلسه يقال له طاهر: يا أبا الفيض رحمك الله بل نظروا بعين اليقين إلى محبوب القلب فرأوه في كل حالة موجوداً وفي كل لمحة ولحظة قريباً وبكل رطب ويابس عليماً وعلى كل ظاهر وباطن شهيداً وعلى كل مكروه ومحبوب قائماً وعلى تقريب العبيد وتبعيد القريب مقتدراً ولهم في كل الأحوال والأعمال سائساً ولما يريدهم به موفقاً فاستغنوا بسياسته وتدبيره وتقويته عن تدبير أنفسهم وخاضوا البحار وقطعوا القفار بروح النظر إلى نظره البهيج وخرقوا الظلمات بنور مشاهدته وتجرعوا المرارات بحلاوة وجوده وكابدوا الشدائد واحتملوا الأذى في جنب قربه وإقيان عليهم وخاطروا بالنفوس فيما يعلمون ويحملون ثقة منهم باجتيازه ورضوا بما يضعهم فيه من الأحوال محبة منهم لإرادته وموافقة لرضاه ساخطين على أنفسهم معرفة منهم بحقه واستعداداً للعقوبة بعدله عليهم فأداهم ذلك إلى الابتلاء منه فلم تسع عقولهم ومفاصلهم وقلوبهم محبة لغيره ولم تبق زنة خردلة منه خالية منه ولا باقياً فيهم سواه فهم له بكليتهم وهو لهم حظ في الدنيا والآخرة وقد رضي عنهم ورضوا عنه وأحبهم فأحبوه وكانوا له وكان لهم وآثروه وآثرهم وذكروه فذكرهم أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٥١.

المفلحون فصاح عند ذلك ذو النون وقال: أين هؤلاء؟ وكيف الطريق إليهم؟ وكيف المسلك؟ فصاح به يا أبا الفيض الطريق مستقيم والحجة واضحة فقال له: صدقت والله يا أخي فالهرب إليه ولا تعرج إلى غيره[1].

- قال سعيد بن عثمان: سمعت ذا النون يقول: ويحك من ذكر الله على حقيقة نسي في حبه كل شيء ومن نسي في حبه كل شيء حفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضاً في كل شيء قال: وسمعت ذا النون وأتاه رجل فقال: يا أبا الفيض دلني على طريق الصدق والمعرفة فقال: يا أخي أد إلى الله صدق حالتك التي أنت عليها على موافقة الكتاب والسنة ولا ترق حيث لم ترق فتزل قدمك فإنه إذا زل بك لم تسقط وإذا ارتقيت أنت تسقط وإياك أن تترك ما تراه يقيناً ترجوه شكا قال: وسمعت ذا النون يقول: وسئل متى يجوز للرجل أن يقول أراني الله كذا وكذا؟ فقال: إذا لم يطق ذلك ثم قال ذو النون: أكثر الناس إشارة إلى الله في الظاهر أبعدهم من الله وأرغب الناس في الدنيا وأخفاهم لها طلبا أكثرهم لها ذما عند طلابها قال: وسمعته يقول: كلت ألسنة المحققين لك عن الدعاوى ونطقت ألسنة المدعين لك بالدعاوى قال: وسمعت ذا النون يقول: لا يزال العارف ما دام في دار الدنيا متردداً بين الفقر والفخر فإذا ذكر الله افتخر وإذا ذكر نفسه افتقر قال: وسمعت ذا النون وسئل بم عرف العارفون ربهم؟ فقال: إن كان بشيء فبقطع الطمع والإشراف منهم على اليأس مع

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٢.

التمسك منهم بالأحوال التي أقامهم عليها وبذل المجهود من أنفسهم ثم إنهم وصلوا بعد إلى الله بالله [(١)]

- وقال يوسف: وسألت ذا النون ما علامة الآخرة في الله؟ قال ثلاث: الصفاء والتعاون والوفاء فالصفاء في الدين والتعاون في المواساة والوفاء في البلاء [(٢)].

- إن لله عبادا فتقوا الحجب وعلوا التجب حتى كشف لهما لحجب فسمعوا كلام الرب قال: وسمعت ذا النون يقول: إن لله عباداً على الأرائك يسمعون كلام الله إذا كلم المحبين في المشهد الأعلى لأنهم عبدوه سراً فأوصل إلى قلوبهم طرائف البر عملوا ببعض ما علموا فلما وقفوا في الظلام بين يديه هدى قلوبهم إلى ما يعلمون فحسرت ألبابهم لمعرفة الوقوف بين يديه.

- لكل قوم عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه من ذكر الله

- سئل ذو النون من أدوم الناس عناء؟ قال أسوؤهم خلقاً قيل وما علامة سوء الخلق؟ قال كثرة الخلاف [(٣)].

- قال ذو النون لفتى من النساك: يا فتى خذ لنفسك بسلاح الملامة وأقمعها برد الظلامة تلبس غداً سرابيل السلامة واقصرها في روضة الأمان وذوقها مضض فرائض الإيمان تظفر بنعيم الجنان وجرعها كأس الصبر ووطنها على الفقر حتى تكون تام الأمر فقال له الفتى: وأي نفس تقوى على هذا؟ فقال: نفس على الجوع صبرت وفي سربال الظلام خطرت نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٣.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٣.
(٣) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٥.

شرط ولا ثنيا نفس تدرعت رهبانية القلق ورعت الدجا إلى واضح الفلق فما ظنك بنفس في وادي الحنادس سلكت وهجرت اللذات فملكت وإلى الآخرة نظرت والى العيناء أبصرت وعن الذنوب أقصرت وعلى الذر من القوت اقتصرت ولجيوش الهوى قهرت وفي ظلم الدياجي سهرت فهي بقناع الشوق مختمرة وإلى عزيزها في ظلم الدجا مشتمرة قد نبذت المعايش ورعت الحشايش هذه نفس خدوم عملت ليوم القدوم وكل ذلك بتوفيق الحي القيوم [١].

- بالعقول يجتني ثمر القلوب وبحسن الصوت تستمال أعنة الأبصار وبالتوفيق تنال الحظوة وبصحبة الصالحين تطيب الحياة والخير مجموع في القرين الصالح إن نسيت ذكرك وإن ذكرت أعانك.

- حرم الله الزيادة في الدين والإلهام في القلب والفراسة في الخلق على ثلاثة نفر على بخيل بدنياه وسخي بدينه وسيء الخلق مع الله فقال له رجل: بخيل بالدنيا عرفناه وسخي بدينه عرفناه صف لنا سيء الخلق مع الله قال: يقضي الله قضاء ويمضي قدراً وينفذ علماً ويختارلخلقه أمراً فترى صاحب سوء الخلق مع الله مضطرباً في ذلك كله غير راض به دائماً شكواه من الله إلى خلقه فما ظنك [٢].

- من أنس بالخلوة فقد استمكن من بساط الفراغ ومن غيب عن ملاحظة نفسه فقد استمكن من مقاعد الإخلاص ومن كان حظه من الأشياء هواه لم يبال ما فاته ممن هو دونه ثم قال: المتضع يبدي غير الذي هو به والصادق لا يبالي على أي جنب وقع.

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٦.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٨.

- إن المؤمن إذا آمن بالله واستحكم إيمانه خاف الله فإذا خاف الله تولدت من الخوف هيبة الله فإذا سكن درجة الهيبة دامت طاعته لربه فإذا أطاع تولدت من الطاعة الرجاء فإذا سكن درجة الرجاء تولدت من الرجاء المحبة فإذا استحكمت معاني المحبة في قلبه سكن بعدها درجة الشوق فإذا اشتاق أداه الشوق إلى الأنس بالله فإذا أنس بالله اطمأن الى الله فاذا اطمأن إلى الله كان ليله في نعيم ونهاره في نعيم وسره في نعيم وعلانيته في نعيم (١)

- إن لله عباداً أسكنهم دار السلام فأخمصوا البطون عن مطاعم الحرام وأغمضوا الجفون عن مناظر الآثام وقيدوا الجوارح عن فضول الكلام وطووا الفرش وقاموا جوف الظلام وطلبوا الحور الحسان من الحي الذي لا ينام فلم يزالوا في نهارهم صياماً وفي ليلهم قياماً حتى أتاهم ملك الموت عليه السلام (٢).

- أشد المريدين نفاقاً من لحظ لحظة أو نطق بكلمة بلا حجة استبانها فيما بينه وبين ربه ثم سئل عن الحجة فعبر عن نفسه بحجة كان قبل الفعل في الوقت غافلا (٣).

- ثلاث علامات الخوف الورع عن الشبهات بملاحظة الوعيد وحفظ اللسان مراقبة للتعظيم ودواء الكمد إشفاقاً من غضب الحليم وثلاثة من أعمال الإخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤيتهم في الأعمال نظراً إلى الله واقتضاء ثواب العمل في الآخرة بحسن عفو الله في الدنيا بحسن المدحة وثلاثة من أعمال الكمال ترك

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٩.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٩.
(٣) حلية الأولياء، ٩ /٣٦٠.

الجولأن في البلدان وقلة الاغتباط لنعماه عند الامتحان وصفو النفس في السر والإعلان وثلاثة من أعمال اليقين قلة المخالفة للناس في العشرة وترك المدح لهم في العطية والتنزه عن ذمهم في المنع والرزية وثلاثة من أعلام التوكل نقض العلائق وترك التملق في السلائق واستعمال الصدق في الخلائق وثلاثة من أعلام الصبر التباعد عن الخلطاء في الشدة والسكون إليه مع تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحة المعيشة وثلاثة من أعلام الحكمة إنزال النفس من الناس كباطنهم ووعظهم على قدرعقولهم ليقوموا عنه بنفع حاضر وثلاثة من أعلام ا لزهد قصر الأمل وحب الفقر واستغناء مع صبر وثلاثة من أعلام العبادة حب الليل للسهر بالتهجد والخلوة وكراهة الصبح لرؤية الناس والغفلة والبدار بالصالحات مخافة الفتنة وثلاثة من أعلام التواضع تصغير النفس معرفة بالعيب وتعظيم الناس حرمة للتوحيد وقبول الحق والنصيحة من كل أحد وثلاثة من أعمال السخاء البذل للشيء مع الحاجة إليه وخوف المكافأة استقلالاً للعطية والخوف على النفس استغناء لإدخال السرور على الناس وثلاثة من أعلام حسن الخلق قلة الخلاف على المعاشرين وتحسين ما يرد عليه من أخلاقهم وإلزام النفس اللائمة فيما يختلفون فيه كفاً عن معرفة عيوبهم وثلاثة من أعلام الرحمة للخلق انزواء العقل للملهوفين وبكاء القلب لليتيم والمسكين وفقدان الشماتة بمصائب المسلمين وبذل النصيحة لهم متجرعاً لمرارة ظنونهم وإرشادهم إلى مصالحهم وإن جهلوه وكرهوه وثلاثة من أعظم الاستغناء بالله التواضع للفقراء المذللين والتعظم على الأغنياء المتكبرين وترك المعاشرة لأبناء الدنيا المستكبرين وثلاثة من أعلام

الحياء وجدان الأنس بفقدان الوحشة والامتلاء من الخلوة بإدمان التفكر واستشعار الهيبة بخالص المراقبة وثلاثة من أعلام المعرفة الإقبال على الله والانقطاع إلى الله والافتخار بالله وثلاثة من أعلام التسليم مقابلة القضاء بالرضا والصبر عند البلا والشكر عند الرخا

حدثنا عثمان بن محمد ثنا أبو بكر محمد بن أحمد البغدادي حدثني عبدالله بن سهل قال: سألت ذا النون فقلت: متى أعرف ربي؟ قال: إذا كان لك جليسا ولم تر لنفسك سواه أنيساً قلت: فمتى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما أسخطه عندك أمر من الصبر قلت: فمتى أشتاق إلى ربي؟ قال: إذا جعلت الآخرة لك قراراً ولم تسم الدنيا لك مسكناً وداراً [(١)].

- مكتوب في التوراة ملعون من ثقته إنسان مثله [(٢)].

- طوبى لمن أنصف ربه عز وجل قيل: وكيف ينصف ربه؟ قال: يقر له بالآفات في طاعته وبالجهل في معصيته وإن آخذه بذنوبه رأى عدله وإن غفر له رأى فضله وإن لم يتقبل منه حسناته لم يره ظالماً لما معه من الآفات وإن قبلها رأى إحسانه لما جاد به من الكرامات [(٣)].

- قال سعيد بن عثمان الخياط: سمعت ذا النون يقول: وسأله رجل يا أبا الفيض رحمك الله من أراد التواضع كيف السبيل إليه؟ فقال له: افهم ما ألقى إليك من أراد إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لأن النفوس كلها حقيرة عند هيبته ومن أشرف التواضع أن لا ينظر

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٦١.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٦١.
(٣) حلية الأولياء، ٩ /٣٦٣.

إلى نفسه دون الله ومعنى قول النبي ﷺ :﴿من تواضع لله رفعه الله﴾ يقول من تذلل بالمسكنة والفقر إلى الله رفعه الله بعز الانقطاع إليه [١].

- اجلس إلى من تكلمك صفته ولا تجلس إلى من يكلمك لسانه.

- إن لله عباداً عاملوه بالتصديق فقد يسلمون من طريق دقيق ويفتح لهم حجاب المضيق ويسامحهم الشقيق الرفيق جعلوا الصيام غذاء

لما سمعوه يقول فيها من كل فاكهة زوجان فهم غدا يسكنون مع الحور في الشرفات ويأكلون مما اشتهت أنفسهم من الشهوات في جنات عدن مع القاصرات وقد أتاهم جبريل بالزيادة من صاحب السماوات فمن مثل هؤلاء القوم وقد كشف لهم الحجاب عالم السر والخفيات ونظر إليهم صاحب البر والكرامات [٢]

- إن لله عباداً علموا الطريق إليه والوقوف غداً بين يديه فثارت القلوب الى محجوب الغيوب فجرعوا مرارة مذاق خوف واستعملوا الظلام في رضا صاحب السموات فسقاهم من أعين العلم والزيادات وغوصهم في بحار السلامات فهم غداً يسلمون من هذه الزلازل والسطوات ويسكنون الغرفات [٣]

- إن الله تعالى لم يمنع الجنة أعداءه بخلاً ولكن صان أولياءه الذين أطاعوه أن يجمع بينهم وبين أعدائه الذين عصوه [٤].

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٦٨.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٦٩.
(٣) حلية الأولياء، ٩ /٣٦٩.
(٤) حلية الأولياء، ٩ /٣٧١.

- سئل ذو النون عن السفلة من هو؟ قال: من لا يعرف الطريق إلى الله ولم يتعرفه [١].

- سئل ذو النون مالنا لا نقوى على النوافل؟ قال: لإنكم لا تصحون الفرائض وقيل من أدوم الناس دنيا له؟ قال: من أحب دنيا فانية.

- قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذل لغير الله ومن علامة المحب لله أن لا يكون له حاجة إلى غير الله.

- إذا كنت قائماً بما أمرت به تاركاً لتكلف ما كفيت فأنت كامل العقل وإذا كنت متعلقاً بالله في أحوالك لا بأعمالك غير ناظر إلى سواه فأنت كامل المعرفة [٢].

- طوبى لمن كان شعار قلبه الورع ولم يعم بصر قلبه الطمع وكان محاسباً لنفسه فيما صنع.

- إنما يختبر ذو البأس عند اللقاء وذو الأمانة عند الأخذ والعطاء وذو الأهل والولد عند الفاقة والبلاء والإخوان عند نوائب القضاء.

- البلاء ملح المؤمن إذا عدم البلاء فسد حاله.

- إن لله عباداً أبصروا فنظروا فلما نظروا عقلوا فلما عقلوا علموا فلما علموا عملوا فلما عملوا انتفعوا رفع الحجاب فيما بينهم وبينه فنظروا بأبصار قلوبهم إلى ما ذخر لهم من خفي محجوب الغيوب فقطعوا كل محجوب وكان هو المنى والمطلوب.

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٧١.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٧١.

- ما أعز الله عبداً بعز هو أعز له من أن يذله على ذل نفسه وما أذل الله عبداً بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه (١).

- حرمة الجليس أن تسره فإن لم تسره فلا تسؤه لم يكسب محبة الناس في هذا الزمان إلا رجل خفيف المرونة عليهم وأحسن القول فيهم وأطاب العشرة معهم (٢).

- الحب لله عام والود لله خاص لأن كل المؤمنين يذوقون حبه وينالونه وليس كل مؤمن ينال وده ثم أنشأيقول:

من ذاق طعم الوداد ::: حمى جميع العباد
من ذاق طعم الوداد ::: قلى جميع العباد
من ذاق طعم الوداد ::: سلى طريق العباد
من ذاق طعم الوداد ::: أنس برب العباد (٣)

- الأنس بالله نور ساطع والأنس بالناس غم واقع قيل لذي النون ما الأنس بالله قال: العلم والقرآن (٤).

- وسئل ذو النون لم أحب الناس الدنيا؟ قال: لأن الله تعالى جعلها خزانة أرزاقهم فمدوا أعينهم إليها وقيل له ما إسناد الحكمة؟ قال: وجودها، وسئل يوماً فيم يجد العبد الخلاص؟ فقال: الخلاص في الإخلاص فإذا أخلص تخلص فقيل: فما علامة الإخلاص؟ قال: إذا لم يكن في عملك صحبة المخلوقين ولا مخافة ذمهم فأنت مخلص إن شاء الله تعالى (٥).

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٤.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٥.
(٣) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٧.
(٤) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٧.
(٥) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٧.

- سئل ذو النون المصري عن المحبة فقال: هي التي لا تزيدها منفعة ولا تنقصها مضرة ثم أنشأ يقول:

شواهد أهل الحب بـاد دليلـها ::: بأعلام صدق ما يضـل سـبيلها
جسوم أولي صدق المحبة والرضـا ::: تبين عن صـدق الـوداد نحولهـا
إذا ناجت الأفهام أنس نفوسـهم ::: بألسنة تخفي على النـاس قبلـها
وضجت نفوس المستهامين واشتكت ::: جـوى كـان عـن أجسـامها
شربي لها يحنون حزناً ضاعف الخوف شجوه ::: ونيران شـوق كالسـعير عليهـا
وساروا على حب الرشاد إلى العلى ::: نوم بهـم تقـواه وهـو دليلـها
فحطوا بدار القدس في خير منـزل ::: وفاز بزلفى ذي الجلال حلولهـا[1]

- قيل لذي النون كم الأبواب إلى الفطنة؟ قال: أربعة أبواب أولها الخوف ثم الرجاء ثم المحبة ثم الشوق ولها أربعة مفاتيح فالفرض مفتاح باب الخوف والنافلة مفتاح باب الرجاء وحب العبادة والشوق مفتاح باب المحبة وذكر الله الدائم بالقلب واللسان مفتاح باب الشوق وهي درجة الولاية فإذا هممت بالارتقاء في هذه الدرجة فتناول مفتاح باب الخوف فإذ فتحته اتصلت إلى باب الفطنة مفتوحاً لا غلق عليه فإذا دخلته فما أظنك تطيق ما ترى فيه حينئذ يجوز شرفك الأشراف ويعلو ملكك ملك الملوك واعلم أي أخي أنه ليس بالخوف ينال الفرض ولكن بالفرض ينال الخوف ولا بالرجا تنال النافلة ولكن بالنافلة ينال الرجاء كما أنه ليس بالأبواب تنال المفاتيح ولكن بالمفاتيح تنال الأبواب واعلم أنه من تكامل فيه الفرض فقد تكامل فيه الخوف ومن جاء بالنافلة فقد جاء بالرجاء ومن جاء بمحبة العبادة فقد وصل إلى الله ومن شغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٨.

قلبه نور الاشتياق إليه وهذا سر الملكوت فاعلمه واحفظه حتى يكون الله عز وجل هو الذي يناوله من يشاء من عباده [١]

- إذا اطلع الخبير على الضمير فلم يجد في الضمير غير الخبير جعل فيه سراجاً منيرا [٢]

- أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى كن كالطير الوحداني يأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من ماء القراح إذا جنه الليل أوى إلى كهف من الكهوف استئناسا بي واستيحاشا ممن عصاني يا موسى إني آليت على نفسي أن لا أتم لمة بر من دوني عملاً يا موسى لأقطعن أمل كل مؤمل يؤمل غيري ولأقصمن ظهر من استند إلى سوائي ولأطيلن وحشة من استأنس بغيري ولأعرضن عن من أحب حبيباً سوائي يا موسى إن لي عباداً إن ناجوني أصغيت إليهم وإن نادوني أقبلت عليهم وإن أقبلوا على أدنيتهم وإن دنوا مني قربتهم وإن تقربوا مني اكتنفتهم وإن والوني واليتهم وإن صافوني صافيتهم وإن عملوا لي جازيتهم هم في حماي وبي يفتحرون وأنا مدبر أمورهم وأنا سائس قلوبهم وأنا متولي أحوالهم لم أجعل لقلوبهم راحة في شيء إلا في ذكري فذكري لأسقامهم شفاء وعلى قلوبهم ضياء لا يستأنسون إلا بي ولا يحطون رحال قلوبهم إلا عندي ولا يستقر قرارهم في الإيواء إلا إلي ثم قال ذو النون: هم يا أخي قوم قد دوب الحزن أكبادهم وأنحل الخوف أجسامهم وغير السهر ألوانهم وأقلق خوف البعث قلوبهم قد سكنت أسرارهم إليه وتذللت قلوبهم عليه فنفوسهم عن الطاعة لا تسلو وقلوبهم عن ذكره لا تخلو

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٨.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٨.

وأسرارهم في الملكوت تعلو الخشوع يخشع لهم إذا سكتوا والدموع تخبر عن خفي حرفتهم إذا كمدوا قد سدُّوا فرج الشهوات بحلاوة المناجاة فليس للغفلة عليهم مدخل ولا للهو فيهم مطمع قد حجب التوفيق بينهم وبين الآفات وحال العصمة بينهم وبين اللذات فهم على بابه يبكون وإليه يبكون ومنه يبكون فيا طوبى للعارفين ما أغنى عيشهم وما ألذَّ شربهم وما أجل حبيبهم [(١)].

- من ذبح خنجر الطمع بسيف الإياس وردم خندق الحرص ظفر بكيمياء الحزمة ومن استقى بحبل الزهد على دلو الغروف استقى من حب الحكمة ومن سلك أدوية الكمد بحياء حياة الأبد ومن حصد عشب الذنوب بمنجل الورع أضاءت له روضة الاستقامة ومن قطع لسانه بشفرة الصمت وجد طعم عذوبة الراحة ومن تدرع بدرع الصدق قوي على مجاهدة عسكر الباطل واعتدل خوفه ورجاؤه وحسن في الآخرة مثواه ومن فرح بمدحة الجاهل الشيطان ثوبه الحماقة [(٢)]

- قال ذو النون وسأله رجل فقال: يا أبا الفيض ما التوكل؟ فقال له: خلع الأرباب وقطع الأسباب فقال له: زدني فيه حالة أخرى فقال: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية قال: وسمعت ذا النون يقول: طوبى لمن تطهر ولزم الباب طوبى لمن تضمر للسباق طوبى لمن أطاع الله أيام حياته قال: وسمعته يقول: من وثق بالمقادير استراح ومن صحح استراح ومن تقرب قرب ومن صفى صفي له

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٨.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٩.

ومن توكل وفق ومن تكلف مالا يعنيه ضيع ما يعنيه [١]

- وصف ذو النون المشتاقين فقال: سقاهم من صرف المودة شربةً، فماتت شهواتهم في القلوب من خوف عواقب الذنوب، وذهلت أنفسهم عن المطامع من حذر فوت المناعم، قد أنحلوا الأبدان بالجوع وصفوا القلوب من كل كدر، فهي معلقة بمواصلة المحبوب، ثم قال: يا حسن غراس الأشجان في رياض الكتمان! وذكر كلاماً ثم تنفس وقال:

شَوُقٌ أضَرّ بمُهجَةِ المُشتَاق ::: فجَرَتْ سوَابقُ عَبرَةِ الآماق.
لَعِبتْ يدُ العَبَرَاتِ في وَجَناتهِ ::: وكذا بِهِ لَعِبَتْ يدُ الأشوَاقِ [٢]

- اتخذ الدنيا ظئراً، والآخرة أماً.

- من كانت قناعته سمنته طابت له كل مرقةٍ [٣].

- الأنس بالله نور ساطع والأنس بالخلق غم قاطع وقال رسول الله ﷺ :﴿نعم صومعة المؤمن بيته يكف فيها نفسه وبصره ولسانه وفرجه﴾.

- قال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يَزُل عنهم الخوف، فإذا زال الخوف ضلّوا الطريق.

وقال ذو النون المصري: ثلاثة من أعلام التواضع: تصغير النفس معرفة بالعيب، وتعظيم الناس حرمة للتوحيد، وقبول الحق والنصيحة من كل أحد.

العبد بين نعمة وذنبٍ، لا يصلحهما إلا الشكر والاستغفار [١].

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٨٠.
(٢) السرّاج القارئ، مصارع العشاق، ١ / ٩٠.
(٣) الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص ٤٠، ٥٥، ٨٥.

- ينبغى أن يكون الخوف أغلب من الرجاء، فإن الرجاء إذا غلب تشوش القلب.

- أعرف الناس بالله أشدهم تحيراً فيه.

- الاستغفار من غير إقلاع توبة الكذابين.

- حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله: {حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} [التوبة: ١١٨].

- من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه.

- التوكل الانخلاع من الحول والقوة وترك تدبير الأسباب وقال بعضهم: التوكل رد العيش إلى يوم واحد بإسقاط هم غد.

- أرسل ذو النون المصرى رجلاً إلى أبى يزيد وقال له: إلى متى النوم والراحة قد سارت القافلة؟ فقال له أبو يزيد: قل لأخى: الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة فقال ذو النون: هنيئا له هذا الكلام لا تبلغه أحوالنا.

- الحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق [٢].

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: أ. د / يوسف على طويل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، ٢ / ٢٠٢.

(٢) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين، شرح

- علامة السعادة ثلاث: متى ما زيد في عمره نقص من حرصه، ومتى زيد في ماله زيد في سخائه، ومتى زيد في قدره زيد في تواضعه. وعلامة الشقاء ثلاث: متى ما زيد في عمره زيد في حرصه، ومتى ما زيد في ماله زيد في بخله، ومتى ما زيد في قدره زيد في تجبره وقهره وتكبره (١).

- الزهد الاستخفاف بثلاثة أشياء: بالنفس والشيء والخلق، فإذا استخف بالنفس عزبه، وإذا استخف بالشيء ملكه، وإذا استخف بالخلق خدمه. أبو الأدنيان: اليقين ترك التدبير فيما لا تملك. الحرص طلب ما في يد الغير. وقيل: الحرص تضييع الكثير وطلب القليل.

- إذا فسدت النية وقعت البلية. وقال أبو سعيد الجزار: دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان فقلت في نفسي: هذا وأمثاله كل على الناس، فناداني: واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه، فاستغفرت الله تعالى في نفسي. فناداني: وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، وغاب عني.

- وسئل ذو النون عن قوله تعالى:{إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً} [النمل: ٣٤]، فقال: القرية قلب المؤمن والملك المعرفة فإذا سكنت المعرفة القلب طردت ما فيه غير ذكر الله. وقال أبو علي السوسني: بلغني يا رسول الله أنك قلت: شيبتني هود فما الذي شيبك منها؟ قال: قوله تعالى:{فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ} [هود:

نهج البلاغة، المحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه،، ١ / ٨٩، ١٩٩، ٢ / ٢٠٢، ٢١٢، ٢١٤.
(١) أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص٧٥.

١١٢] [1].

- ما طابت الدنيا إلا بذكره وما طابت الآخرة إلا برحمته وما طابت الجنة إلا برؤيته.

وعنه إن لله عباداً كانت البلايا عندهم عملاً والشدائد عندهم سكراً والأحزان عندهم رطباً.

- اللّحظات تورث الحسرات: أوّلها أسفٌ، وآخرها تلفٌ. فمن تابع طرفه، تابع حتفه.

- التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة. وقال أبو بكرٍ الدقاق: التوكل رد العيش إلى يومٍ واحدٍ وإسقاط هم غد.

- وسئل ذو النون: ما التوكل؟ فقال: خلع الأرباب، وقطع الأسباب. فقال السائل: زدني، فقال: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية. وقال مسروق: التوكل الاستسلام لجريان القضاء والأحكام.

- ويقول سألت حكيماً عن العقل فقال: العقل شجرة أصلها العلم، وفرعها العمل، وثمرتها السنة.

- حقيقة الأنس بالله الاستيحاش من القواطع عن الله [2].

- من جهل قدره هتك ستره.

- وسمع ذو النون من يقول: اللهم استرنا بسترك، فأمن بعض

(١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ / ٢٣٥، ٤٩٢.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ص ٧٤، ٨٩، ٩٠.

القوم، فقال ذو النون: واصلح ما تحت الستر.

- وحبس ذو النون أياماً فلم يأكل، وبعثت إليه أخت له في الله طعاماً على يد السجان فلم يأكل وقال: هو حلال ولكن جاءني على طبق ظالم، وأشار إلى يد السجان.

- إياك أن تطلب العلم بالجهل؛ قيل: كيف يطلب العلم بالجهل؟ قال: إذا قصدت العالم في غير وقته، وتخطيت الرقاب، وتركت في طلبه حرمة الشيوخ، ولم تستعمل فيه السكينة والوقار وأدب النفس، فذلك طلب العلم بالجهل [(١)].

ومن دعائه:

- يا رب أنت الذي دخل في رحمتك كل شيء فلم تضق إلا عمن ارتجله الشك إلى جحدك قال: وسمعت ذا النون يقول وقد وقف عليه رجل فسأله شيئا فقال له ذو النون: إن المتكفل برزقك غير متهم عليك[(٢)].

- إلهي إن أهل معرفتك لما أبصروا العافية ولمحوا بأبصارهم إلى منتهى العاقبة وأيقنوا بجودك وكرمك وابتدائك إياهم بنعمك ودللتهم على ما فيه نفعهم دونك إذ كنت متعالياً عن المضار والمنافع استقلوا كثير ما قدموا من طاعتك واستصغروا عظيم ما اقترفوا من عبادتك واستلانوا ما استوعره غيرهم بذلوا المجهود في طلب مرضاتك واستعظموا صغر التقصير في أداء شكرك وإن كان ليس شيء من التقصير في طاعتك بذل المجهود صغيراً كان عندهم

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ص٣١٧.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٦٨.

فنحلت لذلك أبدانهم وتغيرت لذلك ألوانهم وخلت من غيرك قلوبهم واشتغلت بذكرك عقولهم وألسنتهم وانصرفت عن خلقك إليك هومهم وأنست وطابت بالخلوة فيك نفوسهم لا يمشون بين العباد إلا هونا وهم لا يسعون في طاعتك إلا ركضاً إلهي فكما أكرمتهم بشرف هذه المنازل وأبحتهم رفعة هذه الفضائل اعقد قلوبنا بحبل محبتك ثم حولنا في ملكوت سمواتك وأرضك واستدرجنا إلى أقصى مرادك درجة درجة واسلك بنا مسلك أصفيائك منزلة منزلة واكشف لنا عن مكنون علمك حجاباً حجاباً حتى تنتهي إلى رياض الأنس وتجتني من ثمار الشوق إليك وتشرب من حياض معرفتك وتتنزه في بساتين نشر آلائك وتستنقع في غدران ذكر نعمائك ثم ارددها إلينا بطرف الفوائد وامددها بتحف الزوائد واجعل العيون منا فوارة بالعبرات والصدور منا محشوة بالحرقات واجعل قلوبنا من القلوب التي سافرت إليك بالجوع والعطش واجعل أنفسنا من الأنفس التي زالت عن اختيارها لهيبتك أحينا ما أحييتنا على طاعتك وتوفنا إذا توفيتنا على ملتك راضين مرضيين هداة مهديين مهتدين غير مغضوب علينا ولا ضالين [١].

- إلهي من ذا الذي ذاق طعم حلاوة مناجاتك فألهاه شيء عن طاعتك ومرضاتك من ذا الذي ضمنت له النصر في دنياه وآخرته فاستنصر بمن هو مثله في عجزه وفاقته أم من ذا الذي تكفلت له بالرزق في سقمه وصحته فاسترزق غيرك بمعصيتك في طاعته أم من ذا الذي عرفته آثامه فلم يحتمل خوفاً منك مؤونة فطامه أم من ذا الذي أطلعته على ما لديك ثم انقطع إليك من كرامته فأعرض عنك

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٦٥.

صفحاً إخلاداً إلى الدعة في طلب راحته من ذا الذي عرف دنياه وآخرته فآثر الفاني على الباقي لحمقه وجهالته أم من ذا الذي شرب الصافي من كأس محبتك فلم يستبشر بقوارع محنتك أم من ذا الذي عرف حسن اختيارك لخلقك في قدرتك فلم يرض بذلك أم من ذا الذي عرف علمك بسره وعلانيته وقدرتك على نفعه وضره فلم يكتف بك عن علم غيرك به ولم يستغن بك عن قدرة عاجز مثله [١].

- اللهم متع أبصارنا بالجولان في جلالك وسهرنا عما نامت عنه عيون الغافلين واجعل قلوبنا معقودة بسلاسل النور وعلقها بأطناب التفكر ونزه أبصارنا عن سر مواقف المتحيرين وأطلقنا من الأسر لنجول في خدمتك مع الجوالين اللهم اجعلنا من الذين استعملوا ذكر قطع اللذات وخالفوا متاع الغرة بواضحات المعرفة اللهم اجعلنا من الذين لخدمتك في أقطار الأرض لهم طلاباً ولخصائص أصفيائك أصحابا وللمريدين المعتكفين ببابك أحباباً اللهم اجعلنا من الذين غسلوا أوعية الجهل بصفو ماء الحياة في مسالك النعيم حتى جالت في مجالس الذكر مع رطوبة ألسنة الذاكرين اللهم اجعلنا من الذين رتعوا في زهرة ربيع الفهم حتى تسامت أسنية الفكرة فوق سمو السمو حتى تسامى بهم نحو مسام العلويين براحات القلوب ومستنبطات عيون الغيوب بطول استغفار الوجوه في محاريب قدس رهبانية الخاشعين حتى لاذت أبصار القلوب بجواهر السماء وعبرت أفنية النواحين من مصاف الكروبين ومجالسة الروحانيين فتوهموا أن قد قرب احتراق بالقلوب عند إرسال الفكرة في مواقع الأحزان بين يديك فأحرقت نار الخشية بصائر مناقب الشهوات من قلوبهم

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٥.

وسكنت خوافي ضلوع مضايق الغفلات من صدورهم فأنبت ذكر الصلوات رقاد قلوبهم [(١)].

- إلهي لو أصبت موئلا في الشدائد غيرك أو ملجأ في المنازل سواك لحق لي أن لا أعرض إليه بوجهي عنك ولا أختاره عليك لقديم إحسانك إلى وحديثه وظاهر منتك علي وباطنها ولوتقطعت في البلاء إرباً إرباً وانصبت علي الشدائد صباً صباً ولا أجد مشتكى غيرك ولا مفرجا لما بي عني سواك فيا وارث الأرض ومن عليها ويا باعث جميع من فيها ورث أملي فيك مني أملي وبلغ همي فيك منتهى وسائلي[(٢)].

- إلهي ما أصغى إلى صوت حيوان ولا حفيف شجر ولا خرير ماء ولا ترنم طائر ولا تنعم ظل ولا دوي ريح ولا قعقعة رعد إلا وجدتها شاهدة بوحدانيتك دالة على أنه ليس كمثلك شيئ وأنك غالب لا تغلب وعالم لا تجهل وحليم لا تسفه وعدل لا تجور وصادق لا تكذب إلهي فإني أعترف لك اللهم بما دل عليه صنعك وشهد لك فعلك فهب لي اللهم طلب رضاك برضاي ومسرة الوالد لولده يذكرك لمحبتي لك ووقار الطمأنينة وتطلب العزيمة اليك لأن من لم يشبعه الولوع باسمك ولم يروه من ظمائه ورود غدران ذكرك ولم ينسه جميع الهموم رضاه عنك ولم يلهه عن جميع الملاهي تعداد آلائك ولم يقطعه عن الأنس بغيرك مكانه منك كانت حياته ميتة وميتته حسرة وسروره غصة وأنسه وحشة إلهي عرفني عيوب نفسي وافضحها عندي لأتضرع إليك في التوفيق للتنزه عنها وأبتهل إليك

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٨.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٥١.

بين يديك خاضعاً ذليلاً في أن تغسلني منها واجعلني من عبادك الذين شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم تجول في ملكوتك وتتفكر في عجائب صنعك ترجع بفوائد معرفتك وعوائد إحسانك قد ألبستهم خلع محبتك خلعت عنهم لباس التزين لغيرك، إلهي لا تترك بيني وبين أقصى مرادك حجاباً إلا هتكته ولا حاجزاً إلا رفعته ولا وعراً إلا سهلته ولا باباً إلا فتحته حتى تقيم قلبي بين ضياء معرفتك وتذيقني طعم محبتك وتبرد بالرضى منك فؤادي وجميع أحوالي حتى لا أختار غير ما تختاره وتجعل لي مقاماً بين مقامات أهل ولايتك ومضطربا فسيحا فى ميدان طاعتك إلهي كيف استرزق من لا يرزقني إلا من فضلك أم كيف أسخطك في رضى من لا يقدر على ضري إلا بتمكينك فيا من أسأله إيناساً به وإيحاشاً من خلقه ويا من إليه التجائي في شدتي ورجائي ارحم غربتي وهب لي من المعرفة ما أزداد به يقينا ولا تكلني إلى نفسي الأمارة بالسوء طرفة عين [١].

- اللهم اجعلنا من الذين جازوا ديار الظالمين واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين وشابوا ثمرة العمل بنور الإخلاص واستقوا من عين الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا بريح اليقين ولجحوا في بحر النجاة ورسوا بشط الإخلاص اللهم اجعلنا من الذين سرحت أرواحهم في العلا وحطت همم قلوبهم في عاريات التقى حتى أناخوا في رياض النعيم وجنوا من رياض ثمار التسنيم وخاضوا لجة السرور وشربوا بكأس العيش واستظلوا تحت العرش في الكرامة اللهم اجعلنا من الذين فتحوا باب الصبر وردموا خنادق الجزع وجازوا شديد العقاب وعبروا جسر الهوى فإنه تعالى يقول وأما من

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٢.

خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى اللهم اجعلنا من الذين أشارت إليهم أعلام الهداية ووضحت لهم طريق النجاة وسلكوا سبيل إخلاص اليقين.

- إلهي وسيلتي إليك نعمك علي وشفيعي اليك إحسانك إلي إلهي أدعوك في الملأ كما تدعى الأرباب وأدعوك في الخلا كما تدعى الأحباب أقول في الملأ يا إلهي وأقول في الخلا يا حبيبي أرغب إليك وأشهد لك بالربوبية مقراً بأنك ربي وإليك مردي ابتدأتني برحمتك من قبل أن أكون شيئاً مذكوراً وخلقتني من تراب ثم أسكنتني الأصلاب ونقلتني إلى الأرحام ولم تخرجني برأفتك في دولة ايمة ثم أنشأت خلقي من مني يمنى ثم أسكنتني في ظلمات ثلاث بين دم ولحم ملتاث وكونتني في غير صورة الإناث ثم نشرتني إلى الدنيا تاماً سوياً وحفظتني في المهد طفلاً صغيراً صبياً ورزقتني من الغذاء لبنا مريا وكفلتني حجور الأمهات وأسكنت قلوبهم رقة لي وشفقة علي وربيتني بأحسن تربية ودبرتني بأحسن تدبير وكلأتني من طوارق الجن وسلمتني من شياطين الإنس وصنتني من زيادة في بدني تشينني ومن نقص فيه يعيبني فتباركت ربي وتعاليت يا رحيم فلما استهللت بالكلام أتممت على سوابغ الأنعام وأنبتني زائداً في كل عام فتعاليت ياذا الجلال والإكرام حتى إذا ملكتني شأني وشددت أركاني أكملت لي عقلي حجاب الغفلة عن قلبي وألهمتني النظر في عجيب صنائعك وبدائع عجائبك ورفعت وأوضحت لي حجتك ودللتني على نفسك وعرفتني ما جاءت به رسلك ورزقتني من أنواع المعاش وصنوف أرياش بمنك العظيم وإحسانك القديم وجعلتني سوياً ثم لم ترض لي بنعمة واحدة دون أن أتممت علي جميع النعم وصرفت

عني كل بلوى وأعلمتني الفجور لأجتنبه والتقوى لأقترفها وأرشدتني إلى ما يقربني إليك زلفى فإن دعوتك أجبتني وإن سألتك أعطيتني وإن حمدتك شكرتني وإن شكرتك زودتني إلهي فأي نعم أحصى عدداً وأي عطائك أقوم بشكره أما أسبغت علي من النعماء أو صرفت عني من الضراء إلهي أشهد لك بما شهد لك باطني وظهري وأركاني إلهي إني لا أطيق إحصاء نعمك فكيف أطيق شكرك عليها وقد قلت وقولك الحق وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها أم كيف يستغرق شكري نعمك وشكرك من أعظم النعم عندي وأنت المنعم به علي كما قلت سيدي وما بكم من نعمة فمن الله وقد صدقت قولك إلهي وسيدي بلغت رسلك بما أنزلت إليهم من وحيك غير أني أقول بجهدي ومنتهى علمي ومجهود وسعي ومبلغ طاقتي الحمد لله على جميع إحسانه حمداً يعدل حمد الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين [(١)].

- قال محمد بن عبدالملك بن هاشم: سمعت ذا النون المصري يقول: في دعائه: اللهم إليك تقصد رغبتي وإياك أسأل حاجتي ومنك أرجو نجاح طلبتي وبيدك مفاتيح مسألتي لا أسأل الخير إلا منك ولا أرجوه من غيرك ولا أيأس من روحك بعد معرفتي بفضلك يا من جمع كل شيء حكمته ويا من نفذ في كل شيء حكمه يا من الكريم اسمه لا أحد لي غيرك فأسأله ولا أثق بسواك فآله ولا أجعل لغيرك مشيئة من دونك أعتصم بها وأتوكل عليه فمن أسأل إن جهلتك وبمن أثق بعد إذ عرفتك اللهم إن ثقتي بك وإن ألهتني الغفلات عنك

(١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥، ٩ /٣٣٢، ٣٣٣.

وأبعدتني العثرات منك بالاغترار يا مقيل العثرات إن لم تتلافني بعصمة من العثرات فإني لا أحول بعزيمة من نفسي ولا أروم على خليفة بمكان من أمري أنا نعمة منك وأنا قدر من قدرك أجري في نعمك وأسرح في قدرك ازداد على سابقة علمك ولا انتقص من عزيمة أمرك فأسألك يا منتهى السؤالات وأرغب إليك يا موضع الحاجات سواك من قد كذب كل رجاء إلا منك ورغبة من رغب عن كل ثقة إلا عنك أن تهب لي إيماناً أقدم به عليك وأوصل به عظم الوسيلة إليك وأن تهب لي يقيناً لا توهنه بشبهة إفك ولا تهنه خطرة شك ترحب به صدري وتيسر به أمري ويأوى إلى محبتك قلبي حتى لا ألهو عن شكرك ولا أنعم إلا بذكرك، يا من لا تمل حلاوة ذكره ألسن الخائفين ولا تكل من الرغبات إليه مدامع الخاشعين أنت منتهى سرائر قلبي في خفايا الكتم وأنت موضع رجائي بين إسراف الظلم من ذا الذي ذاق حلاوة مناجاتك فلها بمرضاة بشر عن طاعتك ومرضاتك رب أفنيت عمري في شدة السهو عنك وأبليت شبابي في سكرة التباعد منك ثم لم أستبطئ لك كلاءة ومنعة في أيام اغتراري بك وركوني إلى سبيل سخطك وعن جهل يا رب قربتني الغرة إلى غضبك أنا عبدك ابن عبدك قائم بين يديك متوسل بكرمك إليك فلا يزلني عن مقام أقمتني فيه غيرك ولا ينقلني من موقف السلامة من نعمك إلا أنت أتتصل إليك بما كنت أواجهك به من قلة استحيائي من نظرك وأطلب العفو منك يا رب إذ العفو نعمة لكرمك يا من يعصى ويتاب إليه فيرضى كأنه لم يعص بكرم لا يوصف وتحنن لا ينعت يا حنان بشفقته يا متجاوز بعظمته لم يكن لي حول فأنتقل عن معصيتك إلا في وقت أيقظتني فيه لمحبتك وكما أردت أن أكون كنت وكما

رضيت أن أقول قلت خضعت لك وخشعت لك إلهي لتعزني بإدخالي في طاعتك ولتنظر إلى نظر من ناديته فأجابك واستعملته بمعونتك فأطاعك يا قريب لا بعيد عن المعتزين ويا ودود لا تعجل على المذنبين اغفر لي وارحمني يا أرحم الراحمين (١).

- قال سعيد بن عبد الحكم: سمعت ذا النون يقول: خرجت في طلب المناجاة فإذا أنا بصوت فعدلت إليه فإذا أنا برجل قد غاص في بحر الوله وخرج على ساحل الكمه وهو يقول في دعائه أنت تعلم أني لأعلم أن الاستغفار مع الإصرار لؤم وأن تركي الاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك لعجز إلهي أنت الذي خصصت خصائصك بخالص الإخلاص وأنت الذي سلمت قلوب العارفين من اعتراض الوسواس وأنت آنست الآنسين من أوليائك وأعطيتهم كفاية رعاية المتوكلين عليك تكلؤهم في مضاجعهم وتطلع على سرائرهم وسري عندك مكشوف وأنا إليهم ملهوف قال ثم سكنت صرخته فلم أسمع له صوتا(٢).

- قال أبو عثمان سعيد بن عثمان: سمعت ذا النون أبا الفيض يقول: اللهم اجعلنا من الذين تفكروا فاعتبروا ونظروا فأبصروا وسمعوا فتعلقت قلوبهم بالمنازعة إلى طلب الآخرة حتى أناخت وانكسرت عن النظر إلى الدنيا وما فيها ففتقوا بنور الحكم ما رتقه ظلم الغفلات وفتحوا أبواب مغاليق العمى بأنوار مفاتيح الضياء وعمروا مجالس الذاكرين بحسن مواظبة استيدام الثناء اللهم اجعلنا من الذين تراسلت عليهم ستور عصمة الأولياء وحصنت قلوبهم

(١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٩ /٣٣٤.
(٢) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٩ /٣٣٤.

بطهارة الصفاء وزينتها بالفهم والحياء وطيرت همومهم في ملكوت سمواتك حجاباً حتى تنتهي إليك فرددتها بظرائف الفوائد اللهم اجعلنا من الذين سهل عليهم طريق الطاعة وتمكنوا في أزمة التقوى ومنحوا بالتوفيق منازل الأبرار فزينوا وقربوا وكرموا بخدمتك وسمعته يقول لك الحمد يا ذا المن والطول والآلاء والسعة إليك توجهنا وبفنائك أنخنا ولمعروفك تعرضنا وبقربك نزلنا يا حبيب التائبين ويا سرور العابدين ويا أنيس المنفرين ويا حرز اللاجين ويا ظهر المنقطعين ويا من حبب إليه قلوب العارفين وبه نست أفئدة الصديقين وعليه عطفت رهبة الخائفين يا من أذاق قلوب العابدين لذيذ الحمد وحلاوة الانقطاع إليه يا من يقبل من تاب ويعفو عمن أناب ويدعو المولين كرماً ويرفع المقبلين إليه تفضلاً يا من يتأنى على الخاطئين ويحلم عن الجاهلين ويا من حل عقدة الرغبة من قلوب أوليائه ومحا شهوة الدنيا عن فكر قلوب خاصته وأهل محبته ومنحهم منازل القرب والولاية ويا من لا يضيع مطيعاً ولا ينسى صبياً يا من منح بالنوال ويا من جاد بالاتصال يا ذا الذي استدرك بالتوبة ذنوبنا وكشف بالرحمة غمومنا وصفح عن جرمنا بعد جهلنا وأحسن إلينا بعد إساءتنا يا آنس وحشتنا ويا طبيب سقمنا يا غياث من أسقط بيده وتمكن حبل المعاصي وأسفر خدر الحيا عن وجهه هب خدودنا للتراب بين يديك يا خير من قدر وأرأف من رحم وعفا [١].

- قال أبو عثمان سعيد بن عثمان: سمعت ذا النون يقول: أسألك باسمك الذي ابتدعت به عجائب الخلق في غوامض العلم يجود جلال جمال وجهك في عظيم عجيب تركيب أصناف جواهر لغاتها فخرت

(١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٩ /٣٣٥.

الملائكة سجداً لهيبتك من مخافتك أن تجعلنا من الذين سرحت أرواحهم في العلى وحطت همم قلوبهم في مغلبات الهوى حتى أناخوا في رياض النعيم وجنوا من ثمار التسنيم وشربوا بكأس العشق وخاضوا لجج السرور واستظلوا تحت فناء الكرامة اللهم اجعلنا من الذين شربوا بكأس الصفا فأورثهم الصبر على طول البلاء حتى توليت قلوبهم في الملكوت وجالت بين سرائر حجب الجبروت ومالت أرواحهم في ظل برد نسيم المشتاقين الذين أناخوا في رياض الراحة ومعدن العز وعرصات المخلدين [1].

ومن شعره رحمه الله:

- منع القران بوعده ووعيده ::: مقل العيون بليلها أن تهجع
فهموا عن الملك الكريم كلامه ::: فهما تذل له الرقاب وتخضع [2]

قال فتح بن شخرف دخلت على ذي النون عند موته فقلت كيف تجدك؟ فقال:

أموت وما ماتت إليك صبابتي ::: ولا رويت من صدق حبك أوطاري
مناي المنى كل المنى أنت لي منى ::: وأنت الغنى كل الغنى عند إقتاري
وأنت مدى سؤلي وغاية رغبتي ::: وموضع آمالي ومكنون إضماري
تحمل قلبي فيك مالا أبثه ::: وإن طال سقمي فيك أو طال إضراري
وبين ضلوعي منك مالا أبثه ::: ولم أبد بادية لأهل ولا جار
سرائر لا تخفي عليك خفيها ::: وإن لم أبح حتى التنادي بأسراري
فهب لي نسيما منك أحيا بروحه ::: وجد لي بيسر منك يطرد إعساري
أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن ::: من العلم في أيديهم عشر معشار
وعلمتهم علما فباتوا بنوره ::: وبان لهم منه معالم أسرار

(١)المصدر السابق ٩ /٣٣٦.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٦٨.

معاينـــه للغيـــب حـــتى كأنهـــا ::: لما غاب عنها منه حاضرة الـــدار
فأبصـــارهم محجوبـــة وقلـــوبهم ::: تراك بأوهـــام حديـــدات أبصـــار
ألست دليل المرء إن هـــم تحـــيروا ::: وعصمة من أمسى على جرف هار

قال الشيخ ابن شخرف فلما ثقل قلت له: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

ومالي سوى الإطراق والصمت حيلة ::: ووضـــعي علـــى خـــدي يـــدي
عند تذكاري وإن طرقتني عبرة بعد عبرة ::: تجرعتـــــها حـــــتى إذا عيـــــل
تصباري أفضت دموعا جمة مستهلة ::: أطفئ بها حرا تضـــمن أســـراري
ولست أبالي فائتـــا بعـــد فائـــت ::: إذا كنت في الدارين يا واحدي جاري(١)
توجع بأمراض وخـــوف مطالـــب ::: وإشفاق محزون وحـــزن كئيـــب
ولوعـــة مشـــتاق وزفـــرة والـــه ::: وســـقطة مســـقام بغـــير طبيـــب
وفطنة جـــوال وبطـــأة غـــائص ::: ليأخذ من طيب الصـــفا بنصـــيب
ألمـــت بقلـــب حيرتـــه طـــوارق ::: من الشوق حتى ذل ذل غريـــب
يكـــاتم لي وجـــداً ويخفـــى حميـــة ::: ثوت فاستكنت في قـــرار لبيـــب
خلا فهمه عن فهمـــه لحضـــوره ::: فمن فهمه فهـــم عليـــه رقيـــب
يقول إذا ما شفه الشوق واجـــدي ::: بك العيش يا أنس المحب يطيـــب
فهذا لعمري عبد صدق مهـــذب ::: صفى فاصطفى فالرب منه قريب(٢)
ومحـــب الإلـــه في غيـــب أنـــس ::: ملك القدر خـــادم الـــزي عبـــد
هـــو عبـــد وربـــه خـــير رب ::: ما لقلب الفتى عـــن الله ضـــد (٣)
مجال قلـــوب العـــارفين بروضـــة ::: سماوية من دونه حجـــب الـــرب
تكنفها مـــن عـــالم الســـر قربـــه ::: فلو قدر الآجال ذابت من الحـــب
وأروى صداها كاس صرف بحبـــه ::: وبرد نسيم جل عن منتهى الخطب

---

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، الثبات عند الممات، تحقيق: عبد الله الليثي الأنصاري، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦، ص ١٦٥.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٦.
(٣) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٣.

فيـــا لقلـــوب قربـــت فتقربـــت ::: لذي العرش مما زين الملك بالقرب
رضيها فارضاها فحازت مدى الرضى ::: وحلت من المحبوب بالمترل الرحب
لها من لطيف العزم عزم سرت بــه ::: وهتك بالأفكار ما داخل الحجــب
سوى سرها بين الحبيـــب وبينـــها ::: فأضحى مصونا عن سوى القرب في القرب[١]
عجباً لقلبك كيــف لا يتصــدع ::: ولركن جسمك كيف لا يتضعضع
فاكحل بملمول السهاد لدى الدجى ::: إن كنت تفهم ما أقول وتســمع
منــع القــرآن بوعــده وعيــده ::: فعل العيــون بليلــها أن تهجــع
فهموا عن الملك الكــريم كلامــه ::: فهما تذل له الرقاب وتخضــع[٢]
رجال أطاعوا الله في السر والجهر ::: فما باشروا اللذات حيناً من الدهر
أناس علــيهم رحمــة الله أنزلــت ::: فظلوا سكوناً في الكهوف وفي القفر
يراعون نجم الليل مـــا يرقدونـــه ::: فباتوا بإدمان التهجــد والصــبر
فداخل هموم القوم للخلق وحشــة ::: فصاح بهم أنس الجليل إلى الــذكر
فأجسادهم في الأرض هوناً مقيمة ::: وأرواحهم تسري إلى معدن الفخر
فهذا نعيم القوم إن كنت تبتغــي ::: وتعقل عن مولاك أداب ذوي القدر[٣]

* * *

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٦٩.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٧.
(٣) حلية الأولياء، ٩ /٣٨٤.

إبراهيم بن أدهم

أعـــلام التصــوف

إبراهيم بن أدهم

كان والده من أغنى أغنياء خراسان وأحد ملوكها، ولد (إبراهيم) بمكة حينما خرج أبوه وأمه إلى الحج عام ١٠٠ هـ أو قريبًا منها، وفتح عينيه على الحياة؛ ليجد الثراء يحيط به من كل جانب؛ فعاش حياة الترف والنعيم، يأكل ما يشاء من أطيب الطعام، ويركب أحسن الجياد، ويلبس أفخم الثياب.

وفي يوم من الأيام خرج إبراهيم ابن ادهم راكبًا فرسه، وكلبه معه، وأخذ يبحث عن فريسة يصطادها، وكان إبراهيم يحب الصيد، وبينما هو كذلك إذ سمع نداء من خلفه يقول له: (يا إبراهيم ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت) فوقف ينظر يمينه وشماله، ويبحث عن مصدر هذا الصوت فلم ير أحدًا، فأوقف فرسه ثم قال: والله لا عصيت الله بعد يومي ذا ما عصمني ربي.

ورجع إبراهيم بن أدهم إلى أهله، فترك حياة الترف والنعيم ورحل إلى بلاد الله الواسعة ليطلب العلم، وليعيش حياة الزهد والورع والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ولم يكن إبراهيم متواكلاً يتفرغ للعبادة والزهد فقط ويعيش عالة على غيره، بل كان يأكل من عمل يده، ويعمل أجيرًا عند أصحاب المزارع، يحصد لهم الزروع، ويقطف لهم الثمار ويطحن الغلال، ويحمل الأحمال على كتفيه، وكان نشيطًا في عمله، يحكي عنه أنه حصد في يوم من الأيام ما يحصده عشرة رجال، وفي أثناء حصاده كان ينشد قائلا:

اتَّخِذِ اللّه صاحبًا ::: ودَعِ النَّاسَ جانباً

وظل إبراهيم ينتقل من مكان إلى مكان، زاهدًا وعابدًا في حياته، فذهب إلى الشام وأقام في البصرة وقتًا طويلاً، حتى اشتهر بالتقوى والعبادة، في وقت كان الناس فيه لا يذكرون الله إلا قليلًا، ولا يتعبدون إلا وهم كسالى.

وكان إبراهيم بن أدهم شديد التواضع، لا يحب الكبر، كان يقول: (إياكم والكبر والإعجاب بالأعمال، انظروا إلى من دونكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم، من ذلل نفسه؛ رفعه مولاه، ومن خضع له أعزه، ومن اتقاه وقاه، ومن أطاعه أنجاه) ودخل إبراهيم بن أدهم المعركة مع الشيطان ومع نفسه مصممًا على الانتصار، وسهر الليالي متعبداً ضارعًا باكيًا إلى الله يرجو مغفرته ورحمته، وكان مستجاب الدعاء.

وكان أكثر دعائه: (اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك) وكان يقول:

(ما لنا نشكو فقرنا إلى مثلنا ولا نسأل كشفه من ربنا) وقال: (كل سلطان لا يكون عادلاً فهو واللص سواء، وكل عالم لا يكون تقيًّا فهو والذئب سواء، وكل من ذلَّ لغير الله، فهو والكلب سواء) وكان يقول لأصحابه إذا اجتمعوا: (ما على أحدكم إذا أصبح وإذا أمسى أن يقول: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت الرجاء).

وكان إبراهيم راضيًا بحالة الزهد القاسية، وظل يكثر من الصوم والصلاة ويعطف على الفقراء والمساكين إلى أن مات رضوان الله عليه سنة ١٦٢ هـ [١]

مواقف من حياة إبراهيم بن أدهم:

يا قسورة:

قيل لإبراهيم بن أدهم: هذا السبع قد ظهر لنا قال: أرنيه، فلما رآه، قال: يا قسورة، إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به، وإلا فعودك على بدئك فولى السبع ذاهباً قال: أحسبه قال: يصوت بذنبه قال: فتعجبت كيف فهم السبع كلام إبراهيم بن أدهم فأقبل علينا إبراهيم، فقال: قولوا: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكفنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت رجاؤنا. قال خلف: فما زلت أقولها منذ سمعتها، فما عرض لي لص ولا غيره [٢].

(١) مصادر الترجمة: التاريخ الكبير: ١ / ٢٧٣، المعرفة والتاريخ: ٢ / ٤٥٥، الجرح والتعديل: ٢ / ٨٧. مشاهير علماء الأمصار: ١٨٣، حلية الأولياء: ٧ / ٣٦٧ حتى ٨ / ٥٨، تاريخ ابن عساكر: خ: ٢ / ١٨٦ ، الكامل لابن الأثير: ٦ / ٥٦، تهذيب الكمال: خ: ٤٩ - ٥١، تذهيب التهذيب: خ: ١ / ٣٢ - ٣٣، عبر الذهبي: ١ / ٢٣٨، فوات الوفيات: ١ / ١٣ - ١٤، الوافي بالوفيات: ٥ / ٣١٨ - ٣١٩، البداية والنهاية: ١٠ / ١٣٥ - ١٤٥، طبقات الأولياء: ٥ - ١٥، تهذيب التهذيب: ١ / ١٠٢ - ١٠٣، خلاصة تذهيب الكمال: ١٥، شذرات الذهب: ١ / ٢٥٥ - ٢٥٦، تهذيب ابن عساكر: ٢ / ١٧٠ - ١٩٩.

(٢)ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة - ١ / ١٤٠.

في فم كل واحدة منهن دينار واحد

حدث صالح بن سليمان، أو غيره قال: احتاج إبراهيم بن أدهم إلى دينار، وكان على شاطئ البحر، فدعا الله عز وجل، فتشرعت السمك في فم كل واحدة منهن دينار واحد، فأخذ ديناراً واحداً(١)

قد أريت قدرتك، فأذقنا برد عفوك ورحمتك

ذكر سعيد بن صدقة أبو مهلهل قال: جاء إبراهيم بن أدهم إلى قوم قد ركبوا سفينة في البحر، فقال له صاحب السفينة: " هات دينارين، قال: ليس معي ولكن أعطيك من يدي، قال: فعجب منه، وقال: إنما نحن في بحر، فكيف تعطيني؟ قال: ثم أدخله فساروا حتى انتهوا إلى جزيرة في البحر، فقال صاحب السفينة: والله لأنظرن من أين تعطيني؟ هل اختبأ هاهنا شيئاً؟ قال: فقال له: يا صاحب الدينارين أعط حقي، قال: نعم، فخرج إبراهيم فمضى واتبعه الرجل وهو لا يدري، فانتهى إلى الجزيرة فركع فلما أراد أن ينصرف قال: يا رب، إن هذا قد طلب مني حقه الذي له علي، فأعطه عني، قال وهو ساجد، قال: فرفع رأسه فإذا ما حوله دنانير، وإذا الرجل، فقال: جئت، خذ حقك ولا تزدد، ولا تذكر هذا، قال: ومضوا فأصابتهم عجاجة وظلمة وأحسوا بالموت، فقال الملاح: أين صاحب الدينارين؟ أخرجوه، قال: فجاءوا إليه، فقالوا: ما ترى ما نحن فيه، ادع الله معنا؟ قال: فرفع يديه وأرخى عينيه، وقال: يا رب، يا رب، قد أريت قدرتك، فأذقنا برد عفوك ورحمتك، قال: فسكنت العجاجة وساروا " (٢)

---

(١)ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة - ١ / ١٤٢.
(٢) ابن أبي الدنيا، الأولياء، المحقق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب

لم حجبت القلوب عن الله عز وجل!

حدث إبراهيم بن بشار الصوفي الخراساني خادم إبراهيم بن أدهم، قال: وقف رجل مرة على إبراهيم بن أدهم، فقال: يا أبا إسحاق، لم حجبت القلوب عن الله عز وجل؟ قال: لأنها أحبت ما أبغض الله، أحبت الدنيا ومالت إلى دار الغرور واللهو واللعب، فتركت العمل لدار فيها حياة الأبد، في نعيم لا يزول ولا ينفذ، خالد مخلد، في ملك سرمد لا نهاية له ولا انقطاع (١).

ما لك حيلة!

حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: قلت لإبراهيم بن أدهم: أمر اليوم أعمل في الطين. فقال: يا ابن بشار، إنك طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته، وتطلب ما قد كفيته، كأنك بما قد غاب عنك قد كشف لك، وما كنت فيه قد نقلت عنه. يا ابن بشار، كأنك لم تر حريصاً محروماً، ولا ذا فاقة مرزوقاً. ثم قال لي: ما لك حيلة؟ قلت: نعم، لي عند البقال دانق، فقال: عز علي، تملك دانقا وتطلب العمل (٢).

فأني أوصيك بتقوى من لا تحل معصيته

كتب إبراهيم بن أدهم إلى أخ له: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإني أوصيك بتقوى من لا تحل معصيته، ولا يرجى غيره، ولا يدرك الغنى إلا به، فإنه من استغنى عز وشبع وروى، وانتقل -

---

الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣، ١ / ٣٥.

(١) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، مكان النشر بيروت / لبنان، سنة النشر ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١ / ٥٥.

(٢) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، ١ / ٦٢.

عندما أبصر قلبه عما أبصرت عينيه - من زهرة الدنيا فتركها وجانب شبهها، فأضر بالحلال الصافي فيها، إلا ما لا بد له منه، من كسرة شربها صلبه، وثوب يواري به عورته، أغلظ ما يجد وأخشنه [١].

المواساة من أخلاق المؤمنين

حدث إبراهيم بن بشار، قال: أمسينا يعني مع إبراهيم بن أدهم ذات ليلة، وليس معنا شيء نفطر عليه ولا لنا حيلة، فرآني مغتماً حزيناً، فقال: يا إبراهيم بن بشار، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعم والراحة في الدنيا والآخرة، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن صدقة ولا عن صلة رحم ولا عن مواساة، وإنما يسأل ويحاسب عن هذا هؤلاء المساكين، أغنياء في الدنيا فقراء في الآخرة، أعزة في الدنيا أذلة يوم القيامة، لا تغتم ولا تحزن فرزق الله مضمون سيأتيك، نحن والله الملوك الأغنياء، نحن الذين قد تعجلوا الراحة في الدنيا، لا نبالي على أي حال أصبحنا وأمسينا، إذا أطعنا الله. ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتي، فما لبثنا إلا ساعة فإذا نحن برجل قد جاءنا بثمانية أرغفة وتمر كثير فوضعه بين أيدينا، وقال: كلوا يرحمكم الله. قال ابن بشار: فسلم، فقال: كل يا مغموم. فدخل سائل فقال: أطعمونا شيئاً، فأخذ ثلاثة أرغفة مع تمر ورفعه إليه، وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين، وقال: المواساة من أخلاق المؤمنين [٢].

(١) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، ١ / ٩٨.

(٢)) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، ١ /١١٠.

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف

حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السنجاري نريد الإسكندرية، فمررنا بنهر يقال له نهر الأردن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله تعالى، فقمت أسعى أتناول ماء لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبته، فقال بكفيه في الماء فملأها، ثم قال: (بسم الله) وشرب الماء، ثم قال: (الحمد لله)، ثم ملأ كفيه من الماء وقال: (بسم الله) وشرب، ثم قال: (الحمد لله)، ثم إنه خرج من النهر فمد رجليه، ثم قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب، فقلت: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطأوا الطريق المستقيم. فتبسم، ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟ ![1]

كان ذلك أول أمري

قال إبراهيم بن زياد المقرىء: قال إبراهيم بن أدهم عن ابتدائه كيف كان قال: كنت يوماً في مجلس لي له منظرة إلى الطريق فإذا أنا بشيخ عليه أطمار وكان يوماً حاراً فجلس في فيىء القصر ليستريح فقلت للخادم اخرج إلى هذا الشيخ فأقرئه مني السلام وسله أن يدخل إلينا فقد أخذ بمجامع قلبي فخرج إليه فقام معه فدخل إلي

(١) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، ١ / ١٣٤.

فسلم فرددت عليه السلام واستبشرت بدخوله وأجلسته إلى جنبي وعرضت عليه الطعام فأبى أن يأكل فقلت له: من أين أقبلت؟ فقال: من وراء النهر فقلت: أين تريد؟ قال: الحج إن شاء الله تعالى قال: وكان ذلك في أول يوم من العشر أو الثاني فقلت: في هذا الوقت فقال: بل يفعل الله ما يشاء فقلت: الصحبة فقال: إن أحببت ذلك حتى إذا كان الليل قال لي: قم فلبست ما يصلح للسفر وأخذ بيدي وخرجنا من بلخ فمررنا بقرية لنا فلقيني رجل من الفلاحين فأوصيته ببعض ما أحتاج إليه فقدم إلينا خبزاً وبيضاً وسألنا أن نأكل فأكلنا وجاء بماء فشربنا وقال لي: بسم الله قم فأخذ بيدي فجعلنا نسير وأنا أنظر إلى الأرض تجذب من تحتنا كأنها الموج فمررنا بمدينة بعد مدينة فجعل يقول هذه مدينة كذا هذه مدينة كذا هذه الكوفة ثم قال الموعد هاهنا في مكانك هذا في الوقت من الليل حتى إذا كان الوقت إذا به قد أقبل فأخذ بيدي وقال بسم الله قال فجعل يقول هذا منزل كذا هذا منزل كذا وهذه كذا وهذه المدينة وأنا أنظر إلى الأرض تجذب من تحتنا كأنها الموج فصرنا إلى قبر رسول الله ﷺ فزرناه ثم فارقني وقال: الموعد في الوقت من الليل في المصلى حتى إذا كان الوقت خرجت فإذا به في المصلى فأخذ بيدي ففعل كفعله في الأولى والثانية حتى أتينا مكة في الليل ففارقني فقبضت عليه وقلت: الصحبة فقال: إني أريد الشام فقلت: أنا معك فقال لي: إذا انقضى الحج فالموعد هاهنا عند زمزم حتى إذا انقضى الحج إذا به عند زمزم فأخذ بيدي فطفنا بالبيت ثم خرجنا من مكة ففعل كفعله الأول والثاني والثالث فإذا نحن ببيت المقدس فلما دخل المسجد قال لي: عليك السلام أنا على المقام إن شاء الله هاهنا ثم فارقني فما رأيته بعد ذلك ولا عرَّفني اسمه قال

إبراهيم: فرجعت إلى بلدي فجعلت أسير سير الضعفاء منزلاً بعد منزل حتى رجعت إلى بلخ فكان ذلك أول أمري.

تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم

قال إبراهيم بن بشار ركبنا البحر مع إبراهيم بن أدهم فبينا نحن نسير بريح طيبة وكانت مراكب كثيرة فعصفت ريح شديدة على المراكب فتقطعت وإبراهيم ملتف في عباءة مستلق فجاء أهل المركب إليه فقالوا: يا هذا ما ترى ما نحن فيه وأنت مستلق غير مكترث فجلس وهو يقول: لا أفلح من لم يكن استعد لمثل هذا اليوم ثم حرك شفتيه وإذا هاتف ينادي من اللجة تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم أيها الريح والبحر الهائج اسكنا بإذن الله فسكن البحر وذهبت الريح حتى صار البحر كأنه دف يعني لوح خشب (١).

أعز الأشياء في آخر الزمان

قال: سمعت منصور بن مجاهد والد محمد بن منصور جارنا، يقول: سمعت رشيد بن سعد يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: أعز الأشياء في آخر الزمان ثلاثة،: أخ في الله يؤنس به، وكسب درهم من حلال، وكلمة حق عند سلطان.

أيكم إبراهيم بن أدهم؟

قال علي بن بكار: كان إبراهيم بن أدهم جالساً معنا عند المسجد إذ أقبل رجل أحمر مربوع عليه أثر سفر، حتى وقف علينا، فقال: أيكم إبراهيم بن أدهم؟ قال إبراهيم: أنا فقام إليه إبراهيم فأخذ بيده فنحاه، قال: أي شيء أردت؟ قال: أنا غلامك، بعثني إخوتك إليك،

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، التوابين، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، ١ / ١٦٠.

ومعي عشرة آلاف وفرس وبغلة. فقال له إبراهيم: إن كنت صادقاً فأنت حر، وما معك لك، اذهب اذهب لا تخبر أحداً.

كن ذنباً ولا تكن رأساً

حَدَّثنا بقية بن الوليد قال: قلت لإبراهيم بن أدهم: أكنيك أم أدعوك باسمك؟ قال: إن كنيتني قبلت منك، وإن دعوتني باسمي فهو أحب إلي. قال: فمدحته - أو قال: أثنيت عليه، قال: ففطن، فقال: لروعة يروع صاحب عيال، أفضل مما أنا فيه. قال: قلت له: أوصني. قال: كن ذنبا ولا تكن رأساً، فإن الرأس يهلك، ويسلم الذنب [1].

أخرجوه فقد استقتل!

وقال أبو صالح الفراء، عن شعيب بن حرب: دخل إبراهيم بن أدهم على بعض هؤلاء الولاة. فقال له: من أين معيشتك؟ قال إبراهيم:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ::: فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

قال: فقال الوالي: أخرجوه فقد استقتل!

أرى أناساً بأدنى الدين قد قنعوا

عن خلف بن تميم قال: سمعت إبراهيم بن أدهم ينشد:

أرى أناساً بأدنى الدين قد قنعوا ::: ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما ::: استغنى الملوك بدنياهم عن الدين[2]

أنا ظننت فيكم خيراً

(١) يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي [٦٥٤ - ٧٤٢]، تهذيب الكمال مع حواشيه، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، ٢ / ٣٥.
(٢) المزي، تهذيب الكمال مع حواشيه، ٢ / ٣٦.

عن إبراهيم بن أدهم إنّه كان في بعض السّواحل ومعه رفقاءٌ له ومعهم حميرٌ لهم فجاء إليهم رجلٌ فقال: أريد أصحبكم وأكون معكم فكأنّهم كرهوا ذلك فلما خرجوا إلى ساحل البحر والرّجل معهم قال إبراهيم بن أدهم للحمار: زر فصاح الحمارُ فانصرف الرّجل عنهم وقال: أنا ظننت فيكم خيراً فصرفوه بهذا (١).

ما تهنَّيت بالعيش إلا هنا

سمعت شقيق البلخيّ يقول: لقيت إبراهيم بن أدهم في الشام، فقلت: تركت خراسان قال: ما تهنَّيت بالعيش إلا هنا، أفر بديني من شاهق، فمن رآني يقول: موسوس، ومن رآني يقول: حمال: يا شقيق: لم ينبل عندنا من نبل بالجهاد ولا بالحج بل من كان يعقل ما يدخل بطنه، يا شقيق: ماذا أنعم الله على الفقراء؟ لا يسألهم عن زكاة، ولا عن جهاد، ولا صلة، إنما يسأل عن هذا هؤلاء المساكين. قلت: هذا القول من إبراهيم رحمه الله ليس على إطلاقه، بل قد نبل بالجهاد والقرب عدد من الصفوة.

هذه جلسة رسول الله ﷺ

قال بقية: دعاني إبراهيم بن أدهم إلى طعام له وجلس، فوضع رجله اليسرى تحت إليته، ونصب اليمنى، ووضع مرفقه عليها ثم قال: هذه جلسة رسول الله ﷺ كان يجلس جلسة العبيد.

أمّا نحن فقد استوفينا أجورنا

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبارالظراف والمتماجنين، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجاني، دار ابن حزم - بيروت - ١٩٩٧م، ٧٤/١.

فلما أكلنا قلت لرفيقه: أخبرني عن أشد شيء مر بك منذ صحبته.

قال: نعم، كنّا يوماً صياماً، فلمّا كان الليل لم يكن لنا ما نفطر عليه، فلمّا أصبحنا قلت، يا أبا إسحاق، هل لك في أن نأتي الرَّستن فنكري أنفسنا مع الحصّادين قال: نقم، فأتينا باب الرَّستن، فجاء رجل فاكتراني بدرهم فقلت: وصاحبي، قال: لا حاجة لي فيه، أراه ضعيفاً، فما زلت به حتى اكتراه بثلثين، فحصدنا يومنا، وأخذت كرائي، فأتيت به، فاشتريت حاجتي، وتصدّقت بالباقي، فهيّأته، وقدمته إليه، فلمّا نظر إليه بكى، قلت، ما يبكيك قال: أمّا نحن فقد استوفينا أجورنا، فليت شعري أوفينا صاحبنا أم لا قال: فغضبت، قال: ما يغضبك أتضمن لي أنَّا وفيناه فأخذت الطعام فتصدّقت به.

لو أمكنني أن أطلّق نفسي لفعلت

قال ضمرة: سمعت إبراهيم بن أدهم قال: أخاف أن لا يكون لي أجر في تركي أطايب الطعام، لأنّي لا أشتهيه، وكان إذا جلس على طعام طيّب رمى إلى أصحابه، وقنع بالخبز والزيتون.

قال رجل لإبراهيم بن أدهم: لو تزوَّجت، فقال: لو أمكنني أن أطلّق نفسي لفعلت.

صيّر مالي وماله واحداً

دخل إبراهيم بن أدهم الجبل بفأس، فاحتطب ثم باعه، واشترى به ناطفاً، وقدّمه إلى أصحابه فقال: كلوا كأنَّكم تأكلون في رهن.

قال عصام بن داود بن الجرّاح: كنت ليلة مع إبراهيم بن أدهم بالثغر، فأتاه رجل بباكورة، فنظر حوله هل يرى ما يكافيه، فنظر إلى سرجي فقال، خذ ذاك السَّرج، فأخذه، فما داخلني سرور قطّ مثله

حين علمت أنّه صيّر مالي وماله واحداً.

ما إيّاك عنيت

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما يبلغ من كرامة المؤمن على الله قال: أن تقول للجبل تحرّك فيتحرّك، قال: فتحرّك الجبل، فقال: ما إيّاك عنيت.

ليس إيّاك أردت

قال عيسى بن حازم النّيسابوريّ: كنّا مع إبراهيم بن أدهم بمكة، فنظر إلى أبي قبيس فقال: لو أنّ مؤمناً مستكمل الإيمان هزّ الجبل لزال، فتحرّك أبو قبيس، فقال: إبراهيم: اسكن، ليس إيّاك أردت.

قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك

قال بقية قال: كنّا مع إبراهيم بن أدهم في البحر، وهبّت ريح وهاجت الأمواج، واضطّربت السفينة، وبكى الناس فقلنا: يا أبا إسحاق ما ترى الناس فيه فرفع رأسه، وقد أشرفنا على الهلاك، فقال ياحيّ حين لاحيّ، وياحيّ قبل كلّ حيّ، ويا حيّ بعد كلّ حيّ، يا حيّ يا قيُّوم، يا محسن، يا مجمل، قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك، قال: فهدأت السفينة فى ساعتها.

فهو واللّصّ سواء

وعن إبراهيم قال: كلّ ملك لا يكون عادلاً فهو واللّصّ سواء، وكلّ عالم لا يكون ورعاً فهو والذّئب سواء، وكلّ من يخدم سوى الله فهو والكلب بمنزلةٍ واحدة.

أوتروا لي قوسي

وقيل إنّ إبراهيم غزا في البحر مع أصحابه، فاختلف في الليلة التي مات فيها إلى الخلاء خمساً وعشرين مرة، كلّ مرّة يجدّد الوضوء، فلما أحسّ بالموت قال: أوتروا لي قوسي، وقبض على قوسه، فتوفّي وهو في يده، فدفن في جزيرة في البحر في بلاد الروم.

وأيّ دين لو كان له رجال

قال إبراهيم بن بشّار الصوفي، سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: وأيّ دين لو كان له رجال من طلبة العلم لله كان الخمول أحبّ إليه من التطاول، وقال: والله ما الحياة بثقةٍ يرجى نومها، ولا المنيّة بعذر فيؤمن غدرها، ففيم التفريط والتقصير والاتكال والإبطاء، قد رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومن طلب التوبة بالتواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني.

فرزق الله مضمون، سيأتيك

وأمسينا ليلة مع إبراهيم وليس لنا شيء نفطر عليه، فرآني حزيناً فقال: يا ابن بشّار، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة في الدنيا والآخرة لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة، ولا حجّ، ولا صدقة، ولا صلة رحم، لا تغتّم، فرزق الله مضمون، سيأتيك. نحن والله الملوك الأغنياء، نحن والله الذين تعجلّنا الراحة، لا نبالي على أيّ حال أصبحنا وأمسينا إذا أطعنا الله. ثم قام إلى صلاته، وقمت إلى صلاتي، فما لبثنا إلا ساعة، فإذا برجل قد جاء بثمانية أرغفة وتمر كثير، فوضعه، فقال: كل يا مغموم، فدخل سائل فقال: أطعمونا فدفع إليه ثلاثة أرغفة مع تمر، وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين.

سارع إلى أمر الله

وكنت ماراً مع إبراهيم، فأتينا على قبر مسنّم، فترحّم عليه، وقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غرق في بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها. بلغني أنه سرّ ذات يوم بشيء ونام، فرأى رجلاً بيده كتاب، فناوله ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرنّ، فإننا على باق، ولا تغترَّنّ بملكك، فإن ما أنت فيه جسيم، لولا أنه عديم، وهو ملك، لولا أنّ بعده هلك، وفرح وسرور، لولا أنه لهو وغرور وهو يوم لو كان يوثق له بغدٍ، فسارع إلى أمر الله، فإن الله قال: سارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضها السماوات والأرض أعدَّت للمتقين فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيه من الله وموعظة، فخرج من ملكه وقصد هذا الجبل، فعبد الله فيه حتى مات.

ليس لذا خلقت

قال إبراهيم بن بشّار، قلت لإبراهيم بن أدهم: كيف كان بدوّ أمرك قال: غير ذا أولى بك، قلت: أخبرني لعلّ الله أن ينفعنا به يوماً، فقال: كان أبي من أهل بلخ، وكان من ملوك خراسان المياسير، وحبَّب إلينا الصيد، فخرجت راكباً فرسي ومعي كلبي، فبينما أنا كذلك ثار أرنب أو ثعلب، فحرّكت فرسي، فسمعت نداء من ورائي: ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت أنظر يمنةً ويسرةً، فلم أر أحداً فقلت، لعن الله إبليس، ثم حرّكت فرسي، فأسمع نداء أجهر من ذلك: يا إبراهيم ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت وقلت، انتهيت انتهيت، جاءني نذير من ربّ العالمين، والله لا عصيت الله بعد يومي إذا ما عصمني ربّي. فرجعت إلى أهلي، فخلّيت عن فرسي، ثم جئت إلى رعاة لأبي، فأخذت منه جبَّة وكساء، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أياماً، فلم يصف لي منها

الحلال، فقيل لي: عليك بالشام، فصرت إلى المصِّيصة، فعملت بها، فلم يصف لي الحلال، فسألت بعض المشايخ فقال: إن أردت الحلال الصافي فعليك بطرسوس، فإنّ فيها المباحات والعمل الكثير، فأتيتها، فعملت بها أنظر في البساتين وأحصد، فبينما أنا على باب البحر جاءني رجل أنظر له، فكتبت في البستان مدّة، فإذا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه، فقعد في مجلسه فصاح: يا ناظور، اذهب فآتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه، فذهبت فأتيته بأكبر رمّان، فكسر رمّانة فوجدها حامضة فقال: أنت عندنا كذا وكذا تأكل فاكهتنا ورمّاننا، لا تعرف الحلو من الحامض، قلت: والله ما ذقتها. فأشار إلى أصحابه تسمعون كلام هذا، ثم قال لي: أتراك لو أنّك إبراهيم بن أدهم زاد على هذا فانصرف، فلمّا كان من الغد ذكر صفتي في المسجد، فعرفني بعض الناس، فجاء الخادم ومعه عتق من الناس، فلمّا رأيته قد أقبل اختفيت خلف الشجر والناس داخلون، فاختلطت معهم وهم داخلون وأنا هارب.

باع حماره واشترى شهوتي

عن سهل بن إبراهيم قال: صحبت إبراهيم بن أدهم في سفر، فأنفق عليّ نفقته، ثم مرضت، فاشتهيت شهوة، فباع حماره واشترى شهوتي، فقلت: فعلى أيّ شيءٍ نركب قال: على عنقي، قال: فحمله ثلاثة منازل.

لا تشغلاني عن عملي

بينما إبراهيم بن أدهم يحصد وقف عليه رجلان معهما ثقل، فسلّما عليه وقالا: أنت إبراهيم بن أدهم قال: نعم، قالا: فإنّا مملوكان لأبيك ومعنا مال ووطاء، فقال: ما أدري ما تقولان، فإن كنتما صادقين فأنتما حرّان والمال لكما، لا تشغلاني عن عملي.

قد أبررت يمينك

قال أحمد بن أبي الحواريّ: سمعت أبا الوليد يقول: ربّما جلس إبراهيم بن أدهم من أول الليل إلى آخره يكسّر الصنوبر فيطعمنا.

وغزوت معه ولي فرسان وهو على رجليه، فأردته أن يركب فأبى، فحلفت، فركب حتى جلس على السَّرج، فقال: قد أبررت يمينك، ثم نزل.

مالي فيها حاجة

قال خلف بن تميم: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: يجيئني الرجل بالدنانير فأقول: مالي فيها حاجة، ويجيئني بالفرس فأقول: مالي فيه حاجة، ويجيئني ذا، فلما رأى القوم أنّي لا أنافسهم في دنياهم أقبلوا ينظرون إليّ كأنّي دابة من الأرض، أو كأني آية، ولو قبلت منهم لأبغضوني، ولقد أدركت أقواماً ما كانوا يحمدون على ترك هذه الفضول.

من عرف نفسه

قال خلف بن تميم: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: من تعوّد أفخاذ النساء لم يفلح. يحيى بن آدم: سمعت شريكاً يقول: سألت إبراهيم بن أدهم عمّا كان بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما، فبكى،

فندمت على سؤالي إيّاه، فرفع رأسه فقال، من عرف نفسه اشتغل بنفسه عن غيره، ومن عرف ربّه اشتغل بربه عن غيره.

وعن إبراهيم قال: حبٌّ لقاء الناس من حبّ الدنيا، وتركهم ترك الدنيا.

اهربوا من الناس

قال إبراهيم بن بشّار: أوصانا إبراهيم بن أدهم: اهربوا من الناس كهربكم من السبع الضّاري، ولا تخلّفوا عن الجمعة والجماعة.

نشكو إليك ما يفعل بنا

عن المعان بن عمران قال: شكا الثّوريّ إلى إبراهيم بن أدهم فقال: نشكو إليك ما يفعل بنا، وكان سفيان مختفياً فقال: أنت شهرت نفسك بحدّثنا وحدّثنا.

على القلب ثلاثة أغطية

عن إبراهيم قال: على القلب ثلاثة أغطية: الفرح، والحزن، والسرور فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط، والساخط معذّب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب، والعجب يحبط العمل، قال الله تعالى: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم.

عند مولاه كل ما يريد

وعنه قال: رأيت في النوم كأن قائلاً يقول لي: أيحسن بالحرّ المريد أن يتذللّ للعبيد وهو يجد عند مولاه كلّ ما يريد [(١)].

---

(١) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. لبنان/ بيروت.

ليقم السّابـقون الأولون

وقال مؤمّل بن إهاب: رأى رجل كأن القيامة قد قامت، ونودي: ليقم السّابقون الأولون، فقام سفيان الثّوريّ، ثمّ قام سليمان الخوّاص. ثم نودي: ليقم السّابقون، فقام إبراهيم بن أدهم [(١)].

ما حملك على الخروج من الدنيا؟

إبراهيم بن أدهم قال: لقيت رجلاً بالأسكندرية يقال له أسلم بن زيد الجهني فقال: من أنت يا غلام؟ فقلت: شاب من أهل خراسان قال: ما حملك على الخروج من الدنيا؟ فقلت: زهداً فيها ورجاء ثواب الله تعالى فقال: إن العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر فقال له رجل ممن كان معه: وأي شيء الصبر فقال: إن أدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال مكاره الأنفس قال: قلت ثم مه قال: إذا كان محتملاً للمكاره أورث الله عزوجل قلبه نوراً قلت: فماذا النور؟ قال: سراج يكون في قلبه يفرق بين الحق والباطل والمتشابه ثم قال يا غلام إياك إذا صحبت الأخيار وجاريت الأبرار أن تغضبهم عليك لأن الله تعالى يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم وذلك أن الحكماء هم العلماء هم الراضون عن الله إذا سخط الناس يا غلام احفظ عني واعقل واحتمل ولا تعجل إياك والبخل قلت: وما البخل؟ قال: أما البخل عند أهل الدنيا فهو أن يكون الرجل ضنينا بماله وأما عند أهل الآخرة فهو الذي يضن بنفسه عن

الطبعة: الأولى. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ١٠ / ٤٩ - ٥٨.

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ١٠ / ٢٥٣.

الله ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله أورث الله قلبه الهدى والتقى وأعطي السكينة والوقار والحلم الراجح والعقل الكامل (١).

أنت أستاذنا

وقال إبرهيم لشقيق: " علام أصلتم أصولكم؟ " فقال: " إذا رزقنا أكلنا، واذا منعنا صبرنا ". فقال إبرهيم: " هكذا كلاب بلخ! إذا رزقت أكلت، واذا منعت صبرت. إنا أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا آثرنا، واذا منعنا حمدنا وشكرنا ". فقام شقيق، وقعد بين يديه وقال: " أنت أستاذنا! " (٢).

مات وكفن في الملاءتين

عن إبراهيم بن أدهم قال حدثني رفيقة قال: خرجت مع إبراهيم بن أدهم من بيت المقدس فنفذ زادنا في الطريق فجعلنا نأكل الخرنوب وعروق الشجر حتى خشنت حلوقنا وبلغ منا الجهد فقلت ندخل القرية عسى نطلب عملاً فإذا في القرية نهر فتوضأ وصف قدميه فدخلت ألتمس فتقبلت من قوم حائطاً قد سقط أجره بأربعة دراهم فقلت: قد تقبلت عملاً فجعل يعمل عمل الرجال وأعمل عملاً ضعيفاً فجاؤنا بغداء فغسلت يدي أبادر الطعام فقال لي: هذا في شرطك بعد ما تعالى النهار فقلت: لا قال: فاصبر حتى تأخذ كراك وتشتري قال: فلما فرغنا أخذنا الدراهم واشترينا وأكلنا وطعمنا ثم خرجنا فأصابنا في الطريق الجوع فأتينا قرية من قرى حمص فإذا ساقية ماء فتوضأ للصلاة وصف قدميه وإذا إلى جانبنا دار فيها غرفة فبصر بنا صاحب الغرفة حين نزلنا ولم نطعم فبعث إلينا بجفنة

(١) ابن الجوزي، صفة الصفة، ٤ / ٣٣٤.
(٢) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ١ / ١.

فيها ثريد وخبز عراق فوضعت بين أيدينا فانفتل من الصلاة فقال: من بعث؟ فقلت: صاحب المنزل قال: ما اسمه؟ قلت: فلان بن فلان فأكل وأكلت ثم أتينا عمق إنطاكية وقد حضر الحصاد فحصدنا بنحو ثمانين درهماً فقلت: آخذ نصف هذه وأرجع ما بي قوة على صحبته فقلت: إني أريد الرجوع إلى بيت المقدس قال: ما أنت لي مصاحباً فدخل إنطاكية واشترى ملاءتين من تلك الدراهم فقال: إذا أتيت قرية كذا وكذا التي أطعمنا فيها فسل عن فلان بن فلان وادفع اليه الملاءتين ودفع إليَّ بقية الدراهم وبقي ليس معه شئ فدفعت الملاءتين إلى الرجل فقال: من بعث بها؟ قلت: إبراهيم بن أدهم فقال: ومن إبراهيم بن الأدهم فأخبرته أنه كان أحد الرجلين اللذين بعث إليهما بالطعام فأخذهما ومضيت إلى بيت المقدس فأقمت حيناً فرجعت وسألت عن الرجل فقيل لي: مات وكفن في الملاءتين.

إذا حصد يسبقهم:

قال أحمد بن فضيل العكي رأيت إبراهيم بن أدهم إذا حصد يحصد ويستعين معه الضعفاء فيسبقهم في أمانه يعني الموضع فيحصده ثم يشير إلى أصحابه أن اجلسوا ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يرجع إلى ما في أيديهم فيحصده دونهم وهم جلوس ثم يصلي ركعتين ثم يرجع إلى أمانه فيحصده [1].

ونحن ندعوه منذ دهر

قال شقيق بن إبراهيم: مر إبراهيم بن أدهم في أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا أبا إسحاق إنّ الله يقول في كتابه:

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٧ / ٣٧٤.

(ادعوني أستجب لكم) (غافر: ٦٠) ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا، فقال إبراهيم: يا أهل البصرة، ماتت قلوبكم في عشرة أشياء، أولها: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه: والثاني: قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به، والثالث: ادعيتم حب رسول الله عليه السلام وتركتم سنته، والرابع ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، والخامس: قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، والسادس: قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها، والسابع قلتم إنّ الموت حق ولم تستعدوا له، والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، والتاسع: أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها، والعاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم [(١)].

اضرب رأساً طالما عصى الله

قال ابن الجوزي: كان إبراهيم بن أدهم يحفظ البساتين، فجاءه يوماً جندي يطلب منه شيئاً من الفاكهة، فأبى فضربه على رأسه بسوط، فطأطأ إبراهيم له رأسه وقال: اضرب رأساً طالما عصى الله فعرفه الجندي وأخذ في الاعتذار إليه فقال إبراهيم: الرأس الذي يليق له الاعتذار تركته ببلخ [(٢)].

أعجبني صدقك

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم، وهو يريد بيت المقدس، فقال له: إني أريد أن أرافقك، فقال له إبراهيم: على أن أكون أملك لشيئك منك. قال لا، فقال إبراهيم: أعجبني صدقك.

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ٤٥.
(٢) بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ١ / ٨، ١٢٣، ٢ / ١٦٢، ١٦٤.

أفر بـديني من شاهق إلى شاهق

قـال سفيان بـن عيينـة: رأيت إبراهيم بن أدهم فـي جبال الشام، فقلت: يا إبراهيم تركت خراسان؟ فقال: ما تهنأت بعيشي إلا هنا، أفر بديني من شاهق إلى شاهق.

ومنه يكون الفرح

عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال: من ضبط بطنه ضبط دينه ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان، والشبع يميت القلب، ومنه يكون الفرح، والمرح والضحك [١].

المريب خائف

ومر إبراهيم بن أدهم بباب المنصور فنظر إلى السلاح والحرس فقال: المريب خائف [٢].

رأيت رب العزة في المنام

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه رأيت رب العزة في المنام فقال:قل اللهم أرضني برضائك وصبرني على بلائك وأوزعني أي- لهمني- شكر نعمائك.

فأنت الراكب وأنا الماشي

وخرج يوماً إلى الحج ماشياً فرآه رجل على ناقته فقال له: إلى أين يا إبراهيم؟ قال: أريد الحج قال: أين الراحلة؟ فإن الطريق بعيد

---

(١) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ٢ / ٩٠.

(٢) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، ٧ / ٥٧.

قال لي: مراكب كثيرة ولكن لا تراها قال: ما هي؟ قال: إذا نزلت مصيبة ركبت مركب الصبر وإذا نزلت نعمة ركبت مركب الشكر وإذا نزل القضاء ركبت مركب الرضاء وإذا دعتني نفسي إلى شيء علمت أن ما في من الأجل أقل مما مضى فقال: سر بإذن الله فأنت الراكب وأنا الماشي.

طاعته موقوفة منذ سنة

اشترى إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه تمراً من رجل بمكة فرأى تمرتين بين يديه فأخذهما ظاناً أنهما من التمر الذي اشتراه ثم توجه إلى بيت المقدس فرأى في منامه ملكين يقول أحدهما للآخر: من هذا؟ قال: إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان غير أن طاعته موقوفة منذ سنة لأنه أخذ تمرتين من مكة فلما طلع الفجر توجه إلى مكة فوجد أن البائع قد مات فسأل ولده أن يجعله في حل ففعل ثم رجع إلى بيت المقدس فرأى الملكين في منامه فقال أحدهما لصاحبه: هذا إبراهيم بن أدهم قد قبل الله طاعته الموقوفة منذ سنة فبكى إبراهيم من الفرح وكان بعد ذلك لا يأكل في كل سبعة أيام إلا أكلة من الحلال.

كنتُ أسألُ الله لك الجنة

أتى جُنْدِيٌّ إلى بلده فوجد إبراهيم بن أدهم، فسأله: أين العُمران؟ فدّله على المقبرة، فظن أنه يستهزئ به، فضربهُ حتى أدماهُ، فقيل للجندي: هذا الأمير بن أدهم، فعاد يعتذر إليه، فقال إبراهيمُ: لمَّا كُنتُ تضربني كنتُ أسألُ الله لك الجنة، قال: ولِمَ؟ قال: لأنك ظلمتني فصبرت حين ضربتني، فخملتُ رجاء الجنة، فكان لك فضلٌ علي فسألت لك الجنة.

أما علمت أن الموت أمامك

عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: مر عبد الله بن عمر على قوم مجتمعين وعليه بردة حسناء فقال رجل من القوم: إن أنا سلبته بردته فما لي عندكم؟ فجلعوا له شيئاً، فأتاه فقال: يا أبا عبد الرحمن بردتك هذه لي، قال: فقال: إني اشتريتها أمس، قال: قد أعلمتك وأنت في حرج من لبسها، قال: فخلعها ليدفعها إليه، قال: فضحك القوم، فقال: ما لكم؟ فقالوا: هذا الرجل بطال، قال: فالتفت إليه فقال له: يا أخي أما علمت أن الموت أمامك لا تدري متى يأتيك صباحاً أو مساءً ليلاً أو نهاراً ثم القبر وهول المطلع ومنكر ونكير وبعد ذلك القيامة، يوم يخسر فيه المبطلون؛ فأبكاهم ومضى [١].

المال مال الله

عن إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم قال: نظر إبراهيم بن أدهم إلى رجل قد أصيب بمال ومتاع كثير وقع الحريق في دكانه فاشتد جزعه حتى خولط في عقله فقال له: يا عبد الله إن المال مال الله متعك به إن شاء وأخذه منك إن شاء فاصبر لأمره ولا تجزع فإن من تمام شكر الله على العافية الصبر له على المصيبة، ومن قدم وجد، ومن أخر فقد وندم.

يا رب أرني رفيقي في الجنة

قال إبراهيم بن أدهم يا رب أرني رفيقي في الجنة فقيل له في منامه إنها امرأة سوداء اسمها سلامة في مكان كذا ترعى الغنم فهي

(١) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، ١ / ٣١٩، ٣٧٤.

زوجتك في الجنة فلما سار إليها سلم عليها قالت: وعليك السلام يا إبراهيم قال: من أخبرك أني إبراهيم؟ قالت: النبي أخبرك أني زوجتك في الجنة فقال: يا سلامة عظيني قالت: عليك بقيام الليل فإنه يوصل العبد إلى ربه وإن كنت تدعي محبته فالنوم عليك حرام.

إبراهيم محب المحبين

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه رأيت في الماء كان ملكاً نزل من السماء فسألته عن حاله فقال: نزلت أكتب المحبين مثل ثابت البناني ومالك بن دينار وذكر جماعة فقلت: هل أنا منهم؟ قال: لا فقلت: إذا كتبتهم فاكتب تحتهم إبراهيم محب المحبين فقال الملك قد أمرني ربي في هذه الساعة أن أكتبك في أولهم [(١)]

ما خاطب به الهدهد سليمان عليه السلام

- وكان رضي الله عنه يقول: من تقرب إلى الله تعالى بتلف نفسه حفظ الله عليه نفسه، وقال رضي الله عنه لما حملت من مصر في الحديد إلى بغداد لقيتني امرأة زمنة فقالت: إذا دخلت على المتوكل فلا تهبه ولا تر أنه فوقك ولا تحتج لنفسك محقاً كنت أو متهما لأنك إن هبته سلطه الله عليك وإن حاججت عن نفسك لم يزدك ذلك إلا وبالا لأنك باهت الله فيما يعلمه وإن كنت بريئاً فادع الله تعالى أن ينتصر لك ولا تنتصر لنفسك فيكلك إليها فقلت لها: سمعاً وطاعة فلما دخلت على المتوكل سلمت عليه بالخلافة فقال لي: ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة. فسكت فقال وزيره، هو حقيق

---

(١) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - ٢٠٠١ / ٢٠٠٢، ١ / ٦٩، ٨٧، ١٣٣، ٢، ٢٩٥.

عندي بما قيل فيه ثم قال لي لم لا تتكلم؟ فقلت يا أمير المؤمنين إن قلت لا كذبت المسلمين وإن قلت نعم كذبت على نفسي بشيء لا يعلمه الله تعالى مني فافعل أنت ما ترى فإني غير منتصر لنفسي فقال المتوكل: هو رجل بريء مما قيل فيه فخرجت إلى العجوز فقلت لها: جزاك الله عني خيراً فعلت ما أمرتني به فمن أين لك هذا؟ فقالت: من حيث ما خاطب به الهدهد سليمان عليه السلام [١].

من يرعى الغنم؟!

قال أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي: لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة فقال لي: اجتمعت بالخضر عليه السلام فقدم لي قدحاً أخضر فيه رائحة السكباج فقال لي: كل يا إبراهيم فرددته عليه فقال: إني سمعت الملائكة تقول من أعطى فلم يأخذ، سأل فلا يعطي، وكان رضي الله عنه يقول: إذا كان العالم طامعاً، وللمال جامعاً فبمن يقتدي الجاهل، وإذا كان الفقير المشهور بالفقر راغباً في الدنيا، والتنعم بملابسها ومناكحها فبمن يقتدي الراغب حتى يخرج عن رغبته. وإذا كان الراعي هو الذئب فمن يرعى الغنم [٢].

من كلام إبراهيم بن أدهم:

- عن إبراهيم بن أدهم عن عمران القصير قال: كان يقال: إن خير خصلة أو أفضل خصلة تكون في الإنسان أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه وأرجاه لكل مسلم.

- حدث إبراهيم الشيخ بمصر قال: قال لي إبراهيم بن أدهم: يا أبا إسحاق اعبد الله سراً حتى يخرج على الناس يوم القيامة كميناً.

(١) الشعراني، الطبقات الكبرى، ١ / ٦٩.
(٢) الشعراني، الطبقات الكبرى، ١ /٧٥.

- عن إبراهيم بن أدهم قال: من أراد التوبة فليخرج من المظالم وليدع مخالطة من كان يخالط، وإلا لم ينل ما يريد.

- عن إبراهيم بن أدهم قال: التوبة الرجوع إلى الله بصفاء السر.

- عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: قلب المؤمن أبيض نقي مجلي محلى مثل المرآة، فلا يأتيه الشيطان من ناحية من النواحي بشيء من المعاصي إلا نظر إليه كما ينظر إلى وجهه في المرآة؛ فإذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب من ذنبه محيت النكتة من قلبه وانجلى، وإن لم يتب وعاود أيضاً وتتابعت الذنوب ذنب بعد ذنب نكت في قلبه نكتة نكتة حتى يسود القلب، وهو قول الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال: الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب في إبطاء، فما تنجع في هذا القلب المواعظ، فإن تاب إلى الله قبله الله وانجلى عن قلبه كجلي المرآة.

- وقال إبراهيم بن أدهم: ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه.

- عن إبراهيم بن أدهم قال: إن للذنوب ضعفاً في القوة، وقسوة في القلب؛ وإن للحسنات قوة في البدن، ونوراً في القلب.

- عن أبي عبد الله الملطي قال: كان عامة دعاء إبراهيم بن أدهم: اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك.

- عن خلف بن تميم سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: لا ينبغي للرجل أن يضع نفسه دون قدره، ولا يرفع نفسه فوق قدره.

- عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: إذا أردت أن تعرف الشيء بفضله فاقلبنه بضده فإذا أنت قد عرفت فضل ما أوتيت[1].

- عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: الهوى يردي وخوف الله يشفي، واعلم أن ما يزيل عن قلبك هواك إذا خفت من تعلم أنه يراك.

- قال إبراهيم العكاشي: سمعت إبراهيم بن أدهم رحمه الله يحدث الأوزاعي قال: قال مالك بن دينار: من عرف الله تعالى لفي شغل شاغل، الويل كل الويل لمن ذهب عمره في الدنيا باطلاً.

- قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه معصية الله بعيدة من الجوعان قريبة من الشبعان والله المستعان.

- قال إبراهيم بن أدهم: بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد بن صفوان: عظني وأوجز، فقال خالد: يا أمير المؤمنين إن أقواماً غرَّهم سترُ الله عز وجل، وفتنَهم حسنُ الثناء، فلا يغلبنَّ جهلُ غيرك بك علمَك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعن ما افترض الله متخلفين مقصّرين، وإلى الأهواء مائلين؛ قال: فبكى ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى.

- وقال إبراهيم بن أدهم من تأدب بآداب الصالحين صلح لبساط القربة ومن تأدب بآداب الأولياء صلح لبساط المحبة ومن تأدب بآداب الصديقين صلح لبساط المشاهدة [2].

(١) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، ١ /٣٤٨.
(٢) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس

- كان إبراهيم بن أدهم ماراً في بعض الطرق، فسمع رجلاً يغني بهذا البيت:

كل ذنب لك مغفو ::: ر سوى الإعراض عني

فغشي عليه، وسمع الشبلي رجلاً ينشد:

أردناكم صرفاً فإذ قد مزجتم ::: فبعداً وسحقاً لا نقيم لكم وزنا

- وقال إبراهيم بن أدهم: سألت راهباً من أين تأكل؟ قال: ليس هذا العلم عندي، ولكن سل ربي من أين يطعمني [1].

- كتب إبراهيم بن أدهم إلى سفيان الثوري: " من أطلق نظرة طال أسفُه، ومن أطلق أمله ساء عملُه، ومن أطلق لسانَه قتل نفسه.

- قال إبراهيم بن أدهم: الغيرة أن يهاجر من سواه حتى يبلغ مقام الأنس ويقف بين الخوف والرجاء [2].

- قال إبراهيم بن أدهم: اطلب لأخيك المعاذر من سبعين باباً، فإن لم تجد له عذراً فاعذره أنت.

- كان إبراهيم بن أدهم إذا نشط لعمل الخير ارتجز بقوله:

اجعل الله صاحباً ::: ودع الشر جانبا

ألم تر أن سير الخير ريث ::: وأن الشر صاحبه يطير

ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - ٢٠٠١ / ٢٠٠٢، ١ /٩١، ٢٠٢.

(١) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الأولى - ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م، ١/ ٢٩٦.

(٢) المشتولي، سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان، ١ / ٤٧.

- وقال إبراهيم بن أدهم: كنا نرجو الشباب، فإذا تكلم عند من هو أكبر منه أيسنا من كل خير عنده.

- وقال إبراهيم بن أدهم: نعم القوم السؤال! يحملون زادنا إلى الآخرة.

- وقال إبراهيم بن أدهم: ما لنا نشكو الفقر إلى فقراء مثلنا ولا نطلب كشفه من عند ربنا؟ ثكلت عبداً أمه أحب عبداً لدنياه ونسي ما في خزائن مولاه.

- وقال إبراهيم بن أدهم: لأن أدخ النار وقد أطعت الله أحب إلي من أن أدخل الجنة وقد عصيت الله.

- وقال إبراهيم بن أدهم: اكتسب فإنك إن لم تفعل احتجت فداهنت الناس للطمع، فخالفت حينئذ الحق وأهله.

- وكان إبراهيم بن أدهم إذا أهدي إليه شيء لم يرده، وكافأ بمثليه، فإذا لم يجد إلا ثوبه خلعه.

- وقال إبراهيم بن أدهم: كن ذنباً ولا تكن رأساً، فإن الذنب ينجو، والرأس يهلك.

- وقال إبراهيم بن أدهم: أنا منذ عشرين سنة في طلب أخ إذا غضب لم يقل إلا الحق فلم أجده [(١)].

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ /١٢٨ - ٢١٢ - ٢٤٤ - ٢٤٧ - ٢٦٨ - ٣٠٨ - ٤٢٠ - ٤٨٣.

- ورأى إبراهيم بن أدهم رجلاً يحدث بما لا يعنيه فوقف عليه وقال: أكلاماً ترجو منه ثواب؟ قال: لا قال: أفتأمن عليه العقاب؟ قال: لا قال: فعليك بذكر الله، ما تصنع بكلام لا ترجو منه ثواباً ولا تخاف عقاباً؟ .

- وكان إبراهيم بن أدهم إذا أصبح يقول: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون.

- وحمل رجل إلى إبراهيم بن أدهم شيئاً فقال: ألك مال؟ قال: نعم. قال: أتحب أكثر منه؟ قال: شديداً. قال: إنك فقير وأنا لا أقبل الصلة إلا من غني؛ عنى بذلك ما روي: الغنى غنى النفس (١).

- وقال رشيد بن سعد: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: أعز الاشياء في آخر الزمان ثلاثة،: أخ في الله يؤنس به، وكسب درهم من حلال، وكلمة حق عند سلطان.

- حدث إبراهيم بن بشار قال: قال لي إبراهيم بن أدهم: فروا من الناس فراركم من السبع الضاري ولا تتخلفوا عن الجمعة والجماعات.

- قال بشر بن الحارث: رئي إبراهيم بن أدهم مقبلاً من الجبل قيل له: من أين أقبلت؟ قال: من أنس الله عز وجل ثم قال:

(١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ / ٢٤٠، ٤٩٠، ٢ / ٣٢.

اتخذ الله مؤنساً ::: ودع الناس جانبا
وتشاغل بذكره ::: إن في ذكره الشفا
وارض منه بما قضى ::: إن في ذلك الغنا [(١)]

- قال إبراهيم بن أدهم لرجل في الطواف اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقاب.

أولاها: أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة

والثانية: أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل

والثالثة: أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد

والرابعة: أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر

والخامسة: أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر

والسادسة: أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت [(٢)]

- قال عبدالله السندي: قال إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه: خرج رجل في طلب العلم فاستقبل حجراً فإذا فيه اقلبني تعتبر فبقي الرجل لا يدري ما يصنع به فمضى ثم رجع فقلبه فإذا هو منقور أنت لا تعمل بما تعلم فكيف تطلب علم مالا تعلم قال: فانصرف الرجل إلى منزله.

- قال محمد بن أبي رجاء القرشي: قال إبراهيم بن أدهم: إنك إذا أدمت النظر في مرآة التوبة بان لك شين قبح المعصية.

(١) أبو الحسين بن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، ٢ / ١٥٣.

(٢) أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ١ / ٤٢.

- قال المتوكل بن الحسين: قال إبراهيم بن أدهم: الزهد ثلاثة أصناف فزهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالفرض الزهد في الحرام والفضل الزهد في الحلال والسلامة الزهد في الشبهات.

- إبراهيم بن أدهم قال: كان يقال ليس شيء أشد على إبليس من العالم الحليم إن تكلم تكلم بعلم وإن سكت سكت بحلم.

- وقال إبراهيم بن أدهم عن ابن عجلان قال: ليس شيء أشد على إبليس من عالم حليم إن تكلم تكلم بعلم وإن سكت سكت بحلم وقال إبليس: لسكوته أشد علي من كلامه.

- قال إبراهيم بن أدهم: نظرت فلم أجد الخلق أتوا في أفعالهم إلا من ثلاثة أشياء: من الفرج بالموجود، والحزن على المفقود، والسرور بالمدح، لأن من فرج بالموجود حرص، والحريص محروم، ومن حزن على المفقود سخط، والساخط معذب، ومن سر بالمدح أعجب، والمعجب ممقوت [(١)].

- وقال إبراهيم بن أدهم: فرغ قلبك من ذكر الدنيا، يفرغ عليك الرضا إفراغا.

هذه الدنيا وإن سر ::: ت قليل من قليل
إنما العيش جوار الله ::: في ظل ظليل
حيث لا تسمع ما يؤ ::: ذيك من قال وقيل

كفاك منغصاً للدنيا أن الله يعصي فيها.

- وكذلك كان إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه يقول: من آنسه الله بقربه أعطاه العلم من غير طلب وكان يقول ليس بعاقل من تعلم

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٣ /٩١.

العلم فعرف به ثم آثر بعد ذلك هواه على عمله، وليس بعاقل من طلب الإنصاف من غيره لنفسه ولم ينصف من نفسه غيره، وليس بعاقل من نسي الله في طاعته وذكر الله تعالى في مواضع الحاجة إليه.

- وكان رضي الله عنه يقول: تواضع لجميع خلق الله تعالى وإياك أن تتواضع لمن يسألك أن تتواضع له فإن سؤاله إياك يدل على تكبره في الباطن وتواضعك له يكون له عوناً على التكبر.

- وكان يقول رضي الله عنه: من نظر في عيوب الناس عمى عن عيب نفسه وكان يقول من طلب مع الخبز ملحاً لم يفلح في طريق القوم.

- وسئل رضي الله عنه عن كمال العقل وعن كمال المعرفة فقال: إذا كنت قائماً بما أمرت تاركاً لتكلف ما كفيت فأنت كامل العقل وإذا كنت بالله عز وجل متعلقاً وغير ناظر إلى سواه من أحوالك وأعمالك فأنت كامل المعرفة.

- وكان رضي الله عنه يقول: قد غلب على العباد والنساك والقراء في هذا الزمن التهاون بالذنوب حتى غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم وحجبوا عن شهود عيوبهم فهلكوا وهم لا يشعرون أقبلوا على أكل الحرام، وتركوا طلب الحلال ورضوا من العمل بالعلم يستحي أحدهم أن يقول فيما لا يعلم لا أعلم، هم عبيد الدنيا لا علماء الشريعة إذ لو علموا بالشريعة لمنعتهم عن القبائح إن سألوا ألحوا وإن سئلوا شحوا لبسوا الثياب على قلوب الذئاب اتخذوا مساجد الله التي يذكر فيها اسمه لرفع أصواتهم باللغو والجدال والقيل والقال،

واتخذوا العلم شبكة يصطادون بها الدنيا فإياكم ومجالستهم.

- وسئل رضي الله عنه عن الحديث لم لا تشتغل به فقال للحديث رجال وشغلي بنفسي استغرق وقتي والحديث من أركان الدين ولولا نقص دخل على أهل الحديث والفقه لكانوا أفضل الناس في زمانهم ألا تراهم بذلوا علمهم لأهل الدنيا يستحلبون دنياهم فحجبوهم واستكبروا عليهم وافتتنوا بالدنيا لما رأوا من حرص أهل العلم والمتفقهين عليها فخانوا الله ورسوله وصار إثم كل من تبعهم في عنقهم جعلوا العلم فخاً للدنيا وسلاحاً يكسبونها بعد أن كان سراجاً للدين يستضاء به.

- وسئل رضي الله عنه عن العلماء بالقرآن فقال: هم الذين نصبوا الركب والأبدان. صحبوا القرآن بأبدان ناحلة وشفاه ذابلة ودموع وابلة وزفرات عالية أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

- وكان رضي الله عنه يقول: العجب كل العجب من هؤلاء العلماء كيف خضعوا للمخلوقين دون الخالق وهم يدعون أنهم أعلى درجة من جميع الخلائق.

- وكان يقول: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن تراه ساهياً لاهياً لاغياً معرضاً عن ذكر الله تعالى.

- وكان رضي الله عنه يقول: إن الله تعالى لم يمنح أعداءه المحبة لجلاله وإنما صان أولياءه الذين أطاعوه أن يجمع بينهم وبين أعدائه الذين عصوه.

- وكان يقول: العارف لا يدوم على حزن ولا يدوم على سرور ثم قال: مثل العارف في هذه الدار مثل رجل توج بتاج الكرامة

وأجلس على سرير في بيته قد علق فوق رأسه سيف بشعرة وأرسل على بابه سبعان ضاريان فيشرف على الهلاك ساعة بعد ساعة فأنى له السرور وأنى له الحزن قال بعضهم: السيف المعلق فوق رأسه الأحكام، والضاريان اللذان على الباب الأمر والنهي.

قال إبراهيم بن أدهم: أعربنا في الكلام فلم نلحن، ولحنا في الأعمال فلم نعرب.

- قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: أنا منذ عشرين سنة في طلب أخ إذا غضب لم يقل إلا الحق فما أجده (١).

- وقال ابن بكار: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: نحن نسل من نسل الجنة سبانا منها إبليس بالمعصية، وحقيق على ابن آدم ألا يهنأ بعيشه حتى يرجع إلى وطنه (٢).

- قال إبراهيم بن أدهم: إذا بات الملوك على اختيارهم لأنفسهم، فبت على اختيار الله لك وارض به.

- أصيب مكتوباً على صخرة: لست مدركاً أملك، ولا فائتاً أجلك، ولا آخذاً ما ليس لك (٣).

* * *

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٤ / ٩٧.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٤ / ٢٣٨.
(٣) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ / ٢٣٩.

بشر الحافـي

أعـــلام التصـوف

بشر الحافي

هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي أبو نصر الزاهد المعروف بالحافي. كان اسم جده عبد الله الغيور، أسلم على يدي علي بن أبي طالب.

وكان مولده ببغداد سنة خمسين ومائة، وتعلم الحديث والفقه بها من حماد بن زيد وعبد الله بن المبارك وابن مهدي وأبي بكر بن عياش وتعلم علي يديه مجموعة من العلماء منهم: أبو خيثمة وزهير بن حرب وسري السقطي والعباس بن عبد العظيم ومحمد بن حاتم.

ثم اشتغل بالعبادة واعتزل الناس ولم يحدث، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة في عبادته وزهادته وورعه ونسكه وتقشفه.

قال الإمام أحمد يوم بلغه موته: لم يكن له نظير إلا عامر بن عبد قيس ولو تزوج لتم أمره، وفي رواية عنه أنه قال: ما ترك بعده مثله، وقال إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلاً منه، ولا أحفظ للسانه منه، ما عرف له غيبة مسلم، وكان في كل شعرة منه عقل ولو قسم عقله على أهل بغداد لصاروا عقلاء وما نقص من عقله شيء، وذكر غير واحد أن بشراً كان لصاً في بدء أمره، وأن سبب توبته أنه وجد رقعة فيها اسم الله عز وجل في أتون حمام فرفعها ورفع طرفه إلى السماء وقال: سيدي اسمك ههنا ملقى يداس ثم ذهب إلى عطار فاشترى بدرهم غالية وضمخ تلك الرقعة منها ووضعها حيث لا تنال، فأحيا الله قلبه وألهمه رشده وصار إلى ما صار إليه من العبادة والزهادة.

صحب الفضيل بن عياض ورأى سريا السقطي، وغيره.

أقام بشر بن الحارث بعبادان يشرب ماء البحر، ولا يشرب من حياض السلطان، حتى أضر بجوفه، ورجع إلى أخته وجعاً، وكان يعمل المغازل، ويبيعها، فذاك كسبه.

ولقب بالحافى لأنه جاء إلى إسكاف يطلب منه شسعاً لأحد نعليه، وكان قد انقطع، فقال له الإسكاف: " وما أكثر كلفتكم على الناس! " فألقى النعل من يده والأخرى من رجله، وحلف لا يلبس نعلاً بعدها.

مات عشية الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول - وقيل: لعشر خلون من المحرم - سنة سبع وعشرين ومائتين، وقد بلغ من العمر خمساً وسبعين سنة (١).

وحين مات اجتمع في جنازته أهل بغداد عن بكرة أبيهم فأخرج بعد صلاة الفجر فلم يستقر في قبره إلا بعد العتمة، وكان علي المدائني وغيره من أئمة الحديث يصيح بأعلى صوته في الجنازة هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة، وقد روي أن الجن كانت تنوح عليه في بيته الذي كان يسكنه، وقد رآه بعضهم في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ولكل من أحبني إلى يوم القيامة.

وروي أن سفيان بن محمد المصيصي قال: رأيت بشر بن الحارث في النوم فقلت: ما فعل الله تعالى بك؟ قال: غفر لي وأباح لي نصف الجنة وقال لي: يا بشر لو سجدت على الجمر ما أديت شكر ما جعلت لك في قلوب عبادي (٢).

---

(١) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٦.
(٢) طبقات ابن سعد، ٧ / ٣٤٢، تاريخ ابن معين، ٥٨، المعارف، ٥٢٥، الجرح والتعديل،

قال أحمد بن حنبل: لو كان بشر تزوج، لتم أمره.

قال إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلاً من بشر، ولا أحفظ للسانه، كان في كل شعرة منه عقل، وطئ الناس عقبه خمسين سنة، ما عرف له غيبة لمسلم، ما رأيت أفضل منه!

مواقف من حياته رحمه الله:

المحبوب لا يدرى ما حاله!

ولقيه سكران، فجعل يقبله ويقول: " يا سيدي! " ولا يدفعه بشر عن نفسه، فلما ولى تغرغرت عينا بشر، وجعل يقول: " رجل أحب رجلاً على خير توهمه! لعل المحب قد نجا، والمحبوب لا يدرى ما حاله! " (١).

أليس كنت تبغضهم؟ !

قال أبو عبد الله المحاملي:حدثني أبى قال: كان عندنا رجل من التجار صديقاً لي، وكان يقع في الصوفية كثيراً، ثم رأيته بعد ذلك يصحبهم، وينفق عليهم ماله. فقلت له: " أليس كنت تبغضهم؟ ! " فقال: " ليس الأمر على ما كنت أتوهم ". فقلت له: " كيف؟ ". قال: " صليت يوماً الجمعة، فرأيت بشراً مسرعاً خارجاً من المسجد، فقلت في نفسي: لأنظرن إلى هذا الزاهد!. فاشترى خبز الماء بدرهم، ثم

---

٢ / ٣٥٦، طبقات الصوفية، ٣٩ - ٤٣، حلية الأولياء، ٨ / ٣٣٦ - ٣٦٠، تاريخ بغداد، ٧ / ٦٧، صفة الصفوة، ٢ / ١٨٣ - ١٩٠، اللباب، ١ / ٣٣١، ٣٣٢، وفيات = الأعيان، ١ / ٢٧٤ - ٢٧٧، تذهيب التهذيب ١ / ٨٣ / ١، العبر ١ / ٣٩٩، دول الإسلام ١ / ١٣٧، مرآة الجنان ٢ / ٩٢، البداية والنهاية ١٠ / ٢٩٧ - ٢٩٩، طبقات الأولياء ١٠٩ - ١١٨، تهذيب التهذيب ١ / ٤٤٤، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٤٩، ٢٥٠، خلاصة تذهيب الكمال، ٤٨، طبقات الشعراني ١ / ٨٤ - ٨٦، شذرات الذهب ٢ / ٦٠ - ٦٢، شرح الرسالة القشيرية ١ / ٨٨ - ٩٤.

(١) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٧.

شواء بمثله؛ فزادني غيظاً. ثم قالوا ذجاً بدرهم؛ فتبعته فخرج إلى الصحراء، وأنا أقول: " يريد الخضرة والماء! ". فما زال يمشي إلى العصر وأنا خلفه، فدخل مسجداً في قرية، فيه مريض، فجعل يلقمه. فقمت أنظر إلى القرية وعدت، فقلت للمريض: " أين بشر؟ ". قال: " ذهب إلى بغداد ". قلت: " كم بيني وبينها؟ ". قال: " أربعون فرسخاً ". فقلت: " أنا لله! " فقال: " اجلس حتى يرجع ". فجاء الجمعة القابلة، ومعه شئ يطعمه للمريض، فلما فرغ قال له: " يا أبا نصر! هذا الرجل صحبك من بغداد، وهو عندي منذ جمعة ". قال فنظر إلى كالمغضب، وقال: " لم صحبتنى؟ ! " قلت: " أخطأت! " قال: " قم فامش! ". فمشيت إلى المغرب، فلما قربنا من بغداد قال: " اذهب إلى محلتك ولا تعد! " فتبت إلى الله مما كنت أعتقده فيهم، ثم آثرت صحبتهم، وأنا على ذلك " (١).

أواسيهم بنفسي

وقال بعضهم: " دخلت على بشر في يوم شديد البرد، وقد تعرى من ثيابه وهو ينتفض، فقلت له: " الناس يزيدون من الثياب فى مثل هذا اليوم، وأنت قد نقصت؟ ! " فقال: " ذكرت الفقراء، وما هم فيه، ولم يكن لي ما أواسيهم به، فأردت أن أواسيهم بنفسي في مقاساة البرد " (٢).

لو ألهمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة!

وقال منصور الصياد: " مر بي بشر - وهو منصرف من صلاة العيد - فقال لى: " فى هذا الوقت؟ ! " فقلت: " ليس في البيت دقيق

(١) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٧.
(٢) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٧.

ولا خبز! " فقال: " الله المستعان! احمل شبكتك وتعال إلى الخندق ". وأمرني بالوضوء وصلاة ركعتين، ثم قال لي: " ألقها، وقل: بسم الله! " فألقيتها، فوقعت فيها سمكة كبيرة، فقال: " بعها! " فبعتها بعشرة دراهم، واشتريت منها جميع ما يحتاجون اليه. ثم أخذت رقاقتين وعليهما حلوى، وجئت بهما إلى بشر، فدققت الباب، فقال: " من؟ " قلت: " منصور الصياد! " فقال: " ادفع الباب، وضع ما معك في الدهليز، وادخل أنت " فدخلت، فقال " لو ألهمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة! " [(١)].

ذهب عنك اسم الحافى

وروى أنه أتى باب المعافى بن عمران فدقه، فقيل: " من؟ " قال: " بشر الحافى " فقال: بنية من داخل الدار: " لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك اسم الحافى " [(٢)].

دخلت دار بشر

وروى أن امرأة جاءت إلى أحمد بن حنبل، فقالت: " إنى امرأة أغزل بالليل والنهار، وأبيع الغزل، ولا أبين غزل النهار من الليل، فهل على فى ذلك شىء؟ . فقال: " يجب أن تبيني! " ثم انصرفت، فقال أحمد لأبنه: " اذهب فانظر أين تدخل! ". فرجع فقال: " دخلت دار بشر " [(٣)].

(١) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٧.
(٢) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٨.
(٣) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٨.

فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت

وقال محمد بن نعيم: " دخلت على بشر في علته، فقلت: " عظني! ". فقال: " إن في هذه الدار نملة، تجمع الحب فى الصيف لتأكله في الشتاء؛ فلما كان يوماً أخذت حبة في فمها، فجاء عصفور فأخذها، فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت " (١).

الموتى داخل السور أكثر

قال أبو بكر الباقلاني: سمعت بشر بن الحارق ونحن معه بباب حرب، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال: الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور (٢).

لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلم

قال عباس بن دهقان: قلت لبشر بن الحارث أحب أن أخلو معك قال إذا شئت فبكرت يوماً فرأيته قد دخل قبة فصلى أربع ركعات فسمعته يقول في سجوده: اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحب إلي من الشرف اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى اللهم إنك تعلم فوق عرشك أني لا أوثر على حبك شيئاً فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء فلما سمعني قال: أنت تعلم أني لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلم (٣).

(١) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٩.
(٢) وفيات الأعيان، ١ /٤٦٨.
(٣) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، العلو للعلي الغفار، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ص ١٧٢.

الحمد لله الذي أرضى بشراً بما صنعنا

- أدخل أحمد بن حنبل الكير فخرج ذهباً أحمر وآل علي فبلغ ذلك أحمد فقال: الحمد لله الذي أرضى بشراً بما صنعنا [(١)].

المحدثون كثير

قال الحسن بن سعيد: كنا يوماً عند بشر بن الحارث فجاء رجل من خراسان فبرك قدامه فقال له: يا أبا نصر أنا وفد خراسان حدثني بخمسة أحاديث أذكرك بها بخراسان فلم يزل يتذلل له وبشر يقول له: المحدثون كثير فلم يزل يداريه ويجتهد به فلما رأى أنه لا ينفعه شيء قال له: يا أبا نصر أليس تروي عن عيسى عليه السلام أنه قال من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعي عظيما في ملكوت السماء قال له: كيف؟ قلت: أعد علي فأعاد عليه القول من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعي عظيماً في ملكوت السماء قال له: صدقت قد علمنا حتى نعمل ثم نعلم [(٢)].

فأبشر يا أبا نصر

قال أحمد بن محمد بن غزوان: بكرت أنا وأخي في غداة باردة جداً إلى بشر فألفيناه على بابه معه خليل الخياط ثم قام يمشي أمامنا وعليه فرو خلق وخف قصير فوق عقبه فقام ليخرج إلى السوق وعليه إزار لطيف جداً فما مر بواحد أو أكثر إلا رفع صوته وقال: السلام عليكم فلما خرج إلى السوق وقف على رجل دقاق فسأله عن سعر الدقيق بالأمس فقال: ناقص فابشر يا أبا نصر فحمد الله وأخذ.

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٣٦.
(٢) حلية الأولياء، ٨ /٣٣٧.

أشتهي أن أمرض بلا عواد

ومما سمعت من كلامه أن بشراً أرجف الناس بموته بباب الطاق في يوم مطير فجئت في المطر والطين حتى بلغت بابه فإذا على بابه ثلاثة نفر شيخ منهم يقول إنما جئنا نعودك يا أبا نصر فقال لهم وهو يبكي: لا حاجة لي في عيادتكم اذهبوا عني فقد آذيتموني وهو يبكي وقال: قال فضيل أشتهي أن أمرض بلا عواد [١]

كيف أتكلم في النبيذ

قال محمد بن يوسف الجوهري: سألت بشر بن الحارث عن النبيذ فقال: قد ضاق على الماء فكيف أتكلم في النبيذ[٢]

أنت قلت ولم تعمل

قال محمد بن إسحاق أمام سلامة قلت لبشر بن الحارث: إني أحب أن أسلك طريق إبراهيم بن أدهم قال: لا تقوى قلت ولم ذاك؟ قال: لأن إبراهيم عمل ولم يقل وأنت قلت ولم تعمل [٣]

تغتم لي حية وميتة

- قال محمد بن الهيثم: كنت أدخل على أخت بشر في صغري فأعطتني يوماً كبة من غزل فقالت: بع هذه الكبة واشتر خبزاً وسمكاً ففعلت فدخل بشر والخبز والسمك موضوع فقال بشر: ما هذا الطعام؟ قالت: رأيت أمي وأمك في المنام فقالت: إن أردت فرحي وإدخالك السرور علي فبيعي من غزلك واشتري خبزاً وسمكاً فان أخاك بشراً يشتهيها قالت: فلما ذكرت أمي وأمه بكى وقال: رحمها الله

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٣٨.
(٢) حلية الأولياء، ٨ /٣٤٠.
(٣) حلية الأولياء، ٨ /٣٤٨.

تغتم لي حية وميتة فقال بشر: إني لأشتهيه منذ خمس وعشرين سنة ما كان الله عز وجل يراني أن أرجع في شئ تركته لله. وكان غزل أخته فيما ذكر أنها قصدت أحمد بن حنبل فقالت: إنا قوم نغزل بالليل ومعاشنا منه وربما يمر بنا مشاعل بني طاهر ولاة بغداد ونحن على السطح فنغزل في ضوئها الطاقة والطاقتين أفتحله لنا أم تحرمه فقال لها: من أنت؟ قالت: أخت بشر فقال: آه يا آل بشر لا عدمتكم لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم(١).

ما يكره الموت إلا مريب

قال عمر بن موسى: سمعت بشر بن الحارث يقول: لقد شهرني ربي في الدنيا فليته لايفضحني في القيامة ما أقبح بمثلي يظن فيَّ ظناً وأنا على خلافه إنما ينبغي لي أن أكون أكثر مما يظن بي أني أكره الموت وما يكره الموت إلا مريب ولولا أني مريب لأي شيء أكره الموت (٢).

يطعم هذا من يعصيه

وقال رجل: رأيت بشر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر فقلت: يا أبا نصر لعلك تشتهي من هذا شيئاً قال: لا ولكن نظرت في هذا إذا كان يطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه (٣).

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٥٣.
(٢) صفة الصفوة، ٢ /٣٢٦.
(٣) صفة الصفوة، ٢ /٣٢٦.

ينبغي أن أستحي من الله

وعن أبي بكر المروزي قال: سمعت بعض القطانين يقول أهدى إلي أستاذي رطباً وكان بشر يقيل في دكاننا في الصيف فقال له: أستاذي يا أبا نصر هذا من وجه طيب فإن رأيت أن تأكل قال: فجعل يمسه بيده ثم ضرب بيده إلى لحيته وقال: ينبغي أن أستحيي من الله إني عند الناس تارك لهذا وآكله في السر(١).

- حكي عن بشر أنه قال: ربما رفعت يدي في الدعاء فأردها أو قال فأستلها أقول إنما يفعل هذا من له عنده وجه.

أني أخاف أن أسكت

وعن الفتح بن شحرف قال: كنت جالساً عند بشر إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة فأطرق ملياً ثم رفع رأسه ثم أطرق ثم رفع رأسه فقال: اللهم

إنك تعلم أني أخاف أن أتكلم اللهم إنك تعلم أني أخاف أن أسكت اللهم إنك تعلم أني أخاف أن تأخذني فيما بين السكوت والكلام.

تفكرت في بشر

وعن زبدة أخت بشر بن الحارث قالت: دخل بشر علي ليلة من الليالي فوضع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارج الدار وبقي كذلك يتفكر حتى أصبح فلما أصبح قلت له: في ماذا تفكرت طول الليلة؟ قال: تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي وبشر المجوسي ونفسي واسمي بشر فقلت: مالذي سبق منك حتى خصك

(١) صفة الصفوة، ٢ /٣٢٧.

فتفكرت في تفضله علي وحمدته علي أن جعلني من خاصته وألبسني لباس أحبائه.

إليك عني تأكلين قوتي

وقال بشر: كان لي سنور فكنت إذا وضعت طعامي بين يدي جاءت فعيناها في عيني فآكل وأرمي لها قال: فقلت: إليك عني تأكلين قوتي[١].

هكذا ندفع الدنيا

وعن عمرو بن موسى بن فيروز قال: رأيت بشراً ومعه رجل فتقدم إلى بئر ليشرب منها فجذبه بشر وقال: تشرب من البئر الأخرى حتى جاوز ثلاثة آبار فقال له الرجل: أبا نصر أنا عطشان فقال له بشر: اسكت فهكذا ندفع الدنيا [٢].

أنين المريض

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: دخلت امرأة على أبي فقالت له: يا أبا عبد الله، إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السراج، وربما طفىء السراج فأغزل على ضوء القمر، فهل علي أن أبين غزل السراج من غزل القمر فقال لها أبي: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك، فقالت له: يا أبا عبد الله أنين المريض هل هو شكوى فقال لها: إني أرجو أن لا يكون شكوى، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى، ثم انصرفت؛ قال عبد الله: فقال لي أبي: يا بني ما سمعت إنساناً قط يسأل عن مثل ما سألت هذه المرأة، اتبعها؛ قال عبد الله:

(١) صفة الصفوة، ٢ /٣٢٨.
(٢) صفة الصفوة، ٢ /٣٣٣.

فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافي، فعرفت أنها أخت بشر، فأتيت أبي فقلت له: إن المرأة أخت بشر الحافي، فقال أبي: هذا والله هو الصحيح، محال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافي.

من ههنا أتيت

وقال عبد الله أيضاً: جاءت مخة أخت بشر الحافي إلى أبي فقالت: يا أبا عبد الله، رأس مالي دانقان أشتري بهما قطناً فأغزله وأبيعه بنصف درهم، فأنفق دانقاً من الجمعة إلى الجمعة، وقد مر الطائف ليلة ومعه مشعل فاغتنمت ضوء المشعل وغزلت طاقين في ضوئه، فعلمت أن الله سبحانه وتعالى في مطالبة، فخلصني من هذا خلصك الله تعالى، فقال أبي: تخرجين الدانقين ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيراً منه؛ قال عبد الله: فقلت لأبي: لو قلت لها حتى تخرج رأس مالها، فقال: يابني سؤالها لا يتحمل التأويل، فمن هذه المرأة فقلت: هي مخة أخت بشر الحافي، فقال أبي: من ههنا أتيت.

وقال بشر الحافي: تعلمت الزهد من أختي فإنها كانت تجتهد ألاَّ تأكل ما لمخلوق فيه صنع [(١)].

خشيت على نفسي شيطانيه

وقفت جارية لم ير أحسن وجها منها على بشر الحافي فسألته عن باب حرب، فدلها، ثم وقف عليه غلام حسن الوجه فسأله عن باب حرب، فأطرق رأسه، فرد عليه الغلام السؤال فغمض عينيه، فقيل له: يا أبا نصر جاءتك جارية فسألتك فأجبتها، وجاءك هذا

(١) وفيات الأعيان، ١ /٢٧٦.

الغلام فسألك فلم تكلمه؟ فقال: نعم يروى عن سفيان الثوري أنه قال: مع الجارية شيطان، ومع الغلام شيطانان، فخشيت على نفسي شيطانيه.

إن كنت حراً فاصنع ما شئت

يروى أن بشراً الحافي مر على بيت فسمع فيه صوت الدفوف، والمزامير، والغناء! فقرع الباب، فخرجت إليه امرأة، قال لها: من صاحب هذا البيت؟ قالت: ماذا تريد منه؟ قال: أريد أن أعلم أعبد هو أم حر؟ قالت: لا بل هو حر، قال لها: أخبريه بأن بشراً الحافي يقول لك: إن كنت حراً فاصنع ما شئت، وإن كنت عبداً فلا تتصرف إلا بإذن سيدك.

فضحكت المرأة وذهبت للرجل، وقالت: في الباب رجل مخبول! يقول: كذا وكذا، قال: كلا والله! هذا هو عين العقل، صدق، أنا عبد ولست حراً، أنا عبد لله عز وجل، وما عندي من مال ومتاع، لا يجوز لي أن أتصرف فيه إلا بإذن سيدي وهو الله تعالى، فتاب إلى الله تعالى، وكسر مزاميره، وطنابيره، وأقلع عما كان يفعله.

لا يعرفون الله إلا في رمضان!

- ولمَّا سُئِل بشر الحافي رحمه الله عن أناس يتعبدون في رمضان ويجتهدون، فإذا انسلخ رمضانُ تركوا، قال: بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان!

لا يؤاخذك الله على هذا

- عن محمد بن نصر الخزاعي الصائغ قال: سمعت بشر بن الحارث الحافي وقد ضحك عنده رجل فقال: احذر يا ابن الأخ لا يؤاخذك الله على هذا.

من أين تأكل؟

وقيل لبشر الحافي: من أين تأكل؟ قال: من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك.

هو ماء بشر الحافي

ولما مرض بشر الحافي رحمه الله تعالى قالوا أندعو لك طبيباً فقال: إني بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فألح عليه أهله وقالوا لا بد أن ندفع ماءك إلى الطبيب فقال لأخته: ادفعي إليهم الماء في قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمي وكان حاذقاً في الطب فأتوه بمائه في القارورة فلما رآه قال: حركوه فحركوه ثم قال: ضعوه ثم قال: ارفعوه فقالوا له: ما بهذا وصفت لنا؟ قال: وبم وصفت لكم؟ قالوا: بالحذق والمعرفة قال: هو كما تقولون غير أن هذا الماء إن كان ماء نصراني فهو راهب قد فتتت كبده العبادة وإن كان مسلماً فهو ماء بشر الحافي فإنه أوحد أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى قالوا: هو ماء بشر الحافي فأسلم النصراني وقطع زناره فلما رجعوا إلى بشر قال لهم: أسلم الطبيب فقالوا: ومن أعلمك؟ قال: لما خرجتم من عندي هتف لي هاتف وقال: يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة (١).

(١) وفيات الأعيان، ١ /٢٧٧.

من كلامه رحمه الله:

- " لا تكون كاملًا حتى يأمنك عدوك، وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك؟ ! ".

- أول عقوبة يعاقب بها ابن آدم في الدنيا مفرقة الأحباب ".

- من أراد أن يكون عزيزاً فى الدنيا سليماً في الآخرة فلا يحدث، ولا يشهد، ولا يؤم قوماً، ولا يأكل لأحد طعاماً ".

- " غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه، وإخفاء مكانه عنهم ".

- " التكبر على المتكبر من التواضع ".

- " من أراد عز الدنيا وشرف الآخرة فعليه بثلاث: لا يأكل طعام أحد، ولا يسأل أحداً حاجة، ولا يذكر إلا بخير ".

- " يكون الرجل مرائياً في حياته، وبعد موته يحب أن يكثر الناس على جنازته! ".

- " لو علمت أن أحداً يعطى لله لأخذت منه، ولكن يعطى بالليل ويحدث بالنهار ".

- " يقول أحدهم: توكلت على الله! ويكذب، لأنه لو توكل على الله صادقاً لرضى بما يفعله به ".

- " إذا أراد الله أن يتحف العبد سلط عليه من يؤذيه ".

- " الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه للناس ".

- وقيل له: باى شئ آكل الخبز؟ " فقال: " اذكر العافية، واجعلها إداماً! ".

- وقال، يوم ماتت أخته: " إن العبد إذا قصر في الطاعة سلب من يؤنسه " [١].

- " عليك بلزوم بيتك، وترك ملاقاة الناس ".

- إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم، وإذا هممت بغلاء السعر فاذكر الموت فإنه يذهب عنك هم الغلاء[٢].

- لا ينبغي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من يصبر على الأذى.

- ينبغي لهؤلاء القوم الذين يعتكفون على هذا المسكر أن لا تقبل لهم شهادة.

- لو تفكر الناس في عظمة الله لما عصوا الله.

من سأل الله تعالى الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف.

- قال بشر بن الحارث وقيل له: مات فلان قال: وجمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه فقيل له: إنه كان يفعل ويفعل وذكر أبوابا من أبواب البر فقال: ما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا [٣].

- عز المؤمن استغناؤه عن الناس وشرفه قيامه بالليل.

- إرضاء الخلق غاية لا تدرك.

- ما أنا بشيء من عملي أوثق به مني بحبي أصحاب ﷺ.

(١) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٨.
(٢) وفيات الأعيان، ١ /٤٦٨.
(٣) حلية الأولياء، ٨ /٣٣٧.

- أوثق عملي في نفسي حب أصحاب محمد ﷺ [(١)].

- قال سليمان بن يعقوب: قلت لبشر بن الحارث: عظني قال: انظر خبزك من أين هو ولا تعرض للنار [(٢)].

- عليكم بالرفق والاقتصاد في النفقة فلأن تبيتوا جياعاً ولكم مال أحب إليَّ من أن تبيتوا شباعاً وليس لكم مال.

- قال الفضل بن العباس الحلبي: سمعت أبا نصر بشر بن الحارث وذكر العلم وطلبه فقال: إذا لم يعمل به فتركه أفضل والعلم هو العمل فاذا أطعت الله علمك وإذا عصيته لم يعلمك والعلم أداة الأنبياء إلى احتجابهم فذكر أن النبي ﷺ أدى إلى أصحابه فتمسكوا به وحفظوه وعملوا به ثم أدوه إلى قوم فذكر من فضلهم وأدوا أولئك إلى قوم آخرين فذكر الطبقات الثلاث ثم قال أبو نصر: وقد صار العلم إلى قوم يأكلون به [(٣)].

- لا تطلب علماً تهينه للناس هذا هو الداء الأكبر.

- ما خلف رجل في بيته أفضل أو خيراً من ركعتين يصليهما.

- الصبر هو الصمت والصمت من الصبر ولا يكون المتكلم أورع من الصامت إلا رجل عالم يتكلم في موضعه ويسكت في موضعه.

كتب بشر بن الحارث أبو نصر إلى أبي الحسن علي بن خشرم السلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني أسأل

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٣٧.
(٢) حلية الأولياء، ٨ /٣٣٨.
(٣) حلية الأولياء، ٨ /٣٤٠.

الله أن يتم ما بنا وبكم من نعمة وأن يرزقنا وإياكم الشكر على إحسانه وأن يميتنا ويحيينا وإياكم على الإسلام وأن يسلم لنا ولكم خلفاً من تلف وعوضاً من كل رزية أوصيك بتقوى الله يا علي ولزوم أمره والتمسك بكتابه ثم اتباع آثار القوم الذين سبقونا بالإيمان وسهلوا لنا السبل فاجعلهم نصب عينيك وأكثر عرض حالاتهم عليك تأنس بهم في الخلاء ويغنوك عن مشاهدة الملأ فمثل حالهم كأنك تشاهدهم فمجالسة أصحاب النبي ﷺ أوفق من مجالسة الموتى ومن يرقب منك زلتك وسقطتك إن قدر عليها فإن لم يقدر عليها جعل جليسا أن رآه عندك عيبك فرماك بما لم يره الله منك واعلم علمك الله الخير وجعلك من أهله أن أكثر عمرك فيما أرى قد انقضى ومن يرضى حاله قد مضى وأنت لاحق بهم وأنت مطلوب ولا تعجز طالبك وأنت أسير في يديه وكل الخلق في كبريائه صغير وكلهم إليه فقير فلا يشغلنك كثرة من يحبك وتضرع إليه تضرع ذليل إلى عزيز وفقير إلى غني وأسير لا يجد ملجأ ولا مفراً يفر إليه عنا وخائف مما قدمت يداه غير واثق على ما يقدم لا يقطع الرجاء ولا يدع الدعاء ولا يأمن من الفتن والبلاء فلعله إن رآك كذلك عطف عليك بفضله وأمدك بمعونته وبلغ بك ما تأمله من عفوه ورحمته فافزع إليه في نوائبك واستعنه على ما ضعفت عنه قوتك فإنك إذا فعلت ذلك قربك بخضوعك له ووجدته أسرع إليك من أبويك وأقرب إليك من نفسك وبالله التوفيق وإياه أسأل خير المواهب لنا ولك واعلم يا علي أنه من ابتلى بالشهرة ومعرفة الناس فمصيبته جليلة فجبرها الله لنا ولك بالخضوع والاستكانة والذل لعظمته وكفانا وإياك فتنتها وشر عاقبتها فإنه تولى ذلك من أوليائه ومن أراد توفيقه وارجع إلى أقرب الأمرين بك الى إرضاء

ربك ولا ترجعن بقلبك الى محمدة أهل زمانك ولا ذمهم فإن من كان يتقي ذلك منه قد مات وإنارة إحياء القلوب من صالح أهل زمانك وإنما أنت في محل موتي ومقابر أحياء ماتوا عن الآخرة ودرست عن طرقها آثارهم هؤلاء أهل زمانك فتوار مما لا يستضاء فيها بنورالله ولا يستعمل فيها كتابه إلا من عصم الله ولا تبال من تركك منهم ولا تأس على فقدهم واعلم أن حظك في بعدهم أوفر من حظك في قربهم وحسبك الله فاتخذه أنيساً ففيه الخلف منهم فاحذر أهل زمانك وما العيش مع من يظن به في زمانك الخير ولا مع من يسيء به الظن خير وما ينبغي أن يكون طلعة أبغض إلى عاقل تهمه نفسه من طلعة إنسان في زمانك لأنك منه على شرف فتنة إن جالسته ولا تأمن البلاء إن جانبته وللموت في العزلة خير من الحياة وإن ظن رجل أن ينجو من الشر يأمن خوف فتنة فلا نجاة له إن أمكنتهم من نفسك آثموك وإن جانبتهم أشركوك فاختر لنفسك واكره لها ملابستهم وأرى أن الفضل اليوم ما هو إلا في العزلة لأن السلامة فيها وكفى بالسلامة فضلاً اجعل أذنك عما يؤثمك صماء وعينك عنه عمياء احذر سوء الظن فقد حذرك الله تعالى ذلك وذلك قوله تعالى إن بعض الظن إثم والسلام [1].

- حب لقاء الناس حب الدنيا وترك لقاء الناس ترك الدنيا.
- لا أعلم رجلاً أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح.
- يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس.
- إذا كان لك صديق فلا تدل عليه الفقراء لا يكسرونه عليك.

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٤١.

- سكون النفس إلى المدح وقبول المدح لها أشد عليها من المعاصي(١).

- قال بشر بن الحارث وقد سئل عن من يغتاب الناس يكون عدلاً قال: لا إذا كان مشهوراً بذلك فهو الوضيع.

- إذا قل عمل العبد ابتلى بالهم.

- من أراد أن يكون عزيزاً في الدنيا سليماً في الآخرة فلا يحدث ولا يشهد ولا يؤم قوماً ولا يأكل لأحد طعاماً (٢).

- لا تعط شيئاً لمخافة ملامة الناس.

- من جلس والأقداح تدور لا تقبل شهادته.

- اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك.

- من أراد أن يلقن الحكمة فلا يعص الله

- ما اتقى الله من أحب الشهرة.

- لقي حكيم حكيماً فقال أحدهما لصاحبه: لا يراك الله عندما نهاك ولا يفقدك عندما أمرك.

- لا تعمل لتذكر ورد لله ما يريد (٣).

- إذا أعجبك الكلام فاصمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم.

- إذا اهتممت لغلاء السعر فاذكر الموت فإنه يذهب عنك هم الغلاء قال: وسمعت بشر بن الحارث يقول: إذا ذكرت الموت ذهب

---

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٤٣.
(٢) حلية الأولياء، ٨ /٣٤٤.
(٣) حلية الأولياء، ٨ /٣٤٦.

عنك صفوة الدنيا وشهواتها وذهبت عنك شهوة الجماع عند ذكر الموت.

- إنما أنت متلذذ تسمع وتملي إنما يراد من العلم العمل استمع وتعلم واعمل وعلم واهرب ألم تر إلى سفيان الثوري كيف طلب العلم فعلم وعمل وعلم وهرب وطلب العلم إنما يدل على الهرب من الدنيا ليس على حبها.

- إن لم تعمل فلا تعص.

- من عامل الله بالصدق استوحش من الناس.

- اكتم حسناتك كما تكتم سيآتك.

- إن استطعت أن تكون في موضع يحسبون أنك لص فافعل وإن استطعت أن تزيد ولا تنقص.

- ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت وليس أحد يزهد في الدنيا إلا أحب الموت حتى يلقى مولاه.

- العجب أن تستكثر عملك وتستقل عمل الناس أو عمل غيرك.

- لا تسأل عن مسائل تعرف بها عيوب الناس لا تقع في ألسنة الناس وإذا سألت عن مسألة فاعمل فإن لم تطق فاستعن بالله (١).

- يقول من حرم المعرفة لم يجد للطاعة حلاوة ومن لا يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال ومن زهد في الدنيا على حقيقة كانت مؤنته خفيفة ومن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٤٨.

الدرجات والمؤمن إذا عاش حزيناً ولم يرد القيمة أفضل من الراضين عن الله.

النظر إلى من يكره حمى باطنة.

- بقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين.

- النظر إلى الأحمق سخنة عين والنظر إلى البخيل يقسي القلب ومن لم يحتمل الغم والأذى لم يقدر أن يدخل فيما يحب.

- ما أجفا صاحب الدنيا وأصفق وجهه.

- وقال إن لم تعمل فلا تعص.

- وقال خصلتان تقسيان القلب كثرة الكلام وكثرة الأكل.

- صاحب ربع سخي أحب إلي من قارئ بخيل أو قال: ما أعلم أحداً من الناس إلا مبتلى رجل بسط الله تعالى له في رزقه فينظر كيف شكره ورجل قبض الله عز وجل عنه رزقه فينظر كيف صبره [(١)].

- قل لمن طلب الدنيا تهيأ للذل.

- لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك وكيف تكون خيراً وصديقك لا يأمنك.

- قال بشر بي داء ما لم أعالج نفسي لا أتفرغ لغيري فإذا عالجت نفسي تفرغت لغيري بموضع الداء وموضع الدواء إن أعانني منه بمعونة ثم قال: أنتم الداء أرى وجوه قوم لا يخافون الله متهاونين بأمر الآخرة.

---

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٤٩.

- لا يجد العبد حلاوة العبادة حتى يجعل بينه وبين الشهوات حائطاً من حديد قال: وسمعت بشراً يقول: الدعاء كفارة الذنوب [١].

- لو سقطت قلنسوة من السماء ما سقطت إلا على رأس من لا يريدها.

- ما أعلم أحد أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح [٢].

- الجوع يصفي الفؤاد، ويميت الهوى، ويورث العلم الدقيق.

- المتقلب في جوعه كالمتشحط في دمه في سبيل الله.

- شاطر سخي، أحب إلى الله من صوفي بخيل.

- أمس قد مات، واليوم في السياق، وغداً لم يولد.

- اللهم إنك تعلم أن الذل أحب إلي من العز، وأن الفقر أحب إلي من الغنى، وأن الموت أحب إلي من البقاء.

- لا يفلح من ألف أفخاذ النساء [٣].

- غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وإخفاء مكانه عنهم.

- اللهم استر واجعل تحت الستر ما تحب فربما سترت على ما تكره[٤].

- قال رجل لبشر: مالي أراك مغموماً؟ قال: ما لي لاأكون مغموماً وأنا رجل مطلوب

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٥٤.
(٢) حلية الأولياء، ٨ /٣٥٣.
(٣) طبقات الصوفية ": ٤٤ و٤٥.
(٤) صفة الصفوة، ٢ /٣٢٦.

- وعن الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: لو علمت أن رضاه أن أشد في رجلي حجراً ثم ألقي نفسي في البحر لفعلت.

- طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره

- حادثوا الآمال بقرب الآجال [١]

- بحسبك أن أقواماً موتى تحيا القلوب بذكرهم وأن أقواماً أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم.

- يكون الرجل مرائياً في حياته مرائياً بعد موته قيل: كيف يكون مرائيا بعد موته؟ قال: يحب أن يكثر الناس على جنازته.

- الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد ثم قال: ذاك يركب ويرجع ويراه الناس وهذا يعطي سراً لا يراه إلا الله عز وجل.

- ما أقبح أن يطلب العالم فيقال: هو بباب الأمير [٢].

- ومن دعائه: اللهم إن كنت شهرتني في الدنيا لتفضحني في الآخرة فاسلبه عني.

- عقوبة العالم في الدنيا أن يعمى بصر قلبه [٣].

- لا يكره الموت إلا مريب وأنا أكرهه.

- قال رجل لبشر الحافي: أوصني. قال: الزم بيتك! فترك طلب الرئاسة رئاسة.

---

(١) صفة الصفوة، ٢ /٣٣٢.
(٢) صفة الصفوة، ٢ /٣٣٣.
(٣) وفيات الأعيان، ١ /٢٧٦.

- من ضبط بطنه فقد ضبط الأعمال الصالحة كلها.

- لا تعود نفسك الشبع من الحلال فتدعوك إلى الحرام.

- وسأل رجل عن غسل الجمعة فقال: اغسل بطنك بكفيك من غسل بدنك.

- لا غيبة لبخيل، ولشرطيٌ سخيٌ أحب إلي من عابد بخيل [(١)].

من شعره رحمه الله:

- رخي البال ليس له عيال ::: خلي من حربت ومن دهيت
قضى وطر الصبا وأفاد ::: علماً فغايته التفرد والسكوت
قرير العين لا ولد يموت ::: ولا حذر يبادر ما يفوت

- الصعود يرتع في الرياض وإنما ::: حبس الهزار لأنه يترنم
لو كنت أجهل ما علمت لسرني ::: جهلي كما قد ساءني ما أعلم[(٢)]

- خلت الديار فسدت غير مسود ::: ومن الشقاء تفردى بالسؤدد [(٣)]

قال حسن المسوحي: رآني بشر بن الحارث يوماً وأنا أرتعد من البرد فنظر إلي فقال:

قطع الليالي مع الأيام في حلق ::: والنوم تحت رواق الهم والقلق
أحرى واعذرني من أن يقال غداً ::: إني التمست الغنى من كف مختلق
قالوا رضيت بذا قلت القنوع غنى ::: ليس الغنى كثرة الأموال والورق
رضيت بالله في عسري وفي يسري ::: فلست أسلك إلا واضح الطرق[(٤)]
ذهب الرجال المرتجى لفعالهم ::: والمنكرون لكل أمر منكر

(١) وفيات الأعيان، ١ /٢٧٧.
(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ٤٩، ٢ / ٣٣١، ١٧٢.
(٣) حلية الأولياء، ٨ /٣٥٠.
(٤) حلية الأولياء، ٨ /٣٥٤.

وبقيت في خلف يــزين بعضــهم ::: بعضا ليدفع معور عــن معــور [١]

ولــيس مــن يــزوق لي دينــه ::: يغــرني، يــا قــوم!، تزويقــه

مــن حقــق الإيمــان في قلبــه ::: يوشــك أن يظهــر تحقيقــه

أقســم بــالله! لرضــخ النــوى ::: وشــرب مــاء القلــب المالحــة

أعــز للإنســان مــن حرصــه ::: ومن ســؤال الأوجــه الكالحــه

فاستغن باليــأس تكــن ذا غــنى ::: مغتبطــاً بالصــفقة الرابحــه

فاليــأس عــز والتقــى ســؤدد ::: ورغبــة الــنفس لهــا فاضــحه

مــن كانــت الــدنيا بــه بــرة ::: فإنهــا يومــاً لــه ذابحــه[٢]

- قيل له بلغنا عن الحسن أنه قال: " لولا الليل وملاقاة الإخوان ما كنت أبالي متى مت! ". فقال بشر: " رحم الله الحسن! لقد كان الظن به خلاف هذا! ".

يا مــن يســر برؤيــة الإخــوان ::: هلا أمنت مكايــد الشــيطان؟ !

خلت القلوب من المعاد وذكــره ::: وتشاغلت بــالحرص والخســران

صارت مجالس من ترى وحــديثهم ::: في هتك مستور وفتــق قــران[٣]

* * *

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٤٤.

(٢) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٨.

(٣) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٩.

سري بن المغلس السقطي

أعـــلام التصـوف

سري بن المغلس السقطي

هو العلم المنشور والحكم المذكور شديد الهوى حميد السعي ذو القلب التقي والورع الخفي عن نفسه راحل ولحكم ربه نازل أبو الحسن سري بن المغلس السقطي خال الجنيد، وأستاذه.

تلقي العلم والتصوف علي يد معروف الكرخي؛ وكان أوحد زمانه في الورع، وأحوال السنة وعلوم التوحيد، وكان يعمل بالتجارة، فجاءه معروف الكرخي يوماً، ومعه صبي يتيم، فقال: اكسِ هذا اليتيم. فكساه، ففرح به معروف، ودعا له قائلاً: بغَّض الله إليك الدنيا، وأراحك مما أنت فيه.

فقام من الحانوت وليس شيء أبغض إليه من الدنيا.

وقال: كل ما أنا فيه من بركات معروف.

تلقى العلم عن هشيم بن بشير وسفيان بن عيينة، ومروان بن معاوية، وأبي بكر بن عياش، ويحيى بن اليمان، ويزيد بن هارون، ومحمد بن معن الغفاري، وعلي بن غراب، وأبي أسامة حماد بن أسامة، ومحمد بن فضيل الضبي وأحمد بن أبي الحواري، وحبى الجرجاني.

ونقل علمه ابن أخته الجنيد بن محمد، وابنه إبراهيم بن السري وأبو الحسن أحمد بن محمد النوري، وأبو الفضل العباس بن أحمد المذكّر، وأبو العباس بن مسروق الطوسي وأبو بكر محمد بن خالد بن يزيد الرازي، ومحمد بن ثور الصوفي، ومحمد بن الفضل بن جابر السقطي، وسعيد بن عثمان الحناط، وإبراهيم بن عبد الله بن

أيوب المخرمي، وأحمد بن علي بن خلف، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله البغدادي تلميذ بشر الحافي، والعباس بن يوسف الشكلي، والحسن بن علي بن شهريار وأحمد بن إسحاق، وأبو عثمان سعيد بن عبد العزيز، وعلي بن عبد الحميد الغضائري الحلبيان، وأحمد بن إبراهيم بن عنبر، وعلي بن الحسين بن حرب القاضي، وأبو بكر محمد بن عبد الله الأشناني.

وأقام بطرسوس، وغزا الروم غزوات متعددة، وجال في الثغور والعواصم.

وأثني عليه أئمة التصوف فقال عنه الجنيد: ما رأيت أعبدَ من السري: أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعاً إلا في علة الموت.

قال الحسن البزار: يقول سألت أحمد بن حنبل عن السري بعد قدومه من الثغر فقال: أليس الشيخ الذي يعرف بطيب الغذاء؟ قلت: بلى فقال: هو على سترة عندنا قبل أن يخرج [1]

ومات السري سنة سبع وخمسين ومائتين [2].

---

(١) صفة الصفوة، ٢ /٣٧٦.

(٢) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٩، ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٣٧، طبقات الصوفية: ٤٨، ٥٥، حلية الأولياء ١٠ / ١١٦، ١٢٨، تاريخ بغداد ٩ / ١٨٧، ١٩٢، صفوة الصفوة ٢ / ٢٠٩، ٢١٨، العبر ٢ / ٥، مرآة الجنان ٢ / ١٥٨، ١٥٩، تاريخ ابن كثير ١١ / ١٣، ١٤، لسان الميزان ٣ / ١٣، ١٤، طبقات الشعراني ١ / ٨٦، ٨٧، النجوم الزاهرة ٢ / ٣٣٩، ٣٤٠، شذرات الذهب ٢ / ١٢٧، ١٢٨.

مواقف من حياته ـ رحمه الله ـ

فالنفقة التي بلغت بها إلى هذا من أين "؟

قَالَ سَرِيَّ بْنَ مُغَلِّسٍ: " غَزَوْنَا أَرْضَ الرُّومِ فَمَرَرْتُ بِرَوْضَةٍ خَضِرَةٍ فِيهَا الْخُبَّازُ، وَحَجَرٌ مَنْقُورٌ فِيهِ مَاءُ الْمَطَرِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَئِنْ كُنْتُ آكُلُ يَوْمًا حَلالاً فَالْيَوْمَ فَنَزَلْتُ عَنْ دَابَّتِي، وَجَعَلْتُ آكُلُ مِنْ ذَلِكَ الْخُبَّازِ، وَأَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، فَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ بِي: " يَا سَرِيُّ بْنُ مُغَلِّسٍ، فَالنَّفَقَةُ الَّتِي بَلَغْتَ بِهَا إِلَى هَذَا مِنْ أَيْنَ "؟

هكذا تجلس العبيد بين يدي أربابها

قَالَ السَّرِيُّ بْنَ مُغَلِّسٍ، " غَزَوْتُ رَاجِلاً فَنَزَلْنَا خِرْبَةً لِلرُّومِ، فَأَلْقَيْتُ نَفْسِي عَلَى ظَهْرِي، وَرَفَعْتُ رِجْلِي عَلَى جِدَارٍ، فَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ بِي: " يَا سَرِيُّ بْنُ مُغَلِّسٍ، هَكَذَا تَجْلِسُ الْعَبِيدُ بَيْنَ يَدَيْ أَرْبَابِهَا " (١).

منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار

قال السري: منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي: الحمد لله مرّة. قيل: وكيف ذلك؟ فقال: وقع ببغداد حريق، فاستقبلني رجل، فقال لي: نجا حانوتك. فقلت: الحمد لله. فمنذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت، حيث أردت لنفسي خيراً مما حصل للمسلمين!!.

(١) الخطيب البغدادي، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق د. عامر حسن صبري، نشر دار البشائر الإسلامية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ١١١.

أعرف طريقاً مختصراً إلى الجنة

قال الجنيد: سمعت السريَّ يقول: أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة: فقلت له: ما هو؟ . فقال: لا تسأل من أحد شيئاً، ولا تأخذ من أحد شيئاً، ولا يكن معك شيء تعطى منه أحداً.

أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد

قال الجنيد بن محمد: سمعت السري يقول: أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد، فقيل له: ولم ذلك؟ فقال: أخاف ألا يقبلني قبري فافتضح.

حتى عفا عليه التراب

قال الجنيد: دخلت يوماً على السريِّ السقطي وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: جائتني البارحة الصبيَّة، فقالت: يا أبتي، هذه ليلة حارَّةٌ، وهذا الكوز أُعلّقه ها هنا حتى يبرد الماء.

ثم إني حملتني عيناي فنمت، فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرَّج في الكيزان. فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرته.

قال الجنيد: فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسَّه، حتى عفا عليه التراب[1].

قد خلوا ابنك

قال مظفر بن سهل المقرئ: كنت جالساً مع سري يوماً، فوافته امرأة فقالت: يا أبا الحسن أنا من جيرانك، أخذ ابني الطائف البارحة، وكلم ابني الطائف، وأنا أخشى أن يؤذيه، فإن رأيت أن تجيء معي، أو تبعث إليه، قال: علان: فتوقعت أن يبعث إليه، فقام فكبر وطوّل

(١) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٩.

في صلاته، فقالت المرأة، يا أبا الحسن الله الله فيَّ، هو ذا أخشى أن يؤذيه السلطان، فسلم وقال لها: أنا في حاجتك، قال مظفر: فما برحت حتى جاءت امرأة إلى المرأة فقالت: الحقي قد خلوا ابنك (١).

أنا تائب من الملح

قال أحمد بن خلف دخلت يوماً على السرى فقال لي: ألا أعجبك من عصفور يجيء فيسقط على هذا الرواق فأكون قد أعددت له لقيمة فأفتها في كفي فيسقط على أطراف أناملي فيأكل فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتت الخبز في يدي فلم يسقط على يدي كما كان ففكرت في سر العلة في وحشته مني فوجدتني قد أكلت ملحاً طيباً فقلت في سرى أنا تائب من الملح فسقط على يدي فأكل وانصرف(٢).

يا معشر الشباب جِدّوا

قال الجنيد: سمعت السري يقول: يا معشر الشباب جِدّوا قبل أن تبلغوا مبلغي فتضعفوا وتقصروا كما قصرت، وكان في ذلك الوقت، لا يلحقه الشباب في العبادة (٣).

كذا تجالس الملوك؟

قال سري السقطي: صليت وردي ليلة ومددت رجلي في المحراب، فنوديت: يا سري كذا تجالس الملوك؟ قال: فضممت إليّ رجلي ثم قلت: وعزتك لا مددت رجلي أبداً (٤).

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٣٩.
(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٤٠.
(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٤٠.
(٤) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٤١.

هذه أغلال

قال علي بن عبد الحميد الغضائري: جئت إلى سري بن المغلس السقطي لأقرأ عليه شيئاً، فدققت عليه الباب، فسمعته من داخل وهو يقول: اللهم من شغلني عنك فاشغله بك، ثم فتح الباب وقعد، فأخذت أقرأ عليه، فقال: إن هذه أغلال، إن هذه أغلال [١].

صحبة الله وصحبة الأخيار

قال الجنيد: دخلت على السري في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف تجدك يا شيخ؟ قال: عبد مملوك لا يقدر لنفسه شيئاً، فأخذت المروحة لأروحه فقال: دعني كيف أتروح بريح المروحة، فأحشائي تحترق، فقلت له: أوصني أيها الشيخ قال: إياك وصحبة العوام فقلت له: زدني، قال: فرفع رأسه إليّ بعدما طأطأه وقال: لا تشتغل عن صحبة الله بصحبة الأخيار فقلت له: لو سمعت منك هذه الكلمة من قبل لما صحبتك.

فأذا اسمي في الحاشية

قال أبا عبيد بن حربويه: حضرت جنازة سري السقطي، فسررت فحدثنا رجل عن آخر أنه حضر جنازة سري فلما كان في بعض الليالي رآه في النوم فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلي عليّ. قلت فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك، قال: فأخرج درجاً فنظر فيه، فلم ير لي فيه اسماً، فقال: فقلت: بلى قد حضرت، قال: فنظر فإذا اسمي في الحاشية [٢].

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٤١.
(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٤٤.

ترانا اليوم نأكل بأدياننا

قال علي بن الحسين بن حرب بعث بي أبي إلى السرى بشيء من حب السعال لسعال كان به فقال لي: كم ثمنه؟ قلت له: لم يخبرني بشيء فقال: اقرأ عليه السلام وقل له نحن نعلم الناس منذ خمسين سنة أن لا يأكلوا بأديانهم ترانا اليوم نأكل بأدياننا.

اللهم اشغل من شغلني عنك بك

قال علي بن عبدالحميد الغضائري الحلبي سمعت سريا السقطي ودققت عليه الباب فقام إلى عضادتي الباب فسمعته يقول اللهم اشغل من شغلني عنك بك فكان من بركة دعائه أني حججت أربعين حجة من حلب على رجلي ماشياً ذاهباً وجائياً [(١)].

رجل يتكلم في موارد القلوب

قال الجنيد بن محمد: بعثني السري يوماً في حاجة فأبطأت عليه فلما جئت قال لي: إذا بعث بك رجل يتكلم في موارد القلوب في حاجة فلا تبطئ عليه فإنك تشغل قلبه [(٢)].

أراك مرائية منذ ثلاثين

قال الجنيد سمعت السرى يقول: خفيت على علة ثلاثين سنة وذلك أنا كنا جماعة نبكر إلى الجمعة ولنا أماكن قد عرفت بنا لا نكاد أن نخلو عنها فمات رجل من جيراننا يوم جمعة فأحببت أن أشيع جنازته فشيعتها وأضحيت عن وقتي ثم جئت أريد الجمعة فلما أن قربت من المسجد قالت لي نفسي: الآن يرونك وقد أضحيت وتخلفت عن وقتك فشق ذلك علي فقلت لنفسي: أراك مرائية منذ ثلاثين سنة

(١) حلية الأولياء، ١٠ /١١٨.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /١١٨.

وأنا لا أدري فتركت ذلك المكان الذي كنت آتيه فجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا يعرف مكاني هذا أو نحوه [١].

فأردت أن يكون معه الأكثر

قال أحمد بن عمر الخلقاني: خرج معي سرى السقطي يوم العيد من المسجد فلقي رجلاً جليلاً فسلم عليه سلاماً ناقصاً فقلت له: إن هذا فلان قال: قد عرفته قلت: فلم نقصته في السلام؟ قال: لأنه يروى عن النبي ﷺ أنه قال إذا التقى المسلمان قسمت بينهما مائة رحمة تسعون لأبشهما فأردت أن يكون معه الأكثر.

اللهم علمنا أدب العيادة

قال الجنيد بن محمد سمعت السرى يقول: اعتللت بطرسوس علة فدخل علي ثقلاء القراء يعودونني فجلسوا فأطالوا جلوسهم فأذاني ثم قالوا: إن رأيت أن تدعو الله فمددت يدي وقلت: اللهم علمنا أدب العيادة.

إن الجوع أورثهم الحكم

قال أبو بكر العطشى: قلت لسري السقطى: ماذا أراد أهل الجوع بالجوع؟ فقال: ماذا أراد أهل الشبع بالشبع؟ إن الجوع أورثهم الحكم وإن الشبع أورثهم التخم [٢].

ملحك مدقوق

قال الجنيد: وسمعته يقول: أريد أن آكل أكلة ليس لله علي فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة فلم أجد، فأتاني حي الجرجاني فدق علي

---

(١) حلية الأولياء، ١٠ /١٢٥.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /١٢٢.

باب الغرفة فخرجت إليه فقال لي: يا سري، ملحك مدقوق فقلت: نعم، قال: لا تفلح، ثم قال: لولا أن الله عز وجل عقم الآذان عن فهم القرآن ما زرع الزارع، ولا تجر التاجر، ولا تلاه الناس في الطرقات، ثم مضى فأتعبني وأبكاني [١].

من كلامه ـ رحمه الله ـ:

- مَا أُحِبُّ أَنْ أَمُوتَ حَيْثُ أُعْرَفُ، أَخَافُ أَنْ لا تَقْبَلَنِي الأَرْضُ فَأُفْتَضَحُ.

- إِنِّي لأَنظُرُ إِلَى أَنْفِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ، مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْوَدَّ وَجْهِي [٢].

- لا يقوى على ترك الشبهات إلا من ترك الشهوات [٣].

- إن الله سلب الدنيا عن أوليائه، وحماها عن أصفيائه، وأخرجها من قلوب أهل وداده، لأنه لم يرضها لهم.

- مارست كل شيء من أمر الزهد، فنلت منه ما أريد، إلا الزهد في الناس، فإني لم أبلغه ولم أطقه.

- من أحسن ظنه بالله استراح قلبه.

- ترى أنت ترجو، ولو رجوت لطلبت، ترى أنك تخاف، ولو خفت لهربت [٤].

---

(١) صفة الصفوة، ٢ /٣٧٦.
(٢) الخطيب البغدادي، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق د. عامر حسن صبري، نشر دار البشائر الإسلامية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٨٣.
(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٤٠.
(٤) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٤١.

- احذر أن لا تكون ثناء منشوراً، وعيباً، مستوراً.

- حتى متى لا تطوي عنك فرش المرضى - وحتى متى لا تستريح من عيادة الهلكى، وحتى متى لا تنفع فيك أدوية الأطباء، يا أبا القاسم اجعل قبرك خزانتك، وقدم إليها أحسن ما تقدر عليه حتى إذا دخلت إلى الخزانة، سرّك ما قدمت إليها.

- العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلاّ ارتحل.

- من مرض فلم يتب فهو كمن عولج فلم يبرأ.

- عجبت لمن ينشد ضالته وقد أضل نفسه، وعجبت لمن سافر في طلب الأرباح، ولن يربح تاجر مثل نفسه.

- إن المعرفة ترفرف على القلب، فإن كان فيه الحياء وإلاّ ارتحلت.

- لا تصحب الأشرار، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار[1].

- من النذالة أن يأكل العبد بدينه

- خمس من كن فيه فهو شجاع بطل استقامة على أمر الله ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو وتيقظ ليس معه غفلة ومراقبة الله في السر والجهر ليس معه رياء ومراقبة الموت بالتأهب.

- للخائف عشر مقامات: الحزن اللازم والهم الغالب والخشية المقلقة وكثرة البكاء والتضرع في الليل والنهار والهرب من مواطن الراحة وكثرة الوله ووجل القلب وتنغص العيش ومراقبة الكمد.

- لو أن رجلاً دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله من

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٤٢ - ٢٤٣.

الأشجار عليها جميع ما خلق الله من الأطيار فخاطبه كل طير منها بلغته وقال: السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان في يديها أسيراً.

- عجبت لمن غدا وراح في طلب الأرباح وهو مثل نفسه لا يربح أبدا.

- لو أشفقت هذه النفوس على أبدانها شفقتها على أولادها للاقت السرور في معادها.

- وددت أن حزن الخلق كلهم ألقي علي.

- إن في النفس لشغلاً عن الناس.

- المغبون من فنيت أيامه بالتسويف والمغبون من تمنى الصالحون مقامه.

- سئل حكيم من الحكماء متى يكون العالم مسيئاً قال: إذا كثر بقباقه وانتشرت كتبه وغضب أن يرد عليه شيء من قوله هذا أو معناه(١).

- رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل.

- كل الدنيا فضول إلا خمس خصال خبز يشبعه وماء يرويه وثوب يستره وبيت يكنه وعلم يستعمله.

- التوكل الانخلاع عن الحول والقوة (٢)

- أربع خصال ترفع العبد العلم والأدب والعفة والأمانة

(١) حلية الأولياء، ١٠ /١١٨.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /١١٩.

- انقطع من انقطع عن الله بخصلتين واتصل من اتصل بالله بأربع خصال فأما من انقطع عن الله بخصلتين فيتخطى إلى نافلة بتضييع فرض والثاني عمل بظاهر الجوارح لم يواطئ عليه صدق القلوب وأما الذي اتصل به المتصلون فلزوم الباب والتشمير في الخدمة والصبر على المكاره وصيانات المكرمات.

- معنى الصبر أن تكون مثل الأرض تحمل الجبال وبني آدم وكل ما عليها لا تأبى ذلك ولا تسميه بلاء بل تسميه نعمة وموهبة من سيده لا يراد فيها أداء حكم بها عليه [(١)].

- ينبغي للعبد أن يكون أخوف ما يكون من الله آمن ما يكون من ربه.

- لا تركن إلى الدنيا فينقطع من الله حبلك ولا تمش في الأرض مرحاً فإنها عن قليل قبرك.

- قال بعض الأنبياء لقومه ألا تستحيون من كثرة مالا تستحيون.

- قلوب المقربين معلقة بالسوابق وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم هؤلاء يقولون بماذا يختم لنا وأولئك يقولون ماذا سبق من الله لنا.

- تخليص العمل حتى يخلص أشد من العمل والاتقاء على العمل بعد ما يخلص أشد من العمل.

- تصفية العمل من الآفات أشد من العمل [(٢)].

- من اشتغل بمناجاة الله أورثته حلاوة ذكر الله تعالى مرارة ما يلقى إليه الشيطان.

(١) حلية الأولياء، ١٠ /١٢٠.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /١٢١.

- تبقى الإخوان ولا تأمنهم على سرك احذر أخدان السوء واتهم صديقك كما تتهم عدوك.

- لو علمت أن جلوسي في البيت أفضل من خروجي إلى المجلس ما خرجت ولو علمت أن جلوسي معكم أفضل من جلوسي في البيت ما جلست ولكني إن دخلت اقتضاني العلم لكم وإن خرجت ناقدتني الحقيقة فأنا عند مناقدتي مستحي وأنا عند اقتضاء العلم محجوج.

- من استعمل التسويف طالت حسرته يوم القيامة (١).

- ثلاث من أخلاق الأبرار القيام بالفرائض واجتناب المحارم وترك الغفلة وثلاث من أخلاق الأبرار يبلغن بالعبد رضوان الله كثرة الاستغفار وخفض الجناح وكثرة الصدقات وثلاث من أبواب سخط الله اللعب والمزاح والغيبة والعاشر من هذه الثلاث عمود الدين وذروته وسنامه حسن الظن بالله (٢).

- من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم ومن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها.

- اجعل فقرك إلى الله تستغن به عمن سواه

- الأدب ترجمان العقل ولسانك ترجمان قلبك ووجهك مرآة قلبك يتبين على الوجه ما تضمر القلوب

(١) حلية الأولياء، ١٠ /١٢٢.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /١٢٣.

- القلوب ثلاثة قلب مثل الجبل لا يزيله شيء وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تميلها وقلب كالريشة يميل مع الريح يميناً وشمالاً.

- أقوى القوة غلبتك نفسك ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز ومن أطاع من فوقه أطاعه من دونه

- لا تصرم أخاك على ارتياب ولا تدعه دون استعتاب ومن علامة المعرفة بالله القيام بحقوق الله وإيثاره على النفس فيما أمكنت فيه القدرة ومن علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس ومن قلة الصدق كثرة الخطأ وخير الرزق ما سلم من خمسة من الآثام في الاكتساب والمذلة في الخضوع في السؤال والغش في الصناعة وإثبات آلة المعاصي ومعاملة الظلمة وأحسن الأشياء خمسة البكاء على الذنوب وإصلاح العيوب وطاعة علام الغيوب وجلاء الرين عن القلوب وأن لا تكون لما تهوى ركوب

- خمسة أشياء لا يسكن في القلب معها غيرها الخوف من الله وحده والرجاء من الله وحده والحب لله وحده والحياء من الله وحده والأنس بالله وحده (١)

- لن يحمد رجل حتى يؤثر دينه على شهوته ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

- من عرف السبب انقطع عن الطلب.

- إن القلوب إذا غاصت في بحار الفكرة غشيت الأبصار فإذا نظرت إلى الخضرة عاد إليها نسيم الحياة.

(١) حلية الأولياء، ١٠ /١٢٤.

- لا يقوى على ترك الشهوات إلا من ترك الشبهات.

- قال الجنيد بن محمد: سمعت السرى يقول: إني إذا نزلت أريد صلاة الجماعة أذكر مجيء الناس إلى فأقول اللهم هب لهم عبادة يجدون لذتها تشغلهم بها عني.

- قال: وسمعت السرى وقد ذكر الناس قال: لا تعمل لهم شيئاً ولا تترك لهم شيئاً ولا تكشف لهم عن شيء يريد بهذا القول أن تكون أعمالك كلها لله عز وجل.

- قال: وسمعته يقول: كل من ذكرني بسوء فهو في حل إلا رجل تعمدني بشيء هو يعلم مني خلافه.

- قليل في سنة خير من كثير في بدعة كيف يقل عمل مع تقوى.

- أنا لكم عبرة يا معشر الشباب اعملوا فإنما العمل في الشبوبية وكان إذا جن عليه الليل دافع أوله ثم دافع ثم دافع فإذا غلبه الأمر أخذ في النحيب والبكاء

- من الناس ناس لو مات نصف أحدهم ما انزجر النصف الآخر ولا أحسبني إلا منهم [١].

- أقوى القوة غلبتك نفسك ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز ومن أطاع من فوقه أطاعه من دونه ومن خاف الله خافه كل شيء.

- إن اغتممت بما ينقص من مالك فابك على ما ينقص من عمرك

(١) حلية الأولياء، ١٠ /١٢٦.

- من قلة الصدق كثرة الخلطاء ومن علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس.

- أجلد الناس من ملك غضبه ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله ولن يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه (١).

- الحلم على خمسة أوجه: حلم غريزي، وهو هبة من الله للعبد، يعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويحسن لمن أساء إليه؛ وحلم تحالم، يكظم غيظه رجاء الثواب وفي القلب كراهية؛ وحلم كبر، لا يرى المسيء أهلاً أن يجاريه، وحلم مذموم، رياء وسمعة وهو حاقد ساكت يرائي به جلساءه، وحلم مهانة وذلة وعجز وضعف نفس وصغر همة.

- كل معصية في شهوة يؤمل غفرانها، وكل معصية في كبر لا يؤمل غفرانها، لأن معصية إبليس كانت من كبر، ومعصية آدم كانت من شهوة.

- صدق الانقطاع ألا يكون لك إلى غير الله عز وجل حاجة.

- إذا رأيت الله تعالى يوحشك من الخلق، فاعلم أنّه يريد أن يؤنسك بنفسه (٢).

- لا تكن مصاحباً للأشرار ولا تشتغل باللاهي عن الأخيار وفي كتاب كليلة ودمنة ينبغي لذي المروءة أن يكون إما مع الملوك مبجلاً أو مع النساك متبتلاً كالفيل إما أن يكون مركباً نبيلاً أو في البرية

(١) صفة الصفوة، ٢ /٣٧٦.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ص ٧٤، ٨٩، ٤٢٨.

مهيباً جليلاً وقال علي رضي الله عنه: من وجد في نفسه وحشة من الناس فليعلم أن الله أحب أن يؤنسه به وقالوا: ما استغنى أحد بالله إلا وافتقر الناس إليه وقال بعض الحكماء: الأنس بالله من حبه لك فإن الله إذا أحب عبداً أوحشه من خلقه وقد قيل من خلق التوحيد حب الوحدة وقال الجنيد: أطيب ساعاتي خلواتي وألذ طاعاتي في مناجاتي ولله در من قال:

من حمد الناس ولم يبلهم ::: ثم بلاهم ذمّ من يحمد
وصار بالوحدة مستأنساً ::: يوحشه الأقرب والأبعد

- البريء جريء، والخائن خائف، والجاني مستوحش.

- مَن تزيَّنَ للناس بما ليس فيه؛ سقطَ من عَينِ الله تعالى..

- كن مثل الصبي، إذا اشتهى على أبويه شهوة فلم يمكناه، فقعد يبكي عليها، فكن أنت مثله، فإذا سألت ربك فلم يعطكه، فاقعد فابك عليه.

- من علامة الاستدراج للعبد عماه عن عيبه واطلاعه على عيوب الناس.

- أربعة أشياء لا يسكن في القلب معها غيرها:الخوف من الله وحده، والرجاء لله وحده، والحب لله وحده، والأنس بالله وحده.

- أحسن الأشياء خمسة: البكاء على الذنوب، وإصلاح العيوب، وطاعة علام الغيوب، وجلاء الرين من القلوب، وألا تكون لكل ما تهوى بركوب.

- من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله عز وجل.

- خير الرزق ما سلم من خمسة: من الآثام في الاكتساب،

والمذلة والخضوع في السؤال، والغش في الصناعة، وإثمان آلة المعاصي، ومعاملة الظلمة.

- لن يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

- الدهر ثلاثة أيام يوم مضى بؤسه وشدته وغمه لم يبق منه شيء واليوم الذي أنت فيه صديق مودع لك طويل الغيبة عنك سريع الرحلة عنك وغداً في يديك تأميله ولعلك من غير أهله.

- أمس أجل واليوم عمل وغداً أمل [١].

من شعره ـ رحمه الله ـ:

من لم يبت والحب حشو فؤاده ::: لم يدر كيف تفتت الأكباد[٢]

لست أدري أطال ليلي أم لا ::: كيف يدري بذلك من يتقلى

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي ::: والذي بي أصابني من طبيبي

القلب محترق والدمع مستبق ::: والكرب مجتمع والصبر مفترق

كيف القرار على من لا قرار له ::: مما جناه الهوى والشوق والقلق

يا رب إن كان شيء فيه لي فرج ::: فامنن عليّ به ما دام بي رمق[٣]

ما في النهار ولا في الليل لى فرح ::: فما أبالي طال الليل أم قصرا [٤]

* * *

(١) صفة الصفوة، ٢ /٣٨٣.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /١١٩.
(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٤١.
(٤) حلية الأولياء، ١٠ /١٢٥.

الحارث المحاسبـي

أعـــلام التصـوف

الحارث المحاسبي ـ رحمه الله ـ

الزاهد العارف، شيخ الصوفية الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية. كان عالماً بالأصول والمعاملات، واعظاً مبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره.

ويقال إنما سمي المحاسبي لكثرة محاسبته نفسه.

تلقى العلم علي يد يزيد بن هارون يسيراً.

ونقل علمه: ابن مسروق، وأحمد بن القاسم، والجنيد، وأحمد بن الحسن الصوفي، وإسماعيل بن إسحاق السراج، وأبو علي بن خيران الفقيه، إن صح.

له كتب كثيرة في الزهد، وأصول الديانة، والرد على المعتزلة والرافضة.

ومن كتبه:

- آداب النفوس.
- شرح المعرفة.
- المسائل في أعمال القلوب والجوارح.
- المسائل في الزهد وغيره.
- البعث والنشور.
- مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه.

- الرعاية لحقوق الله عزوجل.
- الخلوة والتنقل في العبادة.
- معاتبة النفس.
- كتاب التوهم.
- رسالة المسترشدين.

ومع عظم قدر المحاسبي إلا أنه دخل في شيء يسير من الكلام، فنقم عليه. وورد أن الإمام أحمد أثنى على حال الحارث من وجه، وحذر منه.

قال سعيد بن عمرو البرذعي: شهدت أبا زرعة الرازي، وسئل عن المحاسبي وكتبه، فقال: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات. عليك بالأثر تجد غنية، هل بلغكم أن مالكاً والثوري والأوزاعي صنفوا في الخطرات والوساوس؟ ما أسرع الناس إلى البدع!.

قال ابن الأعرابي: تفقه الحارث، وكتب الحديث، وعرف مذاهب النساك، وكان من العلم بموضع، إلا أنه تكلم في مسألة اللفظ ومسألة الإيمان. وقيل هجره أحمد، فاختفى مدة.

قيل: إنه ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئاً. قيل، لأن أباه كان يقول بالقدر، فرأى من الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئاً، وقال: صحَّت الرواية عن النبي ﷺ، أنه قال:﴿**لا يتوارث أهل ملَّتين شيئاً**﴾.

ومات سنة ثلاث وأربعين ومائتين [(١)].

مواقف من حياته ـ رحمه الله:

قدِّم إليه مثل هذا

ويحكى عن الجنيد أنه قال: مرَّ بي يوماً الحارث المحاسبي، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عم، تدخل الدار وتتناول شيئاً؟ فقال: نعم.

فدخلت الدار وطلبت شيئاً أقدِّمه إليه، فكان في البيت شيء من طعام حمل إليَّ من عرس قوم، فقدَّمته إليه، فأخذ لقمة وأدارها في فمه مرات، ثم إنه قام وألقاها في الدهليز، ومرَّ.

فلما رأيته بعد ذلك بأيام قلت له في ذلك، فقال: إني كنت جائعاً، وأردت أن أسرَّك بأكلي وأحفظ قلبك، ولكن بيني وبين الله، سبحانه،

(١) الرسالة القشيرية، ص ١١، طبقات الصوفية: ٥٦، ٦٠، حلية الأولياء ١٠ / ٧٣، ١٠٩، الفهرست: ٢٣٦، تاريخ بغداد ٨ / ٢١١، ٢١٦، صفة الصفوة ٢ / ٢٠٧، ٢٠٨، اللباب ٣ / ١٧١، وفيات الأعيان ٢ / ٥٧، ٥٨، تهذيب الكمال: ٢١٥، تذهيب التهذيب ١ / ١١٣ / ٢، ميزان الاعتدال ١ / ٤٣٠، ٤٣١، العبر ١ / ٤٤٠، مرآة الجنان ٢ / ١٤٢، طبقات الشافعية للسبكي ٢ / ٢٧٥، ٢٨٤، تاريخ ابن كثير ١٠ / ٣٤٥، طبقات الأولياء: ١٧٥، ١٧٧، تهذيب التهذيب ٢ / ١٣٤، ١٣٦، النجوم الزاهرة ٢ / ٣١٦، خلاصة تذهيب الكمال: ٦٧، طبقات الشعراني ١ / ٦٤، شذرات الذهب ١ / ١٠٣، الكواكب الدرية ١ / ٢١٨، ٢١٩، سير أعلام النبلاء، ١٢ /١١٠.

علامة: أن لا يسوغني طعاماً فيه شبهة، فلم يمكّني ابتلاعه، فمن أين كان لك ذلك الطعام؟ .

فقلت: إنه حُمل إليَّ من دار قريب لي من العرس، ثم قلت: تدخل اليوم؟ فقال: نعم. فقدمت إليه كِسراً يابسة كانت لنا، فأكل وقال: إذا قدمتَّ إلي فقير شيئاً فقدِّم إليه مثل هذا (١).

كم تقول: عزلتي أنسي

قال الجنيد: قال لي الحارث: كم تقول: عزلتي أنسي، لو أن نصف الخلق تقربوا مني، ما وجدت لهم أنساً، ولو أن النصف الآخر نأوا عني، ما استوحشت.

رؤية الشهوات

قال سمعت الجنيد بن محمد يقول: كان الحارث المحاسبي يجيء إلى منزلنا ويقول أخرج معنا نصحر فأقول له تخرجني من عزلتي وأمني على نفسي إلى الطرقات والآفات ورؤية الشهوات فيقول أخرج معي ولا خوف عليك فأخرج معه فكأن الطريق فارغ من كل شيء لا نرى شيئاً نكرهه فإذا حصلت في المكان الذي يجلس فيه قال لي: سلني فأقول له ما عندي سؤال أسألك فيقول لي سلني عما يقع في نفسك فتنثال على السؤالات فأسأله عنه فيجيبني عنها للوقت ثم يمضي إلى منزله فيعملها كتباً.

(١) الرسالة القشيرية، ص ١١.

ما استوحشت لبعدهم

قال: وسمعت الجنيد يقول: كنت كثيراً أقول للحارث عزلتي أنسى تخرجني إلى وحشة رؤية الناس والطرقات فيقول لي كم أنسى وعزلتي لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدت بهم أنساً ولو أن النصف الآخر ناء عني ما استوحشت لبعدهم (١).

كيف رأيت هؤلاء

قال إسماعيل بن إسحاق السراج: قال لي أحمد بن حنبل يوماً يبلغني أن الحارث هذا يعني المحاسبي يكثر الكون عندك فلو أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يراني فأسمع كلامه فقلت: السمع والطاعة لك يا أبا عبد الله وسرني هذا الابتداء من أبي عبد الله فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة فقلت: وتسل أصحابك أن يحضروا معك فقال: يا إسماعيل فيهم كثرة فلا تزدهم على الكسب والتمر وأكثر منهما ما استطعت ففعلت ما أمرني به وانصرفت إلى أبي عبد الله فأخبرته فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار فاجتهد في ورده إلى أن فرغ وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا ثم قاموا لصلاة العتمة ولم يصلوا بعدها وقعدوا بين يدي الحارث وهو سكوت لا ينطق واحد منهم إلى قريب من نصف الليل فابتدأ واحد منهم وسأل الحارث عن مسألة فأخذ في الكلام وأصحابه يستمعون وكأن على رؤوسهم الطير فمنهم من يبكي ومنهم من يزعق وهو في كلامه فصعدت الغرفة لأتعرف حال أبي عبد الله فوجدته قد بكى حتى غشي عليه فانصرفت إليهم ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا فقاموا وتفرقوا فصعدت إلى أبي عبد الله وهو متغير

(١) تاريخ بغداد، ٨ /٢١٣.

الحال فقلت: كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله؟ فقال: ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل وعلى ما وصفت من أحوالهم فإني لا أرى لك صحبتهم ثم قام وخرج [١].

ما أسرع الناس إلى البدع

قال سعيد بن عمرو البرذعي: شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل: إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب قيل له في هذه الكتب عبرة قال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتونا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الديبلي ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع [٢].

فتبسم ثم مات

قال جعفر بن أخي أبي ثور حضرت وفاة الحارث يعني المحاسبي فقال: إن رأيت ما أحب تبسمت إليكم وإن رأيت غير ذلك تبينتم في وجهي قال: فتبسم ثم مات [٣].

---

(١) تاريخ بغداد، ٨ /٢١٤.
(٢) تاريخ بغداد، ٨ /٢١٤.
(٣) تاريخ بغداد، ٨ /٢١٥.

من كلامه ـ رحمه الله:

يقول الحارث المحاسبي رحمه الله واصفاً ما يقع في يوم القيامة من أهوال:حتى إذا تكاملت عدة الموتى، وخلت من سكانها الأرض والسماء فصاروا خامدين بعد حركاتهم، فلا حس يسمع، ولا شخص يرى، وقد بقي الجبار الأعلى كما لم يزل أزلياً واحداً منفرداً بعظمته وجلاله، ثم لم يفجأ روحك إلا بنداء المنادي لكل الخلائق معك للعرض على الله عز وجل بالذل والصغار منك ومنهم. فتوهم كيف وقوع الصوت في مسامعك وعقلك وتفهم بعقلك كأنك تدعى إلى العرض على الملك الأعلى فطار فؤادك، وشاب رأسك للنداء، لأنها صيحة واحدة بالعرض على ذي الجلال والإكرام والعظمة والكبرياء، فبينما أنت فزع للصوت إذ سمعت بانفراج الأرض على رأسك، فوثبت مغبراً من قرنك إلى قدمك بغبار قبرك قائم على قدميك، شاخص بصرك نحو النداء، قد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة مغبرون من غبار الأرض التي طال فيها بلاؤهم فتوهم ثورتهم بأجمعهم بالرعب والفزع منك ومنهم، فتوهم نفسك بعريك ومذلتك وانفرادك بخوفك وأحزانك وغمومك وهمومك في زحمة الخلائق عراة حفاة صوت أجمعون بالذلة والمسكنة والمخافة والرهبة، فلا تسمع إلا همس أقدامهم والصوت لمدة المنادي، والخلائق مقبلون نحوه، وأنت فيهم مقبل نحو الصوت، ساع بالخشوع والذلة، حتى إذا وافيت الموقف ازدحمت الأمم كلها من الجن والإنس عراة حفاة، قد نزع الملك من ملوك الأرض ولزمتهم الذلة والصغار، فهم أذل أهل الجمع وأصغرهم خلقة وقدراً بعد عتوهم وتجبرهم على عباد الله عز وجل في أرضه، ثم أقبلت

الوحوش من البراري وذرى الجبال منكسة رؤوسها ذليلة ليوم القيامة حتى وقفت من وراء الخلائق بالذل والمسكنة والانكسار للملك الجبار، وأقبلت الشياطين بعد عتوها وتمردها خاشعة لذل العرض على الله سبحانه فسبحان الذي جمعهم بعد طول البلاء واختلاف خلقهم وطبعائهم وتوحش بعضهم من بعض قد أذلهم البعث وجمع بينهم النشور حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها، واستووا جميعاً في موقف العرض والحساب تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر، وأظلمت الأرض بخمود سراجها وإطفاء نورها.

فبينما أنت والخلائق على ذلك إذ صارت السماء الدنيا من فوقهم، فدارت بعظمها من فوق رؤوسهم وذلك بعينك تنظر إلى هول ذلك، ثم انشقت بغلظها خمسمائة عام، فيا هول صوت انشقاقها في سمعك، ثم تمزقت وانفطرت بعظيم هول يوم القيامة والملائكة قيام على أرجائها وهي حافات ما يتشقق ويتفطر، فما ظنك بهول تنشق فيه السماء بعظمها، فأذابها ربها حتى صارت كالفضة المذابة تخالطها صفرة لفزع يوم القيامة كما قال الجليل الكبير{فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾} [الرحمن: ٣٧]، سورة الرحمن،{يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴿٨﴾} [المعارج: ٨] فبينما ملائكة السماء الدنيا على حافتها إذا انحدروا محشورين إلى الأرض للعرض والحساب، وانحدروا من حافتيها بعظم أجسامهم وأخطارهم وعلو أصواتهم بتقديس الملك الأعلى الذي أنزلهم محشورين إلى الأرض بالذلة والمسكنة للعرض عليه والسؤال بين يديه، فتوهم تحدرهم من السحاب بعظيم أخطارهم

وكبيـر أجسـامهم وهـول أصـواتهم وشـدة فـرقهم منكسـين لـذل العرض على الله عز وجل.

فيا فزعك وقد فزع الخلائق مخافة أن يكونوا أمروا بهم، مسألتهم إياهم: أفيكم ربنا؟ ففزع الملائكة من سؤالهم إجلالاً لمليكهم أن يكون فيهم، فنادوا بأصـواتهم تنـزيلاً لمـا توهمـه أهل الأرض: سبحان ربنـا لـيس هـو بيننـا فهـو آت، حتـى أخـذوا مصـافهم محـدقين بـالخلائق منكسين رؤوسهم في عظم خلقهم بالذل والمسكنة والخشوع لـربهم، ثم كل شـيء علـى ذلـك وكذلك إلـى السماء السـابعة كل أهل سماء مضعفين بالعدد وعظم الأجساد، وكل أهل سماء محدقين بـالخلائق صفاً حتى إذا وافى الموقف أهل السماوات السبع والأرضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين وأدنيت رؤوس الخلائق قاب قوس أو قوسين، ولا ظل لأحد إلا ظل رب العالمين، فمن بين مستظل بظل العرش، وبين مضحو بحر الشمس، قد صـهرته بحرها واشتد كربـه وقلقه من وهجها، ثم ازدحمت الأمم وتدافعت، فدفع بعضـهم بعضـاً وتضايقت فاختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش واجتمع حر الشمس ووهج أنفاس الخلائق وتزاحم أجسامهم ففاض العرق سـائلاً حتـى استنقع علـى وجـه الأرض ثم علـى الأبدان علـى قدر مـراتبهم ومنـازلهم عنـد الله عـز وجـل بالسـعادة والشـقاء، حتـى إذا بلـغ مـن بعضهم العرق كعبيه، وبعضهم حقويه، وبعضهم على شحمة أذنه،

ومنهم من كاد أن يغيب في عرقه ومن قد توسط العرق من دون ذلك منه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «{يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين: ٦]، حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ» (١) (٢).

- جوهر الإنسان الفضل، وجوهر العقل التوفيق.

ترك الدنيا مع ذكرها صفة الزاهدين، وتركها مع نسيانها صفة العارفين (٣).

- ومن كلامه: خيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن آخرتهم.

- سئل الحارث بن أسد المحاسبي ما تفسير خير الرزق ما يكفي قال هو قوت يوم بيوم ولا تهتم لرزق غد.

- فقدنا ثلاثة أشياء لا نكاد نجدها إلى الممات حسن الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الإخاء مع الأمانة

- العلم يورث المخافة والزهد يورث الراحة والمعرفة تورث الإنابة. - لا ينبغي للعبد أن يطلب الورع بتضييع الواجب (٤).

- إذا أنت لم تسمع نداء الله فكيف تجيب داعى الله ومن استغنى بشيء دون الله فقد جهل قدر الله.

(١) صحيح البخارى(٤٩٣٨) ومسلم (٧٣٨٢).
(٢) علي بن نايف الشحود، الإيمان بيوم القيامة وأهواله، ص ٢٥.
(٣) الرسالة القشيرية، ص ١١.
(٤) حلية الأولياء، ١٠ /٧٥.

- الظالم نادم وإن مدحه الناس والمظلوم سالم وإن ذمه الناس والقانع غني وإن جاع والحريص فقير وإن ملك.

- أصل الطاعة الورع وأصل الورع التقوى وأصل التقوى محاسبة النفس وأصل محاسبة النفس الخوف والرجاء وأصل الخوف والرجاء معرفة الوعد والوعيد ومعرفة أصل معرفة الوعد والوعيد عظم الجزاء وأصل ذلك الفكرة والعبرة وأصدق بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت حيث يقول:

ما حملت من ناقة فوق رحلها ::: أعف وأوفى ذمة من محمد

- إن أول المحبة الطاعة وهي منتزعة من حب السيد عز وجل إذ كان هو المبتدئ بها وذلك أنه عرفهم نفسه ودلهم على طاعته وتحبب إليهم على غناه عنهم فجعل المحبة له ودائع في قلوب محبيه ثم ألبسهم النور الساطع في ألفاظهم من شدة نور محبته في قلوبهم فلما فعل ذلك بهم عرضهم سروراً بهم على ملائكته حتى أحبهم الذين ارتضاهم لسكنى أطباق سمواته نشر لهم الذكر الرفيع عن خليقته قبل أن يخلقهم مدحهم وقبل أن يحمدوه شكرهم لعلمه السابق فيهم أنه يبلغهم ما كتب لهم وأخبر به عنهم ثم أخرجهم إلى خليقته وقد استأثر بقلوبهم عليهم ثم رد أبدان العلماء إلى الخليقة وقد أودع قلوبهم خزائن الغيوب فهي معلقة بمواصلة المحبوب فلما أراد أن يحييهم ويحيي الخليقة بهم أسلم لهم هممهم ثم أجلسهم على كرسي أهل المعرفة فاستخرجوا من المعرفة المعرفة بالأدواء ونظروا بنور معرفته إلى منابت الدواء ثم عرفهم من أين يهيج الداء وبما تستعينون على علاج قلوبهم ثم أمرهم بإصلاح الأوجاع وأوعز إليهم في الرفق عند المطالبات وضمن لهم إجابة دعائهم عند طلب

الحاجات نادى بخطرات التلبية من عقولهم في أسماع قلوبهم إنه تبارك وتعالى يقول يا معشر الأدلاء من أتاكم عليلاً من فقدي فداووه وفاراً من خدمتي فردوه وناسياً لأياديَّ ونعمائي فذكروه لكم خاطبت لأني حليم والحليم لا يستخدم إلا الحلماء ولا يبيح المحبة للبطالين ضناً بما استأثر منها إذ كانت منه وبه تكون فالحب لله هو الحب المحكم الرصين وهو دوام الذكر بالقلب واللسان لله وشدة الأنس بالله وقطع كل شاغل شغل عن الله وتذكار النعم والأيادي وذلك أن من عرف الله بالجود والكرم والإحسان اعتقد الحب له إذ عرفه بذلك أنه عرفه بنفسه وهداه لدينه ولم يخلق في الأرض شيئاً إلا وهو مسخر له وهو أكرم عليه منه فإذا عظمت المعرفة واستقرت هاج الخوف من الله وثبت الرجاء قلت: خوفاً لماذا؟ ورجاء لماذا؟ قال: خوفاً لما ضيعوا في سالف الأيام لازماً لقلوبهم ثم خوفاً ثابتاً لا يفارق قلوب المحبين خوفاً أن يسلبوا النعم إذا ضيعوا الشكر على ما أفادهم فإذا تمكن الخوف من قلوبهم وأشرفت نفوسهم على حمل القنوط عنهم هاج الرجاء بذكر سعة الرحمة من الله فرجاء المحبين تحقيق وقربانهم الوسائل فهم لا يسأمون من خدمته ولا ينزلون في جميع أمورهم إلا عند أمره لمعرفتهم به أنه قد تكفل لهم بحسن النظر ألم تسمع إلى قول الله:{ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ} [الشورى: ١٩]، فدخلت النعم كلها في اللطف واللطف ظاهر على محبته خاصة دون الخليقة وذلك أن الحب إذا ثبت في قلب عبد لم يكن فيه فضل لذكر إنس ولا جان ولا جنة ولا نار ولا شيء إلا ذكر الحبيب وذكر أياديه وكرمه وذكر ما دفع عن المحبين له من شر المقادير كما دفع عن إبراهيم الخليل عليه السلام وقد أججت النار وتوعده المعاند بلهب الحريق فأراه جل وعز

آثار القدرة في مقامه ونصرته لمن قصده ولا يريد به بدلاً وذكر ما وعد أولياؤه من زيارتهم إياه وكشف الحجب لهم وأنهم لا يحزنهم الفزع الأكبر في يوم فزعهم إلى معونته على شدائد الأخطار

والوقوف بين الجنة والنار قال الحارث: وقيل إن الحب لله هو شدة الشوق وذلك أن الشوق في نفسه تذكار القلوب بمشاهدة المعشوق وقد اختلف العلماء في صفة الشوق فقالت فرقة منهم: الشوق انتظار القلب دولة الاجتماع وسألت رجلاً لقيته في مجلس الوليد بن شجاع يوماً عن الشوق متى يصح لمن ادعاه فقال: إذا كان لحالته صائناً مشفقاً عليها من آفات الأيام وسوء دواعي النفس وقد صدق العالم في قوله وذلك أن المشتاقين لولا أنهم ألزموا أنفسهم التهم والمذلة لسلبوا عذوبات الفوائد التي ترد من الله على قلوب محبيه قلت: فما الشوق عندك؟ قال: الشوق عندي سراج نور من نور المحبة غير أنه زائد على نور المحبة الأصلية قلت: وما المحبة الأصلية؟ قال: حب الإيمان وذلك أن الله تعالى قد شهد للمؤمنين بالحب له فقال: والذين آمنوا أشد حباً لله فنور الشوق من نور الحب وزيادته من حب الوداد وإنما يهيج الشوق في القلب من نور الوداد فإذا أسرج الله ذلك السراج في قلب عبد من عباده لم يتوهج في فجاج القلب إلا استضاء به وليس يطفئ ذلك السراج إلا النظر إلى الأعمال بعين الأمان فإذا أن على العمل من عدوه لم يجد لإظهاره وحشة السلب فيحل العجب وتشرد النفس مع الدعوى وتحل العقوبات من المولى وحقيق على من أودعه الله وديعة من حبه فدفع عنان نفسه إلى سلطان الأمان يسرع به السلب إلى الافتقاد وقالت امرأة من العوابد: والله لو وهب الله لأهل الشوق إلى لقائه حالة لو فقدوها

لسلبوا النعيم قيل لها: وما تلك الحالة؟ قالت: استقلال الكثير من أنفسهم ويعجبون منها كيف صارت مأوى لتلك الفوائد وهي وقيل لبعض العباد: أخبرنا عن شوقك إلى ربك ما وزنه في قلبك؟ فقال: العابد للسائل لمثلي يقال هذا لا يمكن أن يوزن في القلب شيء إلا بحضرة النفس وإن النفس إذا حضرت أمراً في القلب من ميراث القربة قذفت فيه أسباب الكدورات وقيل لمضر القارئ: الخوف أولى بالمحب أم الشوق فقال: هذه مسألة لا أجيب فيها ما اطلعت النفس على شيء قط إلا أفسدته وأنشدني عبدالعزيز بن عبدالله في ذلك يقول

الخـــــوف أولى بالمســـــيء ::: إذا نالــــــه والحـــــزن
والحـــب يحســـن بـــالمطيع ::: وبـــالنقى مـــن الـــدرن
والشـــوق للنجبـــاء والأبـــدال ::: عـــــن ذوي الفطــــن

فلذلك قيل الحب هوالشوق لأنك لا تشتاق إلا إلى حبيب فلا فرق بين الحب والشوق إذا كان الشوق فرعاً من فروع الحب الأصلي وقيل إن الحب يعرف بشواهده على أبدان المحبين وفي ألفاظهم وكثرة الفوائد عندهم الدوام الاتصال بحبيبهم فإذا واصلهم الله أفادهم فإذا ظهرت الفوائد عرفوا بالحب لله ليس للحب شبح مائل ولا صورة فيعرف بجبلته وصورته وإنما يعرف المحب بأخلاقه وكثرة الفوائد التي يجريها الله على لسانه بحسن الدلالة عليه وما يوحى إلى قلبه فكلما ثبتت أصول الفوائد في قلبه نطق اللسان بفروعها فالفوائد من الله واصلة إلى قلوب محبيه فأبين شواهد المحبة لله شدة النحول بدوام الفكر وطول السهر بسخاء الأنفس على الأنفس بالطاعة وشدة المبادرة خوف المعالجة والنطق بالمحبة على قدر نور الفائدة فلذلك

قيل إن علامة الحب لله حلول الفوائد من الله بقلوب من اختصه الله بمحبته وأنشد بعض العلماء:

لـــه خصـــائص يكلفـــون بحبـــه ::: اختـــارهم في ســـالف الأزمـــان
اختارهم من قبل فطـــرة خلقهـــم ::: بودائـــع وفوائـــد وبيـــان

فالحب لله في نفسه استنارة القلب بالفرح لقربه من حبيبه فإذا استنار القلب بالفرح استلذ الخلوة بذكر حبيبه فالحب هائج غالب والخوف لقلبه لازم لا هائج إلا أنه قد ماتت منه شهوة كل معصية وهدى لأركان شدة الخوف وحل الأنس بقلبه لله فعلامة الأنس استثقال كل أحد سوى الله فإذا ألف الخلوة بمناجاته حبيبه استغرقت حلاوة المناجاة العقل كله حتى لا يقدر أن يعقل الدنيا وما فيها ومن ذلك قول ضيغم العابد: عجباً للخليقة كيف استنارت قلوبهم بذكر غيرك.

وحدثني أبو محمد قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود إن محبتي في خلقي أن يكونوا روحانيين وللروحانية علم هو أن لا يغتموا وأنا مصباح قلوبهم، يا داود لا تمزج الغم قلبك فينقص ميراث حلاوة الروحانيين يا داود هممت للخبز أن تأكله وأنت تريدني وتزعم أنك منقطع إلي تدعي محبتي وأنك قد أحببتني وأنت تسيء الظن بي أما كان لك علم فيما بيني وبينك أن كشفت لك الغطاء عن سبع أرضين حتى أريتك دودة في فيها برة تحت سبع أرضين حتى تهتم بالرزق، يا داود أقر لي بالعبودية أبحك ثواب العبودية وهو محبتي، يا داود تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو يعلم أهل محبتي ما قدر المريدين عندي لكانوا للمريدين أرضاً يمشون عليها وللحسوا أقدامهم، يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن

لي خادماً واصبر على المؤونة تأتك المعونة يا داود لأن يخرج على يديك عبد ممن أسكره حب الدنيا حتى تستنقذه من سكرة ما هو فيه سميتك عندي جهبذا ومن كان جهبذا لم تكن به فاقة ولا وحشة إلى أحد من خلقي يا داود من لقيني وهو يحبني أدخلته جنتي[١].

- علامة أهل الصدق من المحبين غاية أملهم في الدنيا أن تصبر أبدانهم على الدون وأن تخلص لهم النيات من فسادها ومنهم من يريد في الدنيا شواهد ا لكرامات عند سرعة الإجابة وغاية أملهم في الآخرة أن ينعمهم بنظره إليهم فنعيمها الأسفار وكشف الحجاب حتى لا يمارون في رؤيته والله ليفعلن ذلك بهم إذا استزارهم إليه.

وحدثني بعض العلماء قال: أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء عليهم السلام بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي وما يكابد المكابدون في طلب مرضاتي فكيف إذا صاروا إلى جواري واستزرتهم للمقعد عندي أسفرت لهم عن وجهي فهنالك فليبشر المصفون للرحمن أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب أتراني أنسى لهم عملاً كيف وأنا ذو الفضل العظيم أجود على المولين عني فكيف بالمقبلين علي وما غضب على شيء كغضبي على من أخطأ خطيئة ثم استعظمها في جنب عفوي ولو عاجلت أحداً بالعقوبة لعاجلت القانطين من رحمتي ولو يراني عبادى كيف أستوهبهم ممن اعتدوا عليهم بالظلم في دار الدنيا ثم أوجبت لمن وهبهم النعيم المقيم لما اتهموا فضلي وكرمي ولو لم أشكر عبادى إلا على خوفهم من المقام بين يدي لشكرتهم على ذلك ولو يراني عبادى كيف أرفع

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٧٧ - ٧٩.

قصوراً تحار فيها الأبصار فيقال لمن هذه؟ فأقول لمن عصاني ولم يقطع رجاء مني فأنا الديان الذي لا تحل معصيتي ولا حاجة بي إلى هوان من خاف مقامي وحدثني بعض إخواني ممن يوثق به قال عاتب الحسن إخوانه في ترك مجالستهم فقال الحسن: مجالسة الله أشهى من مجالستكم وذكر الله أشفى من ذكركم أما بلغكم ما أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إنك خليلي فانظر لا أطلع عليك فأجدك شغلت قلبك بغيري فإني إنما أختار لخلتي من لو ألقي في النار وهو في ذكري لم يجد المس النار ألما ومن إذا تراءت له الجنة وقد زخرفت وزينت بحورها وما فيها من النعيم لم يرها بعينه ولا شغل بها عن ذكري فإذا كان كذلك تواترت عليه ألطافي وقربته مني ووهبت له محبتي ومن وهبت له محبتي فقد استمسك بحبلي فأي نعمة تعدل ذلك وأي شرف أشرف منه فوعزتي لأرينه وجهي ولأشفين صدره من النظر إلي وقال إبراهيم بن أدهم لو علم الناس لذة حب الله لقلت مطاعمهم ومشاربهم وحرصهم وذلك أن الملائكة أحبوا الله فاستغنوا بذكره عن غيره وسمعت محمد بن الحسين يقول: قال عتبة: الغلام من عرف الله أحبه ومن أحب الله أطاعه ومن أطاع الله أكرمه ومن أكرمه أسكنه في جواره ومن أسكنه في جواره فطوباه وطوباه والمحب الصادق إذا استنار قلبه بنور حب الوداد نحل جسمه لأن قليل المحبة يبين على صاحبها كثير النحول فإذا وردت خطرات الشوق عليه علم أنه من الله تعالى على خلال أربع إما أن يتقبل طاعته فيفوز بثوابها وإما أن يشغله في الدنيا بطاعته عن الآثام فتقل خطاياه وإما أن يتداركه بنظره فيلحقه بدرجة المحبين تفضلاً وإن لم يستحق ذلك فإن فاتته الثلاث لم يفته الرابع إن

شاء الله ثواب النصب لله وذلك أن قليل القربة عند الكريم يعتق بها الرقاب من النار فمن نجا من النار فماله منزلة غير الجنة ألم تسمع إلى قوله تعالى: {فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ} [الشورى: ٧]، فهل ترى لأحد منزلة بينهما ومن أراد الدخول في عز المحبة فعليه بمفارقة الأحباب والخلوة برب الأرباب فإن قيل: فمن أين؟ قلت: ذلك فقد حدثني بعض العلماء قال: قال إبراهيم بن أدهم لأخ له في الله: إن كنت تحب أن تكون لله ولياً وهو لك محباً فدع الدنيا والآخرة ولا ترغبن فيهما وفرغ نفسك منهما وأقبل بوجهك على الله يقبل الله بوجهه عليك ويلطف بك فإنه بلغني أن الله تعالى أوحى إلى يحيى بن زكريا عليهما السلام يا يحيى إني قضيت على نفسي أن لا يحبني عبد من عبادي أعلم ذلك منه إلا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي يتكلم به وقلبه الذي يفهم به فإذا كان ذلك كذلك بغضت إليه الاشتغال بغيري وأدمت فكرته وأسهرت ليله وأظمأت نهاره يا يحيى أنا جليس قلبه وغاية أمنيته وأمله أهب له كل يوم وساعة فيتقرب مني وأتقرب منه أسمع كلامه وأجيب تضرعه فوعزتي وجلالي لأبعثنه مبعثاً يغبطه به النبيون والمرسلون ثم آمر منادياً ينادي هذا فلان بن فلان ولي الله وصفيه وخيرته من خلقه دعاه إلى زيارته ليشفي صدره من النظر إلى وجهه الكريم فإذا جاءني رفعت الحجاب فيما بيني وبينه فنظر إلي كيف شاء وأقول أبشر فوعزتي وجلالي لأشفين صدرك من النظر إلي ولأجددن كرامتك في كل يوم وليلة وساعة فإذا توجهت الوفود إليه أقبل عليهم فقال: أيها المتوجهون إلى ما ضركم ما فاتكم من الدنيا إذا كنت لكم حظاً وما ضركم من عاداكم إذا كنت لكم سلماً قال: وحدثني الحسين

بن أحمد الشامي قال: سمعت ذا النون المصري يقول: قرأت في التوراة أن الأبرار الذين يؤمنون والذين في سبيل خالقهم يمشون وعلى طاعته يقبضون أولئك إلى وجه الجبار ينظرون فغاية أمل الآمل المحب الصادق النظر إلى وجه الله الكريم فلا ينعمهم في مجلسهم بشيء أكبر عندهم من النظر إلى وجهه وبلغني أنه ينعمهم بعد النظر بأصوات الروحانيين وبتلاوة داود عليه السلام الزبور فلو رأيت داود وقد أتي بمنبر رفيع من منابر الجنة ثم أذن له أن يرقى وأن يسمع حمده وثناءه وقد أنصت له جميع أهل الجنة من الأنبياء والأولياء والروحانيين والمقربين ثم ابتدأ داود بتلاوة الزبور على سكون القلب عند حسن حفظه وترجيعه وتسكنيه الصوت وحسن تقطيعه وقد وكل بها زمعها وفاح منها طربها وقد بدت النواجذ من الضاحكين بحبرة السرور وأجاب داود هواء الملكوت وفتحت مقاصير القصور ثم رفع داود عليه السلام من صوته ليتم سرورهم فلما أسمعهم الرفيع من صوته برز أهل عليين من غرف الجنة وأجابته الحور من وراء سترات الخدور بمفتنات النغم وأطت رحال المنبر واصطفقت الرياح فزعزعت الأشجار فتراسلت الأصوات وتجاوبت النغم وزادهم المليك الفهم ليتم ما بهم من النعم فلولا أن الله كتب لهم فيها البقاء لماتوا فرحاً قلت: فهل قالت العلماء في صفة يوم الزيارة شيئاً تصفهم به؟ قال: نعم اجتمع جماعة من العباد فأتوا عابداً في بيته فقالوا له: قل خيراً وأوصنا بوصية فقال: اقطعوا الدهر إخوتي بمناجاة ربكم واجعلوا الهم هماً واحداً فهو أهنأ لعيشكم قيل له: فما ميراث ذلك إذا نحن فعلناه فقال:

ترثـــوا العـــز والمـــنى ::: وتفــــوزوا بحظكــــم
فلعمـــري إن الملـــوك ::: لفــــى دون ملككــــم

قيل له فمتى نكون ملوكاً في الدنيا أو في الآخرة فقال:

إنمـــا تجعلـــون ملوكـــا ::: في الأخـــرى بزهـــدكم
حـــين يســـنكم العزيـــز ::: علـــى قـــدر شـــكركم
فتكونـــوا في القـــرب منـــه ::: علـــى قـــدر حـــبكم

قالوا: فما الذي يقطع بنا عنه عز وجل؟ فقال: لأنكم تتمادون في المنى وتتناسون فعلكم وأنتم مع ذلك تتمنوا أماني ليست تصلح بمثلكم وذلك أنكم شغلتم عن الإله بإصلاح عيشكم قالوا: فبم نستعين على الطاعة؟ قال: بذكر حبيب العابدين إنكم لو سقيتم من حبه مثل ما ذاق غيركم لنفى عنكم الرقاد على طيب فرشكم وارتياحاً يقل عند المناجاة صبركم ثم أرم ساعة يعنى سكت ثم أقبل عليهم فقال: إخوتي لو وردتم في غد عند بعثكم فوق نوق من النجائب معكم نبيكم لترزوروا ماجدا واحدا! لا يملكم قالوا له فما حال الزوار عنده إذا قصدوه تبارك اسمه معهم نبيهم قال إنهم حين قاربوه تجلى لقربهم فإذا عاينوا المليك تقضت همومهم سمعوا كلامه وسمع كلامهم قالوا: فما علامة من سقاه الله بكأس محبته فقال: علامته أن يكون عليل الفؤاد بذكر المعاد بطيء الفتور في جميع الأمور كثير الصيام شديد السقام عفيفاً كفيفاً قلبه في العرش جوال والله مراده في كل الأحوال قلت رحمك الله: ما أقرب ما يتقرب به العبد المحب إلى الله؟ قال: حدثني محمد

بن الحسين قال: سئل أبو سليمان الداراني عن أقرب ما يتقرب به إليه قال: أن يطلع على قلبه وهو لا يريد من الدنيا والآخرة غيره ففي هذا دليل على أن أقرب ما يتقرب به العبد إلى الله كل عمل عمله بالإخلاص لله والإشفاق عليه من عدوه وإن قل ذلك فهو المقبول إذا كان على حقيقة التقوى معمولاً كما قال علي بن أبي طالب عمل صالح دائم مع التقوى وإن قل وكيف يقل ما يتقبل وذلك أن المحب لله هو على الركن الأعظم من الإيمان الذي يمكن أن يستكمله العبد ولا يحسن به ادعاؤه وهو ركن المعرفة بالنعم وإظهار الشكر للمنعم وذلك أن الله تعالى يقول لولي من أوليائه يا عبدي أما زهدك في الدنيا فطلبت به الراحة لنفسك وأما انقطاعك إلي فتعززت بي فهل عاديت لي عدواً أو واليت لي ولياً فيخبرك أنه جعل الحب والبغض فيه أعظم عنده ثواباً من الزهد في الدنيا والانقطاع إليه قلت له صف لي زهد المحبين وزهد الخائفين وزهد الورعين وزهد المتوكلين فقال: إن العباد زهدوا في حلال الدنيا خوفاً من شدة الحساب إذ سئلوا عن الشكر فلم يؤدوا الشكر على قدر النعم وفرقة من الخائفين زهدوا في الحرام خوفاً من حلول النقمة فزهد الخائفين ترك الحرام البين وزهد الورعين ترك كل شبهة وزهد المتوكلين ترك الاضطراب فيما قد تكفل به من المعاش لتصديقهم بوفاء الضامن وزهد المحبين قد قالت فيه العلماء ثلاثة أقوال فقالت فرقة: زهد المحب في الدنيا كلها في حلالها وحرامها لقلتها في نفسه وقالت فرقة أخرى: زهد المحب في الجنة دون الدنيا حذراً من أن يقول له حبيبه يا محب أي شيء تركت لي فيقول: تركت لك الدنيا فيقول: وما قدر الدنيا؟ فيقول: يا رب قدرها جناح بعوضة فيلحقه من الحياء من

الله أن يقول له تركت لك ما قدره جناح بعوضة ولكن تعلم يا رب أني لم أعبدك إلا بثواب الجنة فقط لا أريد منك غير ذلك وما الجنة مع ذكرك فزهد المحب الصادق في الدنيا هو الزهد في الإخوان الذين يشغلون عن الله فقد زهد فيهم لعلمه بما يلحقه من الآفات عند مشاهدتهم فزهده فيهم على علم بهم [١].

- من عدم الفهم عن الله فيما وعظ لم يحسن أن يستجلب وعظ حكيم ومن خرج من سلطان الخوف إلى عزة الأمن اتسعت به الخطا إلى مواطن الهلكة فكشفت عنه ستر العدالة وفضحته شواهد العزة فلا يرى جميلاً يرغب فيه ولا قبيحاً يأنف عنه فتبسط نفسه إلى ري الشهوات ولا تميل إلى لذيذ الراحات فيستولي عليه الهوى فينقص قدره عند سيده ويشين إيمانه ويضعف يقينه.

- سئل الحارث بن أسد عن الزهد في الدنيا قال: هو عندي العزوف عن الدنيا ولذاذتها وشهواتها فتنصرف النفس ويتعزز الهم وانصراف النفس ميلها إلى ما دعا الله إليها بنسيان ما وقع به من طباعها واعتزاز الهم الانقطاع إلى خدمة المولى يضن بنفسه عن خدمة الدنيا مستحياً من الله أن يراه خادماً لغيره فانقطع إلى خدمة سيده وتعزز بملك ربه فترحل الدنيا عن قلبه ويعلم أن في خدمة الله شغلاً عن خدمة غيره فيلبسه الله رداء عمله ويعتقه من عبوديتها واعتز أن يكون خادماً للدنيا لعزة العزيز الذي أعزه بالاعتزاز عنها فصار غنياً من غير مال وعزيزاً من غير عشيرة ودرت ينابيع الحكمة من قلبه ونفدت بصيرته وسمت همته ووصل بالوهم إلى

(١) حلية الأولياء ١٠ /٨٠ - ٨٤.

منتهى أمنيته فترقى وارتفع ووصل إلى روح الفرج من هموم الأطماع وعذاب الحرص وقيل له كيف تفاوت الناس في الزهد؟ قال: على قدر صحة العقول وطهارة القلوب فأفضلهم أعقلهم وأعقلهم أفهمهم عن الله وأفهمهم عن الله أحسنهم قبولاً عن الله وأحسنهم قبولاً عن الله أسرعهم إلى ما دعا الله عز وجل وأسرعهم إلى ما دعا الله عز وجل أزهدهم في الدنيا وأزهدهم في الدنيا أرغبهم في الآخرة فبهذا تفاوتوا في العقول فكل زاهد زهده على قدر معرفته ومعرفته على قدر عقله وعقله على قدر قوة إيمانه فمن استولى على قلبه وهمه علم كشف الآخرة ونبهه التصديق على القدوم عليها وتبين بقلبه عوار الدنيا ودله بصائر الهدى على سوء عواقبها ومحبة اختيار الله في تركها والموافقة لله في العزوف عنها ترحلت الدنيا عن قلب هذا الموفق وسئل عن علامة الصادق فقال: أن يكون بصواب القول ناطقا لسانه محزون ونطقه بالحق موزون طاهر القلب من كل دنس ومصافي مولاه في كل نفس [1].

- المنقطع إلى الله عز وجل عن خلقه ظاهره ظاهر أهل الدنيا وباطنه باطن المجلين الهائبين لربهم لأنه صرف قلبه إلى ربه فاشتغل بذكر رضاه عن ذكر رضا خلقه فطاب في الدنيا عيشه وتطهر من آثامه وأنزل الخلق بالمنزلة التي أنزلهم ربهم عبيداً إذ لا يملكون له ضراً ولا نفعاً فآثر رضاء الله على رضاهم فسخت نفسه بطلب رضى الله وإن سخط جميع خلق الله يرضى الله بسخط كل أحد ولا يسخط الله برضى أحد من خلقه فملاك أمره في جميع ذلك ترك الاشتغال والتثبيت لمراقبة الرقيب عليه فلا يعجل فيسخطه عليه

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٨٥.

وقال: أسرع الأشياء عظة للقلب وانكسارا له ذكر إطلاع الله بالتعظيم له وأسرع الأشياء إماتة للشهوات لزوم القلب الأحزان وأكثر الأشياء صرفاً إزالة الاشتغال بالدنيا من القلوب عند المعاينة والمباشرة لها الاعتبار بها والنظر إلى ما غاب من الآخرة وأسرع الأشياء هيجاناً للتعظيم لله من القلب تدبر الآيات والدلائل في التدبير المحكم والصنعة المحكمة المتقنة من السماء والأرض وما بث بينهما من خلقه دلائل ناطقة وشواهد واضحة أن الذي دبرها عظيم قدره نافذ مشيئته عزيز في سلطانه وأشد الأشياء للقلب عن التشاغل بالدنيا الكمد من بعد الحزن وأبعث الأشياء على سخاء النفوس بترك الشهوات الشوق إلى لقاء العزيز الكبير وأشد الأشياء إزالة للمكابدات في علو الدرجات في منازل العبادات لزوم القلب محبة الرحمن وأنعم الأشياء لقلوب العابدين وأدومها لها سروراً الشوق إلى قرب الله واستماع كلامه والنظر إلى وجهه وأظهرها لقلوب المريدين التوبة النصوح منهم للعرض على رب العاملين فتلك طهارة المتقين ومن بعدها طهارة المحبين وهو قطع الأشغال لكل شيء من الدنيا عن محبوبهم فإذا طهرت القلوب من كل شيء سوى الله خلا من ذكر كل قاطع عن الله وزال عنه كل حاجب يحجب عنه فتم بالله سروره وصفا ذكره في قلبه واستنار له سبيل الاعتبار فكانت الدنيا وأهلها عينا ينظر بها إلى ما سترته الحجب من الملكوت فحينئذ دام بالله شغله وطال إليه حنينه وقرت بالله عينه فالحزن والكمد قد أشغلا قلبه والمحبة والشوق قد أشخصا إلى الله فؤاده فشوقه إلى طلب القرب والحزن أن يحال بينه وبينه(١).

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٨٦.

قال أحمد بن عبدالله بن ميمون قلت: للحارث بن أسد: ما المزهود من أجله؟ قال: الذي تجانب الدنيا من أجله خمسة أشياء أحدها أنها مفتنة مشغلة للقلوب عنه والثانية أنها تنقص غداً من درجات من ركن إليها فلا يكون له من الدرجات كمن زهد فيها والثالثة أن تركها قربة وعلو عنده في درجات الجنة والرابعة الحبس في القيامة وطول الوقوف والسؤال عن شكر النعيم بها وفي واحدة من هذه الخصال ما يبعث المريد اللبيب على رفضها ليشتري بها خيراً منها والخامسة أعظم ما رفضوا من أجله موافقة الرب في محبته أن يصغروا ما صغر الله ويقللوا ما قلل الله ويبغضوا ما أبغض الله ويرفضوا ما أحب الله رفضه لو لم ينقصهم من ذلك ولم يشغلهم في دنياهم عن طاعته ولم يغفلوا عن شكره وكان ثواب الرافض لها في الآخرة والراكن إليها واحداً كان الله عز وجل أهلاً أن يبغض ما أبغض ويتهاون بما أهان عليه وذلك زهد المحبين له المعظمين المجلين وقد دل الله عز وجل على هذه الخمس خصال بكتابه وسنة نبيه ﷺ وما نطق به أهل الخاصة من عباده الحكماء العلماء[1].

- العلم يورث المخافة والزهد يورث الراحة والمعرفة تورث الإنابة وخيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن آخرتهم ومن صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة ومن اجتهد في باطنه ورثه الله حسن

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٨٧.

معاملة ظاهره ومن حسن معاملته في ظاهره مع جهد باطنه ورثه الله الهداية إليه لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩].

- وسئل الحارث بن أسد: بم تحاسب النفس؟ قال: بقيام العقل على حراسة جناية النفس فيتفقد زيادتها من نقصانها فقيل له ومم تتولد المحاسبة قال من مخاوف النقص وشين البخس والرغبة في زيادة الأرباح والمحاسبة تورث الزيادة في البصيرة والكيس في الفطنة والسرعة إلى إثبات الحجة واتساع المعرفة وكل ذلك على قدر لزوم القلب للتفتيش فقيل له من أين تخلف العقول والقلوب عن محاسبةالنفوس؟ قال: من طريق غلبةالهوى والشهوة لأن الهوى والشهوة يغلبان العقل والعلم والبيان وسئل مم يتولد الصدق؟ قال: من المعرفة بأن الله يسمع ويرى وخوف السؤال عن مثاقيل الذر من إرسال اللفظ وخلف الوعد وتأخير الضمان فالمعرفة أصل للصدق والصدق أصل لسائر أعمال البر فعلى قدر قوة الصدق يزداد العبد في سائر أعمال البر.

- وسئل عن الشكر ما هو؟ قال: علم المرء بأن النعمة من الله وحده وأن لا نعمة على خلق من أهل السموات والأرض إلا وبدائعها من الله فشكر الله عن نفسه وعن غيره فهذا غاية الشكر وسئل عن الصبر قال: هو المقام على ما يرضي الله تبارك وتعالى بترك الجزع وحبس النفس في مواضع العبودية مع نفي الجزع فقيل له: فما التصبر؟ قال: حمل النفس على المكاره وتجرع المرارات وتحمل المؤن واحتمال المكابدات لتمحيص الجنايات وقبول التوبة لأن مطلب المتصبر تمحيص الجنايات رجاء الثواب ومطلب الصابر

بلوغ ذرى الغايات والمتصبر يجد كثيراً من الآلام والصابر سقط عنه عظيم المكابدات لأن مطلبه العمل على الطيبة والسماحة لعلمه بأن الله ناظر إليه في صبره وأنه يعينه وأن صبره لمولاه لما يرضي مولاه عنه فاحتمل المؤن وفيه يقول الحكيم:

رضيت وقد أرضى إذا كان مسخطي ::: من الأمر ما فيه رضى من له الأمر
وأشجيت أيامي بصبر حلون لي ::: عواقبه والصبر مثل اسمه صبر

- قيل فكيف السبيل إلى مقام الرضا قال: علم القلب بأن المولى عدل في قضائه غير متهم وأن اختيار الله له خير له من اختياره لنفسه فحينئذ أبصرت العقول وأيقنت القلوب وعلمت النفوس وشهدت لها العلوم أن الله أجرى بمشيئته ما علم أنه خير لعبده في اختياره ومحبته وعلمت القلوب أن العدل من واحد ليس كمثله شيء فخرست الجوارح من الاعتراض على من قد علمت أنه عدل في قضائه غير متهم في حكمه فسر القلب من قضائه (١).

- أعلم بأنك لست بشيء إلا بالله وليس لك شيء إلا ما نلت من رضوان الله وأنك إن اتقيته في حقه وقاك شر من دونه ولا يصلح عبد إلا أصلح الله بصلاحه سواه ولا يفسد عبد إلا أفسد الله بفساده غيره فأعداؤك من نفسك طبائعك السيئة وأولياؤك من نفسك طبائعك الحسنة فقاتل ما فيك من ذلك ببغض وقاتل أعداءك بأوليائك وغضبك بحلمك وغفلتك بتفكرك وسهوك بتنبهك فإنك قد منيت وابتليت من معاني طبائعك ومكابدة هواك وعليك بالتواضع فالزمه وأعلم أن لك من العون عليه أن تذكر الذي أنت فيه والذي تعود إليه والتواضع له وجوه شيء فأشرفها وأفضلها أن لا ترى لك على أحد فضلاً وكل

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٨٨ - ٨٩.

من رأيت كن له بالضمير والقلب مفضلاً ومن رأيت من أهل الخير رجوت بركته والتمست دعوته وظننت أنه إنما يدفع عنك به فهذا التواضع الأكبر والتواضع الذي يليه أن يكون العبد متواضعاً بقلبه متحبباً إلى من عرفه غير محتقر لمن خالفه ولا مستطيلاً على من هو بحضرته وليس بقريب منه وأما التواضع الثالث فهو اللازم للعباد الواجب عليهم الذي لو تركوه كفروا فالسجود لله وبذلك جاء الحديث إنه من وضع جبهته لله فقد برئ من الكبر وقد من الله تعالى به علينا وعليكم أبلغنا الله وإياكم التواضع الأكبر [١].

- افهم ما أقول لك وفرغ للفكرة فيه عقلك وأدم له توهمك وتوهمه بذهنك وأحضر لبك واشتغل بذكره وبقطع كل مذكور سواه ومتوهم غيره فإنا خلقنا للبلوى والاختبار وأعد لنا الجنة أو النار فعظم ذلك الخطر وطال به الحزن لمن عقل واذكر حتى تعلم أين يكون المصير والمستقر ذلك بأنه قد عصى الرب وخالف المولى وأصبح وأمسى بين الغضب والرضا لا يدري أيهما قد حل به ووقع فعظم لذلك غمه واشتد به كربه وطال له حزنه حتى يعلم كيف عند الله حاله فإليه فارغب في التوفيق وإياه فسل العفو عن الذنوب واستعن بالله في كل الأمور فالعجب كيف تقر عينك أو يزول الوجل عن قلبك وقد عصيت ربك والموت نازل بك لا محالة بكربه وغصصه ونزعه وسكراته فكأنه قد نزل بك وشيكاً فتوهم نفسك وقد صرعت للموت صرعة لا تقوم منها إلا إلى الحشر إلى ربك فتوهم ذلك بقلب فارغ وهمة هائجة من قلبك بالرحمة لبدنك الضعيف وارجع عما يكره مولاك وترضى عسى أن يرضى عنك واعتبه

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٨٩.

واستقله عثراتك وابك من خشيته عسى أن يرحم عبراتك فإن الخطب عظيم والموت منك قريب ولامولاك مطلع على سرك وعلانيتك واحذر نظره إليك بالمقت والغضب وأنت لا تشعر فأجل مقامه ولا تستخف بنظره ولا تتهاون باطلاعه واحذره ولا تتعرض لمقته فإنه لا طاقة لك بغضبه ولا قوة لك بعذابه [(١)].

- سئل الحارث بن أسد عن مقام ذكر الموت ما هو عندك مقام عارف أو مستأنف فقال: ذكر الموت أولاً مقام المستأنف وآخر مقام العارف قيل له: بين من أين قلت ذلك؟ قال: نعم أما المستأنف فهو المبتدئ الذي يغلب على قلبه الذكر فيترك الزلل مخافة العقاب فكلما هاج ذكر الموت من قلبه ماتت الشهوات عنده وأما العارف فذكره للموت محبة له اختياراً على الحياة وتبرماً بالدنيا التي قد سلا قلبه عنها شوقاً إلى الله ولقائه رجاء أمل النظر إلى وجهه والنزول في جواره لما غلب على قلبه من حسن الظن بربه كما قيل:

طال شوق الأبرار إلى الله ::: والله إلى لقائهم أشوق

قيل له: فكيف نعت ذكر الموت في قلب المستأنف وقلب العارف؟ قال: المستأنف إذا حل بقلبه ذكر الموت كرهه وتخير البقاء ليصلح الزاد ويرو الشعث ويهيىء الجهاز للعرض والقدوم على الله ويكره أن يفاجئه الموت ولم يقض نهمته في التوبة والاجتهاد والتمحيص فهو يحب أن يلقى الله على غاية الطهارة وأما نعته في قلب العارف فإنه إذا خطر ذكر ورود الموت بقلبه صادقت منه موافق مراده وكره التخلف في دار العاصين وتخير سرعة انقضاء الأجل وقصر الأمل فقيرة إليه نفسه مشتاق إليه قلبه كما روي عن

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٩٠.

حذيفة بن اليمان حين حضره الموت قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم اللهم إن كنت تعلم أن الموت أحب إلي من الحياة فسهل علي الموت حتى ألقاك.

- وسئل الحارث عن قول أبي سليمان الداراني ما رجع من وصل لو وصلوا ما رجعوا فقال: قول أبي سليمان يحتمل أجوبة كثيرة قيل: اشرح منها شيئا قال: يمكن أن يكون هذا من أبي سليمان على طريق التحريض للمريدين لئلا يميلوا إلى الفتور ويحترزوا من الانقطاع ويجدوا في طلب الاتصال والقربة إلى الله عز وجل ويحتمل أن يكون أراد عاليا ما رجع إلى الزلل من وصل إلى صافي العمل ويحتمل ما رجع إلى وحشة الفتور من تقحم في المقامات السنية من الأمور ويحتمل ما رجع إلى ذل عبودية المخلوقين من وصل إلى طيب روح اليقين واستند إلى كفاية الواثقين واعتمد على الثقة بما وعد رب العالمين فعلى هذه المعاني يحتمل الجواب في هذه المسألة على سائر المقامات فبات السائل تلك الليلة عند الحارث فلما أصبح قال الحارث: رأيت فيما يرى النائم كأن راكبا وقف وأنا أتكلم في هذه المسألة فقال وهو يشير بيده: ما رجع إلى الانتقاص من وصل إلى الإخلاص قال: وسئل الحارث فقيل له: رحمك الله البلاء من الله للمؤمنين كيف سببه؟ قال: البلاء على ثلاث حجات على المخلطين نقم وعقوبات وعلى المستأنفين تمحيص الجنايات وعلى العارفين من طريق الاختبارات فقيل له: صف تفاوتهم فيما تعبدوا به قال: أما المخلطون فذهب الجزع بقلوبهم وأسرتهم الغفلة فوقعوا في السخط وأما المستأنفون فأقاموا لله بالصبر في مواطن البلاء حتى تخلصوا ونجوا منه بعد مكابدة ومؤنة وأما العارفون فتلقوا البلاء

بالرضا عن الله عز وجل فيما قضى وعلموا أن الله عدل في القضاء فسروا بحلول المكروه لمعرفة عواقب اختيار الله لهم قيل له: فما معنى هذه الآية ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم أو لم يعلم قال: بلى قد علم ما يكون قبل أن يكون ولكن معنى قوله حتى نعلم حتى نرى المجاهدين في جهادهم والصابرين في صبرهم وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل إني لحفي بالمريدين لي وإن بعيني ما تحمل المتحملون من أجلي وما يكابد المكابدون في طلب رضائي أتراني أضيع لهم عملاً أو أنسى لهم أثراً كيف وأنا ذو الجود أجود بفضلي على المولين عني فكيف بالمقبلين إلي قيل: رحمك الله ما الذي أفاد قلوب العارفين وأهل العقل عنه في مخاطبة الآية قال: تلقوا المخاطبة من الله بقوة الفهم عن الله حتى كأنهم يسمعون منه وأنه أقرب إليهم في وقت البلاء من أنفسهم إلى أبدانهم فعلموا أنهم بعينه فقووا على إقامة الصبر والرضا في حالة المحن إذ كانوا بعين الله والله تعالى يراهم فحين أسقطوا عن قلوبهم الاختيار والتملك باحتيال قوة ولجوا إليه وطرحوا الكنف بين يديه واستبسلت جوارحهم في رق عبوديته بين يدي مليك مقتدر فشال عند ذلك صرعتهم وأقال عثرتهم وأحاطهم من دواعي الفتور ومن عارض خيانة الجزع وأدخلهم في سرادق حسن الإحاطة من ملمات العدو ونزغاته وتسويله وغروره فأسعفهم بمواد الصبر منه ومنحهم حسن المعرفة والتفويض ففوضوا أمورهم إليه وألجؤا إليه همومهم واستندوا بوثيق حصن النجاة رجاء روح نسيم الكفاية وطيب عيش الطمأنينة وهدوء سكون الثقة ومنتهى سرور تواتر معونات المحنة وعظيم جسيم قدر

الفائدة وزيادات قدر البصيرة وعلموا أنه قد علم منهم مكنون سرهم وخفى مرادهم ويكون ما حصل في القلوب من يقينهم وما شارت إليه في بواطن أوهامها وسر غيبها فعظم منهم حرص الطلب وغاب منهم مكامن فتور الجد لمعرفة المعذرة فيهم فهؤلاء في مقامات حسن المعرفة وحالات اتساع الهداية وحسن بهاء البصيرة فاعتزوا بعزة الاعتماد على الله فقال له السائل: حسبي رحمك الله فقد عرفتني مالم أكن أعرف وبصرتني مالم أكن أبصر وكشفت عن قلبي ظلمة الجهل بنور العلم وفائدة الفهم وزيادات اليقين وثبتني في مقامي وزدتني في قدر رغبتي وروحتني من ضيق خاطري فأرشدك الله إلى سبيل النجاة ووفقك للصواب بمنه ورأفته إنه ولي حميد [1].

- وسئل عن المراقبة لله وعن المراقب لربه فقال: إن المراقبة تكون على ثلاث خلال على قدر عقل العاقلين ومعرفتهم بربهم يفترقون في ذلك فإحدى الثلاث الخوف من الله والخلة الثانية الحياء من الله والخلة الثالثة الحب لله فأما الخائف فمراقب بشدة حذر من الله تعالى وغلبة فزع وأما المستحيي من الله فمراقب بشدة انكسار وغلبة إخبات وأما المحب فمراقب بشدة سرور وغلبة نشاط وسخاء نفس مع إشفاق لا يفارقه ولن تكاد أن تخلو قلوب المراقبين من ذكر إطلاع الرقيب بشدة حذر من قلوبهم أن يراهم غافلين عن مراقبته والمراقبة ثلاث خلال في ثلاثة أحوال أولها التثبت بالحذر قبل العمل بما أوجب الله والترك لما نهى الله عنه مخافة الخطا فإذا تبين له الصواب بالمبادرة إلى العمل بما أوجب الله والترك لما نهى الله مخافة التفريط فإذا دخل في العمل فالتكميل للعمل مخافة التقصير

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٩٣.

فمن لم يثبت قبل العمل مخافة الخطأ فغير مراقب لمن يعمل له إذا كان لا يأمن من أن يعمل على غير ما أحب وأمر به ومن لم يبادر ويسارع إلى عمل ما يحب الله بعد ما تبين له الصواب فما راقب إذا بطأ عن العمل لمحبة من يراقبه إذ يراه متثبطاً عن القيام بما أمر به ومن لم يجتهد في تكميل عمله فضعيف مقصر في مراقبة من يراقبه إذا قصر عن إحكام العمل لمن يعمل وقد علم أن الله جل ثناؤه يحب تكميله وإحكامه وقال سبع خلال يكمل لها عمل المريد وحكمته حضور العقل ونفاد الفطنة وسعة العمل بغير غلط وقهر العقل للهوى وعظم الهم كيف يرضي الرب تعالى والتثبت قبل القول والعمل وشدة الحذر للآفات التي تشوب الطاعات وأقل المريدين غفلة أدومهم مراقبة مع تعظيم الرقيب والدليل على صدق المراقبة بإجلال الرقيب شدة العناية بالفطنة لدواعي العقل من دواعي الهوى والتثبت بالنظر بنور العلم والتمييز بين الطاعة وما شابهها من الآفات وقوة العزم على تكميل المراقبة في الحظوة في عين المليك المطلع وشدة الفزع مما يكره خوف المقت والدليل على قوة الخوف شدة الإشفاق مما مضى من السيئات أن لا تغفر وما تقدم من الإحسان أن لا يقبل ودوام الحذر فيما يستقبل أن لا يسلم وعظم الهم من عظيم الرغبة وعظيم الرغبة من كبر المعرفة بعظيم قدر المرغوب فيه وإليه وسمو الهمة يخفف التعب والنصب ويهون الشدائد في طلب الرضوان ويستقل معه بذل المجهود بعظيم ما ارتفع إليه الهم والنشاط بالدوب دائم والسرور بالمناجاة هائج والصبر زمام النفس عن المهالك وإمساك لها على النجاة فاليقين راحة للقلوب من هموم الدنيا وكاسب لمنافع الدين كلها وحسن الأدب زين للعالم وستر

للجاهل من قصر أمله حذر الموت ومن حذر الموت خاف الفوت ومن خاف الفوت قطع الشوق ومن قطع الشوق بادر قبل زوال إمكان الظفر فاجعل التيقظ واعظك والتثبت وكيلك والحذر منبهك والمعرفة دليلك والعلم قائدك والصبر زمامك والفزع إلى الله عز وجل عونك ومن لم توسعه الدنيا غنى ولا رفعة أهلها شرفاً ولا الفقر فيها صفة فقد ارتفعت همته وعزفت عن الدنيا نفسه من كانت نعمته السلامة من الآثام ورغب إلى الله في حوادث فوائد لمريد نقل عن الدنيا بقلبه ومن اشتد تفقده ما يضره في دينه وينفعه في آخرته وذكر اطلاع الله إليه ومثل عظيم هول المطلع وأشفق مما يأتي به الخير فقد صدق الله في معاملته وحقق استعمال ما عرفه ربه ومن قدم العزم لله على العمل بمحبته ووفاء لله بعزمه وجانب ما يعترض بقلبه من خطرات السوء ونوازع الفتن فقد حقق ما علم وراقب الله في أحواله كهف المريد وحرزه التقوى والاستعداد عونه وجنته التي يدفع بها آفات العوارض وسور النوازل والحذر يورثه النجاة والسلامة والصبر يورثه الرغبة والرهبة وذكر كثرة سوالف الذنوب يورثه شدة الغم وطول الحزن وعظم معرفته بكثرة آفات العوارض في الطاعات تورثه شدة الإشفاق من رد الإحسان (١).

- سأل سائل الحارث بن أسد ما بالي أغتم على ما يفوتني من العلم ولا أعمل بما استفدت منه قال: لأنك لا تخاف عظيم حجة الله عليك فيما علمت وضيعت العمل لله فيما أوجبه عليك ولم تقدم العزم أن تقوم بما تستفيد من العلم فيما تستزيد منه وكان يحق عليك أن تكون بما علمت ولزمتك من الله أعظم الحجة لأنك أن تضيع حق الله

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٩٤.

وأنت لا تعلم خير من أن تضيع حق الله وأنت تعلم لأن الجاهل لا يؤتى بتعمد من قلبه ولا جرأة واستخفافاً باطلاع ربه والعالم بما يأتي متعمداً ترك حق ربه بقلة رهبة من الله متهاون بنظر الله متعرض لسخطه وهو يعلم ويتشوق لحرمان جوار الله وهو يبصر فآثر القليل الفاني على العظيم الباقي وولى على النجاة من العذاب وسلك الطريق إلى عذاب الجحيم وسمحت نفسه بالجنة وأسلمها لأيدي العقوبة قلت: إني لا أقوى على الحلم عند الشتم والأذى فقال: ثقل عليك كظم الغيظ وخف عليك الاشتفاء قلت: مم ثقل علي كظم الغيظ وخف على التشفي؟ قال: لأنك تعد الحلم ذلاً وتستعمل السفه أنفاً قلت: فبم أقوى على كظم الغيظ؟ قال: بصبر النفس وحبس الجوارح قلت: بم أجتلب صبر النفس وكف الجوارح؟ قال: بأن تعقل وتعلم أن الحلم عز وزين والسفه ذل وشين قلت: كيف أعقل ذلك وقد حل بقلبي ضده فغلب عليه أني إن صبرت على كظم الغيظ كان ذلك إذلالاً لي ممن أذاني ولزم قلبي الأنف أن يكون من شتمني قد قهرني وعجزت عن الانتقام منه وإشفاء غيظي قال: إنما لزم قلبك ذلك لأنك لم تعقل ظاهر قبح السفه منك وحسن ستر الحلم عليك وجزيل مثوبة الله لك في آخرتك قلت وبم أعرف هاتين الخصلتين؟ قال: أما قبح السفه وزوال حسن رد الحلم فبما ترى من أحوال شاتمك ومؤذيك بالغيظ والغضب من لونه وفتح عينيه وحمرة وجهه وانقلاب عينيه وكراهية منظره واستخفافه بنفسه وزوال السكينة والوقار عن بدنه فأنت تبين ذلك منه ويراه كل عاقل من فاعله فإذا بليت بذلك فاذكر ما أعد الله سبحانه وتعالى للكاظمين الغيظ من إيجاب محبته وجزيل ثوابه فإن الاشتفاء ينقضي سريعاً ويبقى سوء عاقبته في آخرتك

وكظم غيظك يسكن سريعاً ويدخر ثواب الله بذلك في معاده ولا ينبغي للعاقل أن يرضى بدناءة نفسه وسوء رغبته بأن يكون ممن ترضيه اللمحة فيستشرق لها وجهه فرحاً وتغضبه الكلمة فيستطير من أجلها سفهاً حتى يظلم لها وجهه وتضطرب لها فرائصه وإنما هي كلمة لم تعد قائلها إلى المشتوم بها ولكنها أزرت بقائلها وأوجبت السفه عليه في آخرته واستخف بنفسه ولم تضر من أسمعها في دين ولا دنيا فقائلها والله يستحق أن يرحم لما قد أنزل بنفسه ووضع من قيمته وقدره وعصى بها ربه وعلى المشتوم بها الشكر لله إذ لم يسلمه الله ولم يخذله حتى يصير مثل حال شاتمه مع ما قد صار له من التبعة في رقبته يأخذها منه في يوم فاقته وفقره وأول ما يرث المريد العارف بربه معرفته بدائه ودوائه في عقله ورأيه والسليم القلب المتيقظ عن ربه الغافل عن عيوب العباد المتفقد لغيوب نفسه أنس المريد الوحشة من العباد مع دوام الذكر لله بقلبه وأكرم أخلاق المريد إكرامه نفسه عن الشر ودناءة الأخلاق وعظيم الهمة بالظفر بما يرضى الله ويطير معه النوم ويقل معه النسيان ومن صدق العالم في علمه اهتمامه بمعرفة معاني الزوائد ليقوم لربه بحسن الرعاية وطلب الصمت مع الفكرة والأنس بالعزلة يبعث على طلب معاني الحكمة ودوام التوهم بنظر القلب إلى شدائد القيامة يزول به السرور بالدنيا ويورث القلب الانكسار والبكاء به ويعمل على الاستعداد للعرض الأكبر والسؤال الأعظم

أخبرنا محمد بن أحمد في كتابه أخبرني أحمد بن عبدالله بن ميمون قال: قال الحارث بن أسد أصفى الأشياء من كل آفة بل أن لا تقاربها الآفات النصح لله لأن الناصح متى قبل خطرة من رياء أو

عجب أو غير ذلك مما كره الله فقد خرج من النصح بقدر قبوله لما يكره ربه وأهون الأشياء وأكسرها لدواعي الهوى ذكر عظيم سوء العاقبة في تعجيل اللذة الأشياء وأعون على التحمل للمكروه ذكر عظيم العاقبة في ثواب ما يحمله العبد من المكاره في التقرب إلى الله عز وجل وأعون الأشياء على استجلاب الأحزان طول التوحش والانفراد من الخلق مع طول الفكرة ودوامه في عواقب الأمور ليوم العرض فمن لم يمكنه الخلوة والانفراد وطول الصمت مع دوام الذكر للرقيب لما أحب من المحبوب والمكروه وأجلب الأشياء لتيقظ القلب من شهوة التقدم في إلزام القلب الحذر من الغفلة عن الرب عز وجل وأجلب الأشياء للذكر وأطرده للنسيان شدة العناية بعمران القلب بذكر المولى لأنه إذا قدم العناية وألزمها قلبه لا يغفل قلبه عن ذكر المولى هاج للذكر وتفرغ عن النسيان قال: وسئل الحارث عما ينال به الإخلاص فقال: ينال بثلاث خلال والمخلص في بعضها أقوى من بعض ودواعي الرياء عليه أقل وأضعف وهو في بعضها أضعف إخلاصاً والدواعي عليها أكبر وأقوى فأعلاها التي يكون بها المخلص أقوى المخلصين والخطرات عليه أقل وأضعف تعظيم قدر الرب وإجلاله واستصغار قدر المخلوقين أنهم لا يستأهلون أن يتقرب إليهم بطاعة الرب حتى يضعهم العبد بحيث وضعهم الله من الحاجة والفاقة والمسكنة إذ خلقهم المولى من ملك الضر والنفع ولم يجعل لأحد من الخلق شركة في الأشياء ولا يليق بهم ذلك وذلك مستحيل أن يملك العبد المحدث مع القديم الأول مثقال ذرة لا أصغر ولا أكبر ولا يملك ضراً ولا نفعاً فإن أعظم قدر الرب بقلبه وأنزل عباده بالمنزل الذي هم به انصرف قلبه عن طلب حمد المخلوقين إذ عرف

قدرهم وانصرفت نفسه عنهم في طلب كل منفعة دنيا وآخرة وارتاح قلبه لطلب حمد الله والتحبب إلى الله إذ عرف قدره وأن إليه حاجته في الدنيا والآخرة وأنه لا ينال منفعة فيهما إلا منه وأنه أهل أن يرجى ويؤمل جوده وكرمه فإن لم يقو على هذه الخلة فالخلة الثانية أن يذكر اطلاع الله على ضميره وهو يريد بطاعته حمد عبد مملوك ضعيف يتحبب إليه بالمقت إلى مولاه ويتقرب إليه بالتباعد من سيده ويحظى في عين عبد مملوك ضعيف يبلى ويموت بالسقوط من عين الإله الذي لا يموت فإنه حينئذ يستكين عقله ويخشع طبعه من قبول كل خطرة تدعوه إلى إرادة المخلوقين بطاعة ربه فإن لم يقو على هذه الخلة فالخلة الثالثة أن يرجع إلى نفسه بالرحمة لها والإشفاق عليها من حبط عمله في يوم فاقته وفقره فيبقى خاسرا قد حبط إحسانه وخسر عمله ثم لا يأمن أن يكون ذلك لو أخلصه لرجحت حسناته على سيئاته قبحاً لها إذا أراد به العباد فتبقى حسناته خفيفة وسيئاته راجحة فيؤمر به إلى عذاب الله فيتلهف أن لا يكون أخلصه لربه فنجا من عذاب الله مع سؤال الله والتوبيخ منه والتعيير إذا أراد به العباد ولها عنه تعالى وتقرب إليهم بالتباعد منه [(١)].

- وسئل ما علامة محبة الله للعبد فقال للسائل: ما الذي كشف لك عن طلب علم هذا؟ فقال: قوله تعالى:{إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ} [آل عمران: ٣١]، فعلمت أن علامة محبة العبد لله اتباع رسوله ثم قال: يحببكم الله فما علامة محبة الله للعبد؟ فقال: لقد سألت عن شيء غاب عن أكثر القلوب إن علامة محبته الله للعبد أن يتولى الله سياسة همومه فيكون في جميع أموره هو المختار لها ففي الهموم التي لا

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٩٥ - ٩٧.

تعترض عليها حوادث القواطع ولا تشير إلى التوقف لأن الله هو المتولي لها فأخلاقه على السماحة وجوارحه على الموافقة يصرخ به ويحثه بالتهدد والزجر فقال السائل: وما الدليل على ذلك؟ فقال: خبر النبي ﷺ إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه فقال السائل: زدني من علامة محبة الله للعبد قال: ليس شيء أحب إلى الله من أداء الفرائض بمسارعة من القلب والجوارح والمحافظة عليها ثم بعد ذلك كثرة النوافل كما قال النبي ﷺ يقول الله تعالى ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته فقال السائل: رحمك الله صف لي من علامات وجود قلبه قال: محبوسة يا فتى في سر الملاطفة مخصوصة بعلم المكاشفة مقلبة بتنعم النظر في مشاهدة الغيب وحجاب العز ورفعة المنعة فهى القلوب التي أسرت أوهامها بعجب نفاذ إتقان الصنع فعندها تصاعدت المنى وتواترت على جوارحها فوائد الغنى فانقطعت النفوس عن كل ميل إلى راحة وانزعجت الهموم وفرت من الرفاهة فنعمت بسرائر الهداية وعلمت طرق الولاية وغذيت من لطيف الكفاية وأرسلت في روضة البصيرة وأحلت القلوب محلاً نظرت فيه بلا عيان وجالت بلا مشاهدة وخوطبت بلا مشافهة فهذا يا فتى صفة أهل محبة الله من أهل المراقبة والحياء والرضا والتوكل فهم الأبرار من العمال وهم الزهاد من العلماء وهم الحكماء من النجباء وهم المسارعون من الأبرار وهم دعاة الليل والنهار وهم أصحاب صفاء التذكار وأصحاب الفكر والاعتبار وأصحاب المحن والاختبار هم قوم

أسعدهم الله بطاعته وحفظهم برعايته وتولاهم بسياسته فلم تشتد لهم همة ولم يتسقط لهم إرادة همومهم في الجد والطلب وأرواحهم في النجاة والهرب يستقلون الكثير من أعمالهم ويستكثرون القليل من نعم الله عليهم إن أنعم عليهم شكروا وإن منعوا صبروا يكاد يهيج منهم صراخ إلى مواطن الخلوات ومعابر العبر والآيات فالحسرات في قلوبهم تتردد وخوف الفراق في قلوبهم يتوقد نعم يا فتى هؤلاء قوم أذاقهم الله طعم محبته ونعمهم بدوام العذوبة في مناجاته فقطعهم ذلك عن الشهوات وجانبوا اللذات وداموا في خدمة من له الأرض والسموات فقد اعتقدوا الرضا قبل وقوع البلا ومنقطعين عن إشارة النفوس منكرين للجهل المأسوس طاب عيشهم ودام نعيمهم فعيشهم سليم وغناهم في قلوبهم مقيم كأنهم نظروا بأبصار القلوب إلى حجب الغيوب فقطعوا وكان الله المنا والمطلوب دعاهم إليه فأجابوه بالحث والجد ودوام السير فلم تقم لهم أشغال إذ استبقوا دعوة الجبار فعندها يا فتى غابت عن قلوبهم أسباب الفتنة بدواهيها وظهرت أسباب المعرفة بما فيها فصار مطيتهم إليه الرغبة وسائقهم الرهبة وحاديهم الشوق حتى أدخلهم في رق عبوديته فليس تلحقهم فترة في نية ولا وهن في عزم ولا ضعف في حزم ولا تأويل في رخصة ولاميل إلى دواعي غرة قال السائل: أرى هذا مراداً بالمحبة قال: نعم يا فتى هذه صفة المرادين بالمحبة فقال: كيف المحن على هؤلاء؟ فقال: سهلة في علمها صعبة في اختيارها فمنحهم على قدر قوة إيمانهم قال: فمن أشدهم محناً قال: أكثرهم معرفة وأقواهم يقيناً وأكملهم إيماناً كما جاء في الخبر أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل [1].

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٩٧ - ٩٩.

- وسأله سائل: إن النعم من الله تعالى علىَّ لا تحصى ظاهرة وباطنة وعامة وخاصة صغيرة وكبيرة في كل أحوالي ومع كل أسبابي ومع كل شيء من بدني وجوارحي وعقلي وطبعي وحياتي وعيشي وكل ما أتقلب فيه وكل منفعة تحدث في ديني ودنياي وكل ليل ونهار يختلف علي وشمس وقمر وسائر الأشياء نعم علي إلا أني أجدني في أكثرها غافلاً عن شكره عليها إلا النعمة العظيمة كالكرب ينزل بي فيفرج الله عني كربي وينفس عني غمي وكالمال الكثير يرزقني فإن عظمت النعمة انتبهت لعظيم قدرها وموقع منفعتها لي فانتبهت للشكر وذكرت أنها من الله تفضل وحمدته عليها وسائر النعم لقلة قدرها أنسى أنها نعمة فإن ذكرت أنها نعمة ذكرتها ذكراً بغير تعظيم لها ولم تهج شدة الشكر عليها حتى لقد نسيت الشكر عند أكثر النعم إلا عند الفرج من الكرب أو النعمة العظيمة في المنفعة فقال الحارث: هذا فعل عامة العباد من الجاهلين يعاملون الله على قدر عظيم إحسانه وقلته وإن أكثر ما قل من النعم لربما كان أكثر منفعة من عظيمها وربما كان عظيمها يعقب ضراراً في الدين أو فى الدنيا ولربما كان إحسان الله في النعمة الصغيرةأكثر من النعمة في كبيرها لعاقبة منفعتها ولربما عظمت النعمة من سعة الدنيا فيطغى صاحبها وتشغله حتى يعصى الله فيدخل النار ولو كانت النعمة أقل من ذلك لما أطغته ولا ألزمته كثرة الفرائض فيها فلا يقوم بها كمن كثرت الحقوق عليه لله في السعة فلم يقم بحقه من أداء الزكاة في مواضعها بغير مكافأة ليد الفقير عنده ولا اجتلاب حمد ولا ثناء ولا مخافة ذم وكذلك صلة القرابة والجار المحتاج البين حاجته وغير ذلك وربما ضرته السعة في الدنيا دون الدين وربما قتله كثرة ماله من لصوص

يقتلونه عليه وغير ذلك طيب الطعام كثرته قد تضره حتى تورثه الأوجاع والسقم وكذلك يوهب له الولد الذكر فيعصي الله فيه وربما ضره في الدنيا وغمه بما يصيبه من الأسقام وربما كبر حتى يلجئه إلى الاختلاف إلى السجون ومخاصمة الجيران فيه أو عداوتهم وكذلك يكون في الكرب الشديد من المرض أو بمن يعنيه أمره من ولد وأهل فيكثر دعاؤه وتضرعه ويتصدق ويخشع قلبه فإذا فرج عنه وعاد إلى العافية رجع إلى اللهو والشهوة والعصيان وقل تضرعه إلى الله فكان المرض أصلح لقلبه وأوفر لدينه وكانت العافية إن استعملها فيما يضره في دنيه أضر عليه من المرض وكفاك بعلم الله تعالى في ابن آدم ووصفه له إذ يقول وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقال: وإذا مس الإنسان الضر دعان لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه ومثل ذلك في كتاب الله كثير فإنما أتيت أنك نظرت إلى قدر النعم عند ورودها عليك ولم تنظر في عواقبها في دينك ودنياك ما تكون في العاقبة أتضر أم تنفع ألم تسمع قول الله آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا والله ما تدري إذا وردت النعم عليك أيها أنفع لك أقليلها أم كثيرها فإذا وردت عليك النعمة فاحمد الله الذي من بها وكن مشفقاً من أدنى السلامة منها في دينك ودنياك فإن كانت صغيرة فاستصغرها قلبك فاذكر عاقبتها وخيرة الله فيها فلعل الله أن يكون قد خار لك فيها ونظر لك بأن قللها ولم يجعلها أعظم مما هي لعله قد علم أنها لو عظمت وزادك منها أنك تعصي بها فيغضب عليك أو يعطيك في دنياك أو تورثك ضرراً في دينك ألا ترى أنك تعمل بظاهر النعم وتنسى عواقبها وقد تبينت

عواقبها بالتجارب فيك وفي غيرك من كثير الضرر في عظيمها وكثرةالسلامة في أكثر ما صغر منها والله لقد بين لك مولاك أن كثيراً منها كان زوالها نعمة عظيمة من الله على من زالت عنه وأن بقاءها بلية عليه من ذلك أن الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام قد كان نعمة في الظاهر عظمة غلام ذكر وقد روي أن الخضر مر مع موسى عليهما السلام بعشرة غلمان فأخذ غلاما أضوؤهم وأحسنهم وجها فقطف وجهه فأخبرك العليم الخبير بعواقب ضرر النعم وبمنافع عواقبها فقال وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفرا فصرف عنهما بقتله إياه أن يدخلا النار وقد قال مجاهد قد علمنا أن أبويه قد فرحا به حين ولد وحزنا عليه حين قتل وكان في بقائه هلكتهما وكذلك قلع الخضر لوحاً من السفينة في لجج البحر وكان عند أصحابها أن في ذلك الغرق وقد قال موسى أخرقتها لتغرق أهلها وإنما خرقها لينجو أهلها أن لا تمر بالملك الغاصب فيراها صحيحة فيأخذها فالغلام قتله خيرة في الدين والسفينة خرقها خيرة في الدنيا فبهذا فاستدل أن النعم ليست في المنافع على قدر عظمها وصغرها لأن الغلام لو كان ابنه لم يخش عليه عاقبة طغيان أبويه فيها ومما يبين لك هذا قوله تعالى فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما قيل التفسير رزقا ابنة تزوجها نبي وخرج من نسلها سبعون نبيا [(١)].

- سئل الحارث بن أسد عن قول الله تعالى:{وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} [المائدة: ٢٣]، وعن قوله ﷺ :﴿لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا﴾ ما السبيل أكرم الله

(١) حلية الأولياء، ١٠ /١٠٢.

وجهك إلى هذا التوكل الذي ندب الله المؤمنين إليه صف لي كيف هو؟ وكيف دخول الناس فيه؟ فقال الحارث رحمه الله: الناس يتفاوتون في التوكل وتوكلهم على قدر إيمانهم وقوة علومهم قيل: ما معنى قوة إيمانهم؟ قال: تصديقهم للعدة وثقتهم بالضمان قيل: فمن أين فضلت الخاصة منهم على العامة؟ والتوكل في اعتقاد الإيمان مع كل من آمن بالله قال: الذي فضلت به الخاصة على العامة دوام سكون القلب عن الاضطراب والهدوء عن الحركة فعندها يا فتى استراحوا من عذاب الحرص وفلوا من أسر الطمع وخرجوا من ضيق طول الأمل قيل: فما الذي ولد هذا قال: حالتان الأولى منهما دوام لزوم القلب المعرفة والاعتماد على الله وترك الحيل والثانية كثرة الممارسة حتى يألفها إلفاً ويختارها اختياراً قيل: فالتوكل في نفسه ما هو وما معناه قال: قد اختلف الناس فيه قيل له اختصر منه جواباً موجزاً قال: نعم التوكل هو الاعتماد على الله بإزالة الطمع من سوى الله وترك تدبير النفوس في الأغذية والاستغناء بالكفاية وموافقة القلب لمراد الرب والقعود في طلب العبودية واللجأ إلى الله قيل فهل يلحق التوكل الأطماع قال: يلحقه الأطماع من طريق الطباع خطرات ولا يضره ذلك شيئاً قيل: فما الذي يقويه على إسقاط الطمع قال: اليأس مما في أيدى الناس حتى يكون بما معه من الثقة بما وعده سيده أغنى ممن يملك الدنيا بحذافيرها كما قيل لأبي حازم: ألك مال؟ قال أكثر المال ثقتي بربي ويأسى مما في أيدي الناس وكان أبو حازم يقول: الدنيا شيئان شيء لي وشيء لغيري فما كان لي لو طلبته بحيلة من في السموات والأرض لم يأتني قبل أجله وما كان لغيري لم أرجه فيما مضى ولا أرجوه فيما بقي يمنع رزقي من غيري كما

يمنع رزق غيري مني ففي أي هذين أفني عمري وكان بعضهم يقول:

اتـرك النـاس فكـل مشـغلة ::: وقد بخل النـاس بمثـل الخردلـة

لا تسل الناس وسل من أنت له

قيل: فما الذي يقوي المتوكل قال: ثلاث خصال الأولى منها حسن الظن بالله والثانية نفي التهم عن الله والثالثة الرضا عن الله تعالى فيما جرى به التدبير لتأخير الأوقات وتعجيلها قيل: بم تحلق هذه المنزلة؟ قال: بصفاء اليقين وتمامه فإن اليقين إذا تم سمي تمامه توكلا وهكذا قال ذو النون المصري: فهم بالحالة العالية والمقام الشريف كما قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري ما من حال من حالات المتعبدين إلا وشيخك هذا قد دخل فيها وعرفها إلا هذا التوكل المبارك الذي ما أعرفه إلا بمشام الريح وقال ذو النون المصري: المقامات سبع عشرة مقامة أدناها الإجابة وأعلاها صدق التوكل قيل: فما أجمل ما تراه القلوب في باطنها ويلحقها فكر خواطر الأطماع قال: تنبيها من الله بحرص الجوارح عن إشارة الأرواح فيما طمعت حياء من الله تعالى أن يراهم يستريحون إلى غيره كما قال الحكيم:

مريـدوه يسـتحيون أن يـراهم ::: يشيرون بـالأرواح نحـو سـواه

قيل هذا في الظاهر واليقظة فهل لهم زاجر في مناماتهم عند إشارة الأرواح ومطالعتها في خطرات الأطماع قال: قد روي عن النباحي قال: طمعت يوماً في شيء من أمور الدنيا فحملتني عيناي ونمت فسمعت هاتفاً في منامي وهو يقول أو يحمل يا فتى بالحر المريد إذا وجد عند مولاه كل ما يريد أن يركن بقلبه إلى العبيد فهو

عز وجل يزجرهم ويثبتهم ويريهم مواضع الشين والخلل ليعملوا في شدة تمام اليقين وكثرة السكون والاعتماد عليه دون خلقه فتكون لهم الزيادة في مقامهم وحسن اللجأ في افتقارهم إلى سيدهم فمرهم يا فتى على الاستواء قيل فما معنى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال: أي سببه بمعنى حسبي من كل شيء أن أتوكل عليه قيل فما الأسباب التي تشين توكله قال الأسباب التي فيها الحرص والمكابدة على الدنيا والأسباب التي تشغله عن دوام السكون وتزيد في الاضطراب وتقوى خوف الفوت وهي الأسباب التي تستعبده وتتعبه فتلك التي يؤمر بقطعها حتى يستريح بروح اليقين ويتفرج بحياة الاستغناء قيل فما علامة سكون المتوكل قال: تحركه أزعاج المستبطي فيما ضمن له من رزق ربه ولا تخلفه فترة المتواني عن فرصته قيل أيجد هذا فقد شيء منعه قال: لا يجد فقده إذا منعه لعلة معرفته بحسن اختيار الله له أملاً من الله أن يعوضه في حسن العواقب أفضل من إرادته بالعاجل كأنه يراه قريباً فمن ها هنا لا يجد فقد شيء منعه قيل فما يقويه على هذه الحالة قال: حسن علمه بحسن تدبير الله له فعندها أسقط عن قلبه اختياره لنفسه ورضي بما اختار الله له (١).

- سئل الحارث بن أسد وقيل له :رحمك الله ما علامة الأنس بالله قال: التوحش من الخلق قيل له فما علامة التوحش من الخلق قال: الفرار إلى مواطن الخلوات التفرد بعذوبة الذكر فعلى قدر ما يدخل

(١) حلية الأولياء، ١٠ /١٠٥.

القلب من الأنس بذكر الله يخرج التوحش كما قال بعض الحكماء في مناجاته يا من آنسني بذكره وأوحشني من خلقه وكان عند مسرتي أرحم عبرتي وفي قول الله تعالى لداود عليه السلام كن بي مستأنساً ومن سواي مستوحشاً وقيل لبعض المتعبدين ما فعل فلان قال: أنس فتوحش وقيل لرابعة: بم نلت هذه المنزلة؟ قالت: بتركي مالا يعنيني وأنسي بمن لم يزل وقال ذو النون في بعض كلامه: يا أنيس كل منفرد بذكرك وجليس كل متوحد بحبك وقال عبدالواحد بن زيد لراهب: يا راهب لقد تعجلت الوحدة فقال الراهب: يا فتى لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك الوحدة رأس العبادة ما أنستها الفكرة قال يا راهب: ما أقل ما يجد العبد في الوحدة قال: الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قال: يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الأنس بالله قال: إذا صفا الود وخلصت المعاملة قال: يا عبدالله متى يصفو الود قال: إذا اجتمع الهم فصار في الطاعة قلت :متى تخلص المعاملة؟ قال: إذا اجتمع الهم فصار هماً واحداً وقال بعض الحكماء عجباً للخلائق كيف أرادوا بك بدلاً وعجباً للقلوب كيف استأنست بسواك عنك اللهم آنست الآنسين من أوليائك وخصصتهم بكفاية المتوكلين عليك تشاهدهم في ضمائرهم وتطلع عليهم في سرائرهم وستري عندك مكشوف وأنا إليك ملهوف فإذا أوحشتني العزلة آنسني ذكرك وإذا كثرت علي الهموم رجعت إلى الاستجارة بك يا رب العالمين وقال إبراهيم بن أدهم جئت من أنس الرحمن وكما قال بعض الحكماء لو أن معي أ نساً لتوحشت قيل رحمك الله فما علامة صحة الأنس بالله قال: ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واختيار القلب عذوبة الذكر قيل رحمك

الله فما علامته في ظاهره قال: منفرد في جماعة ومستجمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور قيل: اشرح عن وصف هذا ما معنى منفرد في جماعة ومستجمع في خلوة قال: منفرد بالذكر مشغول بالفكر لما استولى على القلب والهم من الشغل وطيب عذوبة الذكر وحلاوته وهو منفرد فيما هو فيه عن الجماعة وهو شاهد معهم ببدنه كما روي عن علي بن أبي طالب في حيث كهيل بن زياد فقال: هجم بهم العلم عن حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعده المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان قلوبها معلقة بالمحل الأعلى وبأعلي العلى عند الملك العالي فهذه صفة المنفرد في جماعة قيل فما المستجمع في خلوة قال: مستجمع له بهمة قد جمع للهموم فصيرها هماً واحداً في قلبه فاستجمعت له الهموم في مشاهدة الاعتبار وحسن الفكر في نفاذ القدرة فهو مستجمع لله بعقله وقلبه وهمه ووهمه كله وكل جوارحه مستجمعة منتصبة لدوام الذكر إلى وجود لحوق البصيرة وعوض الفطنة وسعة المعونة وليس شيء منه متفرقاً ولا وهم معطلاً وهذه صفة المستجمع في انفراده قيل فما معنى غائب في حضور قال: غائب بوهمه حاضر بقلبه فمعنى غائب أي غائب عن أبصار الناظرين حاضر بقلبه في مراعاة العارفين (١).

- المحاسبة والموازنة في أربعة مواطن فيما بين الإيمان والكفر وفيما بين الصدق والكذب وبين التوحيد والشرك قال: وسمعت الحارث يقول: الذي يبعث العبد على التوبة ترك الإصرار والذي يبعثه على ترك الإصرار ملازمة الخوف وقال الحارث العبودية أن

(١) حلية الأولياء، ١٠ /١١٠.

لا ترى لنفسك ملكاً وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعاً والتسليم هو الثبوت عند نزول البلاء من غير تغير منه ظاهراً وباطناً والرجاء هو الطمع في فضل الله ورحمته وأقهر الناس لنفسه من رضي بالمقدور وأكمل العاقلين من أقر بالعجز أنه لا يبلغ كنه معرفته والخلق كلهم معذورون في العقل مأخوذون في الحكم ولكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل وجوهر العقل الصبر والعمل بحركات القلوب في مطالعات الغيوب أشرف من العمل بالجوارح (١).

- جوهر الإنسان الفضل، وجوهر العقل التوفيق.

- ترك الدنيا مع ذكرها صفة الزاهدين، وتركها مع نسيانها صفة العارفين.

- من أراد أن يذوق لذة طعم معاشرة أهل الجنة فليصحب الفقراء الصادقين.

- المحبة ميلك إلى المحبوب بكليتك، ثم إيثار له على نفسك وزوجك ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه.

- المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سراً وجهراً ثم علمك بتقصيرك في حبه وقيل: المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد الحبيب من محبة وقيل: بل هي بذل المجهود في رضا الحبيب ولا تصح إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب وفي بعض الآثار

(١) حلية الأولياء، ١٠ /١٠٨.

الإلهية عبدي أنا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محباً وقال عبدالله بن المبارك: من أعطي شيئاً من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع (١)

- يقول ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة حسن الوجه مع الصيانة وحسن الخلق مع الديانة وحسن الإخاء مع الأمانة (٢).

- الإخلاص إخراج الخلق عن معاملة الرب تعالى.

- لكل شئ جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر.

- المحبة إقبالك على المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك ومالك وولدك ثم موافقتك له في جميع الأمور سراً وجهراً ثم اعتقادك بعد ذلك أنك مقصر في محبته.

- الفتوة أن تنصف ولا تنتصف.

- الرضا بسكون القلب تحت جريان الحكم.

- لكل شيء جوهرة وجوهرة الإنسان العقل والصبر (٣).

- من استغنى بشيء دون الله فقد جهل قدر الله تعالى

---

(١) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٢ - ١٩٩٢، ص٤٠٨.

(٢) صفة الصفوة، ٢ /٣٦٨.

(٣) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ٣١٣/٣.

- والله لو كان الوقت يشترى بالمال لأنفقت كل أموالي غير خاسر أشتري بها أوقاتًا لخدمة الإسلام والمسلمين فقالوا له: فممن تشتري هذه الأوقات؟ فقال: من الفارغين.

- " المراقبة دوام علم القلب بعلم الله عز وجل في السكون والحركة علماً لازماً مقترناً بصفاء اليقين " [١].

* * *

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ٤٧٨/١.

أبو يزيد البسطامي

أعــــلام التصــوف

أبو يزيد البسطامي

هو طيفور بن عيسى بن آدم بن شروسان، ولد في بسطام من أصل مجوسي، أبو يزيد البسطامي اسمه طيفور بن عيسى بن علي أحد مشايخ الصوفية، وكان جده مجوسياً فأسلم، وكان لأبي يزيد أخوات صالحات عابدات،، نسبت إليه أقوال شنيعة توفي سنة (٢٦١هـ) ولم يعرف عنه التأليف.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقد حُكي عنه شطحاتٌ ناقصاتٌ، وقد تأوَّلها كثيرٌ من الفقهاء والصوفية، وحملوها على محاملَ بعيدةٍ، وقد قال بعضُهم: إنَّه قال ذلك في حال الاصطلام[١].

ومن العلماء مَن بدّعه وخطّأه وجعل ذلك من أكبر البدع، وأنَّها تدلُّ على اعتقادٍ فاسدٍ كامِنٍ في القلب ظهر في أوقاته [٢].

وقال الإمام الذهبي: نعوذ بالله من الإشارات الحلاجية، والشطحات البسطامية، وتصوف الاتحادية، فواحزناه على غربة الإسلام والسنة [٣].

وكانت له عدة شطحات من ذلك قوله ناعياً على علماء الشريعة مفاخراً لهم: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدثني فلان، وأين هو؟ قالوا: مات، عن فلان وأين هو؟ قالوا: مات [٤].

---

(١) الاصطلام: القطع عن الوجود أو الفناء - والغيبة.
(٢) البداية والنهاية: ١١ـ٣٨.
(٣) سير أعلام النبلاء، ١٣/ ٤٤٢.
(٤) الفتوحات المكية، ١/ ٣٦٥، المواهب السرمدية، ص ٤٩، الأنوار القدسية، ص ٩٩،

ويقول أبو يزيد البسطامي: خُضنا - أي نحن الأولياء - بحوراً وقفت الأنبياء بسواحلها [١].

ويقول أيضاً: تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ، لوائي من نور تحته الجن والإنس كلهم من النبيين [٢].

وقال الغزالي غفر الله له: وكان أبو يزيد وغيره يقول: ليس العالِم الذي يحفظ من كتاب، فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً، إنما العالِم الذي يأخذ علمَهُ من ربِّه أيّ وقتٍ شاء بلا حفظٍ ولا درسٍ! [٣].

ويحدثنا عنه أبو حامد الغزالي فيقول: حُكي أن شاهداً عظيم القدر من أعيان أهل (بسطام) كان لا يفارق مجلس أبي يزيد البسطامي فقال يوماً: أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر ولا أفطر، وأقوم ولا أنام، ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً، وأنا أصدق به وأحبه!

فقال أبو يزيد: ولو صمت ثلاثمائة سنة، وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة!! قال: ولم؟ قال: لأنك محجوب بنفسك. قال: فلهذا دواء؟ قال: نعم. قال: قل لي حتى أعمله. قال: لا تقبله. قال: فاذكره لي حتى أعمل. قال: اذهب إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك، وانزع هذا اللباس، واتزر بعباءة، وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً، واجمع الصبيان حولك، وقل.. كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة، وادخل السوق، وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك، وأنت

طبقات الشعراني، ١/٥، تلبيس إبليس ص ٣٤٤، الرحمة الهابطة، ص ٣٠٩.

(١) الإبريز، ٢/٢١٢.

(٢) الجيلي، الإنسان الكامل، ص ١٦.

(٣) إحياء علوم الدين، ٣/٢٤، انظر موسوعة الرد على الصوفية.

على ذلك!!

فقال الرجل: سبحان الله، تقول لي مثل هذا؟ فقال أبو يزيد: قولك.. " سبحان الله " شرك!! قال: وكيف؟ قال: لأنك عظمت نفسك، فسبحتها، وما سبحت ربك. فقال: هذا لا أفعله، ولكن دلني على غيره. فقال ابتدئ بهذا قبل كل شيء. فقال: لا أطيقه. فقال: قد قلت لك.. إنك لا تقبل.. ![1]

ويذكر البسطامي كذلك عن نفسه ما يأتي: رفعني مرة فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبا يزيد! إن خلقي يحبون أن يروك، فقلت: زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا [٢].

وحكى القشيري في ترجمة أبي يزيد البسطامي وسئل عند ابتدائه وزهد، فقال: ليس للزهد منزلة، فقيل له: لماذا؟ فقال: لأني كنت خلال ثلاثة أيام في الزهد، فلما كان اليوم الرابع خرجت منه، ففي اليوم الأول زهدت في الدنيا وما فيها، وفي اليوم الثاني زهدت في الآخرة وما فيها، وفي اليوم الثالث زهدت فيما سوى الله تعالى، فيما كان اليوم الرابع لم يبق لي سوى الله تعالى فَهِمْتُ، فسمعت قائلاً يقول: يا أبا يزيد لا تقو معنا، فقلت: هذا الذي أريد، فسمعت قائلاً يقول: وجدت وجدت [٣].

قال أبو عبد الرحمن السلمي في كتابه المحن: وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقول حتى إنه ذكر للحسين بن

(١) إحياء علوم الدين، ٤ / ٣٥٨.
(٢) اللمع، ص٤٦١، وانظر أيضاً موسوعة الرد على الصوفية.
(٣) الرسالة القشيرية، ص ٣٩٥.

عيسى أنه يقول: لي معراج كما كان للنبي ﷺ معراج فأخرجوه من بسطام، وأقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها إلى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام.

وقال القشيري: قيل لأبي يزيد: ما أشد ما لقيت في سبيل الله؟ فقال: لا يمكن وصفه، فقيل له: ما أهون ما لقيت نفسك منك؟ قال: أما هذا فنعم، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني فمنعتها الماء سنة[١].

وكان يوماً يرتدي جبة ففتحها وقال: سبحاني ما أعظم شاني، ما في الجبة إلا الله [٢].

ونقل ابن الجوزي عن أبي يزيد أنه قال: إن لله عباداً لو بصقوا على جهنم لأطفؤوها ولقد وددت أن قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم، فسأله رجل: ولم ذاك يا أبا يزيد؟ فقال: إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد فأكون رحمة الله للخلق. ثم قال: اللهم إن كان في سابق علمك أن تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقي حتى لا تسع معي غيري. وقال: وما النار. ؟ والله لئن رأيتها لأطفئنها بطرف مرقعتي.

وجاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها لا يحتج بها إذ ظاهرها إلحاد، مثل: سبحاني، وما في الجبة إلا الله. ما النار؟ لأستندن إليها غداً، وأقول: اجعلني فداء لأهلها، وإلا بلعتها. ما الجنة؟ لعبة صبيان، ومراد أهل الدنيا. ما المحدثون؟ إن خاطبهم رجل عن رجل، فقد خاطبنا القلب عن الرب.

(١) الرسالة القشيرية، ص ٣٩٥.
(٢) شذرات الذهب، ١٤٢/٢، فيض القدير، ٤٥٦/١.

وقال في اليهود: ما هؤلاء؟ هبهم لي، أي شيء هؤلاء حتى تعذبهم؟

قال السلمي في " تاريخ الصوفية ": توفي أبو يزيد عن ثلاث وسبعين سنة، وله كلام حسن في المعاملات.

قال منصور بن عبد الله: سمعت أبا يزيد يقول: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشدَّ عليَّ من العمل ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد.

وقيل. لم يخرج أبو يزيد من الدنيا حتى استظهر القرآن كلَّه (١).

مواقف من حياته ـ غفر الله له:

فكيف يكون مأموناً على ما يدَّعيه؟

قال أبو نصر السرَّاج: قال لي أبو يزيد: قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية، وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهر، فمضينا إليه؛ فلما خرج من بيته، ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه، وقال: هذا غيرُ مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ؛ فكيف يكون مأموناً على ما يدَّعيه؟

---

(١) تلبيس إبليس، ص ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٦، وانظر موسوعة الرد على الصوفية، طبقات الصوفية، ٦٧ ـ ٧٤، حلية الأولياء، ١٠ / ٣٣ ـ ٤٢، المنتظم، ٥ / ٢٨ ـ ٢٩، معجم البلدان: " بسطام "، اللباب: ١ / ١٥٢ ـ ١٥٣، وفيات الأعيان: ٢ / ٥٣١، ميزان الاعتدال: ٢ / ٣٤٦ ـ ٣٤٧، عبر الذهبي: ٢ / ٢٣، البداية والنهاية: ١١ / ٣٥، طبقات الأولياء: ٢٤٥، ٣٩٨ ـ ٤٠٢، النجوم الزاهرة: ٣ / ٣٥، شذرات الذهب: ٢ / ١٤٣ ـ ١٤٤، سير أعلام النبلاء، ١٣ /٨٦.

كفانى مؤنة النساء

وقال أبو يزيد: لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء، ثم قلت: كيف يجوز لي أن أسأل هذا ولم يقل رسول الله ﷺ إياه؟ فلم أسأله. ثم إن الله سبحانه وتعالى كفاني مؤنة النساء؛ حتى لا أُبالي استقبلتني امرأة أو حائط.

فاحتشمت أن أذْكره سبحانه وتعالى

وحكى عميٌّ البسطامي عن أبيه أنه قال: ذهب أبو يزيد ليلة إلى الرباط، ليذكر الله، سبحانه، على سور الرباط، فبقي إلى الصباح لم يذكر، فقلت له في ذلك، فقال: تذكَّرتُ كلمة جرت على لساني في حال صباي، فاحتشمت أن أذْكره سبحانه وتعالى (١).

من كلامه ـ غفر الله له:

ـ لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة (٢).

ـ إن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار (٣).

ـ قال أبو يزيد: لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله

(١) الرسالة القشيرية، ص ١٣.
(٢) الرسالة القشيرية، ص ١٣.
(٣) حلية الأولياء، ١٠ /٣٤.

أتمضمض وأغسل لساني إجلالاً لله أن أذكره.

- جاء رجل إلى أبي يزيد فقال: أوصني فقال له: انظر إلى السماء فنظر صاحبه إلى السماء فقال له أبو يزيد: أتدري من خلق هذا؟ قال: الله قال أبو يزيد: إن من خلقها لمطلع عليك حيث كنت فاحذره [١].

* * *

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٣٥٤.

شقيق البلخي

أعـــلام التصـوف

شقيق البلخي ـ رحمه الله ـ

أبو علي شقيق بن إبراهيم البخلي؛ من مشايخ خراسان، له لسان في التوكل حسن الكلام فيه، ولعله أول من تكلم في علوم الأحوال (الصوفية) بكور خراسان. وكان من كبار المجاهدين. استشهد في غزوة كولان (بما وراء النهر). صحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه العلم، وهو أستاذ حاتم الأصم.

قيل: كان سبب توبته: أنه كان من أبناء الأغنياء، خرج للتجارة إلى أرض الترك، وهو حدث. فدخل بيتاً للأصنام، فرأى خادماً للأصنام فيه؛ قد حلق رأسه ولحيته، ولبس ثياباً أرجوانية. فقال شقيق للخادم: إنَّ لك صانعاً حيًّا، عالماً، قادراً، فاعبده.. ولا تعبد هذه الأصنام التي لا تضرُّ ولا تنفع!!.

فقال: إن كان كما تقول، فهو قادر على أن يرزقك ببلدك، فلم تعنَّيت إلى هاهنا للتجارة؟ فانتبه شقيق.. وأخذ في طريق الزهد.

وقيل: كان سبب زهده: أنه رأى مملوكاً يلعب ويمرح في زمان قحط، وكان الناس مهتمين به، فقال شقيق: ما هذا النشاط الذي فيك؟ أما ترى ما فيه الناس من الجدب والقحط؟ .

فقال ذلك المملوك: وما عليَّ من ذلك، ولمولاي قريةٌ خالصة يدخل له منها ما يحتاج نحن إليه، فانتبه شقيق، وقال: إن كان لمولاه قرية، ومولاه مخلوق فقير، ثم إنه ليس يهتم لرزقه، فكيف ينبغي أن يهتم المسلم لرزقه ومولاه غني؟ !

حدث عن إبراهيم بن أدهم وأبي حنيفة وإسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق وغيرهم، وروى عنه حاتم الأصم وابنه محمد بن شقيق ومحمد ابن أبان البلخي مستملي وكيع وغيرهم، وهو من أشهر شيوخ خراسان في التوكل، ومنه وقع أهل خراسان إلى هذا الطريق.

وقد جاء عن شقيق مع تألهه وزهده، أنه كان من رؤوس المجاهدين في سبيل الله والمرابطين على الثغور، ومواقفه التي سنعرضها تدل على ذلك.

وكانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة، رحمه الله تعالى [(١)].

مواقف من حياته ـ رحمه الله:

ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح

قال له إبراهيم بن أدهم بمكة: ما بدء أمرك الذي بلغك إلى هذا؟ فذكر أنه رأى في بعض الفلوات طائراً مكسور الجناحين، أتاه طائر صحيح الجناح، في منقاره جرادة، فتركت التكسب واشتغلت بالعبادة، فقال له إبراهيم: ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح الذي أطعم الطائر المكسور حتى تكون أفضل منه؟ أما سمعت عن النبي ﷺ:﴿**اليد العليا خير من اليد السفلى**﴾

(١) تاريخ ابن معين: ٢٥٩، الجرح والتعديل ٤ / ٣٧٣، طبقات الصوفية: ٦١ - ٦٦، حلية الأولياء ٨ / ٥٨، صفة الصفوة ٤ / ١٥٩، وفيات الأعيان ٢ / ٢٧٥، العبر ١ / ٣١٥، ميزان الاعتدال ٢ / ٢٧٩، دول الإسلام ١ / ١٢٣، فوات الوفيات ٢ / ١٠٥، مرآة الجنان ١ / ٤٤٥، الجواهر المضية ١ / ٢٥٨، شذرات الذهب ١ / ٣٤١، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ٣٢٩ - ٣٣٥، سير أعلام النبلاء، ٩ /٣١٣، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، القصاص والمذكرين، تحقيق د. محمد لطفي الصباغ، نشر المكتب الإسلامي، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م، بيروت، ص ٢٧٥.

. ومن علامة المؤمن: أن يطلب أعلى الدرجتين في أموره كلها، حتى يبلغ منازل الأبرار، فأخذ شقيق يد إبراهيم فقبلها وقال: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق.

كيف ترى نفسك يا حاتم !

وقال حاتم: كنا مع شقيق في مصافٍ نحارب الترك في يوم لا ترى إلا رؤوس تطير ورماح تقصف وسيوف تقطع، فقال لي: كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟ تراه مثل ما كنت في الليلة التي زفت إليك امرأتك؟ قال: لا والله، قال: لكنني والله أرى نفسي هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة، ثم نام بين الصفين، ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه.

توكلنا على الله بوجود الكفاية

قال أبو سعيد الخراز: رأيت شقيقاً البلخي في النوم، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، غير أننا لا نلحقكم، قلت: ولم ذاك؟ قال: لأنا توكلنا على الله بوجود الكفاية وتوكلتم بعدم الكفاية، قال: فسمعت الصراخ: صدق صدق، فانتبهت وأنا أسمع الصراخ [1].

وكان يفتى ويعاشر الفتيان

قال حاتم الأصم: كان شقيق بن إبراهيم موسراً، وكان يفتي ويعاشر الفتيان، وكان عليٌّ بن عيسى بن ماهان أميرَ بلخ، وكان يحب كلاب الصيد، ففقد كلباً من كلابه، فسعى برجل أنه عنده، وكان الرجل في جوار شقيق، فطلب الرجل، فهرب.. فدخل دار شقيق

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، القصاص والمذكرين، تحقيق د. محمد لطفي الصباغ، نشر المكتب الإسلامي، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م، مكان النشر بيروت، ص ٢٧٥.

مستجيراً، فمضى شقيق إلى الأمير، وقال: خلوا سبيله، فإن الكلب عنيد أرده إليكم إلى ثلاثة أيام.

فخلوا سبيله، وانصرف شقيق مهتماً لما صنع. فلما كان اليوم الثالث كان رجل من أصدقاء شقيق غائباً من بلخ فرجع إليها، فوجد في الطريق كلباً عليه قلادة، فأخذه، وقال: أهديه إلى شقيق، فإنه يشتغل بالتقَّتي.

فحمله إليه، فنظر شقيق فإذا هو كل الأمر، فسرَّ به وحمله إلى الأمير وتخلّص من الضمان فرزقه الله الانتباه، وتاب مما كان فيه. وسلك طريق الزهد.

لا تجمعن منها إلا قدر مقامك فيها:

قال حاتم: قدم شقيق بن إبراهيم من الكوفة يريد مكة، فلقيه سفيان الثوري فقال له: أنت الذي يدعو إلى التوكيل ويمنع المكاسب؟ فقال: شقيق ما قلت كذا. قال: أيش قلت؟ قال: قلت: حلال بيّن وحرام بيّن ومتشابه فيما بين ذلك ولكن دخلت الآفة من الخاصة على العامة. وهم خمس طبقات: فأولهم العلماء، والثاني الزهاد، والثالث الغزاة، والرابع التجار، والخامس السلطان. فأما العلماء فهم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم. وإذا كان العالم طامعاً جامعاً فالجاهل بمن يقتدي؟ وأما الزهاد فهم ملوك الأرض. فإذا كان الزاهد يرغب فيما في أيدي الناس فالراغب بمن يقتدي؟ وأما الغزاة فهم أضياف الله في أرضه. فإذا كان الغازي يحب الخيلاء والتصدر في المجالس فمن يغزو؟ وأما التجار فهم أمناء الله عزّ وجلّ في أرضه، فإذا كان التاجر الأمين خائناً فالخائن بمن يقتدي؟ وأما السلطان فهم الرعاة، فإذا كان الراعي هو الذئب فالذئب

ما يجد ما يأكل. يا سفيان، لا تجمعن منها إلا قدر مقامك فيها، فقام سفيان ولم يردّ عليه شيئاً.

فمتى أحب ربي!

قال محمد بن عامر: قال لشقيق: متى أوفق العمل الصالح؟ قال: إذا جعلت أحداث يومك وليلتك متقدمة عند الله. قلت: فمتى أتوكل؟ قال: إن اليقين إذا تم بينك وبين الله سمي تمامه توكلاً. قلت: فمتى يصح ذكري لربي؟ قال: إذا سمجت الدنيا في عينيك، وقدمت أملك فيما بين يديك. قلت: فمتى أعرف ربي؟ قال: إذا كان الله لك جليساً ولم تر سواه لنفسك أنيساً. قلت فمتى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما أسخطه أمر عندك من الصبر. وكان ما ينزل بك هو الغنم والظفر، وجددت لذلك حمداً وشكراً. قلت: فمتى أشتاق إلى ربي؟ قال: إذا جعلت الآخرة لك قراراً ولم تسمّ لك الدنيا مسكناً. قلت: فمتى أعرف لقاء ربي؟ قال: إذا كنت تقدم على حبيب، وتصدر عن أمل قريب. قلت: متى أستلذ الموت؟ قال: إذا جعلت الدنيا خلف ظهرك، وجعلت الآخرة نصب عينيك، وعلمت أن الله تبارك وتعالى يراك على كل حال، وقد أخفي عليك الدقيق والجليل. قلت: فمتى أكتفي بأهون الأغذية؟ قال إذا عرفت وبال الشهوات غداً وسرعة انقطاع عذوبة اللذات. قلت: متى أوثر الله ولا أوثر عليه سواه؟ قال: إذا أبغضت فيه الحبيب، وجانبت فيه القريب.

يا حاتم، ما خاب سعيك

قال حاتم: اختلفت إلى شقيق ثلاثين سنة فقال لي يوماً: أيش تعلمت في ترددك إلينا؟ فقلت له: أربعة أشياء، استغنيت بها عن الأشياء كلها. فقال لي: ما هي؟ فقلت: رأيت أن رزقي من عند ربي

فلم أشتغل إلا بربي، ورأيت أن ربي قد وكل بي ملكين يكتبان علي كل ما تكلمت به، فلم أتكلم إلا بما يرضي ربي، ولم أتكلم إلا بحق، ورأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهري والله ينظر إلى باطني، فرأيت مراقبته أولى وأوجب فسقط عني رؤية الخلق، ورأيت أن الله داعياً يدعو الخلق إليه، فاستعددت له متى جاءني لا أحتاج أن يقتلني يعني ملك الموت، فقال له: يا حاتم، ما خاب سعيك [١].

كم حج العام

قال شقيق بن إبراهيم: بينا أنا ذات ليلة نائم حيال الكعبة في المسجد الحرام إذ رأيت في منامي ملكين أتياني فوقفا علي، فقال أحدهما لصاحبه: كم حج العام؟ قال له صاحبه: حج ثلاثة: فلان وفلان، وفلان يقال له شقيق. قال: لا، شقيق عليه فضل ثوب. قال: فلما كان قابل حججت في عباء، فبينا أنا راقد في المسجد الحرام رأيتهما في منامي، فقال أحدهما لصاحبه: كم حج العام فقال: ثلاثة فلان وفلان وشقيق، ألا إن الله عزّ وجلّ شفعهم في كل من حج.

إذ جاءه سهم فذبحه

قال حاتم الأصم: كنا مع شقيق البلخي ونحن مصافو الترك في يوم لا أرى فيه إلا رؤوساً تندر، وسيوفاً تقطع، ورماحاً تقصف، فقال لي شقيق ونحن بين الصفين: كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟ تراه مثله في الليلة التي زفت إليك امرأتك؟ قلت: لا، والله. قال: لكني والله، أرى نفسي في هذا اليوم مثله في الليلة التي زفت فيها امرأتي. قال: ثم نام بين الصفين ودرقته تحت رأسه حتى سمعت

(١) مختصر تاريخ دمشق، ٣ /٤٦٣.

غطيطه. قال حاتم: ورأيت رجلاً من أصحابنا في ذلك اليوم يبكي فقلت: مالك؟ قال: قتل أخي. قال: قلت: حبط أجرك، صار إلى الله وإلى رضوانه. قال: فقال لي: اسكت، ما أبكي أسفاً عليه ولا على قتله، ولكني أبكي أسفاً ألا أكون دريت كيف كان صبره لله عند وقوع السيف به. قال حاتم: فأخذني في ذلك اليوم تركي فأضجعني للذبح فلم يكن قلبي به مشغولاً، كان قلبي بالله مشغولاً أنظر ماذا يأذن الله به في، فبينا هو يطلب السكين من خفه إذ جاءه سهم فذبحه فألقاه عني.

هكذا كلاب بلخ

قدم شقيق البلخي مكة وإبراهيم بن أدهم بمكة فاجتمع الناس فقالوا نجمع بينهما فجمعوا بينهما في المسجد الحرام فقال إبراهيم بن أدهم لشقيق: يا شقيق على ما أصلتم أصولكم فقال شقيق: إنا أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا أكلنا وإذا منعنا صبرنا فقال إبراهيم بن أدهم: هكذا كلاب بلخ إذا رزقت أكلت وإذا منعت صبرت فقال شقيق: على ما أصلتم أصولكم يا أبا إسحاق فقال: أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا آثرنا وإذا منعنا حمدنا وشكرنا قال: فقام شقيق وجلس بين يديه وقال: يا أبا إسحاق أنت أستاذنا.

يا هذا لا تعد إلينا

وأتى رجل إلى شقيق البلخي يطلبه فقالت امرأته: قد خرج إلى الجهاد. فقال: وما خلف عليكم؟ فقال: أرزاق شقيق أو مرزوق؟ فقال: بل مرزوق. فقالت: إن المرزوق خلف علينا الرازق، يا هذا لا تعد إلينا فتفسد على الله قلوبنا.

خمس في خمس

وقال شقيق البلخي: طلبنا خمساً فوجدناها في خمس طلبنا النور في القبر فوجدناه في قيام الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن وطلبنا الجواز على الصراط فوجدناه في الصدقة وطلبنا الري يوم القيامة فوجدناه في صيام النهار وطلبنا البركة في الرزق فوجدناه في صلاة الضحى..

أنت البحر وهم الأنهار

دخل شقيق البلخي على هارون الرشيد فقال: عظني فقال: إن الله تعالى أقامك مقام الصديق فيريد منك الصدق وأقامك مقام الفاروق فيريد منك أن تفرق بين الحق والباطل وأقامك مقام عثمان فيريد منك الحياء وأقامك مقام علي فيريد منك العمل والعلم قال: زدني قال: إن لله تعالى داراً يقال لها جهنم وجعلك بواباً لها تدفع الناس عنها وأعانك بالمال والسوط والسيف وقال لك أيها العبد المأمور ادفع الخلق عن هذه الدار بهذه الثلاثة فمن جاءك فقيراً فاعطه من المال ومن لم يطع فأدبه بالسوط ومن قتل بغير حق فاقتص منه بالسيف قال: زدني قال: أنت البحر وهم الأنهار فإن صفوت صفواً وإن تكدرت تكدروا.

من كلامه ـ رحمه الله:

ـ مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة، وهو يخاف أن تحمل شوكاً. ومثل المنافق كمثل رجل زرع شوكاً، وهو يطمع أن يحصد ثمراً. هيهات! هيهات! كل من عمل حسناً فإن الله لا يجزيه إلا حسناً،

ولا ينزل الأبرار منازل الفجار [1].

- إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر لى ما وعده الله ووعده الناس، فبأيهما يكون قلبه أوثق؟ .

- وقال شقيق: تُعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء: في أخذِه، ومنعِه، وكلامِه.

- الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة المداوم على عبادة ربه.

- التوكل طمأنينة القلب بموعود الله.

- لكل واحد مقام، فمتوكل على ماله، ومتوكل على نفسه، ومتوكل على لسانه، ومتوكل على سيفه، وقيل على شرفه ومتوكل على سلطنته، ومتوكل على الله عزّ وجلّ. فأما المتوكل على الله فقد وجد الاسترواح، نوّه الله به ورفع قدره. وقال: " وتوكَّلْ على الحي الذي لا يموت " وأما من كان مستروحاً إلى غيره فيوشك أن ينقطع به فيبقى.

- سئل شقيق البلخي: ما علامة التوبة؟ قال: إدمان البكاء على ما سلف من الذنوب، والخوف المقلق من الوقوع فيها، وهجران إخوان السوء، وملازمة أهل الخير.

- قيل لشقيق: ما علامة العبد المباعد المطرود؟ قال: إذا رأيت العبد قد منع الطاعة، واستوحش منها قلبه وحلا له المعصية واستأنس بها، وخفت عليه، ورغب في الدنيا، وزهد في الآخرة،

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، القصاص والمذكرين، تحقيق د. محمد لطفي الصباغ، نشر المكتب الإسلامي، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م، مكان النشر بيروت، ص ٢٧٥.

وأشغله بطنه وفرجه لم يبال من أين أخذ الدنيا فاعلم أنه عند الله مباعد لم يرضه لخدمته.

- تفسير الحمد على ثلاثة أوجه: أوله إذا أعطاك الله شيئاً تعرف من أعطاك، والثاني أن ترضى بما أعطاك، والثالث ما دام قوته في جسدك أن لا تعصيه.

- من شكا مصيبة نزلت به إلى غير الله لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبداً.

- سئل شقيق البلخي ما علامة التوبة؟ قال: إدمان البكاء على ما سلف من الذنوب والخوف المقلق من الوقوع بها وهجران إخوان السوء وملازمة أهل الخير.

- يا فقير لا تشتغل ولا تتعب في طلب الغنى فإنه إذا قسم لك الفقر لا يكون عتبا.

- ليس للعبد صاحب خير من الهم والخوف هم فيما مضى من ذنوبه وخوف فيما لا يدري ما ينزل به.

- إن الله عز وجل يسأل عبيده عن حفظ الأمر والنهي يوم القيامة وينجيهم بإخلاص [١].

- سبعة أبواب يسلك بها طريق الزهاد الصبر على الجوع بالسرور لا بالفتور بالرضا لا بالجزع والصبر على العرى بالفرح لا بالحزن والصبر على طول الصيام بالتفضل لا بالتعسف كأنه طاعم ناعم والصبر على الذل بطيب نفسه لا بالتكره والصبر على

(١) تاريخ دمشق، ٢٣ /١٣٧.

البؤس بالرضا لا بالسخط وطول الفكرة فيما يودع بطنه من المطعم والمشرب ويكسو به ظهره من أين وكيف ولعل وعسى فإذا كان في هذه الأبواب السبعة فقد سلك صدرا من طريق الزهاد وذلك الفضل العظيم.

- عملت في القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الآخرة فأصبته في حرفين وهو قوله تعالى وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى.

- لو أن رجلاً أقام مائتي سنة لا يعرف هذه الأربعة أشياء لم ينج من النار إن شاء الله أحدها معرفة الله والثاني معرفة نفسه والثالث معرفة أمر الله ونهيه والرابع معرفة عدو الله وعدو نفسه وتفسير معرفة الله أن تعرف بقلبك أنه لا يعطى غيره ولا مانع غيره ولا ضار غيره ولا نافع غيره وأما معرفة النفس أن تعرف نفسك أنك لا تنفع ولا تضر ولا تستطيع شيئاً من الأشياء بخلاف النفس وخلاف النفس أن تكون متضرعاً إليه وأما معرفة أمر الله تعالى ونهيه أن تعلم أن أمر الله عليك وأن رزقك على الله وأن تكون واثقاً بالرزق مخلصاً في العمل وعلامة الإخلاص أن لا يكون فيك خصلتان الطمع والجزع وأما معرفة عدو الله أن تعلم أن لك عدواً لا يقبل الله منك شيئاً إلا بالمحاربة والمحاربة في القلب أن تكون محارباً مجاهداً متعباً للعدو.

- من عمل بثلاث خصال أعطاه الله الجنة أولها معرفة الله عز وجل بقلبه ولسانه وسمعه وجميع جوارحه والثاني أن يكون بما في يد الله أوثق مما في يديه والثالث يرضى بما قسم الله له وهو مستيقن أن الله تعالى مطلع عليه ولا يحرك شيئاً من جوارحه إلا بإقامة

الحجة عند الله فذلك حق المعرفة وتفسير الثقة بالله أن لا تسعى في طمع ولا تتكلم في طمع ولا ترجو دون الله سواه ولا تخاف دون الله سواه ولا تخشى من شيء سواه ولا يحرك من جوارحه شيئاً دون الله يعني في طاعته واجتناب معصيته قال: وتفسير الرضى على أربع خصال أولها: أمن من الفقر والثاني: حب القلة والثالث خوف الضمان قال: وتفسير الضمان أن لا يخاف إذا وقع في يده شيء من أمر الدنيا أن يقيم حجته بين يدي الله في أخذه وإعطائه على أي الوجوه كان قال شقيق: التوكل أربعة توكل على المال وتوكل على النفس وتوكل على الناس وتوكل على الله قال: وتفسير التوكل على المال أن تقول ما دام هذا المال في يدي فلا أحتاج إلى أحد فذلك توكل على الناس ومن كان على هذا فهو جاهل كائناً من كان وتفسير التوكل على الله أن تعرف أن الله تعالى خلقك وهو الذي ضمن رزقك وتكفل برزقك ولم يحوجك إلى أحد وأنت تقول بلسانك والذي يطعمني ويسقيني فهذا التوكل على الله وقال الله تعالى: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال إن الله يحب المتوكلين وتفسير من لم يتوكل على الله يصير خارجاً من الإيمان ومن لم يكن بذلك مؤمنا فهو جاهل كائنا ما كان [1].

- ميز بين ما تعطي وتعطى إن كان من يعطيك أحب إليك فأنت محب للدنيا وإن كان من تعطيه أحب إليك فأنت محب للآخرة.

- ثلاث خصال هي تاج الزاهد الأولى أن يميل على الهوى ولا يميل مع الهوى والثانية ينقطع الزاهد إلى الزهد بقلبه والثالثة أن

(١) حلية الأولياء، ٨ /٦١.

يذكر كلما خلا بنفسه كيف مدخله في قبره وكيف مخرجه ويذكر الجوع والعطش والعرى وطول القيامة والحساب والصراط وطول الحساب والفضيحة البادية فإذا ذكر ذلك شغله عن ذكر دار الغرور فإذا كان ذلك كان من محبي الزهاد ومن أحبهم كان معهم.

قال أبو تراب: سمعت محمد بن شقيق بن إبراهيم البلخي وحاتماً الأصم يقولان: كان لشقيق وصيتان إذا جاءه رجل من العرب يوصه بالعربية ويقول: توحد الله بقلبك ولسانك وشفتك وأن تكون بالله أوثق مما في يديك والثالث أن ترضى عن الله وإذا جاءه أعجمي قال: احفظ مني ثلاث خصال أول خصلة أن تحفظ الحق وأن لا يكون الحق إلا بالاجتماع فإذا اجتمع الناس فقالوا: إن هذا الحق يعمل ذلك الحق يريد الثواب مع الإياس من الخلق ولا يكون الباطل باطلاً إلا بالاجتماع فإذا اجتمعوا وقالوا إن هذا باطل تركت هذا الباطل خوفاً من الله تعالى مع الإياس من المخلوقين فإذا كنت تعلم هذا الشيء حق هو أم باطل فينبغي لك أن تقف حتى تعلم هذا الشيء حق هو أو باطل فإنه حرام عليك أن تدخل في شئ من الأشياء إلا أن يكون معك بيان ذلك الشيء وعلمه [١].

- ثلاثة أشياء ليس بد للعبد من القيام بهن فمن عمل بهن أدخله الله الجنة وعاش في الدنيا بالروح والرحمة ومن ترك واحدة منهن فليس له بد من أن يترك الاثنتين وإن أخذ بواحدة منهن فليس له بد من أن يأخذ بهن لأنهن متشابهات ولو شئت قلت الثلاثة في الواحدة ولكن الثلاث أوضح وأبين فمن تركهن وضيعهن دخل النار ومن

(١) حلية الأولياء، ٨ /٦٢.

ترك واحدة منهن ترك الاثنين فتفقهوا وأبصروا فاذا أبصرتم فأبصروا أولهن أن توحد الله تعالى بقلبك ولسانك وعملك فإذا وحدته بقلبك أن لا إله غيره ولا نافع ولا ضار غيره فإنه لا بد لك من أن تنطق به فيرتفع إلى السماء وليس لك بد من أن تجعل عملك كله لله لا لغيره ولا تبلغ عملك من كل حر وحر واحد لغيره إلا طمعاً فيه أو حياء أو خوفاً منه فإذا خفته وطمعت في غيره وهو مالك الأشياء ورازقها فقد اتخذت إلها غيره وأجللته وعظمته لأنك استحييت منه وخفته وطمعت فيه فاذهب ذلك عنك ما في قلبك من توحيد الله وسلطانه وعظمته فاعرف ذلك فاذا صرت مخلصا بهذا القول عاملاً له أنه لا إله إلا هو فليكن هو أوثق عندك من الدينار والدرهم والعم والخال والأب والأم ومن على ظهر الأرض فإنك إن تكن على غير ذلك ينتقض عليك ضميرك وتوحيدك ومعرفتك إياه فهاتان خصلتان ليس لك منهما بد ويتبع بعضها بعضاً والثالثة إذا كنت بهذه الحال فأقمت هذين الأمرين التوحيد والإخلاص والتوكل عليه فارض عنه ولا تسخط في شيء يحزنك من خوف أو جوع أو طمع أو رخاء أو شدة إياك والسخط وليكن قلبك معه لا تزل عنه طرفة عين فإنك إن أدخلت قلبك السخط عليه فإنك متهاون به فينتقض عليك توحيدك فعليك بالأول التوحيد والإخلاص فاعرف ذلك وافهم هذه الثلاث خصال تعزز بهن وإياك أن تضيعهن فتقذف في النار ولا ترى في الدنيا قرة عين [١].

---

(١) حلية الأولياء، ٨ /٦٣.

- من أراد أن يعرف معرفته بالله فلينظر إلى ما وعده الله ووعده الناس بأيهما قلبه أوثق.

- مامن يوم إلا ويستخبر إبليس خبر كل آدمي سبع مرات فإذا سمع خبر عبد تاب إلى الله عز وجل من ذنوبه صاح صيحة تجتمع إليه ذريته كلهم من المشرق والمغرب فيقولون له: مالك يا سيدنا فيقول: قد تاب فلان بن فلان فما الحيلة في فساده؟ ويقول لهم: هل من قرابته أو من أصدقائه أو من جيرانه معكم أحد فيقول: بعضهم لبعض نعم وهو من شياطين الإنس فيقول لأحدهم: اذهب إلى قرابته وقل له ما أشد ما أخذت فيه قال: وإن لابليس خمسة أبواب فتقول له قرابته إنك أخذت بالشدة فان أخذ بقوله رجع فهلك وإلا هلك الآخر ويقول له الآخر من قرابته هذا الذي أخذت فيه لا يتم فإن أخذ بقوله رجع وهلك وإلا هلك الآخر ويقول له الثالث كما أنت حتى تفنى ما في يديك من الحطام فإن أخذ بقوله رجع وهلك وإلا هلك الآخر فيأتيه الرابع فيقول له: تركت العمل فلا تعمل وأنت ليلك ونهارك في راحة لا تعمل فيقول له الخامس جزاك الله خيراً تبت وأخذت في عمل الآخرة ومن مثلك والحق في يدك فإذا أجابهم فقال: إنك أخذت بالشدة يرد عليه ويقول: إني كنت قبل اليوم في شدة فأما اليوم ففي راحة حيث أردت أن أرضى ربي وأرضي الناس فمتى أرضيت ربي أسخطت الناس ومتى ما أرضيت الناس أسخطت ربي فأخذت اليوم في رضاء ربي الواحد القهار وتركت الناس فصرت اليوم حراً وهونت على أمري حيث أعبد ربي وحده لا شريك له فإذا قال إنك لا تتمه فقل: إنما الإتمام على الله عز وجل وعلى أن أدخل في العمل وتمامه على الله تعالى فإذا قال كما أنت حتى تفنى ما في يديك من

الحطام فقل له ففيم تخوفني وقد استيقنت أن كل شيء ليس بقولي فإني لا أقدر عليه وما كان لي فلو دخلت في الأرض السابعة لدخل علي إذ فرغت نفسي واشتغلت بعبادة ربي ففيم تخوفني فإذا قال إنك لم تعمل وصرت بلا عمل فقل إني في عمل شديد قد استبان لي عدو في قلبي ولن يرضى على ربي ألا ينكسر هذا العدو الذي في قلبي وأكون ناصراً عليه في كل ما ألقى في قلبي فأي عمل أشد من هذا فإذا أجبته بهذا واستقمت على طاعة الله تعالى يجيء إليك من قبل العجب بنفسك فيقول لك من مثلك جزاك الله خيراً وعافاك فيريد أن يوقع في قلبك العجب فقل له: إذا استبان لك أن الحق هذا والصواب في هذا العمل فما يمنعك أن تأخذ فيه إلى أن يأتيك الموت فإذا أجبتهم بهذا تفرقوا عنك ولا يكون لهم عليك سبيل فيأتون إبليس فيخبرونه فيقول لهم إبليس إنه قد أصاب الطريق والهدى فليس لكم عليه سبيل ولكن لا يرضى بهذا حتى يدعو الناس إلى عبادة الله عز وجل فامنعوا الناس عنه وقولوا لهم إنه لا يحسن شيئاً فلا تختلفوا إليه[1].

- استتمام صلاح عمل العبد بست خصال تضرع دائم وخوف من وعيده والثاني حسن ظنه بالمسلمين والثالث اشتغاله بعيبه لا يتفرغ لعيوب الناس والرابع يستر على أخيه عيبه ولا يفشي في الناس عيبه رجاء رجوعه عن المعصية واستصلاح ما أفسده من قبل والخامس ما اطلع عليه من خسة عملها استعظمها رجاء أن يرغب في الاستزادة منها والسادسة أن يكون صاحبه عنده مصيب.

(١) حلية الأولياء، ٨ /٦٥.

- من لم يعرفه الله بالقدرة فإنه لا يعرفه فقيل: وكيف معرفته بالقدرة؟ قال: يعرف أن الله قادر إذا كان معه شيء أن يأخذه منه فيعطيه غيره وإذا لم يكن معه شيء أن يعطيه وقال من أراد أن يعرف معرفته بالله فلينظر إلى ما وعده الله ووعده الناس بأيهما قلبه أوثق.

- عشرة أبواب من الزهد يسمى الرجل فيها زاهداً إذا فعلها فإذا خالفها سمي متزهداً والمتزهد الذي يتشبه بالزهاد في رؤيته وسمعته وخشوعه وقوله ومدخله ومخرجه ومطعمه وملبسه ومركبه وفعله وحرصه وحب الدنيا يشهد عليه بخلافه ترى رضاه رضا الراغبين وبساطه في كلامه وعجلته بساط الراغبين وحسده وبغيه وتطاوله وكبره وفخره وسوء خلقه وحفا لسانه وطول خوضه فيما لا يعنيه يدل على نفاق المتزهد لا على خشوع الزاهد فاحذر من هذه الصفة وإذا وجدت فيمن يزعم أنه زاهد هذه الخصال التي أصفها لك فارج له أن يكون في بعض طريق الزهاد إذا أسرته حسنة وساءته سيئة وكره أن يحمد بما لم يفعل من البر فأما إذا لم يفعل يكرهه كما يكره لحم الخنزير والميتة والدم وإذا عرف هذه الخصال صرف فيها نهاره وساعاته وليلته وساعاتها نقص أمله وطال غمه بما أمامه فإذا شغل نفسه بغير ما خلق له طال حزنه وعلم أنه مفتون وترك من شغله عن الطاعة في تلك الساعة فبهذا يجدون حلاوة الزهد وبه يحترزون من حزب الشيطان وإن ذكر الله عندهم أحلى من العسل وأبرد من البرد وأشفى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف وتكون مجالستهم مع من يصف لهم الزهاد ويعظهم أحب إليهم وأشهى عندهم ممن يعطيهم الدنانير والدراهم عند الحاجة

وذلك بقلوبهم لا بألسنتهم وأن يخلو أحدهم بالبكاء على ذنوبه وعلى الخوف الشديد أن لا يقبل منه ما يعمل ويظهر للناس من التبسم والنشاط كأنه ذو رغبة لا ذو رهبة وأن لا يحدث نفسه أنه خير من أحد من أهل قبلته وأن يعرف ذنوبه ولا يعرف ذنوب غيره فإذا كانت فيه هذه الأبواب العشرة كان في طريق الزهاد فأرجو أن يسلكه إن شاء الله وسبعة أبواب تتلو هذه الأبواب التواضع لله بالقلب لا بالتصنع والخضوع للحق طوعاً لا بالاضطرار وحسن المعاشرة مع من ابتلي بمعاشرتهم لا لرغبة فيما عندهم والهرب من المنكبين على الدنيا كهرب الحمار من البيطار والنفور عنها كنفور الحمار من زئير السبع وطلب العافية من كل ما يخاف عقابه ولا يرجو ثوابه ومجالسة البكائين على الذنوب والرحمة لنفسه ولأنفسهم ومخاطبة العالمين بظاهره لا بقلبه ولا يتخوف من الكائن بعد الموت والأهوال والشدائد فإذا فعل ذلك سلك طريق الزهاد ونال أفضل العبادة [(١)].

- المؤمن مشغول بخصلتين والمنافق مشغول بخصلتين المؤمن بالعبر والتفكر والمنافق مشغول بالحرص والأمل وقال: سمعت شقيقاً البلخي يقول: على قلب ابن آدم أربعة حجب إذا أيسر لم يفرح وإن افتقر لم يحزن وكان في الأمرين سواء فقد هتك سترين فعند هذا لا يستقر الخير والحكمة في قلبه حتى يكون فيه خصلتان يترك فضول الشيء وفضول الكلام فإذا كان كذلك دخل قلبه الحكمة ونطق بها لسانه قال: وسمعت شقيقاً يقول أربعة أشياء قد سترت على العباد أمر الآخرة خوف الفقر ستر خوف جهنم وأي شيء يقول لي الناس ستر عنه أي شيء يقول لي الرب إذا فعلت هذا وسترحب الحياة

(١) حلية الأولياء، ٨ /٦٧.

الدنيا حب الآخرة وسترحب نعمة الحياة الدنيا وغرورها وشهواتها وظاهرها ما ترى من حسنها عن نعيم الآخرة وما أعد له فيها.

- إذا ظهر الفساد في البر والبحر لا يكون شيء أغرب من هذه الأربعة التزويج للغلبة والبيت للعدة والضيافة بالسنة والجهاد بلا طمع ولا رياء قال تفسير التزويج للغلبة رجل يخاف أن يقع في الحرام فيتزوج وتفسير البيت للعدة أن تبني بيتاً يمنعك من الحر والبرد ولا تضرب وتدا على البيت حتى تنظر قبل الضرب فيكون لله تعالى رضى كذلك جميع الأشياء ما كان لله رضى فتقدم عليه وإلا فاحذره وتفسير الضيافة بالسنة لا تدخل بيتك رجلاً يستحي من الحلال ويحتشم منه فيكون في بيتك خبز مكسور فاستحييت من الرجل أن تقدمه إليه وقد جاء في الأثر من لا يستحي من الحلال خفت مؤنته وقل كبرياؤه ومن يستحي من الحلال فهو متكبر [١].

من خرج من النعمة ووقع في القلة فلا تكون القلة أعظم عنده من النعمة فهو في غمين غم في الدنيا وغم في الآخرة ومن خرج من النعمة ووقع في القلة وكانت القلة أعظم عنده من النعمة التي خرج منها كان في فرحين فرح الدنيا وفرح الآخرة.

- قال شقيق البلخي لأهل مجلسه: أرأيتم إن أماتكم الله اليوم يطالبكم بصلاة غد؟ قالوا: لا يوم لا نعيش فيه كيف يطالبنا بصلاته قال شقيق: فكما لا يطالبكم بصلاة غد فأنتم لا تطلبوا منه رزق غد عسى أن لا تصيرون إلى غد.

(١) حلية الأولياء، ٨ /٦٨.

- الدخول في العمل بالعلم والثبات فيه بالصبر والتسليم إليه بالإخلاص فمن لم يدخل فيه بعلم فهو جاهل.

- لك شيء حسن وحسن الطاعة أربعة أشياء إذا رأى العبد نفسه في طاعة فليقل لنفسه هذه طيبة من الله وهو الذي من بها علي وإذا علم ذلك كسر العجب ويكون قلبه معلقاً بالثواب فإذا علق قلبه بالثواب كثر الرياء لأنه عمل ليثاب عليه فإذا وسوس له الشيطان يقول إنما أعمله لثواب أنتظره من الله عز وجل فعند ذلك يغلب الشيطان بإذن الله فإذا عمله وهو يريد الثواب من الله تعالى فقد كسر الطمع من الناس والمحمدة والثناء وتفسير الطمع نسيان الرب فإذا نسي الله طمع في الخلق فهو في وقته ذلك عاقل إلا أن يكون رجلاً يتلقى الأشياء من ربه وأراد بمسألته أن يؤجر الآخرة وقال: انظر إذا أصبحت فلا يكون همك في طلب رضى الخلق وسخطهم ولا يكونن خوفك إلا ما قدمت من الذنوب حتى لا تجترىء أن تزيد عليه غيره ولا يكونن استعدادك إلا للموت فإذا كان استعدادك للموت لو جعلت لك الدنيا بتريعها لم ترغب فيها [(١)].

- مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وهو يخاف أن يحمل شوكاً ومثل المنافق كمثل رجل زرع شوكاً وهو يطمع أ يحصد تمراً هيهات هيهات كل من عمل حسناً فإن الله لا يجزيه إلا حسناً ولا تنزل الأبرار منازل الفجار قال شقيق: ولو أن رجلاً كتب جميع العلم لم ينتفع به حتى يكون فيه خصلتان حتى يكون فعله التفكر والعبر وقلبه فارغاً للتفكر وعينه فارغة للعبر كلما نظر إلى شيء من الدنيا

(١) حلية الأولياء، ٨ /٦٩.

كان له عبرة المؤمن مشغول بخصلتين والمنافق مشغول بخصلتين المؤمن بالعبر والتفكر والمنافق مشغول بالحرص والأمل وقال شقيق: أربعة أشياء من طريق الاستقامة لا يترك أمر الله لشدة تنزل به ولا يتركه لشيء يقع في يده من الدنيا فلا يعمل بهوى أحد ولا يعمل بهوى نفسه لأن الهوى مذموم ليعمل بالكتاب والسنة وقال شقيق: متى أغفل العبد قلبه عن الله والتفكر في صنعه ومنته عليه ثم مات مات عاصياً لأن العبد ينبغي له أن يكون قلبه أبداً مع الله يقول: يا رب اعطني الإيمان وعافني من البلاء واستر لي من عيوبي وارزقني واجعل نعمك متوالية علي فهو أبداً متفكر في نعم الله عليه فالتفكر في منة الله شكر والغفلة عنه سهو قال شقيق: ولا تكونن ممن يجمع بحرص ويحسبه بشك ويخلفه على الأعداء وينفقه في الرياء فيؤخذ في الحساب ويعاقب عليه إن لم يعف الله عز وجل.

- ليس الشأن في أكل الشعير، ولبس الصوف، الشأن أن تعرف الله بقلبك، ولا تشرك به شيئاً، وأن ترضى عن الله، وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في أيدي الناس.

- وقال شقيق البلخى: ما من صباح إلا قعد لى الشيطان على أربعة مراصد: من بين يدى، ومن خلفي، وعن يمينى، وعن شمالى، أما من بين يدى فيقول: لا تخف فإن الله غفور رحيم، فأقرأ:{ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾} [طه: ٨٢]، وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي، فأقرأ:{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا} [هود: ٦]، وأما من قبل يمينى فيأتيني من جهه الثناء، فأقرأ:{وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣]، وأما من قبل شمالى فيأتيني من قبل الشهوات، فأقرأ:{ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} [سبأ: ٥٤].

- ليس شيء أحب إلي من الضيف؛ لأن رزقه على الله، وأجره لي.

- من دار حول العلو فإنما يدور حول النار ومن دار حول الشهوات فإنما يدور حول درجاته في الجنة ليأكلها وينقصها في الدنيا وقال شقيق: ليس شيء أحب إلي من الضيف لأن رزقه ومؤنته على الله وأجره على الله وقال: اتق الأغنياء فإنك متى ما عقدت قلبك معهم وطمعت فيهم فقد اتخذتهم ربا من دون الله عز وجل [١].

* * *

(١) حلية الأولياء، ٨ /٧١.

سليمان الداراني

أعـــلام التصــوف

سليمان الداراني ـ رحمه الله ـ

هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية يقال: أصله من واسط، وداراني نسبة إلى داريا في غوطة دمشق - وهي نسبة على غير القياس - وقد عاش فيها وكانت وفاته فيها أيضاً وذلك سنة ٢٣٥ هـ وقبره معروف هناك. روى عن الربيع بن صبيح من أهل العراق، وروى عنه صاحبه أحمد بن أبي الحواري والقاسم الجوعي وغيرهما.

كان رحمه الله يجمع - إلى العلم والمعرفة - زهادة في الدنيا، ودأباً على العبادة، ونفاذاً في كل ما يؤدي إلى حسن العاقبة، وفهماً في دين الله أعانه عليه صفاء القلب وصدق الوجهة والتزام ما كان عليه السابقون الأولون ممن نهلوا من نور النبوة.. وأخذوا أنفسهم بالصالح من القول والعمل حتى كانت راحتهم بالكلال في سبيل الله.. ولذتهم في الرضا بما عند الله.

وسليمان ولده كان من العباد الزهاد أيضاً مات رحمه الله بعد أبيه بسنتين وشهر في سنة ٢٣٧ هـ قال أحد أصحاب أبي سليمان: اجتمعت أنا وأبو سليمان الداراني ومضينا في المسجد فتذاكرنا الشهوات: وأن من أصابها عوقب، ومن تركها أثيب، قال: وسليمان بن أبي سليمان ساكت، ثم قال لنا، لقد أكثرتم منذ العشية ذكر الشهوات، أما أنا: فأزعم أن من لم يكن في قلبه من الآخرة ما يشغله عن الشهوات لم يغن عنه تركها.

الحق أن الرجل تجاوز بنا ظواهر الأمور إلى بواعثها وتلك هي النظرة الفاحصة الدقيقة.

الأمر أولاً - أن يكون في القلب من الآخرة ما يشغله عن الشهوات؛ ذلك أن لذة الأنس بأمور الآخرة عند أولئك الربانيين تتقاصر أمامها كل شهوة من شهوات الدنيا.. فأين الشهوة الفانية التي كثيراً ما تعقب المقت والضيق من تلك الحلاوة التي يتذوقها قلب المؤمن.. والمهم أن أولئك البررة من عباد الرحمن يكونون بإيمانهم بالغيب على مثل الجبال الرواسي فكل ما أخبر الله ورسوله عنه من النعيم المقيم في الآخرة.. وما يدخره الله لعباده - إن هم استقاموا على الطريقة - هو عندهم وكأنه من عالم الشهود ماثل للعيان.

ومن أقواله الرائعة: " من أحسن في نهاره كفي في ليله، ومن أحسن في ليله كفي في نهاره، ومن صدق في ترك شهوة كفي مؤنتها، وكان الله أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تركت له.

وما هذا اليقين الذي استراح له أبو سليمان وكان من نعم الله العظمى عليه.. حتى بات لا يزحزحه عن الحق شيء.. ولا يعرف الشك إلى قلبه سبيلاً!! إنه ثمرة من ثمار متابعة الطريق التي سلكها أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام. قال رحمه الله:(لو شك الناس كلهم في الحق ما شككت فيه وحدي) قال ابن أبي حوراى: كان قلبه في هذا مثل قلب أبي بكر الصديق يوم الردة.

وفي قاعدة نورانية يحدد بها أبو سليمان حقيقة القناعة والورع يقول:

(القناعة أول الرضا والورع أول الزهد).

عجباً لأمر هؤلاء البررة الذين وقفوا على الأصيل من المورد يستقون من عذبه الفرات.. وعلى هدي النبي يستضيئون بنوره في

شعاب الحياة.. ذلكم هو ميراث النبوة الذي من عشا إلى ضوئه فاز بسعادة الدارين.. وتفجرت الحكمة من قلبه على لسانه.. ومن أعرض عنه قسا قلبه.. واستبدت به مخازي الشيطان..

وأبو سليمان الداراني - زاده الله من عفوه وإحسانه في الآخرين - واحد من أولئك الصفوة الذين ألهموا الحكمة بما رشفوا من رحيق ذلك الميراث النوراني فطلعوا علينا بما يصلنا دائماً بأدب النبوة.. وثمرات الرسالة في قلب المؤمن، حيث ينعكس ذلك نوراً وضياءً على أقواله وأفعاله وكدحه إلى ربه في هذه المرحلة التي لابد منتهية إلى لقاء الله عز وجل.

هذا أبو سليمان تصفو نفسه.. وتصفو.. حتى تملك عليه مراقبة مولاه كل مجامع تلك النفس.. لقد سأله رجل عن أقرب ما يتقرب به العبد إلى الله عز وجل.. فبكى وقال: (مثلك يسأل عن هذا؟ أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة غيره)

وأبو سليمان لا يتجافى بهذا مع فضيلة سؤال الله الجنة والاستعاذة من النار، إذ أن المؤمن مبتغاه مرضاة الله.. والجنة مظهر الرضا.. كما أن النار - والعياذ برضاه سبحانه - مظهر الغضب.. وفيما ذهب إليه أبو سليمان في جواب هذا السائل، دعوة إلى تصفية النفس من الرياء وحب الظهور.. فكثيراً ما يؤتى العابد التقي من هذا الباب.. حين يرى أنه على شيء أو يقع في شرك الرياء والرغبة في أن يراه العباد على ما هو عليه من الطاعة والتقوى.. أما إذا كان لا يريد من الدنيا والآخرة غير الله.. فذلكم هو صدق الدعوى.. وعنوان سلامة العمل، وطريق القبول إن شاء الله

وموطن ذلك كله هو القلب.. فلابد من العناية به.. والعمل على جلائه ليصفو من المكدرات.. ويكون محط عطاء الله وتجلياته.. وهل ذلك من أبي سليمان رحمه الله.. إلا بعض مما يوحي به النبي صلوات الله وسلامه عليه: **﴿ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب﴾**..

ومن هنا خرج علينا أبو سليمان بتعريف للزهد تعريفاً يربطه بالمعاني القلبية لما أنه لابد أن يكون نابعاً من القلب فهو سمة من أعمال القلوب.. قال رضي الله عنه:

(اختلفوا علينا في الزهد بالعراق فمنهم من قال: الزهد ترك لقاء الناس، ومنهم من قال: في ترك الشهوات، ومنهم من قال: في ترك الشبع. وكلامهم قريب بعضه من بعض).. ثم قال رحمه الله: (وأنا أذهب إلى أن الزهد في ترك ما يشغلك عن الله).

وماذا عن الدنيا وأحابيلها في نظر أبي سليمان؟ إنه يحذر بلغة الواثق المطمئن حين يقول:

(الدنيا تطلب الهارب منها، فإن أدركته جرحته، وإن أدركها الطالب لها قتلته)

والدنيا كما هي على حقيقتها في فهم هؤلاء الرجال تتجاوز في مدلولها أن تكون مالاً وولداً فحسب.. بل هي أوسع من ذلك فكم لها من سلطان وصولجان في ميادين الحياة، والشهرة، وحب السيطرة والظهور وأن يقال عن المرء كذا.. ويذكر بكذا.. إلخ. من أجل ذلك وفي ضوء هذا الشمول نقل عنه أحمد بن أبي الحواري قوله:

(واحزناه على الحزن في دار الدنيا)

وواضح أن ما يحزن منه أبو سليمان هو الحزن على أمر من أمور الدنيا أما الحزن المتعلق بالآخرة فذلك محمدة للمؤمن ولا ريب أنه من خلال المتقين.. وقد نقلت إلينا كتب الشمائل أن ذلك كان من صفات النبي صلوات الله وسلامه عليه إذ كان حزنه في قلبه وبشره في وجهه.

وفي توجيه لأولئك السالكين الذين يسيرون على درب تزكية النفس والتزهد في الدنيا.. ولكن تنتابهم تلك اللحظات من الضعف فيقعون في شرك الغفلة.. ويأتيهم الشيطان من طريق الشهوة وحب الدنيا قال أجزل الله مثوبته:

(يلبس أحدهم عباءة قيمتها ثلاثة دراهم ونصف، وشهوته في قلبه خمسة دراهم!! أو ما يستحي أن تجاوز شهوته لباسه؟ .. قال أبو سليمان: وإذا لم يبق في قلبه من الشهوات شيء، جاز له أن يتدرع عباءة ويلزم الطريق، لأن العباءة علم من أعلام الزهد، ولو أنه ستر زهده بثوبين أبيضين بخلطة الناس كان أسلم له).

إن أبا سليمان يريد ما هو أكمل وأكثر اتساقاً مع النهج الإسلامي القويم!! إنه يدعو هذا المتزهد الذي غلبت شهوته في قلبه، مظهره على جسمه إلى أن يستر زهده بثوبين أبيضين بخلطة الناس.. فذلك أسلم له.. لما أن ذلك دليل الصدق أولاً.. وآية أن المسلم الحق هو الذي يملك القدرة على الخلطة - في حدود الشريعة - مع اليقظة، والبعد عن الانزلاق فيما لا تحمد عقباه..

ولكم يخاف أبو سليمان على هذا القلب.. يخاف عليه أن يلتقمه حب الدنيا.. فيكون ذلك إضراراً بآخرة صاحبه.. إنه لا ضير أن تكون الدنيا بيد المؤمن يستعين بها على مرضاة الله ويسخرها لخدمة نفسه وأهله وأمته ولكن الرزية أن تكون الدنيا في القلب هوى وحباً ولهفة وتلك هي الطامة الكبرى.. لأن القلب إما أن يكون للدنيا وإما أن يكون للآخرة. قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول:

(إذا جاءت الدنيا إلى القلب ترلحت الآخرة عنه، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تجيء الآخرة تزحمها، لأن الدنيا لئيمة والآخرة عزيزة).

رحمك الله يا أبا سليمان.. وسقى ثراك بوابل رضوانه.. بما قدمت لهذه الأمة من طيب الكلمة وكريم السلوك. وصدق الله جل ثناؤه إذ يقول:{ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ } [العنكبوت: ٦٩] [١].

---

(١) أ. د/محمد أديب الصالح، سليمان الداراني، مجلة حضارة الإسلام، (انظرعنه " معجم الأدباء " ١٦ / ١٣٠ و١٣١. الجرح والتعديل ٥ / ٢١٤، تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني: ص ٥١، طبقات الصوفية: ٧٥ - ٨٢، حلية الأولياء ٩ / ٢٥٤ - ٢٨٠، تاريخ بغداد ١٠ / ٢٤٨ - ٢٥٠، نتائج الأفكار القدسية شرح الرسالة القشيرية ١ / ١١٣، الأنساب للسمعاني ٥ / ٢٤٣، صفة الصفوة ٤ / ٢٢٣ - ٢٣٤، معجم البلدان ٢ / ٤٣١، اللباب ١ / ٤٨٢، وفيات الأعيان ٣ / ١٣١، العبر ١ / ٣٤٧، فوات الوفيات ٢ / ٢٦٥، عيون التواريخ ٧ / لوحة ١٨٦، مرآة الجنان ٢ / ٢٩، البداية والنهاية ١٠ / ٢٥٥، طبقات الأولياء: ٣٨٦ - ٣٩٧، النجوم الزاهرة ٢ / ١٧٩، طبقات الشعراني ١ / ٩٢، شذرات الذهب ٢ / ١٣، سير أعلام النبلاء، ١٠ /١٨٢.

مواقف من حياته ـ رحمه الله:

فوجدت رانها على قلبي بعد سنة

حدث أحمد بن أبي الحواري، سمعت أبا سليمان يقول:قدم إلي أهلي مرة خبزاً وملحاً، فكان في الملح سمسمة، فأكلتها، فوجدت رانها على قلبي بعد سنة.

لا لبيك ولا سعديك

قال أحمد: ورأيت أبا سليمان حين أراد أن يلبي غشي عليه، فلما أفاق، قال: بلغني أن العبد إذ حج من غير وجهه، فقال: لبيك، قيل له: لا لبيك ولا سعديك، حتى تطرح ما في يديك، فما يؤمنا أن يقال لنا مثل هذا، ثم لبى [١].

عصفور اصطاد كركيا!

- وروى عنه. انه قال: " اختلفت إلى منزل قاص، فأثر كلامه في قلبي، فلما لم يبق في قلبي شيء، فعدت ثانياً فسمعت كلامه، فبقي في قلبي حتى رجعت إلى منزلي، فكسرت آلات المخالفات، ولزمت الطريق ".

فحكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ، فقال: " عصفور اصطاد كركيا! "، أراد بالعصفور ذلك القاص، وبالكركى الداراني ".

إذا كان في موضع الأدب

وقال ابن أبي الحوارى، قلت لأبي سليمان: " أيجوز للرجل أن يخبر عن نفسه بالشيء يكون منه؟ "، فقال: " إذا كان في موضع الأدب ليقتدي به، جاز له ذلك ".

---

(١) سير أعلام النبلاء، ١٠ /١٨٤.

ولم لا أبكى! !

وقال أيضا: " دخلت عليه يوماً وهو يبكي، فقلت له: " ما يبكيك؟! " فقال: " يا أحمد!، ولم لا أبكى؟ !، إذا جن الليل، ونامت العيون، وخلا كل حبيب بحبيبه، افترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، وقطرت على محاريبهم، أشرف الجليل سبحانه فنادى: يا جبريل! بعيني من تلذذ بكلامي، واستراح إلى ذكرى، وأنى لمطلع عليهم في خلواتهم، اسمع أنينهم وارى بكائهم، فلم لا تنادي فيهم، يا جبريل: ما هذا البكاء؟ !، هل رأيتم حبيباً يعذب أحباءه؟ أم كيف يجمل بي أن أعذب قوماً إذا جنهم الليل تعلقوا بي؟ ! فبي حلفت!، إذا وردوا علي القيامة لأ كشفن عن وجهي الكريم، حتى ينظروا إلى، وأنظر اليهم!

سرور المؤمن:

" وقال أيضاً:شكوت إليه الوسواس، فقال: " إذا أردت أن ينقطع عنك، فأي وقت أحسست به فافرح، فإنك إذا فرحت انقطع عنك، لأنه ليس شي أبغض للشيطان من سرور المؤمن، وإن اغتنمت به زادك".

وقال، ذاكرته يوماً في الصبر، فقال: " والله، ما نصبر على ما نحب، فكيف نصبر على ما نكره؟ ! ".

الرضى عن الله

وقال، قال لي أبو سليمان: " يا أحمد!، أيكون شيء أعظم ثواباً من الصبر؟ " قلت: " نعم!، الرضى عن الله! "، قال: " ويحك!، إذا كان الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، فانظر ماذا يفعل بالمرضى عنهم! ".

وقال، قال لى يوماً: " إذا أردت أبداً حاجة من حاجات الدنيا فلا تأكل شيئاً حتى تقضيها، فإن الأكل يغير العقل ".

أخبرت أهل النار بحبي إياك

وقال ذو النون: " تسمعوا يوماً على أبي سليمان، فسمعوه يقول: يا رب!، إن طالبتني بسريرتي طالبت بتوحيدك!، وإن طالبت بذنوبي طالبت بكرمك!، وإن جعلتني من أهل النار أخبرت أهل النار بحبي إياك".

أتنام وأنا أُربى لك

وروى عنه انه قال: " نمت ليلة عن وردي، فإذا حورية تقول لي: أتنام وأنا أُرَبى لك في الخدود منذ خمسمائة عام؟ ! ".

قد وضعنا في هذه ما أصابها

وقال: " كنت ليلة باردة في المحراب، فأتلفني البرد، فخبأت إحدى يدي من البرد، وبقيت الأخرى ممدودة، فغلبت عيناي فنمت، فهتف بي هاتف: يا أبا سليمان!، قد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها. فآليت على نفسي أن لا أدعوا إلا ويداي خارجتان، حراً أو برداً ".

محبة المحبوب

وقال: " بينما أنا مار في طريق بيت المقدس، إذ رأيت امرأة عليها جبة مسح، وعلى رأسها خمار صوف، وهي جالسة، ورأسها بين ركبتيها، وهي تبكي؛ فقلت لها: ما أبكاكِ، يا جارية؟ . فقالت: يا أبا سليمان؛ وكيف لا أبكي وأنا أحب لقائه؟ !. فقلت لها ما تحبين؟ ، فقالت: وهل يحب المحب غير لقاء المحبوب؟ !. فقلت لها: ومن محبوبك؟ فقالت: علام الغيوب!، قلت: كيف تحبينه؟ ، فقالت: إذا صفيت نفسك من العيوب، وجالت روحك في الملكوت، عند ذلك تصل إلى محبة المحبوب ". فقلت: " فكيف يكونون في محبتهم له؟ "، فقالت: " أبدانهم نحيلة، وألوانهم متغيرة، وعيونهم هاطلة، وقلوبهم واجفة، وأرواحهم ذائبة، وألسنتهم بذكر محبوبهم لهجة "، قلت: " من أين لك هذه الحكمة، التي تنطقين بها؟ ! "، فقالت: " يا أبا سليمان!، لا تجئ بطول العمر! ". فقلت: " بماذا تجئ؟ "، قالت: " بصفاء الود، وحسن المعاملة؟ "، ثم أنشأت تقول:

قد كتمت الهوى فباح بسره ::: عبرات من الجفون تسيل

ثم قالت: أواه! أواه!. وأنشأت تقول:

كتب الدمع، فوق خدي، سطوراً ::: كل وجدٍ بمن هويت قليل
اعذروني، إذا بليت من الوجد ::: فمالي إلى العزاء سبيل
إن دمعي لشاهد على الحب ::: دليل بأن حزني طويل

ثم قامت ودخلت في واد بين الجبال، وأنا أنظر أليها ".

وإذا أردتم انكشفت

وحكى بعض أصحابه، قال: " كنا ببيت المقدس، ولا نتكلم إلا في أوقات، وكان له عمود في المسجد يجلس إليه؛ فجئت يوماً إلى العمود فما رأيته، كذا ثانية. فلما كان يوم ثالث كنت بجانب العمود وما رأيته، فحدثني وقال: " اجلس! " فنظرت فإذا هو قائم في العمود، فجلست وأنا مرعوب، وجاء آخر فقعد، وجاء آخر، فقال أبو سليمان: " من الناس من يطلبني اليوم واليومين والثلاثة، فإذا أردت استترت، وإذا أردتم انكشفت، وحدثته فقعد " (١).

يا معلم! ما فعل الله بك؟

قال أحمد بن أبي الحواري: تمنيت أن أرى أبا سليمان الداراني في المنام، فرأيته بعد سنة، فقلت له: يا معلم! ما فعل الله بك؟

قال: يا أحمد! دخلت من باب الصغير، فلقيت وسق شيح، فأخذت منه عوداً، فلا أدري تخللت به أم رميت به، فأنا في حسابه من سنة (٢).

هو الذي يلقى ربه

قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان: { إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ } [الشعراء: ٨٩]، قلت له: القلب السليم الذي يلقى الله به وليس فيه أحد غيره؟ فبكى ثم قال: ما سمعت منذ دخلت الشام حديثاً مثله، هذا هو الذي يلقى ربه وليس فيه إله غيره (٣).

(١) طبقات الأولياء، ص ٦٥.
(٢) سير أعلام النبلاء، ١٠ /١٨٥.
(٣) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص ١٧٤.

حذر وأنذر أصحابك

حدث أبو سليمان الداراني، قال: شهدت مع أبي الأشهب جنازة بعبادان، فسمعته يقول:أوحى الله سبحانه إلى داود: حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المعلقة بحب الشهوات في الدنيا عقولها محجوبة عني قال: فارتحلت وما صحبني حديث غير هذا[١]

قم إلى الحائط

قال أبو سليمان الداراني: وقعت أمي من فوق وتكسرت فأهمني أمرها فقلت يا رب من يخدمها فجعلت أبكي في سجودي فإذا هاتف يهتف يا أبا سليمان قم إلى الحائط فخذ ما فيه وادع به فقمت فإذا بقرطاس ما رأيت على نقائه وبياضه بخماً رأيت مثله حسناً تفوح منه رائحة المسك وإذا فيه مكتوب يا مدرك الفوت بعد الفوت ويا من يسمع في ظلم الليل الصوت ويا من يحيي العظام وهي رميم بعد الموت فدعوت بها وأنا ساجد فإذا أمي تقول: يا أبا سليمان ما فعلت الليلة؟ قال قلت لها: قد قمت قالت: نعم [٢].

فبماذا تغسل قلبك

قال أحمد بن أبي الحواري: ثار أبو سليمان ذات ليلة فلما انتصف الليل قام ليتهيأ فلما أدخل يده في الإناء بقي على حالته حتى انفجر الصبح وجاء وقت الإمامة فخشيت أن تفوت صلاته فقلت: الصلاة يرحمك الله فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: يا أحمد أدخلت يدي في الإناء فعارضني عارض من سري هب أنك غسلت

(١) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص ١٧٩.
(٢) تاريخ دمشق، ٣٤ /١٣٤.

بالماء ما ظهر منك فبماذا تغسل قلبك فبقيت متفكراً فألهمت حتى قلت بالغموم والأحزان فيما يقربني من الأنس بالله [١].

يا بني، اتق الله

قال حميد بن هشام أبو هشام: قلت لأبي سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية: يا عم، لم تشدد علينا وقد قال الله عز وجل في كتابه: {يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣]؟ قال: « اقرأ »، فقرأت: {وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾} [الزمر: ٥٤]، ثم قال: « اقرأ »، فقرأت: {وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ} [الزمر: ٥٥-٥٨]، فأقمت أياما ثم قرأت ما يتلو هذا: {بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾} [الزمر: ٥٩].

فقلت له: يا عم، قال الله: بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين، فأنا بحمد الله ونعمته لم أكذب بآيات ربي ولا استكبرت عن عبادته، وما أنا من الكافرين، فمسح - يعني رأسه - وقال: يا بني، اتق الله وخفه وارجه[٢]

(١) تاريخ دمشق، ٣٤ /١٣٥.
(٢) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص ١٩٢.

لو عاديت آدمياً

قال عبد الرحيم بن صالح: سمعت أبا سليمان الداراني، يقول لأم هارون: أتحبين الموت؟ قالت: « لا » قال: ولم تكرهين لقاء الله عز وجل؟ ففاضت دموعها بالانتحاب، فقالت: « يا أبا سليمان، لو عاديت آدميا لكرهت لقاءه » فصرخ أبو سليمان ووقع مغشياً عليه[1].

بما كسبت يداك

قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان: لم أوتر البارحة ولم أصل ركعتي الفجر ولم أصل الصبح في جماعة قال: بما كسبت يداك والله ليس بظلام للعبيد شهوة أصبتها [2].

فأن لم تكن قمراً

قال أحمد بن أبي الحواري قال لي أبو سليمان يا أحمد كن كوكباً فإن لم تكن كوكباً فكن قمراً فإن لم تكن قمراً فكن شمساً فقلت: يا أبا سليمان القمر أضوأمن الكوكب والشمس أضوأمن القمر قال: يا أحمد كن مثل الكوكب طلع أول الليل إلى الفجر فقم أول الليل إلى آخره فإن لم تقو على قيام الليل فكن مثل الشمس تطلع أول النهار إلى آخره فإن لم تقدر على قيام الليل فلا تعص الله بالنهار [3].

(١) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص ١٩٧.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٢٥٨.
(٣) حلية الأولياء، ٩ /٢٦٠.

من كلامه ـ رحمه الله:

- صل خلف كل مبتدع، إلا القدري، لا تصل خلفه، وإن كان سلطاناً.

- ليس لمن ألهم شيئاً من الخيرات أن يعمل به حتى يسمعه من الأثر.

- ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين، الكتاب والسنة.

- أفضل الأعمال خلاف هوى النفس.

- لكل شيء علم، وعلم الخذلان ترك البكاء، ولكل شيء صدأ، وصدأ القلب الشبع [١].

- أصل كل خير الخوف من الدنيا، ومفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع.

- من رأى لنفسه قيمة، لم يذق حلاوة الخدمة.

- إذا تكلف المتعبدون أن يتكلموا بالإعراب، ذهب الخشوع من قلوبهم.

- إن من خلق الله خلقاً لو زين لهم الجنان، ما اشتاقوا إليها، فكيف يحبون الدنيا، وقد زهدهم فيها.

- لولا الليل لما أحببت البقاء في الدنيا، ولربما رأيت القلب يضحك ضحكاً.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ١٠ /١٨٣.

- من اشتغل بنفسه، شغل عن الناس، ومن اشتغل بربه، شغل عن نفسه وعن الناس.

- من وثق بالله في رزقه، زاد في حسن خلقه، وأعقبه الحلم، وسخت نفسه، وقلت وساوسه في صلاته.

- التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

- إن في خلق الله تعالى خلقاً لو ذم لهم الجنان ما اشتاقوا إليها، فكيف يحبون الدنيا وهو قد زهدهم فيها؟ فحدثت به سليمان ابنه، فقال: لو ذمها لهم؟ قلت: كذا قال أبوك.

- والله لو شوقهم إليها لما اشتاقوا، فكيف لو ذمها لهم [(١)].

- من أصلح فيما بقى من عمره غُفر له ما مضى وما بقى. ومن أفسد فيما بقى من عمره أو خذ بما مضى وما بقى.

- السلامة كلها في اعتزال الناس، والفرح كله في الخلوة بالله ".

- التوبة رد المظالم، وترك المعاصي، وطلب الحلال، وأداء الفرائض.

- أوصيكم بخمس: إن ظلمتم فلا تظلموا، وإن مدحتم فلا تفرحوا، وإن ذممتم فلا تجزعوا، وإن كذبتم فلا تغضبوا، وإن خانوكم فلا تخونوا ".

- إن لله عباداً قصدوا الله بهممهم، وأفردوه بطاعتهم، واكتفوا به في توكلهم، ورضوا به عوضاً عن كل ما خطر على قلوبهم من أمر الدنيا. فليس لهم حبيب غيره، ولا قرة عين إلا فيما قرب إليه.

(١) سير أعلام النبلاء، ١٠ /١٨٤.

- يعرف الأبرار بكتمان المصائب، وصيانة الكرامات.

- من أحسن في نهاره كفى في ليله، ومن أحسن في ليله كفى في نهاره. ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه. والله أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تركت له.

- لكل شيء علم، وعلم الخذلان ترك البكاء.

- لكل شيء صدأ، وصدأ نور القلب شبع البطن.

- كل ما شغلك عن الله - من أهل أو مال أو ولد - فهو عليك مشؤوم.

- سئل عن السماع، فقال: " كل قلب يريد الصوت الحسن فهو ضعيف، يدارى كما يدارى الصبي إذا أريد أن ينوم. ثم قال: الصوت الحسن لا يدخل في القلب شيئاً، إنما يحرك من القلب ما فيه.

- أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله أن يطلع على قلبك وأنت لاتريد من الدنيا والآخرة غيره.

- شبع الأولياء بالمحبة عن الجوع، ففقدوا لذة الطعام والشراب والشهوات ولذاذات الدنيا، لأنهم تلذذوا بلذة ليس فوقها لذة، فقطعهم عن كل اللذات (١).

- الدنيا عند الله أقل من جناح بعوضة، فما قيمة جناح بعوضة حتى يزهد فيها؟ وإنما الزهد في الجنة، وحور العين، وكل نعيم خلقه الله ويخلقه، حتى لا يرى الله في قلبك غير الله (٢).

(١) طبقات الأولياء، ص ٦٥.
(٢) الزهد والرقائق للخطيب البغدادي، ص ٩٤.

- ليس الزاهد من ألقى هموم الدنيا واستراح منها، إنما ذلك راحة؛ إنما الزاهد من زهد في الدنيا وتعب فيها للآخرة [١].

- أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود: إن أهون ما أصنع بالعبد من عبيدي إذا آثر شهوة من شهواته علي، أن أحرمه طاعتي [٢].

- لولا الذنوب لسألته أن يقيم القيامة، ولكن إذا ذكرت الخطيئة قلت: أبقى لعلي أتوب [٣]

- من المعدة إلى العينين عرقان، فإذا ثقلت المعدة انطبقت العينان، وإذا خفت المعدة انتفخت العينان [٤]

- إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورق، وإذا شبعت ورويت عمي القلب وباد [٥].

- من حسن ظنه بالله ثم لا يخاف فهو مخدوع [٦].

- ينبغي للخوف أن يكون أغلب على الرجاء فإذا بلغ الرجاء على الخوف فسد القلب [٧].

- إذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الآخرة.

- إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة إن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة.

(١) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص ١٧٣.
(٢)المصدر السابق.
(٣) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص ١٩٠.
(٤) ابن أبي الدنيا، الجوع، ١ /٢٤٢.
(٥) ابن أبي الدنيا، الجوع، ١ /٢٤٩.
(٦) تاريخ دمشق، ٣٤ /١٣٢.
(٧) تاريخ دمشق، ٣٤ /١٣٥.

- ما رأيت لصاً قط يجئ إلى خربة ينقبها وهو يدخل من أي أبوابها شاء إنما يجئ إلى بيت قد جعل فيه رزم وقد أقفل فينقب حائطاً يستخرج رزمة كذلك إبليس ليس يجئ إلا إلى كل قلب عامر ليستنزله عن شئ[١].

- قلب المؤمن منور بذكر الله عز وجل فالذكر غذاؤه والرجاء قوته والأنس راحته والتوكل اعتماده والفكر دليله والرضا سروره والتقوى رأسماله وحسن المعاملة مع ربه تجارته والمسجد حانوته والعبادة كسبه والليل سوقه والقرآن بضاعته والدنيا خزانته والقيامة بيدره ولقاء الله ربحه ثم قال: واخطراه تفضل علينا يا رباه ولا تبطل آمالنا ولا تكلنا إلى أعمالنا ثم قال: لو عرف المرء نفسه كنه معرفته لناح ما عاش على نفسه قيل: فأين الرجاء رحمك الله؟ قال: فأين العمل بالرضى أكرمك الله [٢].

- من اشتغل بنفسه شغل عن الناس ومن اشتغل بربه شغل عن نفسه وعن الناس [٣].

- من طلب الدنيا حلالاً واستعفافاً عن المسألة واستغناء عن الناس لقي الله يوم يلقاه ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا حلالاً مكابراً مفاخراً مرائياً لقي الله وهو عليه غضبان [٤].

---

(١) تاريخ دمشق، ٣٤ /١٣٩.
(٢) تاريخ دمشق، ٣٤ /١٤٠.
(٣) تاريخ دمشق، ٣٤ /١٤٠.
(٤) تاريخ دمشق، ٣٤ /١٤٣.

- قال الله تعالى عبدي إنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب زلاتك ولا أناقشك في الحساب يوم القيامة (١).

- ليس أعمال العباد التي ترضيه ولا تغضبه ولكن رضي عن قوم فاستعملهم بعمل الرضى وغضب على قوم فاستعملهم بعمل الغضب(٢).

- إنما الغضب على أهل المعاصي لجرأتهم عليها فإذا تذكرت ما يصيرون إليه من عقوبة الآخرة دخلت القلوب الرحمة لهم (٣).

- الدنيا تطلب الهارب منها فإن أدركته جرحته وإن أدركها الطالب لها قتلته (٤).

- لا ينظر أهل البصائر إلى ملوك الدنيا بالتعظيم لهم والغبطة(٥).

- احذر صغير الدنيا فإنه يجر إلى كبيره.

- إذا قال الرجل لأخيه بيني وبينك الصراط فإنه ليس يعرف الصراط لو عرف الصراط لأحب أن لا يتعلق بأحد ولا يتعلق به أحد.

- ليس العجب ممن لم يجد لذة الطاعة إنما العجب ممن وجد لذتها ثم تركها كيف صبر عنها.

(١) تاريخ دمشق، ٣٤ /١٤٥.
(٢) تاريخ دمشق، ٣٤ /١٥١.
(٣) تاريخ دمشق، ٣٤ /١٥١.
(٤) حلية الأولياء، ٩ /٢٥٨.
(٥) حلية الأولياء، ٩ /٢٥٩.

- وقال أحمد: قلت لأبي سليمان: أليس قد جاء الحديث إن المؤمن ينظر بنور الله قال: صدقت ولكن أين الذي ينظر بنور الله.

- قال: وقلت لأبي سليمان: إن فلاناً وفلاناً لا يقعان على قلبي قال: ولا على قلبي ولكن لعلنا إنما أتينا من قلبي وقلبك فليس فينا خير وليس نحب الصالحين [(١)].

وقال أحمد لأبي سليمان: إني قد غبطت بني إسرائيل قال: بأي شيء ويحك قلت: بثمان مائة سنة وبأربعمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية والحنايا وكالأوتار قال: ما ظننت إلا أنك قد جئت بشيء لا والله ما يريد الله منا أن تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا إلا صدق النية فيما عنده هذا إذا صدق في عشرة أيام نال ما نال ذاك في عمره.

- كانوا إذا شغلوا لا يشتهوا اللقاء فإذا افترقوا التقوا وتواضعوا.

- ما عمل داود عليه السلام عملاً قط كان أنفع له من خطيئته ما زال منها خائفاً هارباً حتى لحق بربه عز وجل.

- كيف يعجب عاقل بعمله وإنما يعد العمل نعمة من الله إنما ينبغي له أن يشكر ويتواضع وإنما يعجب بعمله القدريةالذين يزعمون أنهم يعملون فأما من زعم أنه مستعمل فبأي شيء يعجب.

- أرجو أن أكون قد رزقت من الرضا طريقاً لو أدخلني النار لكنت بذاك راضيا [(٢)].

---

(١) حلية الأولياء، ٩ /٢٦٢.
(٢) حلية الأولياء، ٩ /٢٦٣.

- كيف يترك الدنيا من تأمرونه بترك الدينار والدرهم وهم إذا ألقوها أخذتموها أنتم.

- قال لقمان لابنه يا بني لا تدخل في الدنيا دخولاً يضر بآخرتك ولا تتركها تركاً تكون كلاً على الناس.

- ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يفت لك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد.

- لا خير في قلب يتوقع قرع الباب يتوقع إنساناً يجيء يعطيه شيئاً.

- إذا ذكرت الخطيئة لم أشته أن أموت قلت: ابق لعلي أتوب.

- أي شيء يزيد الفاسقون عليكم إذا اشتهيتم شيئا أكلتموه.

- قال أحمد: قلت لأبي سليمان: يجوز للرجل أن يقول اللهم اجعلني صديقاً قال: إن عرف في نفسه من خصالهم شيئاً وإلا فلا يتعد فإن من الدعاء تعدياً.

- كل من أكل ليسر أخاه لم يضر أكله إن العامل لله لا يخيب إنما يضره إذا أكله شهوة نفسه يعني الشهوات.

- قال: وقلت لأبي سليمان: سهرت ليلة في ذكر النساء إلى الصباح قال: فتغير وجهه وغضب علي فقال: ويحك أما استحييت منه يراك ساهراً في ذكر النساء ولكن كيف تستحي ممن لا تعرف.

- إذا لذت لك القراءة فلا تركع ولا تسجد وإذا لذك السجود فلا تركع ولا تقرأ الأمر الذي يفتح لك فيه فالزمه [1].

(١) حلية الأولياء، ٩ /٢٦٥.

- من كان يومه مثل أمسه فهو في نقصان وفسره قال: كان أمس في شيء ينوي الزيادة فلما أصبح اليوم إلى تلك الزيادة فلم ينو الزيادة فترت نيته فليس يثبت على هذه الحال.

- لو أراد الواصف أن يصف ما في قلبه ما نطق به لسانه وفسره فقال: لا يصف درجة هو فيها حتى يجوزها ويفتر عنها.

- ينبغي للعبد المعني بنفسه أن يميت العاجلة الزائلة المتعقبة بالآفات من قلبه بذكر الموت وما وراء الموت من الأهوال والحساب ووقوفه بين يدي الجبار.

- الزاهد حقاً لا يذم الدنيا ولا يمدحها ولا ينظر إليها ولا يفرح بها إذا أقبلت ولا يحزن عليها إذا أدبرت.

- استجلب الزهد بقصر الأمل وادفع أسباب الطمع بالإياس والقنوع وتخلص إلى راحة القلب بصحة التفويض.

- رد سبيل العجب بمعرفة النفس وتخلص إلى إجماع القلب بقلة الخطأ وتعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الخوف واستجلب نور القلب بدوام الحزن والتمس باب الحزن بدوام الفكرة والتمس وجوه الفكرة في الخلوات.

- ليس يفلح قلب يهتم بجمع القراريط.

- لو عمل إذا عرف كما يعمل قبل أن يعرف لمشى في الهوى والعارف إذا صلى ركعتين لم ينصرف عنهما حتى يجد طعمهما.

- ما أحسب عملاً لا يوجد له في الدنيا لذة يكون له في الآخرة ثواب.

- قال أحمد بن أبي الحوارى: خرجت مع أبي سليمان فمررنا على زرع وإذا طائران يلتقطان الحب فلما شبعا أراد الذكر الأنثى فقال: يا أحمد انظر فيما كان لما شبعا دعته بطنه إلى ما ترى.

- قد وجدت لكل شيء حيلة إلا هذا الذهب والفضة فإني لم أجد لإخراجه من القلب حيلة.

- لترك الشهوة ثواب ولتركها عقوبة فإذا ندم رفعت عنه العقوبة وإن تمادى قامت عليه العقوبة قال عمر بن الخطاب في قوله تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قال: ذهب بالشهوات منها.

- خذ الكيزان تجد الماء يريد بذلك أخرج الدنيا من القلب تجد الحكمة فيه.

- يكون في الطاعة يلذ بها فتخطر الدنيا على قلبه فتنغص عليه أو تنكد عليه.

- لو مر المطيعون بالمعاصي مطروحة في السكك ما التفتوا إليها.

- ابن آدم أتت عليك ساعة كنت تطيعني وساعة كنت تذكرني وساعة كنت غافلاً.

- من عمل شيئاً من أنواع الخير بلا نية أجزأته النية الأولى حين اختار الإسلام على الأديان كلها لأن هذا العمل من سنن الإسلام ومن شعائر الإسلام.

- ما أتى من أتى إبليس وقارون وبلعام إلا أن أصل نياتهم على غش فرجعوا إلى الغش الذي في قلوبهم والله أكرم من أن يمن على عبد بصدق ثم يسلبه إياه.

- وسمعت أبا سليمان يقول في القدرية: ويحك أما رضوا والله أن يشركوا أنفسهم والشيطان معهم حتى جعلوا أنفسهم والشيطان أقوى منه وزعموا أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لطاعته فجاء إبليس فقلبهم إلى المعصية ويزعمون أنهم إذا أرادوا شيئاً كان وإن الله إذا أراد شيئاً لم يكن ثم قال سبحان من لا يكون في الأرض ولا في السماء إلا ما أراد.

- لترك الشهوات ثواب وللمداومة ثواب وإنما أنا وأنت ممن يقوم ليلة وينام ليلتين ويصوم يوماً ويفطر يومين وليس تستنير القلوب على هذا.

- كم بين من هو في صلاته لا يحسن أو قال: لا يشعر من مر به وبين آخر يتوقع خفق النعال حتى يجيء من ينظر إليه.

- قال صالح لأبي سليمان: يا أبا سليمان بأي شيء تنال معرفته؟ قال: بطاعته قال: فبأي شيء تنال طاعته؟ قال: به.

- وسأل محمود بن خالد أبا سليمان فقال: يا أبا سليمان ما أتقرب به إليه؟ فبكى أبو سليمان ثم قال: مثلي يسأل عن هذا أقرب ما يتقرب به إليه أن يطلع من قلبك على أنك لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو.

- قال: وقلت لأبي سليمان يكون الرجل بإفريقية والآخر بسمرقند وهما أخوان قال: نعم قلت: وكيف ذلك؟ قال: تكون نيته متى لقيه واساه فإذا كانت نيته كذلك فهو أخوه.

- عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر.

- الورع من الزهد بمنزلة القناعة من الرضا هذا أوله وهذا أوله.

- لو لم يكن في ترك الأكل شيء إلا علة دخول الخلاء.

- الثياب ثلاثة ثوب لله وثوب لنفسك وثوب للناس وهو شر الثلاثة فما كان لله فهو أن تجد بثلاثين وتشتري بعشرين وتقدم عشرة وما كان لنفسك فهو أن تريد لينة على جسدك وما كان للناس فهو أن تريد حسنة وقد تجمع في الثوب الواحد لله ولنفسك.

- صاحب العيال أعظم أجراً لأن ركعتين منه تعدل سبعين من العزب والمتفرغ يجد من لذة العبادة مالا يجدها صاحب العيال لأنه ليس في شيء يشغله عن شيء.

- أنجى الأسباب من الشر الاعتزال في البلد الذي يعرف فيه والتخلص إلى خمول الذكر أين كنت وطول الصمت وقلة المخالطة والاعتصام بالرب والعض على قلق الكسر وما دنؤ من اللباس مالم يكن مشهوراً والتمسك بعنان الصبر والانتظار للفرج وترقب الموت والاستعداد لحسن النظر مع شدة الخوف ومن دواعي الموت ذم الدنيا في العلانية واعتناقها في السر مالم يحسن رعاية نفسه أسرع به هواه الى الهلكة من لم ينظر لنفسه لم ينظر لها غيره لا ينفع الهالك نجاة المعصوم ولا يضر الناجي تلف الهالك يجمع الناس موقف واحد جميعا وهم فرادى كل شخص منهم بنفسه مشغول وعنها وحده مسئول فهو بصالح عمله مسرور ومن شر عمله مستوحش محزون ومرارة التقوى اليوم حلاوة في ذلك اليوم والأعمى من عمي بعد

البصر والهالك من هلك في آخر سفره وقد قارب المنزل والخاسر من أبدى للناس صالح عمله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد.

- إن استطعت أن لا تلبس إلا لباساً يطلع الله عز وجل من قلبك أنك تريد دونه فافعل.

- منا من سالت من عينيه قطرة يعني دمعة يوم الجمعة قبل الرواح أوحى الله تعالى إلى الملك صاحب الشمال اطو صحيفة عبدي فلا تكتب عليه خطيئة إلى مثلها من الجمعة الأخرى.

- شيطان الجن أهون علي من شيطان الإنس شيطان الإنس يتعلق بي فيدخلني في المعصية وشيطان الجن إذا تعوذت منه خنس عني.

- إنما تضر الشهوة من تكلفها فأما من أصابها بلا تكلف فلا تضره قلت لأبي سليمان: يعاقب على إصابة الشهوة قال: الله تعالى أكرم أن يبيح شيئاً ثم يعاقب عليه ولكن فيه تنقيض [1].

- عن ابن سليمان الداراني أنه قال: تبدى إبليس لقارون وكان قارون أقام في جبل أربعين سنة غلب بني إسرائيل في العبادة، فبعث إبليس إليه شياطينه فلم يقدروا عليه؛ فأتاه وجعل يتعبد معه، وجعل قارون يتعبد وإبليس يقهره في العبادة ويفوقه؛ فخضع له قارون؛ فقال له إبليس: يا قارون، قد رضينا بهذا الذي نحن فيه، لا نشهد لبني إسرائيل جماعة، ولا نعود مريضاً، ولا نشهد جنازة؟ قال: فأحدره من الجبل إلى البيعة، فكانا يؤتيان بالطعام، فقال له إبليس: يا

(١) حلية الأولياء، ٩ /صفحات متفرقة.

قارون، قد رضينا أن نكون هكذا كلاً على بني إسرائيل؟ فقال له قارون: فأي رأي عندك؟ قال: نكسب يوم الجمعة، ونتعبد بقية الجمعة.

قال: فكسبوا يوم الجمعة وتعبدوا بقيتها؛ فقال إبليس: قد رضينا أن نكون هكذا؟ قال قارون: فأي رأي عندك؟ قال: نكسب يوماً ونتعبد يوماً فنتصدق ونعطي.

قال: فلما كسبوا يوماً وتعبدوا يوماً خنس إبليس وتركه، ففتحت على قارون أبواب الدنيا، فبلغ ماله - على ما روى الثعلبي بسنده إلى المسيب بن شريك قال: ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة، وكانت أربعمائة ألف ألف في أربعين جراباً.

قال: فبغى وطغى حين استغنى، فكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة الأموال، وكان يخرج في زينته.

- قلت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون، وكثرت ذنوبي وذنوبك فليس ندري من أين نؤتى.

- من وثق بالله في رزقه زاد في حسن خلقه، وأعقبه الحلم، وسخت نفسه في نفقته، وقلت وساوسه في صلاته.

- إن خطيئة تغم قلب صاحبها لمباركة، إنما البلاء من يعصى ولا يغتم؛ وما عمل داود قط عملاً كان أنفع له من خطيئته، ما زال خائفاً منها هارباً، حتى لحق بربه.

- ما رضيت عن نفسي طرفة عين، ولو أن أهل الأرض أجتمعوا على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما أحسنوا ذلك.

* * *

معروف الكرخي

أعـــلام التصــوف

معروف الكرخي

علم الزهاد، بركة العصر، أبو محفوظ البغدادي، واسم أبيه فيروز، وقيل: فيرزان، وكان من الصابئة.

وقيل: كان أبواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدب كان يقول له قل: ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الواحد، فيضربه، فيهرب، فكان والداه يقولان: ليته رجع، ثم إن أبويه أسلما.

تلقى العلم على يد الربيع بن صبيح، وبكر بن خنيس، وابن السماك وغيرهم شيئاً قليلاً.

وروى عنه خلف بن هشام، وزكريا بن يحيى بن أسد، ويحيى بن أبي طالب.

وقد أثني عليه علماء وفقهاء عصره فلما ذكر معروف عند الإمام أحمد، فقيل: قصير العلم، فقال: أمسك، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف.

وسأل سفيان بن عيينة: ما فعل ذلك الحبر الذي فيكم ببغداد؟ قلنا: من هو؟ قال: أبو محفوظ معروف. قلنا: بخير، قال: لا يزال أهل تلك المدينة بخير ما بقي فيهم.

وقد أفرد الإمام أبو الفرج بن الجوزي مناقب معروف في أربع كراريس.

مات معروف سنة مائتين [1].

---

(١) طبقات الصوفية ٨٣ - ٩٠، حلية الأولياء ٨ / ٣٦٠، ٣٦٨، تاريخ بغداد ١٣ / ١٩٩، ٢٠٩، الرسالة القشيرية ١ / ٧٩، طبقات الحنابلة ١ / ٣٨١، ٣٨٩، صفة الصفوة ٢ /

مواقف من حياته ـ رحمه الله:

حياكم الله بالسلام

قال السراج: حدثنا أبو بكر بن أبي طالب قال: دخلت مسجد معروف، فخرج، وقال: حياكم الله بالسلام، ونعمنا وإياكم بالأحزان، ثم أذن، فارتعد، وقف شعره، وانحنى حتى كاد يسقط.

يا نفس كم تبكين!

قيل: أتى رجل بعشرة دنانير إلى معروف، فمر سائل، فناوله إياها، وكان يبكي، ثم يقول: يا نفس كم تبكين؟ أخلصي تخلصي.

فمن دعاني أكلت

وسئل: كيف تصوم؟ فغالط السائل، وقال: صوم نبينا ﷺ كان كذا وكذا، وصوم داود كذا وكذا، فألح عليه، فقال: أصبح دهري صائما، فمن دعاني، أكلت، ولم أقل: إني صائم.

أنت تعمل، وأنا أعمل

- كان حجام يأخذ من شارب معروف وكان معروف يسبح فقال الحجام: لا يتهيأ أخذ الشارب وأنت تسبح فقال معروف أنت تعمل وأنا لا أعمل.

اذكر القطن إذا وضع على عينيك

وقيل: اغتاب رجل عند معروف، فقال: اذكر القطن إذا وضع على عينيك.

---

٧٩ - ٨٣، اللباب ٣ / ٩١، وفيات الأعيان ٥ / ٢٣١، العبر ١ / ٣٣٥، دول الإسلام ١ / ١٢٦، مرآة الجنان ١ / ٤٦٠، ٤٦٣، طبقات الأولياء: ٢٨٠، ٢٨٥، شذرات الذهب ١ / ٣٦٠. سير أعلام النبلاء، ٩ /٣٤٠.

أما زويته عن أنبيائك وأوليائك

وقيل: أتاه ملهوف سرق منه ألف دينار ليدعو له، فقال: ما أدعو أما زويته عن أنبيائك وأوليائك، فرده عليه.

إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم

وعن محمد بن منصور الطوسي، قال: قعدت مرة إلى معروف، فلعله قال: واغوثاه يا الله، عشرة آلاف مرة، وتلا:{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ} [الأنفال: ٩].

بلغني أنك تمشي على الماء

وعن ابن شيرويه: قلت لمعروف: بلغني أنك تمشي على الماء.

قال: ما وقع هذا، ولكن إذا هممت بالعبور، جمع لي طرفا النهر، فأتخطاه.

سل عما يعنيك عافاك الله

أبو العباس بن مسروق: حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال: كنت عند معروف، ثم جئت، وفي وجهه أثر، فسئل عنه، فقال للسائل: سل عما يعنيك عافاك الله، فأقسم عليه، فتغير وجهه، ثم قال: صليت البارحة، ومضيت، فطفت بالبيت، وجئت لأشرب من زمزم، فزلقت، فأصاب وجهي هذا.

رحم الله من شرب

قال عبيد بن محمد الوراق: مر معروف، وهو صائم بسقاء يقول: رحم الله من شرب، فشرب رجاء الرحمة.

ليس من يعلم كمن لا يعلم

إن في جهنم لوادياً تعوذ جهنم منه كل يوم سبع مرات، وإن في الوادي لجباً يتعوذ الوادي وجهنم منه كل يوم سبع مرات، وإن فيه لحية يتعوذ الجب والوادي وجهنم منها كل يوم سبع مرات، يبدأ بفسقة حملة القرآن، فيقولون: أي رب، بدئ بنا قبل عبدة الأوثان؟ ! قيل لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم.

ما صنع بك ربك؟

قال أبو بكر الخياط: رأيت كأني دخلت المقابر فإذا أهل القبور جلوس على قبورهم بين أيديهم الريحان وإذا أنا بمعروف أبي محفوظ قائماً فيما بينهم يذهب ويجيء فقلت: أبا محفوظ ما صنع بك ربك أو ليس قدمت قال: بلى ثم أنشأ يقول:

موت التقى حياة لا نفاذ لها ::: قد مات قوم وهم في الناس أحياء

حياكم الله بالسلام

قال أبو بكر بن أبي طالب: دخلت مسجد معروف وكان في منزله فخرج إلينا ونحن جماعة فقال: السلام عليكم ورحمة الله فرددنا عليه السلام فقال: حياكم الله بالسلام ونعمنا وإياكم في الدنيا والأحزان ثم أذن فلما أخذ في الآذان اضطرب وارتعد حين قال أشهد أن لا إله إلا الله فقام شعر حاجبيه ولحيته حتى خفت أن لا يتم أذانه وانحنى حتى كاد أن يسقط.

نعوذ بالله من طول الأمل

قال أحمد بن إبراهيم الدورقي: حضرت الصلاة فقال معروف الكرخي لأبي توبة صل بنا فقال: إن صليت بكم هذه الصلاة لا أصلي بكم الثانية نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل [(١)].

فتصدقوا بقميصى

- قيل لمعروف الكرخي في علته أوص فقال: إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا فإني أحب أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلت اليها عرياناً.

كنت الساعة بالأنبار

قال خليل الصياد: غاب ابني محمد فجزعت أمه عليه جزعاً شديداً فأتيت معروفاً فقلت: أبا محفوظ قال: ما تشاء؟ قلت: ابني محمد غاب وجزعت أمه عليه جزعاً شديداً فادع الله أن يرده عليها فقال: اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك فأت به قال خليل: فأتيت باب الشام فإذا ابني محمد قائم منبهر قلت: محمد قال: يا أبت كنت الساعة بالأنبار.

ما أكلت شيئاً حتى جئتكم

قال أبو محمد الضرير جار مردوية الصائغ أرسل إلى مردوية فأتيته فقال: إن ابني قد غاب عنا منذ أيام وقد ضيقوا على النساء لما يبكين فاغد بنا إلى معروف قال: فغدوت أنا وهو إلى معروف فسلم عليه وهو في المسجد فقال معروف: ما الذي جاء بك يا أبا بكر؟ قال: إن ابني قد غاب عنا منذ أيام وقد ضيقوا على النساء لما يبكين

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٦١.

قال: فقال معروف: يا عالماً بكل شئ ويا من لا يخفى عليه شئ ويا من علمه محيط بكل شئ أوضح لنا أمر ذا الغلام ثلاث مرات قال: ثم انصرفنا من عنده قال: فلما أن أصبحت قبل صلاة الفجر إذا رسول مردوية قد جاءني يدعوني فقلت: إيش الخبر؟ فقال: قد جاء الغلام فجئت فإذا الغلام قاعد بين يدي مردويه فقال لي: اسمع العجب قال: فقال الغلام كنت أمشي بالكوفة فأتاني نفسان فأخذا بيدي فأخرجاني من الكوفة وقالا: امض الى بيتكم فلم اقعد ولم آكل ولم أشرب ومررت ببئر تسع أو قال تسعين ثم رايتهما فلم يتحركا حتى أتيتكم فأطعموني فإني ما أكلت شيئاً حتى جئتكم[1].

المجرى بلا دراهم

قال عيسى أخو معروف الكرخي يقول: قلت لمعروف الكرخي أخي لو قعدت على الدقيق لأمضي في حاجة فقال لي: بشرط أن لا أمنع سائلاً قلت: نعم وأنا أظن أنه يعطي الكف والأكثر والأقل قال فرجعت فإذا هو قد تصدق بشئ كثير ما بين المكوك والزيادة قال: فاحمرت وجنتاي فلما نظر إلي قال: لست عائداً إلى هذا الموضع فلما تقدمت إلى الصندوق فإذا المجرى بلا دراهم.

أنفق هذه الصرة

قال أبو الحجاج المقري: ولد لي مولود وليس عندي شئ قال أخي: ادع الله قال: فجعل يدعو وأؤمن وأدعو ويؤمن فلما طال علي

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٦٢.

قمت فانسللت فإذا راكب ينادي من خلفي يا هذا فالتفت فإذا معه صرة فقال لي: قال لك أبو محفوظ: أنفق هذه الصرة في الأمر الذي ذكرت له وإذا هي مائة دينار أو نحوه.

أنا عبد مدبر

قال عبد الجبار بن عبدالله: دعا معروفا الكرخي أخ من إخوانه إلى وليمة وكان قدامه بعض الزهاد فأخذ معروف بيده فلما رأى الزاهد تلك الألوان أنكرها وقال: يا أبا محفوظ أما ترى ما ها هنا قال: ما أمرتهم بشراه فلما رأى الحلواء قال: سبحان الله يا أبا محفوظ أما ترى ما ها هنا قال: ما أمرتهم بصنعته فلما رأى القصور والملاحات من الحلواء قال: أما ترى ما ها هنا قال معروف: قد أكثرت علي أنا عبد مدبر آكل ما يطعمني وأنزل حيث ينزلني [١].

خالك ضيف

وقال ابن أخت معروف: قلت له: يا خال أراك تجيب كل من دعاك فقال يا بني: خالك ضيف ينزل حيث ينزل.

تربح فيه ثلاث خصال

قال محمد بن منصور الطوسي: رآني معروف الكرخي ومعي ثوب فقال لي: يا محمد ما تصنع بهذا؟ قلت: أقطعه قميصاً فقال: اقطعه قصيراً تربح فيه ثلاث خصال أولها اللحوق بالسنة والثاني يكون ثوبك نظيفاً والثالث تربح خرقة.

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٦٣.

لعلي لا أعيش حتى أبلغه

قال أحمد الدورقي: قعد معروف الكرخي على شط الدجلة فتيمم فقيل له: الماء قريب منك فقال: لعلي لا أعيش حتى أبلغه.

اللهم لا ترنا وجه من لا تحب

عن معروف الكرخي أنه كان يقول عند ذكر السلطان: اللهم لا ترنا وجه من لا تحب النظر إليهم [١].

معروف في أهل الأرض

قال عبيد: جاء رجل من الشام إلى معروف يسلم عليه فقالوا له: فقال إني رأيت في المنام يقال لي اذهب إلى معروف فسلم عليه فإنه معروف في أهل الأرض معروف في أهل السماء.

ولكني رجوت دعاءه

قال عبيد بن محمد الوراق: مر معروف بسقاء يقول رحم الله من شرب فتقدم فشرب فقيل له: أما كنت صائماً قال: بلى ولكني رجوت دعاءه.

إن حفظهم رجعوا

- مر معروف على قوم من أصحاب زهير يخرجون إلى القتال ومعهم فتى فقال: اللهم احفظهم فقيل له تدعو لهؤلاء فقال ويحك إن حفظهم رجعوا ولم يذهبوا [٢].

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٦٤.
(٢) حلية الأولياء، ٨ /٣٦٥.

إن الملك دائم لا يفتر

قال محمد بن عبد الرحمن دوست: قدم قوم إلى معروف فأطالوا الجلوس فقال: يا قوم إن الملك دائم لا يفتر عن سوقها.

ما أحصينا مذ قلتها عام أول

قال معروفا الكرخي: يقول ودع رجل البيت فقال: اللهم لك الحمد عدد عفوك عن خلقك ثم رجع من قابل فقالها فسمع صوتاً ما أحصينا مذ قلتها عام أول [١].

فهات المصحف

ونزل يوماً إلى دجلة يتوضأ ووضع مصحفه وملحفة فجاءت امرأة فأخذتهما، فتبعها، وقال: " أنا معروف!، لا بأس عليك!، ألك ولد يقرأ القرآن؟ "، قالت: " لا! "، قال: " فزوج؟ "، قالت: " لا! "، قال: " فهات المصحف، وخذي الملحفة! ".

ولم يضركم شئ

وكان قاعداً على دجلة ببغداد إذ مر به أحداث في زورق، يضربون الملاهي ويشربون؛ فقال له أصحابه: ما ترى هؤلاء - في هذا الماء - يعصون! ادع الله عليهم! "، فرفع يديه إلى السماء وقال: " إلهي وسيدي!، كما فرحتهم في الدنيا أسألك أن تفرحهم في الآخرة! " فقال له أصحابه: " إنما قلنا لك: ادع عليهم! "، فقال: " إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا، ولم يضركم شئ ".

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٦٦.

لو زدتنا لزدناك!

وجاء رجل إليه، فقال: " جاءني البارحة مولود، وجئت لأتبرك بالنظر إليك ". فقال: " أقعدت!، عافاك الله!، وقل مائة مرة: " ما شاء الله كان "، فقالها؛ قال: " قل مثلها "، فقالها، حتى قال ذلك خمس مرات، فكان ذلك خمسمائة مرة؛ فلما استوفاها دخل عليه خادم جعفر وبيده رقعة وصرة، فقال: " ستنا تقرأ عليك السلام، وتقول لك: خذ هذه، وادفعها إلى قوم مساكين "، فقال: " ادفعها إلى ذلك الرجل "، فقال: " فيها خمسمائة درهم! "، فقال: " قد قال خمسمائة مرة: ما شاء الله كان "؛ ثم أقبل على الرجل، وقال: " يا هذا! لو زدتنا لزدناك! ".

وددت لو إني تزوجت!

وروى في النوم، فقيل له: " ما فعل بك ربك؟ ، قال: " أباحني الجنة، غير أن في نفسي حسرة، أني خرجت من الدنيا ولم أتزوج "، أو قال: " وددت لو إني تزوجت! ".

دوام الطاعة لمولاك

- وقال معروف: قال لي بعض أصحاب داود الطائي: إياك أن تترك العمل، فإن ذلك الذي يقربك إلى رضا مولاك، فقلت: وما ذلك العمل قال: دوام الطاعة لمولاك، وحرمة المسلمين، والنصيحة لهم.

يكفيك هذا موعظة

وقال محمد بن الحسين، سمعت أبي يقول: رأيت معروفاً الكرخي في النوم بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك فقال: غفر لي، فقلت: بزهدك وورعك فقال: لا بل بقبول موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبتي للفقراء. وكانت موعظة ابن السماك ما رواه معروف

قال: كنت ماراً بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس، فقال في خلال كلامه: من أعرض عن الله بكليته أعرض عنه الله جملة، ومن أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله تعالى برحمته عليه، وأقبل بوجوه الخلق إليه، ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتاً ما، فوقع كلامه في قلبي وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا، وذكرت هذا الكلام لمولاي فقال: يكفيك هذا موعظة إن اتعظت [1].

من شك في رزقه

وصلى معروف الكرخي خلف إمام فلما فرغ من صلاته قال الإمام لمعروف: من أين تأكل؟ قال: أصبر حتى أعيد صلاتي التي صليتها خلفك قال: ولم؟ قال: لأن من شك في رزقه شك في خالقه.

قصة معروف الكرخي مع مجوسي

روي عن سعد بن سعيد أنه قال: كان في جوار معروف الكرخي رجل مجوسي من أبناء الأغنياء وجد الخليفة عليه فصادره وأخذ منه ألف ألف دينار فافتقر بعد الغنى وذل بعد العز وكان له أعداء وحساد فقالوا للخليفة: أنه قد بقي له مال جسيم فلا تظن أنه عديم فأمر بمصادرته ثانياً فلما علم المجوسي ذلك دخل بيت النار وقصد ما كان يعبد من دون الجبار وقال: إن لم تخلصيني آمنت برب معروف فلم يجبه أحد ولم ينتفع بسجوده للنار ولا للنور فلما جنَّ عليه الليل اغتسل وأتى مسجد معروف الكرخي فلم يجده في المسجد فرفع رأسه وقال: يا إله إبراهيم عيسى ومحمد وإله معروف ويا من لا إله

(١) وفيات الأعيان، ٥ /٢٣٣.

إلا هو تحققت أن ما عبدته من دونك باطل لا يضر ولاينفع وإني جئتك تائباً مما فعلت متبرئاً مما عبدت منفصلاً عما اعتقدت موقناً بك شاهداً بأن لا إله إلا أنت إله الأولين والآخرين وأنت المعبود الحق تفعل ما تشاء ولا يكون إلاما تريد إنك على كل شيء قدير فاغفر لي ما تقدم من ذنبي وجهلي وإسرافي ولا تنظر إلى سوء عملي ومعصيتي واصرف شر الخليفة وأعوانه عني فقد وجهت وجهي إليك ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم سجد وأطال سجوده وهو يناجي ربه ويبكي فأتى معروف المحراب فرآه كذلك فبقي متفكراً في أمره لا يتحقق من هو وإذا هو بغلام من خواص الخليفة قد دخل المسجد يسأل عن المجوسي بإسمه ونسبه فقال معروف بيته في موضع كذا وكذا فقال: من هناك جئت وقيل لي إنه في مسجد معروف فوالله لا بأس عليه فإن الخليفة قد بعثني إليه برسالة لطيفة تسر قلبه وهو منتظره على أن يؤمنه ويرد عليه ما أخذه منه وكفى بالله شهيداً فقال معروف: لست أرى في المسجد أحداً يشبه من تذكره إلا هذا الساجد لله المناجي لربع فاصبر له حتى يرفع رأسه فوقف صاحب الخليفة على رأسه ساعة ثم قال: يا هذا ارفع رأسك ولا تبك أمير المؤمنين قد قضى حاجتك وبعثني برسالة لطيفة لتسير إليه حتى يرد عليك ما أخذه منك فرفع رأسه وإذا معروف واقف فقال: يا معروف ما أكرم هذا الباب وما أحلم صاحبه وما أقربه إلى من دعاه ثم قال يا معروف أمدد يدك إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وإني رضيت بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وأن القرآن كلام الله جاء به محمد بن عبد الله وأنا مؤمن بذاك كله ثم تبع الرسول وذهب

معروف الكرخي معه فلما وصلوا إلى دار الخليفة وإذا به واقف على الباب فاستقبلهما وسلم عليهما وصافح كلا منهما ومشى معهما إلى مجلسه وأقعدهما إلى جانبه وأقبل يعتذر إليهما مما وقع منه وأمر بالأموال التي أخذت من المجوسي فأحضرت بين يديه عن آخرها ثم قال له تأمل هذه الأموال أليست هي التي أخذت منك قال: نعم قال: فخذها بارك الله فيها واجعلني في حل ما وقع مني واستغفر الله لي فقال: يغفر الله لك ثم قال: يا أمير المؤمنين أما الأموال فهي لك حلال بعد أن هداني الله إلى دين الإسلام ولكن أعلمني ما الذي دعاك إلى طلبي في هذا الوقت قال: نعم كنت نائماً وإذا أنا برسول الله ﷺ قد دخل عليَّ ومعه صف من الملائكة وصف من الصحابة فسلم علي وقال: إن الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك: إن عبدنا فلاناً المجوسي كنا قد دعوناه في الذرا فأجابنا وكان في المجوسية مستتراً ولنا معه عناية وقد جاء الآن إلي تائباً وهو في مسجد معروف الكرخي مستجيراً بجانبنا منك فابعث في طلبه ورد عليه ما أخذ منه ولا تقطع المعاملة بيننا فانتبهت مرعوباً فأرسلت في طلبك وها هو مالك قد رددناه عليك ودفعناه إليك فخر الرجل ساجداً لله تعالى ثم رفع رأسه وبكى وقال: واندماه وأسفاه والهفاه كيف تركت عبادة الرحمن الرحيم واشتغلت بعبادة النيران وضيعت العمر والزمان ثم قال: يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في هذا المال خذه فهو حلال لك فقال أمير المؤمنين: لا أرجع بشيء أمرني ربي بإخراجه فقال: يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في المال أشهد أني قد جعلته صدقة في فقراء المسلمين لا حظ لي فيه ولا لأحد من أهلي فقال الخليفة لمعروف: بقي الأمر إليك فاحمل المال وتصدَّق به على الفقراء

والمساكين وأبناء السبيل والأيتام والأرامل فدعا له معروف وأخذ بيد الرجل وحمل المال على البغال وصافحهما أمير المؤمنين وسأل الرجل أن يعفو عما وقع منه ولازم الرجل معروفاً الكرخي إلى أن مات تغمده الله برحمته [١].

من عد غداً من أجله

أقام معروف الكرخي الصلاة فقال لمحمد بن ثوابة: تقدم. فقال: إن صليت بكم الصلاة لم أتقدم بعده. فقال: وأنت تحدث نفسك بصلاة أخرى؟ نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل، من عد غداً من أجله فقد أساء [٢].

من كلامه ـ رحمه الله:

ـ إذا أراد الله بعبد شراً، أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل.

ـ كيف تتقي وأنت لا تدري ما تتقي؟ إذا كنت لا تحسن تتقي، أكلت الربا، ولقيت المرأة، فلم تغض عنها، ووضعت سيفك على عاتقك، إلى أن قال: ومجلسي هذا ينبغي لنا أن نتقيه، فتنة للمتبوع، وذلة للتابع.

ـ ما أكثر الصالحين، وما أقل الصادقين.

ـ من كابر الله صرعه، ومن نازعه قمعه، ومن ماكره خدعه، ومن توكل عليه منعه، ومن تواضع له رفعه.

(١) تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحمو ي المعروف بابن حجة، طيب المذاق من ثمرات الأوراق، تحقيق أبو عمار السخاوي، دار النشر: دار الفتح ـ الشارقة ـ ١٩٩٧م، ص ٣٧٤.
(٢) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ص ١١١.

- كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله.

- من لعن إمامه حرم عدله.

- توكل على الله حتى يكون هو معلمك وأنيسك وموضع شكواك وليكن ذكر الموت جليسك لا يفارقنك واعلم أن الشفاء من كل بلاء نزل بك كتمانه فإن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يمنعونك ولا يعطونك.

- إنما الدنيا قدر تغلى وكنيف يرمى.

- إذا أراد الله بعبد خيراً فتح الله عليه باب العمل وأغلق عنه باب الجدل وإذا أراد بعبد شراً أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل[١].

- اشتر وبع ولو برأس المال فإنه ينمو كما ينمو الزرع [٢].

- قال معروف: قال الله تعالى أحب عبادي إلى المساكين الذين سمعوا قولي وأطاعوا أمري ومن كرامتهم علي أن لا أعطيهم دنيا فيقبلوا عن طاعتي.

- إذا أراد الله بعبد خير فتح له باب العمل، وأغلق عليه باب الفترة والكسل ".

- كان يعاتب نفسه، ويقول: " يا مسكين!، كم تبكى وتندم؟ !. أخلص تخلص ".

- وقال له رجل: " أوصني! "، فقال: توكل على الله، حتى يكون

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٦١.
(٢) حلية الأولياء، ٨ /٣٦٣.

جليسك وأنيسك وموضع شكواك؛ وأكثر ذكر الموت، حتى لا يكون لك جليساً غيره؛ واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانه؛ وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك، ولا يعطونك ولا يمنعونك.

- وقال السرى: سألت معروفاً عن الطائعين لله، بأي شئ قدروا على الطاعة لله، قال: بخروج الدنيا من قلوبهم، ولو كانت في قلوبهم ما صحت لهم سجدة ".

- الدنيا أربعة أشياء: المال، والكلام، والمنام، والطعام. فالمال يطغى، والكلام يلهى، والمنام ينسى، والطعام يسقى " (١).

- وقال معروف الكرخي: من عمل للثواب فهو من التجار ومن عمل خوفاً من النار فهو من العبيد ومن عمل لله فهو من الأحرار (٢).

من شعره ـ رحمه الله :

– الماء يغسل ما بالثوب من درن ::: وليس يغسل قلب المذنب الماء
– أي شيء تريد مني الذنوب؟ ! ::: شغفت بي، فليس عني تتوب
ما يضر الذنوب لو أعتقتني ::: رحمة لي، فقد علاني المشيب

ومن دعائه ـ رحمه الله:

- من بلغ أهل الخير الخير وأعانهم عليه أصلحنا وأعاننا عليه.

- اللهم اجعلنا ممن يؤمن بلقائك، ويرضى بقضائك، ويقنع بعطاياك، ويخشاك حق خشيتك.

- كان من دعاء معروف لا تجعلنا بين الناس مغرورين ولا

(١) طبقات الأولياء، ص ٤٨.
(٢) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ص ١١١.

بالستر مفتونين اجعلنا ممن يؤمن بلقائك ويرضى بقضائك ويقنع بعطائك ويخشاك حق خشيتك.

- اللهم إني أعوذ بك من طول الأمل فإن طول الأمل يمنع خير العمل [١].

* * *

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٦٣.

حاتم الأصم

أعلام التصوف

حاتم الأصم لقمان هذه الأمة

الزاهد، القدوة، الرباني، أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي، الواعظ، الناطق بالحكمة، المعروف بالأصم أحد أتباع الإمام الأعظم، وأحد أعلام الأئمة، وصلحاء هذه الأمة، كان مشهوراً بالزهد والتقلل، معروفاً بالورع والتقشف، له كلام مدون في الزهد والحكم. من أهل بلخ. زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل. وشهد بعض معارك الفتوح.

وكانت له مواقف مذكورة في الجهاد في سبيل الله فمما حدث به عن جهاده قال: لقينا الترك، ورماني أحدهم بوهق فأقلبني عن فرسي، ونزل عن دابته فقعد على صدري، وأخذ بلحيتي هذه الوافرة، وأخرج من خفه سكينا ليذبحني بها، فرماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه، فسقط عني، فقمت إليه، فأخذت السكين من يده فذبحته.

مات بواشجرد. وكان يقال: حاتم الأصم لقمان هذه الأمة.

أسند عن شقيق بن إبراهيم البلخي، وغيره.

وصحب عصام بن يوسف البلخي الإمام، وكان بينهما مباحث ومناظرات، وأهدى إليه عصام مرة شيئاً فقبله، فقيل له: لم قبلته؟ فقال: وجدت في أخذه ذلي وعزه، وفي ردي عزي وذله، فاخترت عزه على عزي، وذلي على ذله.

ومحاسن حاتم وفضائله تجل عن الإحصاء، وتتجاوز حد الضبط

وقدم حاتم مدينة بغداد في أيام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، واجتمع معه. ومات سنة سبع وثلاثين ومائتين [1].

مواقف من حياته ـ رحمه الله :

ما أعقله من رجل

حكى عنه أبو عبد الله الخواص، وكان من علية أصحابه، قال: لما دخل حاتم بغداد، اجتمع إليه أهلها، فقالوا له: يا أبا عبد الرحمن، أنت رجل عجمي، ليس يكلمك أحدُ إلا قطعته، لأي معنى؟؟ !! فقال حاتم: معي ثلاث خِصال بها أظهر على خصمي.

فقالوا: أي شيءٍ هي؟ قال: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن له إذا ما أخطأ، وأحفظ نفسي لا تتجاهل عليه.

فبلغ ذلك أحمد بن حنبل، فقال: سبحان الله، ما أعقله من رجل.

وليتك تسلم

وحدث أبو جعفر الهروي، قال: كنت مع حاتم أراد الحج، فلما وصل إلى بغداد، قال لي: يا أبا جعفر، أحب أن ألقي أحمد ابن حنبل.

فسألنا عن منزله، ومضينا إليه، فطرقت عليه الباب، فلما خرج قلت: يا أبا عبد الله، أخوك حاتم.

قال: فسلم عليه، ورحب به، وقال بعد بشاشةٍ به: أخبرني يا

---

(١) الجرح والتعديل ٣ / ٢٦٠، حلية الأولياء ٨ / ٧٣، ٨٣، تاريخ بغداد ٨ / ٢٤١، ٢٤٥، الأنساب ١ / ٢٩٤، ٢٩٥، اللباب ١ / ٥٧، وفيات الأعيان ٢ / ٢٦، ٢٨، العبر ١ / ٤٢٤، مرآة الجنان ٢ / ١١٨، طبقات الأولياء: ١٧٨، ١٨١، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٩٠، ٢٩١، شذرات الذهب ٢ / ٨٧، ٨٨، طبقات الصوفية: ٩١، ٩٧، الرسالة القشيرية: ٢٠، طبقات الشعراني ١ / ٩٣، سير أعلام النبلاء، ١١ /٤٨٥.

حاتم، فيم التخلص من الناس؟ قال: يا أحمد، في ثلاث خصال.

قال: وما هي؟ قال: أن تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئا، وتقضي حقوقهم ولا تستقضي أحداً منهم حقا لك، وتحتمل مكروهم ولا تكره أحداً منهم على شيء.

قال: فأطرق أحمد ينكت بأصبعه على الأرض، ثم رفع رأسه. وقال: يا حاتم: إنها لشديدة.

فقال له حاتم: وليتك تسلم، وليتك تسلم، وليتك تسلم.

على أي شيءٍ بنيت أمرك؟

وروى الخطيب بسنده إلى الحسن بن علي العابد، أنه قال: سمعت حاتماً الأصم، وقد سأله سائل: على أي شيءٍ بنيت أمرك؟ فقال: على أربع خصال، على أن لا أخرج من الدنيا حتى أستكمل رزقي، وعلى أن رزقي لا يأكله غيري، وعلى أن أجلي لا أدري متى هو، وعلى أني لا أغيب عن الله تعالى طرفة عين.

وكلامك يعرض على الله

قال: وسمعت حاتماً يقول: إن صاحب خبر يجلس إليك ليكتب كلامك لاحترزت منه، وكلامك يعرض على الله فلا تحترز.

نعم الزاد زادك يا حاتم

وقال له رجل: بلغني أنك تجوز المفاوز من غير زاد.

فقال حاتم: بل أجوزها بالزاد، وإنما زادي فيها أربعة أشياء.

قال: وما هي؟ قال: أرى الدنيا كلها ملكاً لله، وأرى الخلق كلهم عباد الله وعياله، وأرى الأسباب والأرزاق كلها بيد الله، وأرى قضاء

الله نافذاً في كل أرض.

فقال له الرجل: نعم الزاد زادك يا حاتم، أنت تجوز به مفاوز الآخرة، فكيف مفاوز الدنيا!!

قلوبكم عند السيد

وذكر عن حاتم أنه قال: لقينا الترك مرة، وكان بيننا جولة، فرماني تركي بوهق فأقلبني عن فرسي، ونزل عن دابته، وقعد على صدري، وأخذ بلحيتي هذه الوافرة، وأخرج من خفه سكيناً ليذبحني بها، فوحق سيدي ما كان قلبي عنده ولا عند سكينه، إنما كان قلبي عند سيدي، أنظر ماذا ينزل به القضاء منه، فقلت: سيدي قضيت على أن يذبحني هذا فعلى الرأس والعين، إنما أنا لك وملكك، فبينما أنا أخاطب سيدي وهو قاعد على صدري، آخذ بلحيتي ليذبحني، إذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه، فسقط عني، فقمت أنا إليه، فأخذت السكين من يده فذبحته، فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه ما لا ترون من الآباء والأمهات.

رأس الزهد

وروى أن رجلاً جاء إليه، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أي شيءٍ رأس الزهد، ووسط الزهد، وآخر الزهد؟ فقال: رأس الزهد الثقة بالله، ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص.

فغلب عليها اسم الأصم

وكان أبو بكر الوراق، يقول: حاتم الأصم لقمان هذه الأمة.

والسبب في تسميته بالأصم أن امرأة جاءت إليه تسأله عن مسألة، فاتفق أنه خرج منها في تلك الحالة صوت، فخجلت، فقال

حاتم: ارفعي صوتك. وأراها من نفسه أنه أصم، فسرت المرأة بذلك، وقالت: إنه لم يسمع الصوت. فغلب عليه أسم الأصم [١].

كيف تُصلي؟

وروى أن عصام بن يوسف مر بحاتم الأصم، وهو يتكلم في مجلسه، فقال له: يا حاتم، تُحسن تصلي؟ قال: نعم. قال: كيف تُصلي؟ قال حاتم: أقوم بالأمر، وأقف بالخشية، وأدخل بالنية، وأكبر بالترتيل، وأركع وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالوقار والسنة، وأسلمها إلى الله تعالى بالإخلاص، وأرجع إلى نفسي بالخوف أن لا يقبلها مني، وأحفظ بالجهد إلى الموت. فقال له: تكلم، فأنت تحسن تصلي.

ما الذي تعلمت مني ؟

وروي أن شقيقا البلخي قال لحاتم الأصم: ما الذي تعلمت مني منذ صحبتني؟ قال: ستة أشياء:

الأول: رأيت الناس كلهم في شك من أمر الرزق، فتوكلت على الله تعالى، لقوله تعالى:{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا} [هود: ٦]، فعلمت أني من جملة الدواب فلم أشغل نفسي بشيءٍ قد تكفل لي به ربي. قال: أحسنت.

والثاني: رأيت أن لكل إنسان صديقاً يفئ إليه بسره، ويشكو إليه امره، فاتخذت لي صديقاً يكون لي بعد الموت، وهو فعل الخير، فصادقته ليكون عوناً لي عند الحساب، ويجوز معي على الصراط، ويثبتني بين يدي الله تعالى. قال: أحسنت.

---

(١) التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ص ٢١١.

والثالث: رأيت لكل أحدٍ من الناس عدواً، فقلت: أنظر من عدوي، فرأيت من اغتابني أو أخذ من مالي أو ظلمني فليس عدوي، ولكن عدوي إذا كنت في طاعة الله تعالى أمرني بمعصيته، فرأيت أن ذلك إبليس اللعين وجنوده، فاتخذتهم أعْداء، ووضعت الحرب بيني وبينهم، ووترت قوسي، وفوقت سهمي، ولا أدع أحداً منهم يقربني. قال: أحسنت.

والرابع: رأيت كل واحدٍ من الناس له طالب، فرأيت أن ذلك الطالب ملك الموت، ففرغت نفسي له، حتى إذا جاء بادرت معه بلا علاقة. قال: أحسنت.

والخامس: نظرت في الخلق، فأحببت واحداً وأبغضت واحداً، فالذي أحببته لم يعطني شيئاً، والذي أبغضته لم يأخذ مني شيئاً، فقلت: من أين أتيت؟ فنظرت، فإذا هو الحسد، فنفيته عني، وأحببت الناس كلهم، فكل شيءٍ لم أرضه لنفسي لم أرضه لهم. قال: أحسنت.

والسادس: رأيت كل واحد من الناس له بيت يسكنه ويأوي إليه، فرأيت مسكني القبر، فكل شيءٍ قدرت عليه من الخير قدمته لنفسي، حتى أعمر قبري، فإن القبر إذا كان خراباً لا يمكن المقام فيه.

فقال له شقيق: يكفيك، ولست بمحتاج إلى غيره (١).

يا علماء السوء

وعن أبي عبد الله الخواص، قال: دخلت مع أبي عبد الرحمن حاتم الأصم إلى الري، ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلاً يريدون الحج، وعليهم الصوف والزرمانقات، وليس فيهم من معه طعام ولا جراب،

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ص ٢١٢.

فنزلنا على رجل من التجار متنسك يحب الصالحين، فأضافنا تلك الليلة، فلما كان من الغد، قال لحاتم: يا أبا عبد الرحمن، ألك حاجة، فإني أريد أن أعود فقيهاً لنا وهو مريض؟ فقال حاتم: إن كان لكم فقيهٌ عليل، فعيادة الفقيه فيها فضل كثير، والنظر إلى الفقيه عبادة، وأنا أيضاً أجئ معك.

وكان المريض محمد بن مقاتل، قاضي الري، فقال: مر بنا يا أبا عبد الرحمن. فجاءوا إلى باب داره، فإذا البواب كأنه أمير مسلط، فبقي حاتم متفكراً يقول: باب دار عالم على هذه الحال!! ثم أذن لهم فدخلوا، وإذا بدارٍ قوراء، وآلهٍ حسنة، وبزة وفرش وستور، فبقي حاتم متفكراً ينظر حتى دخلوا إلى المجلس الذي فيه محمد بن مقاتل، وإذا بفراش حسن وطئ ممهد، وهو راقد عليه، وعند رأسه خدمه، والناس وقوف.

فقعد الرازي وسأل عن حاله، وبقي حاتم قائماً، وأومأ إليه محمد بن مقاتل بيده: اجلس.

فقال حاتم: لا أجلس.

فقال له محمد بن مقاتل: فلك حاجة؟ فقال: نعم.

فقال: وما هي؟ قال: مسألة أسألك عنها.

قال: سلني.

قال حاتم: قم فاستو جالساً حتى أسألك عنها.

فأمر غلمانه فأسندوه.

فقال له حاتم: علمك هذا من أين جئت به؟ فقال: حدثني به الثقات.

قال: عن من؟ قال: عن الثقات من الأئمة.

قال: عن من أخذوه؟ فقال: عن التابعين.

قال: والتابعون عن من أخذوه؟ فقال: عن أصحاب رسول الله ﷺ.

قال: وأصحاب رسول الله ﷺ عن من أخذوه؟ قال: عن رسول الله ﷺ.

قال: ورسول الله ﷺ عن من أخذه؟ قال: عن جبريل عليه الصلاة والسلام، عن الله عز وجل.

فقال له حاتم: ففيما أداه جبريل عن الله تعالى إلى النبي ﷺ، وأداه النبي ﷺ إلى أصحابه رضي الله عنهم، وأداه أصحابه إلى تابعيهم، وأداه التابعون إلى الأئمة، وأداه الأئمة إلى الثقات، وأداه الثقات إليك، هل سمعت أن من كانت داره في الدنيا أحسن، وفراشه أجمل، وزينته أكثر، كانت له المنزلة عند الله تعالى أعظم؟ فقال: لا.

قال: فكيف سمعت؟ قال: سمعت من زهد في الدنيا، ورغب في الآخرة، وأحب المساكين، وقدم لآخرته، كان عند الله تعالى له المنزلة أكثر، وإليه أقرب.

قال حاتم: فأنت بمن اقتديت، بالنبي ﷺ، أو بأصحابه، أو بالتابعين من بعدهم، والصالحين على أثرهم، أو بفرعون ونمرود، أول من بنى بالجص والآجر؟ يا علماء السوء مثلكم إذا رآه الجاهل المتكالب

على الدنيا، الراغب فيها يقول: إذا كان هذا العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شراً منه.

قال: ثم خرج من عنده، وازداد محمد بن مقاتل مرضاً على مرضه من كلامه.

وبلغ أهل الري ما جري بين حاتم وبين أبي مقاتل، فقالوا لحاتم: يا أبا عبد الرحمن، إن محمد بن عبيد الطنافسي بقزوين، أكبر سناً من هذا، وهو غريق في الدنيا.

قال: فصار حاتم إليه متعمداً، ودخل عليه، وعنده الخلق مجتمعون يحدثهم، فقال له حاتم: رحمك الله، أنا رجل عجمي، جئتك لتعلمني مبتدأ ديني، ومفتاح صلاتي، كيف أتوضأ للصلاة؟ فقال: نعم وكرامة، يا غلام، إناءً فيه ماء.

فجاءه بالإناء، وقعد محمد بن عبيد يتوضأ ثلاثاً، ثم قال له: هكذا فاصنع.

قال حاتم: مكانك، رحمك الله، حتى أتوضأ بين يديك، ليكون آكد لما أريد.

فقام الطنافسي، وقعد حاتم مكانه فتوضأ، وغسل وجهه ثلاثاً، حتى إذا بلغ الذراع غسله أربعاً.

فقال له الطنافسي: يا هذا، أسرفت.

فقال له حاتم: فيما أسرفت؟ قال: غسلت ذراعك أربعاً.

فقال له حاتم: سبحان الله تعالى، أنا أسرفت في كف من الماء، وأنت في جميع هذا الذي أراه كله لم تسرف!! فعلم الطنافسي أنه

قصد منه ذلك، ولم يرد أن يتعلم منه شيئاً، فدخل إلى البيت، ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً.

وكتب تجار الري إلى بغداد بما جرى بين حاتم وبين محمد بن مقاتل، ومحمد بن عبيد الطنافسي، ثم رحل حاتم إلى العراق، ودخل بغداد، واجتمع بعلمائها كما تقدم في أوائل الترجمة.

ثم خرج إلى الحِجاز، فلما صار إلى المدينة الشريفة، أحب أن ينظر علماءها، فقال لهم: يا قوم، أي مدينة هذه؟ قالوا: مدينة الرسول ﷺ.

قال: فأين قصر رسول الله ﷺ لأصلي فيه ركعتين؟ قالوا: ما كان له قصر، إنما كان له بيت لاطي.

قال: قصور أهله وأزواجه وأصحابه بعده؟ قالوا: ما لهم إلا بيوت لاطية.

فقال حاتم: يا قوم، هذه مدينة فرعون.

قال: فلببوه وذهبوا به إلى الوالي، فقالوا: هذا العجمي يقول: هذه مدينة فرعون.

فقال له الوالي: لم قلت ذلك؟ فقال له حاتم: لا تعجل علي أيها الأمير، أنا رجل غريب، دخلت هذه المدينة، فسألت: أي مدينة هذه؟ فقالوا: مدينة الرسول ﷺ. فقلت: وأين قصر الرسول ﷺ لأصلي فيه ركعتين؟ قالوا: ما كان له قصر، إنما كان له بيت لاطي. قلت: فقصور أهله وأزواجه وأصحابه بعده؟ قالوا: ما لهم إلا بيوت لاطية. وسمعت الله تعالى يقول:{ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ} [الأحزاب: ٢١]، فأنتم بمن تأسيتم؛ برسول الله ﷺ، أو

بأصحابه، أو بفرعون أول من بنى بالجص والآجر؟ فخلوا عنه، وعرفوا أنه حاتم الأصم، وعلموا قصده.

وكان كلما دخل المدينة يكون له مجلس عند قبر النبي ﷺ، يحدث ويدعو، فاجتمع إليه مرة علماء المدينة، وقالوا: تعالوا نخجله في مجلسه، كما فعل بنا عند الوالي.

فحضروا عنده وقد اجتمع إليه خلق كثير، فقال له واحد: يا أبا عبد الرحمن مسألة. قال: سل. قال: ما تقول في رجل يقول: اللهم ارزقني قال حاتم: متى طلب هذا العبد الرزق من ربه عز وجل، في الوقت، أو قبل الوقت، أو بعد الوقت؟ فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، ليس نفهم عنك هذا. فقال حاتم: أنا أضرب لكم مثلاً حتى تفهموه، مثل العبد طلب الرزق من ربه تعالى قبل الوقت كمثل رجل كان له رجل دين، فطالبه به، وقعد يلازمه، فاجتمع جيرانه وقالوا له: هذا رجل معدم، لا شيء له، فأجله في هذا الحق حتى يحتال ويعطيك. فقال لهم: كم تريدون أؤجله؟ قالوا: شهراً. فتركه وانصرف، فلما كان بعد عشرة أيام جاء واقتضاه، فقام جيرانه فقالوا: سبحان الله، أجلته بين أيدينا شهراً، ثم جئت تقتضيه بعد عشرة أيام. فتركه وانصرف، فلما كان محل الشهر جاء فاقتضاه، فقال الجيران: إنما حل لك اليوم، دعه إلى بعد المحل ثلاثاً. فهذا مثل العبد الذي يطلب الرزق من ربه عز وجل.

ثم قال: عندكم أثاث، ودراهم في أكياسكم، وطعامكم في بيوتكم، وأنتم تقولون: اللهم ارزقنا. فقد رزقكم. كلوا وأطعموا إخوانكم

المؤمنين، حتى إذا فنى أقيموا بعده ثلاثاً، ثم سلوا ربكم عز وجل، عسى أن يموت أحدكم غداً وعنده ما يخلف على الأعداء، وهو يسأل الله أن يزيده في رزقه، ما هذه الغفلة؟ فقالوا: نستغفر الله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا بالمسألة إلا إعناتك. ثم انصرفوا عنه [(١)].

أعقل أهل زمانه

قيل للرشيد: إن حاتماً الأصم قد اعتزل الناس في قبة له منذ ثلاثين سنة لا يحتاج إلى الناس في شيء من أمور الدنيا ولا يكلمهم إلا عند مسألة لا بد له من الجواب لعله لبس به قد ورثته إياه الوحدة وقيل أنه عاقل فقال: سأمتحنه فندب له أربعة محمد بن الحسن والكسائي وعمرو بن بحر ورجلاً آخر أحسبه الأصمعي فجاؤوا حتى وقفوا تحت قبته ونادى أحدهم يا حاتم يا حاتم فلم يجبهم حتى قيل بحق معبودك إلا أجبتنا فأخرج رأسه وقال: يا أهل الحيرة هذه يمين مؤمن لكافر وكافر لمؤمن لم خصصتموني بالمعبود دونكم ولكن الحق جرى على ألسنتكم لأنكم اشتغلتم بعبادة الرشيد عن طاعة الله فقال أحدهم: ما علمك بأنا خدام الرشيد قال: من لم يرض من الدنيا إلا بمثل حالكم لا يزل عن مطلبه إلى قصد من لا يخبره ولا يد علي من الرشيد وأشباهه فقال له عمرو بن بحر: لم اعتزلت الناس وفيهم من تعلم وفيهم من يقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: صدقت ولكن بينهم سلاطين الجور يفتنونا عن ديننا فالتخلي منهم أولى قال: فعلام وطنت نفسك في العزلة؟ وثبت عليه أدرك قال: علمت أن القليل من الرزق يكفيني فأقللت الحركة في طلبه وأن

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ص ٢١٣ - ٢١٤.

فرضي لا يقبل إلا مني فأنا مشغول بأدائه وأن أجلي لا بد يأتيني فأنا منتظر له وأنا لا أغيب عن عين من خلقني فأستحي منه أن يراني وأنا مشغول بغير ما وجب له محمد ثم رد باب القبة وحلف أن لا يكلمهم فرجعوا إلى الرشيد وقد حكموا أنه أعقل أهل زمانه[١].

اللهم أدم حاله هذه

وعاد حاتم الأصم بعض الأغنياء، فلما خرج بعث إليه بمال فقال: أهذا كان فعله في الصحة؟ فقيل: لا، فقال: اللهم أدم حاله هذه فإنه صلاح الفقراء.

فوثبت السمكة في الماء وذهبت

عن علي بن حرب، قال: " خرجنا من " الموصل " في سفينة، نريد " سري من رأي ". فإذا بسمكة قد وثبت من الماء إلي السفينة، فقال أحداث كانوا معنا: اعدلوا بنا إلي الشط، نطلب حطباً نشويها فجئنا إلي خربة فدخلناها، فوجدنا رجلاً مذبوحاً، ورجلاً مكتوفاً قائماً. فسألنا الرجل عن القصة، فقال: هذا اللص عدا من القافلة في الليل، فشدني وثاقاً - كما ترون - وعزم على قتلي، فناشدته الله، وقلت: يا هذا! خذ جميع ما معي، ولا تقتلني!. فأبى إلا قتلي، فانتزع سكينا معه، فعسُرتْ عليه، فأجتذبها، فمرت علي أوداجه فذبحته. قال: فأطلقنا يديه، فوثبت السمكة في الماء وذهبت " [٢].

خذ هذا الخبز

وقال حاتم: وقع الثلج ببلخ فمكثت في بيت ثلاثة ومعي أصحابي فقلت: يخبرني كل رجل منكم بهمته؛ قال: فأخبروني فإذا ليس فيهم

(١) حلية الأولياء، ٨ /٧٤.
(٢) سير أعلام النبلاء، ١١ /٤٨٩.

أحد لا يريد إلا أن يتوب من تلك الهمة؛ قال: فقالوا لي: همتك أنت يا أبا عبد الرحمن، قال: قلت: ما همتي إلا شفقة على إنسان يريد أن يحمل رزقي في هذا الطين؛ قال: وإذا رجل قد جاء ومعه جراب خبز وقد زلق فابتلت ثيابه بطين، وقال: يا أبا عبد الرحمن، خذ هذا الخبز(١).

عظم الله أجرك على موت قلبك

- توفيت أم قاضي بلخ، فقال له حاتم الأصم: إن كانت وفاتها عظة لك فعظم الله أجرك على موت أمك، وإن لم تتعظ بها فعظم الله أجرك على موت قلبك.

هل رد الله عليك حكماً؟

وقال له: أيها القاضي، منذ كم تحكم بين عباد الله؟ قال: منذ ثلاثين سنة، قال: هل رد الله عليك حكماً؟ قال: لا، قال: فإن الله لم يرد أحكامك في ثلاثين سنة وترد حكماً واحداً حكمه عليك.

من كلامه ـ رحمه الله :

- قال حاتم: من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت، موت أبيض، وموت أسود، وموت أحمر، وموت أخضر؛ فالموت الأبيض الجوع، والأسود الاحتمال لأذى الناس، والأحمر مخالفة النفس، والأخضر طرح الرقاع بعضها على بعض.

- العجلة من الشيطان إلا في خمس: إطعام الطعام إذا حضر ضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا بلغت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب.

---

(١) وفيات الأعيان، ٢ /٢٨.

- من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلب في رضا الله تعالى؛ أولها الثقة بالله تعالى، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة، والأشياء كلها تتم بالمعرفة، فالواثق برزقه لا يفرح بالغنى، ولا يهتم بالفقر، ولا يبالي أصبح في عسر أو يسر.

- أصل الطاعة ثلاثة أشياء: الخوف، والرجاء، والحب. وأصل المعصية ثلاثة أشياء: الكبر، والحرض، والحسد. فما يأخذه المنافق من الدنيا يأخذه بالحرص، ويمنعه بالشك، وينفقه بالرياء، والمؤمن يأخذ الخوف، ويمسك بالشدة، وينفق في الطاعة، خالصاً لله تعالى.

- اطلب نفسك في أربعة أشياء: العمل الصالح بغير رياء، والأخذ بغير طمع، والعطاء بغير منة، والإمساك بغير بخل.

- ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ما تأكل، وما تلبس، وأين تسكن؟ فأقول: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر.

- وقال له رجل: ما تشتهي؟ فقال: اشتهي عافية يوم إلى الليل. فقيل له: أليست الأيام كلها عافية؟ فقال: إن عافية يومي أن لا أعصي الله تعالى فيه.

- أربعةٌ يندمون على أربع: المقصر إذا فاته العمل، والمنقطع عن أصدقائه إذا نابته نائبة، والممكن منه عدوه بسوء رأيه، والجريء على الذنوب.

- الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة، والجنة عاشقة، وتعهد نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملت فاذكر نظر الله تعالى إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله تعالى إياك، وإذا سكت فاذكر علم الله تعالى فيك.

- وقال له رجل: عظني. فقال: إن كنت تريد أن تعصي مولاك فاعصه في موضع لا يراك.

يعني أن الله تعالى يعلم السر والجهر، ولا يخفى عليه شيءٌ، ومن علم أن أفعاله وأقواله لا تخفى على الله تعالى، وأن الله مطلع عليه، وناظر إليه، يقبح منه العصيان، واتباع الشيطان، ويكون ذا جرأة على الله تعالى، وقليل الحياء منه، نعوذ بالله من ذلك.

- من ادعى ثلاثاً بغير ثلاث فهو كذاب: من ادعى حب الله تعالى من غير ورع، عن محارمه فهو كذاب، ومن ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله في طاعة الله تعالى فهو كذاب، ومن ادعى حُب النبي ﷺ من غير محبة الفقراء فهو كذاب [(١)].

- الزاهد يُذيب كيسه قبل نفسه، والمتزهد يذيب نفسه قبل كيسه، ولكل شيءٍ زينةٌ، وزينة العبادة الخوف، وعلامة الخوف قصر الأمل.

- وقال، رحمه الله تعالى: ما ينبغي أن يكتب بماء الذهب، وهو: لا تغتر بموضع صالح، فلا مكان أصلح من الجنة، لقي فيها آدم عليه الصلاة والسلام ما لقي، ولا تغتر بكثرة العبادة، فإن إبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي، ولا تغتر بكثرة العلم؛ فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم، فانظر ما لقي، ولا تغتر بروية الصالحين، فلا شخص أكبر ولا أصلح من المصطفى ﷺ، لم تنتفع بلقائه أقاربه وصاروا أعداءه.

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ص ٢١٢.

- من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلب في رضا الله أولها الثقة بالله ثم التوكل ثم الإخلاص ثم المعرفة والأشياء كلها تتم بالمعرفة.

- قال حاتم: وأنا أدعو الناس إلى ثلاثة أشياء إلى المعرفة وإلى الثقة وإلى التوكل فأما معرفة القضاء فإن تعلم أن القضاء عدل منه فإذا علمت أن ذلك عدل منه فإنه لا ينبغي لك أن تشكو إلى الناس أو تهتم أو تسخط ولكنه ينبغي لك أن ترضى وتصبر وأما الثقة فالأياس من المخلوقين وعلامة الأياس أن ترفع القضاء من المخلوقين فإذا رفعت القضاء منهم استرحت منهم واستراحوا منك وإذا لم ترفع القضاء منهم فإنه لا بد لك أن تتزين لهم وتتصنع لهم فإذا فعلت ذلك فقد وقعت في أمر عظيم وقد وقعوا في أمر عظيم وتصنع فإذا وضعت عليهم الموت فقد رحمتهم وأيست منهم وأما التوكل فطمأنية القلب بموعود الله تعالى فإذا كنت مطمئناً بالموعود استغنيت غنى لا تفتقر أبداً قال حاتم: والزهد اسم والزاهد أرجل وللزهد ثلاث شرايع أولها الصبر بالمعرفة والاستقامة على التوكل والرضا بالعطاء فأما تفسير الصبر بالمعرفة فإذا أنزلت الشدة أن تعلم بقلبك أن الله عز وجل يراك على حالك وتصبر وتحتسب وتعرف ثواب ذلك الصبر ومعرفة ثواب الصبر أن تكون مستوطن النفس في ذلك الصبر وتعلم أن لكل شيء وقتاً والوقت على وجهين إما أن يجيء الفرج وإما أن يجيء الموت فإذا كان هذان الشيئان عندك فأنت حينئذ عارف صابر وأما الاستقامة على التوكل فالتوكل إقرار باللسان وتصديق بالقلب فإذا كان مقراً مصدقاً أنه رازق لا شك فيه فإنه يستقيم والاستقامة على معنيين أن تعلم أن شيئاً لك وشيئاً لغيرك وأن كل شيء لك لا

يفوتك والذي لغيرك لا تناله ولو احتلت بكل حيلة فإذا كان مالك لا يفوتك فينبغي لك أن تكون واثقاً ساكناً فإذا علمت أنك لا تنال ما لغيرك فينبغي لك أن لا تطمع فيه وعلامة صدق هذين الشيئين أن تكون مشتغلاً بالمعروض وأما الرضا بالعطاء فالعطاء ينزل على وجهين عطاء تهوى أنت فيجب عليك الشكر والحمد وأما العطاء الذي لا تهوى فيجب عليك أن ترضى وتصبر [(١)].

- قال حاتم الأصم: الرياء على ثلاثة أوجه وجه الباطن ووجهان الظاهر فأما الظاهر فالإسراف والفساد فإنه جوز لك أن تحكم أن هذا رياء لا شك فيه فإنه لا يجوز في دين الله الإسراف والفساد وأما الباطن فإذا رأيت الرجل يصوم ويتصدق فإنه لا يجوز لك أن تحكم عليه بالرياء فإنه لا يعلم ذلك إلا الله سبحانه وتعالى.

- وقال حاتم: لا أدري أيهما أشد على الناس اتقاء العجب أو الرياء العجب داخل فيك والرياء يدخل عليك العجب أشد عليك من

الرياء ومثلهما أن يكون معك في البيت كلب عقور وكلب آخر خارج البيت فأيهما أشد عليك معك أو الخارج الداخل فالداخل العجب والخارج الرياء [(٢)].

- اصحب الناس كما تصحب النار خذ منفعتها واحذر أن تحرقك.

- الحزن على وجهين حزن لك وحزن عليك فأما الذي عليك فكل شيء فاتك من الدنيا فتحزن عليه فهذا عليك وكل شيء فاتك من

(١) حلية الأولياء، ٨ /٧٥.
(٢) حلية الأولياء، ٨ /٧٦.

الآخرة وتحزن عليه فهو لك تفسيره إذا كان معك درهمان فسقطا منك وحزنت عليهما فهذا حزن للدنيا وإذا خرجت منك زلة أو غيبة أو حسد أو شيء مما تحزن عليه وتندم فهو لك.

- إذا رأيتم من الرجل ثلاث خصال فاشهدوا له بالصدق إذا كان لا يحب الدراهم ويسكن قلبه بهذين الرغيفين ويعزل قلبه من الناس.

- إذ تصدقت بالدراهم فإنه ينبغي لك خمسة أشياء أما واحد فلا ينبغي لك أن تعطى وتطلب الزيادة ولا ينبغي لك أن تعطى من ملامة الناس ولا ينبغي لك أن تمن على صاحبه ولا ينبغي لك إذا كان عندك درهمان فتعطي واحداً تأمن هذا الذي بقي عندك ولا ينبغي لك أن تعطى تبتغي الثناء وقال: مثلهما مثل رجل يكون له دار فيها غنم له وللدار خمسة أبواب وخارج الدار ذئب يدور حولها فإن أخذت أربعة أبواب وبقي واحد دخل الذئب وقتل الغنم كلها وهكذا إذا تصدقت وأردت من هذه الخمسة الأشياء شيئاً واحداً فقد أبطلت الصدقة.

- قال عبد الله بن سهل سمعت حاتما الأصم يقول: اختلفت إلى شقيق ثلاثين سنة فقال لي يوما أي شيء تعلمت فقلت: رأيت رزقي من عند ربي فلم أشتغل إلا بربي ورأيت أن الله تعالى وكل بي ملكين يكتبان علي ما تكلمت به فلم أنطق إلا بالحق ورأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهري والرب تعالى ينظر إلى باطني فرأيت مراقبته

أولى وأوجب فسقطت عني رؤية الخلق ورأيت أن الله مستحثاً يدعو الخلق إليه فاستعددت له متى جاءني لا أحتاج يقتلني يعني ملك الموت فقال لي: يا حاتم ما خاب سعيك [1].

- وقال حاتم الأصم رحمه الله تعالى: فاتتني صلاة الجماعة مرة فعزاني أبو إسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين عندهم أهون من مصيبة الدنيا وكان السلف رضي الله تعالى عنهم يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى وسبعاً إذا فاتتهم الجماعة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

وأنشد بعضهم:

خسر الذي ترك الصلاة وخابا ::: وأبى معادا صالحاً ومآبا
إن كان يجحدها فحسبك أنه ::: أضحى بربك كافراً مرتابا
أو كان يتركها لنوع تكاسل ::: غطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعي ومالك رأيا له ::: إن لم يتب حد الحسام عقابا
والرأي عندي للإمام عذابه ::: بجميع تأديب يراه صوابا

اللهم أعنا على الصلاة وتقبلها منا بكرمك ولا تجعلنا من الغافلين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(١) صفة الصفوة، ٤ /١٦١.

- وقال حاتم الأصم رحمه الله:

وكيف أخاف الفقر والله رازقــي ::: ورازق هذا الخلق في العسر واليسر
تكفل بالأرزاق للخلــق كلــهم ::: وللضب في البيدا وللحوت في البحر

- الزم بيتك فإذا أردت الصاحب فالله يكفيك، وإن أردت الرفيق فرفيقاك رقيباك، وإن أردت أنيساً فالقرآن يؤنسك وذكر الموت يعظك.

تركــت الأنــس بــالأنس ::: فمــا في الأنــس مــن أنــس
وأقبلــت علــى القــرآ ::: ن درســاً أيمــا درس
عســى يؤنســني ذاك ::: إذا استوحشــت في رمســي

- المغتاب والنمام قرد أهل النار والكذاب كلب أهل النار والحاسد خنزير أهل النار.

- أربعة تذهب الحقد بين الإخوان: المعاونة بالبدن، واللطف باللسان، والمواساة بالمال، والدعاء في الغيب.

- اتباع الجنائز فضيلة، والصلاة عليها سنة، ومداواة القلب بها فريضة.

- التوبة أن تتنبه من الغفلة وتذكر الذنب وتذكر لطف الله وحكم الله وستر الله إذا أذنبت لم تأمن الأرض والسماء أن يأخذاك فإذا رأيت حكمه رأيت أن ترجع من الذنوب مثل اللبن إذا خرج من الضرع لا يعود إليه فلا تعد إلى الذنب كما لا يعود اللبن في الضرع وفعل التائب في أربعة أشياء أن تحفظ اللسان من الغيبة والكذب والحسد واللغو والثاني أن تفارق أصحاب السوء والثالث إذا ذكر الذنب تستحيي من الله والرابع تستعد للموت وعلامة الاستعداد أن لا

تكون في حال من الأحوال غير راض من الله فإذا كان التائب هكذا يعطيه الله أربعة أشياء أولها يحبه كما قال تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ثم يخرج من الذنب كأنه لم يذنب قط كما قال ﷺ :﴿التائب من الذنب كمن لا ذنب له﴾ والثالث يحفظه من الشيطان لا يكون له عليه سبيل والرابع يؤمنه من النار قبل الموت كما قال تعالى:{أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ } [فصلت: ٣٠]، ويجب على الخلق أربعة أشياء ينبغي لهم أن يحبوا هذا التائب كما يحبه الله تعالى ويدعو له بالحفظ ويستغفروا له كما تستغفر له الملائكة قال الله تعالى:{فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} [غافر: ٧]، الخ ويكرهوا له ما يكرهون لأنفسهم والرابع أن ينصحوا للتائب كما ينصحون لأنفسهم [١].

- لكل قول صدق ولكل صدق فعل ولكل فعل صبر ولكل حسنة إرادة ولكل إرادة أثرة وقال حاتم: أصل الطاعة ثلاثة أشياء الخوف والرجاء والحسب وأصل المعصية ثلاثة أشياء الكبر والحرص والحسد.

- المنافق ما أخذ من الدنيا أخذ بحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء والمؤمن يأخذ بالخوف ويمسك بالشدة وينفق لله خالصاً في الطاعة.

- قال حاتم: لي أربعة نسوة وتسعة من الأولاد ما طمع الشيطان أن يوسوس إلي في شيء من أرزاقهم.

(١) حلية الأولياء، ٨ /٧٧.

- وقال: " ما من صباح إلا والشيطانُ يقول لي: " ماتأكلُ، وماتلبسُ؟ وأين تسكنُ؟ ". فأقول: " آكل الموتَ، وألبس الكفنَ، وأسكن القبرَ ".

- وقيل له: " من أين تأكل؟ "، فقال:{وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾} [المنافقون: ٧].

- لا يغلب المؤمن عن خمسة أشياء عن الله عز وجل وعن القضاء وعن الرزق وعن الموت وعن الشيطان.

- اطلب نفسك في أربعة أشياء العمل الصالح بغير رياء والأخذ بغير طمع والعطاء بغير منة والإمساك بغير بخل وقال رجل لحاتم: عظني قال: إن كنت تريد أن تعصي مولاك فاعصه في موضع لا يراك.

- الشهوة في ثلاث في الأكل والنظر واللسان فاحفظ اللسان بالصدق والأكل بالثقة والنظر بالعبرة (١).

* * *

(١) حلية الأولياء، ٨ /٧٨، ٨٣.

أبو القاسم الجنيد

أعلام التصوف

الإمام أبو القاسم الجنيد

المربي بفنون العلم المؤيد بعيون الحلم المنور بخالص الإيقان وثابت الإيمان العالم بمودع الكتاب والعامل بحلم الخطاب الموافق فيه للبيان والصواب، كان كلامه بالنصوص مربوطاً وبيانه بالأدلة مبسوطاً فاق أشكاله بالبيان الشافي واعتناقه للمنهج الكافي ولزومه للعمل الوافي.

هو الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي، ثم البغدادي القواريري، شيخ الصوفية سيد هذه الطائفة وإمامهم.

أصله من نهاوند. ومنشؤه بالعراق. وأبوه كان يبيع الزجاج؛ فلذلك يقال له: القواريري.

وكان فقيهاً على مذهب أبي ثور وكان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة. صحب خاله السري، والحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب.

ولد سنة نيف وعشرين ومائتين تلقي الفقه على أبي ثور، وكان في أول أمره يتفقه على مذهب أصحاب الحديث مثل أبي عبيد وأبي ثور فأحكم الأصول وصحب الحارث بن أسد المحاسبي وخاله السري بن مغلس فسلك مسلكهما في التحقيق بالعلم واستعماله.

نقل علمه: جعفر الخلدي، وأبو محمد الجريري، وأبو بكر الشبلي، ومحمد بن علي بن حبيش، وعبد الواحد بن علوان، وعدة.

وقيل إنه كان ورده كل يوم ثلاثمائة ركعة، وألف تسبيحة.

وقيل كان الجنيد يفتح حانوته ويدخل، فيسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة.

وقد أثني عليه معاصروه من العلماء والفقهاء، فعن أبي العباس بن سريج: أنه تكلم يوماً فعجبوا، فقال: ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد.

وعن أبي القاسم الكعبي أنه قال مرة: رأيت لكم شيخاً ببغداد يقال له الجنيد، ما رأت عيناي مثله، كان الكتبة - يعني البلغاء - يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة يحضرونه لدقة معانيه، والمتكلمون لزمام علمه، وكلامه بائن عن فهمهم وعلمهم.

وقال الخلدي: لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد. كانت له حال خطيرة، وعلم غزير، إذا رأيت حاله رجحته على علمه، وإذا تكلم رجحت علمه على حاله.

قال ابن نجيد: ثلاثة لا رابع لهم، الجنيد ببغداد، وأبو عثمان بنيسابور، وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام.

قال ابن المنادي: سمع الكثير، وشاهد الصالحين، وأهل المعرفة، ورزق الذكاء وصواب الجواب. لم ير في زمانه مثله في عفة وعزوف عن الدنيا.

وقيل إن الجنيد لم يمد رجله في الخلوة عشرين سنة وكان يقول الأدب مع الله أولى من الأدب مع الخلق.

وكان نقش خاتم الجنيد: إن كنت تأمله فلا تأمنه. وقال أبو بكر العطوي: كنت عند الجنيد حين مات، فرأيته ختم القرآن.. ثم ابتدأ من البقرة. وقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله.

وكانت وفاته - رحمه الله - سنة سبع وتسعين ومائتين (١).

مواقف من حياته ـ رحمه الله:

يا غلام ما الشكر!

أبو سهل الصعلوكي: سمعت أبا محمد المرتعش يقول: قال الجنيد: كنت بين يدي السري ألعب وأنا ابن سبع سنين، فتكلموا في الشكر، فقال: يا غلام، ما الشكر؟ قلت: أن لا يعصى الله بنعمه، فقال: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك. قال الجنيد: فلا أزال أبكي على قوله.

تأخذ بيدك سبحة! !

ورؤى في يد الجنيد سبحة، فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟ ! فقال: طريق به وصلت إلى ربي لا أفارقه (٢).

(١) طبقات الصوفية: ١٦٣ ١٥٥، حلية الأولياء: ١٠ / ٢٨٧ ٢٥٥، تاريخ بغداد: ٧ / ٢٤٩ ٢٤٩ ٢٤١، الرسالة القشيرية: ١٩ ١٨، طبقات الحنابلة: ١ / ١٢٩ ١٢٧، المنتظم: ٦ / ١٠٦ ١٠٥، صفة الصفوة: ٢ / ٤٢٤ ٤١٦، وفيات الأعيان: ١ / ٣٧٥ ٣٧٣، العبر: ٢ / ١١١ ١١٠، دول الإسلام: ١ / ١٨١، مرآة الجنان: ٢ / ٢٣٦ ٢٣١، طبقات الشافعية للسبكي: ٢ / ٢٧٥ ٢٦٠، البداية والنهاية: ١١ / ١١٥ ١١٣، طبقات الأولياء: ١٣٦ ١٢٦، النجوم الزاهرة: ٣ / ١٧٠ ١٦٨، شذرات الذهب: ٢ / ٢٣٠ ٢٢٨، روضات الجنات: ١٦٥ ١٦٤، سير أعلام النبلاء، ١٤ /٦٧.

(٢) الرسالة القشيرية، ص ١٨.

وما نفعنا إلا ركيعات

قال محمد بن إبراهيم: رأيت الجنيد في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ونفدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار[١].

فلينظر إلى هذا

قال أبو الحسن علي بن هارون: سمعت الجنيد بن محمد أبا القاسم يقول: ورأى روميًّا وقد تولى القضاء فقال: من أراد أن ينظرإلى من خبأ في سره حب الدنيا عشرين سنة فلينظر إلى هذا [٢].

واعجباه

قال محمد بن أحمد المفيد: حضرت الجنيد يوماً فسأله أصحابه فقالوا: يا أستاذ متى يكون الله عز وجل مقبلاً على عبده فلهى عنهم ولم يجبهم فألحوا عليه وكان ظريفاً لا يحب أن يتبشع جوابه على أحد فالتفت إليهم فقال: واعجباه يقف بين يدي ربه بلا حضور ويقتضي بهذه الوقفة إقبالا [٣].

اللهم ابعثها

(١) الرسالة القشيرية، ص ١٨، حلية الأولياء، ١٠ /٢٥٧.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٢٦٨.
(٣) حلية الأولياء، ١٠ /٢٦٨.

قال أبو القاسم بردان النهاوندي: سمعت الجنيد يقول: جئت إلى أبي الحسن السدى يوماً فدققت عليه الباب فقال: من هذا فقلت: جنيد فقال ادخل فدخلت فإذا هو قاعد مستوفز وكان معي أربعة دراهم فدفعتها إليه فقال لي: أبشر فإنك تفلح فإني احتجت إلى هذه الأربعة دراهم فقلت: اللهم ابعثها إلي على يدي رجل يفلح عندك (١).

ما نراك تتحرك

- حضر الجنيد أبو القاسم موضعاً فيه قوم يتواجدون على سماع يسمعونه وهو مطرق قيل له: يا أبا القاسم ما نراك تتحرك؟ قال: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب (٢).

فما حقيقتها؟!

قال الجنيد بن محمد: دخلت يوما على سرى السقطي فرأيت عليه هماً فقلت: أيها الشيخ أرى عليك هماً فقال: الساعة دق على داق الباب فقلت: أدخل فدخل على شاب في حدود الأرادة فسألني عن معنى التوبة فأخبرته وسألني عن شرط التوبة فأنبأته فقال: هذا معنى التوبة وهذا شرطها فما حقيقتها فقلت: حقيقة التوبة عندكم أن لا تنسى ما من أجله كانت التوبة فقال: ليس هو كذلك عندنا فقلت له: فما حقيقة التوبة عندكم فقال: حقيقة التوبة ألا تذكر ما من أجله كانت التوبة وأنا أفكر في كلامه قال الجنيد: فقلت ما أحسن ما قال قال فقال لي: يا جنيد وما معنى هذا الكلام؟ فقال: يا أستاذ إذا كنت معك في حال الجفاء ونقلتني من حال الجفاء إلى حال الصفاء فذكري للجفاء في حال الصفاء غفلة قال: ودخلت عليه يوماً آخر فرأيت عليه هماً

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٠.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧١.

فقلت: أيها الشيخ أراك مشغول القلب فقال: أمس كنت في الجامع فوقف على شاب وقال لي: أيها الشيخ يعلم العبد أن الله تعالى قد قبله فقلت: لا يعلم فقال: بلى يعلم وقال لي ثانيا بلى يعلم فقلت له: فمن أين يعلم؟ قال: إذا رأيت الله عز وجل قد عصمني من كل معصية ووفقني لكل طاعة علمت أن الله تبارك وتعالى قد قبلني [(١)].

داؤها دواؤها

قال الجنيد بن محمد: رأيت بعد أن أديت وردي ووضعت جنبي لأنام كأن هاتفاً يهتف بي إن شخصاً ينتظرك في المسجد فخرجت فإذا شخص واقف في سواء المسجد فقال لي: يا أبا القاسم متى تصير النفس داءها دواءها قلت: إذا خالفت هواها صار داؤها دواءها قال: قلت هذا لنفسي فقالت لا أقبل منك حتى تسأل عنه الجنيد فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان الجني وقد جئت إليك من المغرب [(٢)].

هذه نعم الله

قال أبو بكر العطار يقول: حضرت الجنيد أبا القاسم عند الموت في جماعة من أصحابنا قال: وكان قاعداً يصلي ويثني رجله إذا أراد أن يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فثقلت عليه حركتها فمد رجليه فرآه بعض أصدقائه ممن حضر ذلك الوقت يقال له البسامي وكانت رجلا أبي القاسم تورمتا فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟ قال هذه نعم الله الله أكبر فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري: يا أبا القاسم لو اضطجعت فقال: يا أبا محمد هذا وقت منة الله أكبر فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله قال الشيخ: كان

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٤.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٤.

الجنيد رحمه الله ممن أحكم علم الشريعة فكان عنده اقتباس آثار الزريعة وقبوله المدرجة البديعة وكان القيام بحقائق الآثار يدفعه عن الرواية والآثار (١).

زدنى فى المعرفة

- قال الجنيد: دخلت البادية بعقد التوكل في وسط السنة فمضت علي أيام فانتهيت إلى مجمع ماء وخضرة فتوضأت وملأت ركوتي وقمت أركع فإذا بشاب قد أقبل بزي التجار كأنه قد غدا من بيته إلى سوقه أو يرجع من سوقه إلى بيته فسلم علي فقلت: الشاب من أين؟ فقال من بغداد فقلت: متى خرجت من بغداد؟ قال: أمس فتعجبت منه وكنت قد مضت علي أيام حتى بلغت إلى ذلك الموضع فجلس يكلمني وأكلمه فأخرج شيئاً من كمه يأكله فقلت له: أطعمني مما تأكل فوضع في يدي حنظلة فأكلته فوجدت طعمه كالرطب ومضى وتركني فلما دخلت مكة بدأت بالطواف فجذب ثوبي من ورائي فالتفت فإذا أنا بشاب كالشن البالي عليه قطعة عباء وعلى عاتقه بعضه فقلت له: زدني في المعرفة فقال: أنا الشاب الذي أطعمتك الحنظل فقلت له: ما شأنك؟ فقال يا أبا القاسم ذرؤنا حتى إذا أوقعونا قالوا استمسك (٢).

تكلم علي الناس

وقال الجنيد: قال لي خالي سرى السقطى: تكلم علي الناس! وكان في قلبي حشمة من ذلك، فإني كنت أتهم نفسي في استحقاق ذلك، فرأيت ليلة، في المنام، رسول الله ﷺ - وكان ليلة جمعة - فقال لي: " تكلم علي الناس! ". فانتبهت، وأتيت باب سري قبل أن أصبح، فدققت

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٨١.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٥.

الباب، فقال: " لم تصدقنا حتى قيل لك! ". فقعدت في غد للناس بالجامع، وانتشر في الناس أني قعدت أتكلم، فوقف علي غلام نصراني متنكر وقال: " أيها الشيخ! ما معنى قوله عليه السلام:﴿اتقوا فراسة المؤمن. فإنه ينظر بنور الله﴾ فأطرقت، ثم رفعت رأسي فقلت: " أسلم! فقد حان وقت إسلامك! " فأسلم ".

أما تستحي؟ !

وقال الخلدي: " دفع إلى الجنيد درهما، وقال: " اشتر به تيناً وزيرياً، فاشتريته، فلما أفطر أخذ واحدة، ووضعها في فيه، ثم ألقاها وبكى، وقال لي: " احمله! " فقلت له في ذلك، فقال: " هتف بي هاتف في قلبي: أما تستحي؟ ! تركت هذا من أجلي ثم تعود؟ ! ". ثم أنشد:

نون الهوان من الهوى مسروقة ::: فصريع كل هوى صريع هوان

تذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد "

- وقال أبو عمرو بن علوان: " خرجت يوماً إلى سوق الرحبة في حاجة، فرأيت جنازة، فتبعتها لأصلي عليها، فوقفت حتى تدفن، فوقعت عيني علي امرأة مسفرة، من غير تعمد، فألححت بالنظر إليها، واسترجعت واستغفرت الله تعالى وعدت إلى منزلي. فقالت عجوز لي: " يا سيدي! مالي أري وجهك أسود؟ !. فأخذت المرآة فنظرت، فإذا هو كما قالت، فرجعت إلي سري أنظر من أين ذهبت، فذكرت النظرة، فانفردت في موضع، أستغفر الله، وأسأله الإقامة،

أربعين يوماً. فخطر في قلبي: أن زر شيخك الجنيد!. فانحدرت إلى بغداد، فلما جئت حجرته طرقت الباب، فقال لي: " ادخل يا أبا عمرو! تذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد ".

أتدري من أين هذا!

وقال علي بن إبرهيم الحداد: " حضرت مجلس ابن سريج الفقيه الشافعي، فكان يتكلم في الفروع والأصول بكلام حسن عجيب. فلما رأي إعجابي قال: " أتدري من أين هذا؟ " قلت: " لا! " قال: " هذا ببركة مجالسة أبي القاسم الجنيد ".

لم لا تخرج

وقال خير: " كنت يوماً جالساً في بيتي، فخطر لي خاطر، أن الجنيد بالباب فاخرج إليه، فنقيته عن قلبي وقلت: " وسوسة! ". فوقع لي خاطر ثان بأنه على الباب فاخرج إليه، فنقيته عن سري؛ فوقع لي ثالث، فعلمت أنه حق، ففتحته، فإذا بالجنيد قائم، فسلم علي، وقال لي: " يا خير! لم لا تخرج مع الخاطر الأول؟ ! ".

ابدأ بالجنيد

وقال عبد الرحمن بن إسماعيل: " كنت ببغداد، ووافي الحاج من خراسان، فلقيني بعض أصحابنا ممن له فضل وإفضال، فسألني أن أعرفه بجماعة ليصلهم بشيء، فقلت له: " ابدأ بالجنيد! " فحمل إليه دراهم وثياب كثيرة، فلما رآه أعجبه أدبه في رفقه، فقال: " اجعل بعضه لفقراء أذكرهم لك " فقال: " أنا أعرف الفقراء أيها الشيخ؟ ! " فقال له الجنيد: " وأنا! أؤمل أن أعيش حتى آكل هذا؟ ! "، فقال: " إني لم أقل لك: أنفقه في الخل والبقل، والكامخ والجبن والمالح!، إنما

أريد أن تتفقه في الطيبات وألوان الحلاوات، فكل ما أسرع فهو أحب إلي ". فتبسم الجنيد وقال: " مثلك لا يجوز أن يرد عليه! " وقبل ذلك منه. فقال الخراساني: " ما أعلم أحداً ببغداد أعظم منة علي منك! "، فقال الجنيد: " ولا ينبغي لأحد أن يرتفق إلا ممن كان مثلك ".

كلما قيل لك شيء تقبله!

وقال الجنيد: " رأيت إبليس في المنام كأنه عريان، فقلت له: " أما تستحي من الناس؟ ! " فقال: " يا لله! هؤلاء عندك من الناس؟ !. لو كانوا منهم ما تلاعبت بهم كما تتلاعب الصبيان بالكرة، ولكن الناس غير هؤلاء ". فقلت: " ومن هم؟ " قال: " قوم في مسجد الشونيزي، قد أضنوا قلبي، وأنحلوا جسمي؛ كلما هممت أشاروا بالله، فأكاد أحرق". فانتبهت ولبست ثيابي، وأتيت مسجد الشونيزي وعلى ليل، فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاثة أنفس - قيل: هم أبو حمزة، وأبو الحسين النوري، وأبو بكر الزقاق - جلوس، ورءوسهم في مرقعاتهم؛ فلما أحسوا بي قد دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال: " يا أبا القاسم! أنت كلما قيل لك شيء تقبله! ".

عذري في الهوى

وبات الجنيد ليلة العيد في الموضع الذي كان يعتاده في البرية، فإذا هو وقت السحر بشاب ملتف في عباءته يبكي ويقول:

بحرمة ربتي! كم ذا الصدود؟ ! ::: ألا تعطف علي؟ ! ألا تجود؟ !
سرور العيد قد عم النواحي ::: وحزني في ازدياد لا يبيد
فإن كنت اقترفت خلال سوء ::: فعذري في الهوى أفلا تعود؟

ارفق بنفسك!

وقال أبو محمد الجريري: " كنت واقفاً على رأس الجنيد وقت وفاته - وكان يوم جمعة - وهو يقرأ، فقلت: " ارفق بنفسك! " فقال: " ما رأيت أحداً أحوج إليه مني في هذا الوقت، هو ذا تطوى صحيفتي ".

اعذرني! فأني كنت في وردي

وقال ابن عطاء: " دخلت عليه، وهو في النزع، فسلمت عليه، فلم يرد، ثم رد بعد ساعة، وقال: " اعذرني! فإني كنت في وردي "، ثم حول وجهه إلى القبلة ومات ".

بعد أن فقدت ذلك السيد؟ !

قال أبو محمد الجريري: " كان في جوار الجنيد رجل مصاب في خربة، فلما مات الجنيد ودفناه، تقدمنا ذلك المصاب، وصعد موضعاً رفيعاً، وقال لي: " يا أبا محمد! تراني أرجع إلى تلك الخربة بعد أن فقدت ذلك السيد؟ ! "، ثم أنشد:

وأأسفي من فراق قوم ::: هم المصابيح والحصون!
والمدن والمزن والرواسي ::: والخير والأمن والسكون
لم تتغير لنا الليالي ::: حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب ::: وكل ماء لنا عيون

ثم غاب عنا فكان ذلك آخر العهد منه ".

وأين القرآن والأخبار؟!

وسئل الجنيد عن التوحيد، فأنشد قائلا:

وغـــني لي مـــن قلـــبي ::: وغنيـــت كـــم غـــني
وكنـــا حيثمـــا كـــانوا ::: وكـــانوا حيثمـــا كنـــا

فقال السائل: " وأين القرآن والأخبار؟ ! " فقال: " الموحد يأخذ علي التوحيد من أدني الخطاب " [1].

انصرف أغناك الله.

وسمعته يقول: سمعت جعفر الخلدي، يقول: وقف سائل على الجنيد، ونحن في حلقته، فسأله.

فرد عليه، فقال: يا هذا، الصناعة واحدة، ولكنا أظرف، انصرف أغناك الله. فانصرف.

التجربة شك

ودخل جماعة على الجنيد فقالوا: نطلب الرزق قال: إن علمتم في أي موضع هو فاطلبوه قالوا: فنسال الله ذلك قال: إن علمتم أنه ينساكم فذكروه قالوا: لندخل البيت فنتوكل قال التجربة شك قالوا: فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة.

قولي لا اله إلا الله

قال الجنيد رحمه الله تعالى: خرجت يوماً إلى الحج فتحولت الناقة إلى طريق القسطنطينية مدينة الروم فرددتها نحو الكعبة فتحولت نحو المدينة أيضا فتركتها فلما دخلت القسطنطينية رأيت أهلها في قيل وقال فسألت عن ذلك فقيل إن ابنة الملك أصابها جنون

(١) طبقات الأولياء، ص ٢١.

وهم يطلبون طبيباً فقلت: أنا أداويها فأدخلوني عليها فنادت من داخل الباب يا جنيد لم تجذبك الناقة إلينا فتردها عنا فلما رأيتها فإذا هي من أحسن النساء والغل في عنقها ورجليها فقالت: صف لي دواء فقلت لها: قولي لا اله إلا الله فرفعت صوتها بذلك فسقط الغل من عنقها ورجليها فقال أبوها: ما أحسنك من طبيب فداوني فقلت له: قل كما قالت فأسلم وأسلم معه خلق كثير..

فاغفر له أنت

قال النسفي: قال رجل من أصحاب الجنيد له أني أصبت ذنباً فادع الله أن يغفره فسمع الجنيد هاتفاً يقول لما كشف ستره لك فاغفر له أنت..

أخذ الذي له وترك الذي لنا

قيل للجنيد أن أبا الحسن الثوري يسأل الناس فوزن له مائة درهم وقبض قبضة بلا وزن قال لخادمه: ادفع الجميع إليه فوزن الثوري مائة وقال: ردها على الجنيد وأخذ الزائد ثم قال الثوري: يريد الجنيد يأخذ الحبل بطرفيه وزن مائة لنفسه لأجل الثواب وقبض قبضة بلا وزن لله فأخذنا ما كان لله وتركنا ما جعله لنفسه فأخبرت الجنيد بذلك فقال: أخذ الذي له وترك الذي لنا.

رحمني برحمتى للطائر

أهدي للجنيد رضي الله عنه طائر فقبله مرة ثم أرسله فقيل له: في ذلك فقال: أنه قال: يا جنيد تتلذذ بمناجاة الأحباب وتسد في وجوههم الباب فلما أرسله قال: إن الطيور ما دامت ذاكرة لا تقع في شدة فإذا أغفلت عن ذكر الله وقعت وأنا غفلت عن ذكر الله مرة فعذبني بالسجن فكيف بمن يغفل عن ذكر الله كثيراً يا جنيد خذ علي

العهد أن لا أعود أبداً ثم صار يتردد إلى زيارة الجنيد ويأكل من المائدة معه فلما مات الجنيد رمى نفسه على الأرض فمات فدفنوه فرأى الجنيد بعض أصحابه في النوم فسأله عن حاله فقال: رحمني برحمتي للطائر..

أرى أن قولك هذا ضيق صدر

قال الشبلى مرة - والجنيد حاضر لاحول ولا قوة الا بالله فقال الجنيد أرى أن قولك هذا ضيق صدر وضيق الصدر يجئ من ترك الرضا بالقضاء.

أشهدك أنها هبة مني لك

- قال الشيخ الجنيد: ما انتفعت بشيء انتفاعي بأبيات سمعتها، قيل له: وما هي قال: مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغني من دار فأنصت لها فسمعتها تقول:

إذا قلت أهدى الهجر لي حلل البلى.. تقولين لولا الهجر لم يطب الحب

وإن قلت هذا القلب أحرقه الهوى ::: تقولي بنيران الهوى شرف القلب
وإن قلت ما أذنبت قلت مجيبة ::: حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

فصعقت وصحت، فبينما أنا كذلك إذا بصاحب الدار قد خرج فقال: ما هذا يا سيدي فقلت له: مما سمعت، فقال: أشهدك أنها هبة مني لك، فقلت: قد قبلتها وهي حرة لوجه الله تعالى، ثم زوجتها لبعض أصحابنا بالرباط فولدت له ولداً نبيلاً، ونشأ أحسن نشوء، وحج على قدميه ثلاثين حجة على الوحدة [1].

---

(١) وفيات الأعيان، ١ /٣٧٤.

من كلامه ـ رحمه الله :

- ما أخرج الله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً، إلا وقد جعل لي فيه حظاً.

- علمنا مضبوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ولم يتفقه لا يقتدى به.

- أعلى الكبر أن ترى نفسك، وأدناه أن تخطر ببالك - يعني نفسك.

- أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب جل جلاله من القلب، والقلب إذا عري من الهيبة عري من الإيمان.

- من خالفت إشارته معاملته، فهو مدع كذاب.

- سألت الله ألاَّ يعذبني بكلامي؟ وربما وقع في نفسي: أن زعيم القوم أرذلهم.

- أعطي أهل بغداد الشطح والعبارة، وأهل خراسان القلب والسخاء، وأهل البصرة الزهد والقناعة، وأهل الشام الحلم والسلامة، وأهل الحجاز الصبر والإنابة.

- ما أخذنا التصوف عن القال والقيل ؛ بل عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات.

قلت: هذا حسن، ومراده: قطع أكثر المألوفات، وترك فضول الدنيا، وجوع بلا إفراط. أما من بالغ في الجوع كما يفعله الرهبان، ورفض سائر الدنيا، ومألوفات النفس، من الغذاء والنوم والأهل، فقد عرض نفسه لبلاء عريض، وربما خولط في عقله، وفاته بذلك كثير

من الحنيفية السمحة، وقد جعل الله لكل شيء قدرا، والسعادة في متابعة السنن، فزن الأمور بالعدل، وصم وأفطر، ونم وقم، والزم الورع في القوت، وارض بما قسم الله لك، واصمت إلا من خير، فرحمة الله على الجنيد، وأين مثل الجنيد في علمه وحاله؟ .

- علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا أو قال: لا يقتدى به.

- الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام.

- دخل بعض الصوفية على الجنيد وقعد في طرف المجلس وقال: حسبي يا سيدي من مجلسك مكاني من قلبك. وقيل: الأطراف مجالس الأشراف.

- سئل الجنيد عن الإيمان فقال: ما أوجب الأمان.

- وقال الجنيد: من ذكر الله نسي نفسه، ومن ذكر نفسه ذكر الخلق، ومن ذكر الخلق فقد هلك.

- وقال الخلدي: سألت الجنيد عن الظرف فقال: أن تعمل لله ولا ترى أنك عملت.

- واستاذن رجل الجنيد في الحج فقال: جرد قلبك من اللهو ونفسك من السهو ولسانك من اللغو.

- من كان حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه، فتصعب عليه ومن كان حياته بربه فإنه ينتقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل، وهي الحياة على الحقيقة.

- الجنيد قال: أرسلني سري في حاجةٍ يوماً فمضيت فقضيتها، فرجعت، فدفع رجل رقعة، وقال: ما في هذه الرقعة أجرتك لقضاء حاجتي، ففتحتها، فإذا فيها مكتوب:

وَلَمّا شَكَوْتُ الحُبَّ قالَتْ كَــذَبتني ::: ألستُ أرَى مِنكَ العِظامَ كوَاسِــيَا
وَما الحُبُّ حتى يَلصَقَ الكِبدُ بالحَشا ::: وَتَخمُدَ حــتى لا تجيــبَ المُنادِيَــا
وَتَضْعُفَ حتى لا يُبَقّي لكَ الهــوَى ::: سوى مُقلَة تَبكــي بِهــا وَتُنَاجيَــا

- سئل الجنيد عن حكايات الصالحين فقال: هي جند من جنود الله تعالى يقوم بها أحوال المريدين ويحيي بها معالم أسرار العارفين ويهيج بها خواطر المحبين ويجري بها دموع المشتاقين قيل: فهل على ذلك من دليل قال: نعم قوله تعالى وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك فأجبت لقول النبي ﷺ عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة أن أجمع ما تيسر من أخبارهم وما اشتملوا عليه من العبادة في ليلهم ونهارهم وأن أطرز ذلك باللطائف والفوائد السنية والزواجر للنفوس الغوية من المواعظ القوية مع ما أذكره من المسائل الفقهية والمنافع الطبية وقطرة من مناقب خير البرية من هو حي في قبره حياة حقيقية وفاته في ضريحه المكرم على العرش طرية وأزواجه وأصحابه وأمته المرضية وقد جعلته أبواباً وفصولاً حوت معاني قوية وسميته نزهة المجالس ومنتخب النفائس وختمته بذكر الجنة رجاء أن نؤول إليها بالفضل والمنة ومنه التوفيق وبه الإعانة.

- إذا أحبك سترك وغار عليك، وإذا أحببته شهرك ونادى عليك.

- معنى الحياء من الله حصر القلب عن الانبساط، والامتناع من ظنون لا يرضاها الله، وعلامة المستحيي ألا يرى في مكان يستحي

من مثله.

- لو صحبني فاجر حسن الخلق كان أحب إلي من أن يصحبني عابد سيىء الخلق.

- وسئل الجنيد الصوفي: من تصحب؟ قال: من قدر أن ينسى ماله ويقضي ما عليه.

- البريء جريء، والخائن خائف، والجاني مستوحش.

- لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر مما ناله.

- من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيَّد بالكتاب والسنَّة.

- مذهبنا هذا: مقيَّد بأصول الكتاب والسنَّة.

- علمنا هذا مشيّد بحديث رسول الله ﷺ (١).

- إن أول ما يحتاج إليه من عقد الحكمة تعريف المصنوع صانعه والمحدث كيف كان أحدثه وكيف كان أوله وكيف أحدث بعد موته فيعرف صفة الخالق من المخلوق وصفة القديم من المحدث فيعرف المربوب ربه والمصنوع صانعه والعبد الضعيف سيده فيعبده ويوحده ويعظمه ويدل لدعوته ويعترف بوجوب طاعته فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه ولم يضف الخلق في تدبيره إلى وليه والتوحيد علمك وإقرارك بأن الله فرد في أوليته وأزليته لا ثاني معه ولا شيء يفعل فعله وأفعاله التي أخلصها لنفسه

(١) الرسالة القشيرية، ص ١٨.

أن يعلم أن ليس شيء يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ولا يسقم ولا يبرى ولا يرفع ولا يضع ولا يخلق ولا يرزق ولا يميت ولا يحيي ولا يسكن ولا يحرك غيره جل جلاله فقد سئل بعض العلماء فقيل له بين التوحيد وعلمنا ما هو فقال: هو اليقين فقيل له: بين لنا فقال: هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونها فعل الله وحده لا شريك له فإذا فعلت ذلك فقد وحدته وتفسير ذلك أنك جعلت الله واحداً في أفعاله إذا كان ليس شيء يفعل أفعاله وإنما اليقين اسم للتوحيد إذا تم وخلص وإن التوحيد إذا تم تمت المحبة والتوكل وسمي يقيناً فالتوكل عمل القلب والتوحيد قول العبد فإذا عرف القلب التوحيد وفع ما عرف فقد تم وقد قال بعض العلماء: إن التوكل نظام التوحيد فإذا فعل ما عرف فقد جاء بالمحبة واليقين والتوكل وتم إيمانه وخلص فرضه لأنك إذا عرفت أن فعل الله لا يفعله شيء غير الله ثم تخاف غيره وترجو غيره لم تأت بالأمر الذي ينبغي فلو عملت ما عرفت لرجوت الله وحده حين عرفت أنه لا يفعل فعله غيره فالقول فيمن يقصر علم قلبه أنه ناقص التوحيد لأن القلب مشتغل بالفتنة التي هي آفة التوحيد قلت: ماهو؟ قال: ظنك أن شيئاً يفعل فعل الله فاسم ذلك الظن فتنة والفتنة هي الشرك اللطيف قلت: أو ليس الفتنة من أعمال القلب قال: لا ولكنها داخلة عليه ومفسدة له قلت: وما هي؟ قال: ظنك بالله إذ ظننت أن من يشاء يفعل فعله والكلام في هذا يطول ولكن من يفهم يقنع باليسير [1].

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٥٦.

- الزم العلم ولو ورد عليك من الأحوال ما ورد ويكون العلم مصحوبك فالأحوال تندرج فيك وتنفد لأن الله عز وجل يقول والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا.

- العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك[١].

- سألت عن المعرفة وأسبابها فالمعرفة من الخاصة والعامة هي معرفة واحدة لأن المعروف بها واحد ولكن لها أول وأعلى فالخاصة في أعلاها وإن كان لا يبلغ منها غاية ولا نهاية إذ لا غاية للمعروف عند العارفين وكيف تحيط المعرفة بمن لا تلحقه الفكرة ولا تحيط به العقول ولا تتوهمه الأذهان ولا تكيفه الرؤية وأعلم خلقه به أشدهم إقراراً بالعجز عن إدراك عظمته أو تكشف ذاته لمعرفتهم بعجزهم عن إدراك من لا شيء مثله إذ هو القديم وما سواه محدث وإذ هو الأزلي وغيره المبدأ وإذ هو الإله وما سواه مألوه وإذ هو القوي من غير مقو وكل قوي فبقوته قوي وإذ هو العالم من غير معلم ولا فائدة استفادها من غيره وكل عالم فبعلمه علم سبحانه الأول بغير بداية والباقي إلى غير نهاية ولا يستحق هذا الوصف غيره ولا يليق بسواه فأهل الخاصة من أوليائه في أعلى المعرفة من غير أن يبلغوا منها غاية ولا نهاية والعامة من المؤمنين في أولها ولها شواهد ودلائل من العارفين على أعلاها وعلى أدناها فالشاهد على أدناها الإقرار بتوحيد الله وخلع الأنداد من دونه والتصديق به وبكتابه وفرضه فيه ونهيه والشاهد على أعلاها القيام فيه بحقه واتقاؤه في كل وقت

(١) الرسالة القشيرية، ص ١٨، حلية الأولياء، ١٠ /٢٥٥.

وإيثاره في جميع خلقه واتباع معالي الأخلاق واجتناب مالا يقرب منه فالمعرفة التي فضلت الخاصة على العامة هي عظيم المعرفة في قلوبهم بعظيم القدر والإجلال والقدرة النافذة والعلم المحيط والجود والكرم والآلاء فعظم في قلوبهم قدره وقدر جلالته وهيبته ونفاذ قدرته وأليم عذابه وشدة بطشه وجزيل ثوابه وكرمه وجوده بجنته وتحننه وكثرة أياديه ونعمه وإحسانه ورأفته ورحمته فلما عظمت المعرفة بذلك عظم القادر في قلوبهم فأجلوه وهابوه وأحبوه واستحيوا منه وخافوه ورجوه فقاموا بحقه واجتنبوا كل ما نهى عنه وأعطوه المجهود من قلوبهم وأبدانهم أزعجهم على ذلك ما استقر في قلوبهم من عظيم المعرفة بعظيم قدره وقدر ثوابه وعقابه فهم أهل الخاصة من أوليائه فلذلك قيل فلان بالله عارف وفلان بالله عالم لما رأوه مجلاً هائباً راهباً راجياً طالباً مشتاقاً ورعاً متقياً باكياً حزيناً خاضعاً متذللاً فلما ظهرت منهم هذه الأخلاق عرف المسلمون أنهم بالله أعرف وأعلم من عوام المسلمين وكذلك وصفهم الله فقال: إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال داود عليه السلام: إلهي ما علم من لم يخشك فالمعرفة التي فضلت بها الخاصة العامة هي عظيم المعرفة فإذا عظمت المعرفة بذلك واستقرت ولزمت القلوب صارت يقيناً قوياً فكملت حينئذ أخلاق العبد وتطهر من الأدناس فنال به عظيم المعرفة بعظيم القدر والجلال والتذكر والتفكر في الخلق كيف خلقهم وأتقن صنعتهم وفي المقادير كيف قدرها فاتسقت على الهيئات التي هيأها والأوقات التي وقتها وفي الأمور كيف دبرها على إرادته ومشيئته فلم يمتنع منها شيء عن المضي على إرادته والاتساق على مشيئته وقد قال بعض أهل العلم إن النظر في القدرة يفتح باب

التعظيم لله في القلب ومر بعض الحكماء بمالك بن دينار فقال له مالك: عظنا رحمك الله فقال: بم أعظك إنك لو عرفت الله أغناك ذلك عن كل كلام لكن عرفوه على دلالة أنهم لما نظروا في اختلاف الليل والنهار ودوران هذا الفلك وارتفاع هذا السقف بلا عمد ومجاري هذه الأنهار والبحار علموا أن لذلك صانعاً ومدبراً لا يعزب عنه مثقال ذرة من أعمال خلقه فعبدوه بدلائله على نفسه حتى كأنهم عاينوه والله في دار جلاله عن رؤيته ففي ذلك دليل أنهم بعظيم قدره أعرف وأعلم إذ هم له أجل وأهيب، (١)

- اعلم يا أخي أن الوصول إذا ما سألت عنه مفاوز مهلكة ومناهل متلفة لا تسلك إلا بدليل ولا تقطع إلا بدوام ورحيل وأنا واصف لك منها مفازة واحدة فافهم ما أنعته لك منها وقف عند ما أشير لك فيها واستمع لما أقول وافهم ما أصف اعلم أن بين يديك مفازة إن كنت ممن أريد بشيء منها وأستودعك الله من ذلك وأسأله أن يجعل عليك واقية باقية فإن الخطر في سلوكها عظيم والأمر المشاهد في الممر بها جسيم فإن من أوائلها أن يوغل بك في فيح برزخ لا أمد له إيغالاً ويدخل بك بالهجوم فيه إدخالاً وترسل في جويهنته إرسالاً ثم تتخلى منك لك ويتخلى منك له فمن أنت حينئذ وماذا يراد بك وماذا يراد منك وأنت حينئذ في محل أمنه روع وأنسه وحشة وضياؤه ظلمة ورفاهيته شدة وشهادته غيبة وحياته ميتة لا درك فيه لطالب ولا مهمة فيه لسارب ولا نجاة فيه لهارب وأوائل ملاقاته اصطلام وفواتح بدائعه احتكام وعواطف ممره احترام فإن غمرتك غوامره انتسفتك بوادره وذهب بك في الارتماس وأغرقتك

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٥٩.

بكثيف الانطماس فذهبت سفالاً في الانغماس إلى غير درك نهاية ولا مستقر لغاية فمن المستنقذ لك مما هنالك ومن المستخرج لك من تلك المهالك وأنت في فرط الإياس من كل فرج مشوه بك في إغراق لجة اللجج فاحذر ثم احذر فكم من متعرض اختطف ومتكلف انتسف وأتلف بالغرة نفسه وأوقع بالسرعة حتفه جعلنا الله وإياك من الناجين ولا أحرمنا وإياك ما خص به العارفين واعلم يا أخي أن الذي وصفته لك من هذه المفاوز وعرضت ببعض نعته إشارة إلى علم لم أصفه وكشف العلم بها يبعد والكائن بها يفقد فخذ في نعت ما تعرفه من الأحوال وما يبلغه النعت والسؤال ويوجد في المقاربين والأشكال فإن ذلك أقرب بظفرك لظفرك وأبعد من حظك لحظك وأحذر من مصادمات ملاقاة الأبطال والهجوم على حين وقت النزال والتعرض لأماكن أهل الكمال قبل أن تمات من حياتك ثم تحيى من وفاتك وتخلق خلقاً جديداً وتكون فريداً وحيداً وكل ما وصفته لك إشارة إلى علم ما أريده [١].

- اعلم رضي الله عنك أن أقرب ما استدعى به قلوب المريدين ونبه به قلوب الغافلين وزجرت عنه نفوس المتخلفين ما صدقته من الأقوال جميع ما اتبع به من الأفعال فهل يحسن يا أخي أن يدعو داع إلى أمر لا يكون عليه شعاره ولا تظهر منه زينته وآثاره وألا يكون قائله عاملاً فيه بالتحقيق وبكل فعل بذلك القول يليق وأفك من دعا إلى الزهد وعليه شعار الراغبين وأمر بالترك وكان من الآخذين وأمر بالجد في العمل وكان من المقصرين وحث على الاجتهاد ولم يكن من المجتهدين إلا قل قبول المستمعين لقيله ونفرت قلوبهم لما

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٥٩.

يرون من فعله وكان حجة لمن جعل التأويل سبباً إلى اتباع هواه ومسهلاً لسبيل من آثر آخرته على دنياه أما سمعت الله تعالى يقول وقد وصف نبيه شعيباً وهو شيخ الأنبياء وعظيم من عظماء الرسل والأولياء وهو يقول وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه وقول الله جل ذكره لمحمد المصطفى ﷺ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وأمر الله له بالدعاء إليه بقوله عز من قائل ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فهذه سيرة الأنبياء والرسل والأولياء والذي يجب يا أخي على من فضله الله بالعلم به والمعرفة له أن يعمل في استتمام واجبات الأحوال وأن يصدق القول منه الفعل بذلك أولاً عند الله ويحظى به من اتبعه آخراً واعلم يا أخي أن لله ضنائن من خلقه أودع قلوبهم المصون من سره وكشف لهم عن عظيم أثرهم به من أمره فهم بما استودعهم من ذلك حافظون وبجليل قدر ما أمنهم عليه علماء عارفون قد فتح لما اختصهم به من ذلك أذهانهم وقرب من لطيف الفهم عنه لما أراده أفهامهم ورفع إلى ملكوت عزه همومهم وقرب من المحل الأعلى بالإدناء إلى مكين الإيواء بحبهم وأفرد بخالص ذكره قلوبهم فهم في أقرب أماكن الزلفى لديه وفي أرفع مواطن المقبلين به عليه أولئك الذين إذا نطقوا فعنه يقولون وإذا سكتوا فبوقار العلم به يصمتون وإذا حكموا فبحكمه لهم يحكمون جعلنا الله يا أخي ممن فضله بالعلم ومكنه بالمعرفة وخصه بالرفعة واستعمله بأكمل الطاعة وجمع له خيري الدنيا والآخرة [1].

---

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٦٠.

- وسئل الجنيد عن ما تنهى الحكمة؟ فقال: الحكمة تنهى عن كل ما يحتاج أن يعتذر منه وعن كل ما إذا غاب علمه عن غيرك أحشمك ذكره في نفسك فقال له السائل: فبم تأمر الحكمة؟ قال: تأمر الحكمة بكل ما يحمد في الباقي أثره ويطيب عند جملة الناس خبره ويؤمن في العواقب ضرره قال: فمن يستحق أن يوصف بالحكمة؟ قال: من إذا قال بلغ المداو الغاية فيما يتعرض لنعته بقليل القول ويسير الإشارة ومن لا يتعذر عليه من ذلك شيء مما يريد لأن ذلك عنده حاضر عتيد قال فبمن تأنس الحكمة وإلى من تستريح وتأوي؟ قال: إلى من انحسمت عن الكل مطامعه وانقطعت من الفضل في الحاجات مطالبه ومن اجتمعت همومه وحركاته في ذات ربه ومن عادت منافعه على سائر أهل دهره (١).

- إن لله عباداً صحبوا الدنيا بأبدانهم وفارقوها بعقود إيمانهم أشرف بهم علم اليقين على ما هم إليه صائرون وفيه مقيمون وإليه راجعون فهربوا من مطالبة نفوسهم الأمارة بالسوء والداعية إلى المهالك والمعينة للأعداء والمتبعة للهوى والمغموسة في البلاء والمتمكنة بأكناف الأسواء إلى قبول داعي التنزيل المحكم الذي لا يحتمل التأويل إذ سمعوه يقول يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لم يحييكم فقرع أسماع فهومهم حلاوة الدعوة لتصفح التمييز وتنسموا بروح ما أدته إليهم الفهوم الطاهرة من أدناس خفايا محبة البقاء في دار الغرور فأسرعوا إلى حذف العلائق المشغلة قلوب المراقبين معها وهجموا بالنفوس على معانقة الأعمال وتجرعوا مرارة المكابدة وصدقوا الله في معاملته وأحسنوا الأدب

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٦١.

فيما توجهوا إليه وهانت عليهم المصائب وعرفوا قدر ما يطلبون واغتنموا سلامة الأوقات وسلامة الجوارح وأماتوا شهوات النفوس وسجنوا همومهم عن التلفت إلى مذكور سوى وليهم وحرسوا قلوبهم عن التطلع في مراقي الغفلة وأقاموا عليها رقيباً من علم من لا يخفى عليه مثقال ذرة في بر ولا بحر ومن أحاط بكل شيء علماً وأحاط به خبرا فانقادت تلك النفوس بعد اعتياصها واستبقت منافسة لأبناء جنسها نفوس ساسها وليها وحفظها بارئها وكلأها كافيها فتوهم يا أخي إن كنت ذا بصيرة ماذا يرد عليهم في وقت مناجاتهم وماذا يلقونه من نوازل حاجاتهم تر أرواحاً تتردد في أجساد قد أذبلتها الخشية وذللتها الخدمة وتسربلها الحياء وجمعها القرب وأسكنها الوقار وأنطقها الحذار أنيسها الخلوة وحديثها الفكرة وشعارها الذكر شغلها بالله متصل وعن غيره منفصل لا تتلقى قادماً ولا تشيع ظاعناً غذاؤها الجوع والظمأ وراحتها التوكل وكنزها الثقة بالله ومعولها الاعتماد ودواؤها الصبر وقرينها الرضا نفوس قدمت لتأدية الحقوق ورقيت لنفيس العلم المخزون وكفيت ثقل المحن لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم [١].

- ما من شيء أسقط للعلماء من عين الله من مساكنة الطمع مع العلم في قلوبهم.

- فتح كل باب وكل علم نفيس بذل المجهود.

---

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٦٢.

- لولا أنه يروى أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت عليكم.

- قيل للجنيد: ما القناعة؟ قال: ألا تتجاوز إرادتك ما هو لك في وقتك.

- لو أن العلم الذي أتكلم به من عندي لفني ولكنه من حق بدا وإلى الحق يعود وربما رفع في قلبي أن زعيم القوم أرذلهم [١].

- وسأله جعفر: ما تقول أكرمك الله في الذكر الخفي ما هو الذي لا تعلمه الحفظة ومن أين زاد عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً؟ فأجابه فقال: وفقنا الله وإياكم لأرشد الأمور وأقربها إليه واستعملنا وإياكم بأرضى الأمور وأحبها إليه وختم لنا ولكم بخير فأما الذكر الذي يستأثر الله بعلمه دون غيره فهو ما اعتقدته القلوب وطويت عليه الضمائر مما لا تحرك به الألسنة والجوارح وهو مثل الهيبة لله والتعظيم لله والإجلال لله واعتقاد الخوف من الله وذلك كله فيما بين العبد وربه لا يعلمه إلا من يعلم الغيب والدليل على ذلك قوله عز وجل يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وأشباه ذلك وهذه أشياء امتدح الله بها فهي له وحده جل ثناؤه وأما ما تعلمه الحفظة فما وكلت به وهو قوله ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وقوله كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون فهذا الذي وكل به الملائكة الحافظون ما لفظ به وبدا من لسانه وما يعلنون ويفعلون هو ما ظهر به السعي وما أضمرته القلوب مما لم يظهر على الجوارح وما تعتقده القلوب فذلك يعلمه جل ثناؤه وكل أعمال القلوب ما عقد لا يجاوز الضمير فهو

---

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٦٣.

مثل ذلك والله أعلم وما روى في الخبر من فضل عمل السر على عمل العلانية وأن عمل السر يزيد على عمل العلانية سبعين ضعفاً فذلك والله أعلم لأن من عمل لله عملاً فأسره فقد أحب أن ينفرد الله عز وجل بعلم ذلك العمل منه ومعناه أن يستغني بعلم الله في عمله عن علم غيره وإذا استغنى القلب بعلم الله أخلص العمل فيه ولم يعرج على من دونه فإذا علم جل ذكره بصدق قصد العبد إليه وحده وسقط عن ذكر من دونه أثبت ذلك العمل في أعمال الخالصين الصالحين المؤثرين الله على من سواه وجازاه الله بعلمه بصدقة من الثواب سبعين ضعفاً على ما عمل من لا يحل محله والله أعلم [١].

- من استخلصه الحق بمفرد ذكره وصافاه يكون له ولياً منتخباً مكرماً مواصلاً يورثه غرائب الأنبياء ويزيده في التقريب زلفى ويثبته في محاضر النجوى ويصطنعه للخلة والاصطفاء ويرفعه إلى الغاية القصوى ويبلغه في الرفعة إلى المنتهى ويشرف به من ذروة الذرى على مواطن الرشد والهدى وعلى درجات البررة الأتقياء وعلى منازل الصفوة والأولياء فيكون كله منتظماً وعليه بالتمكين محتوياً وبأنبائه خبيراً عالماً وعليه بالقوة والاستظهار حاكماً وبإرشاد الطالبين له إليه قائماً وعليهم بالفوائد والعوائد والمنافع دائماً ولما نصب له الأئمة من الرعاية لديه به لازماً وذلك إمام الهداة السفراء العظماء الأجلة الكبراء الذين جعلهم للدين عمداً وللأرض أوتاداً جعلنا الله وإياك من أرفعهم لديه قدراً وأعظمهم في محل عزه أمراً إن ربي قريب سميع [٢].

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٦٤.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٢٦٥.

- الإيمان علامته طاعة من آمنت به والعمل بما يحبه ويرضاه وترك التشاغل عنه بشيء ينقضي عنده حتى أكون عليه مقبلاً ولموافقته مؤثراً ولمرضاته متحرياً لأن من صفة حقيقة علامة الإيمان ألا أوثر عليه شيئا دونه ولا أتشاغل عنه بسبب سواه حتى يكون المالك لسري والحاث لجوارحي بما أمرني من آمنت به وله عرفت فعند ذلك تقع الطاعة لله على الاستواء ومخالفة كل الأهواء والمجانبة لما دعت إليه الأعداء والمتاركة لما انتسب إلى الدنيا والإقبال على من هو أولى وهذه بعض الشواهد والعلامات فيما سألت عنه وصفة الكل يطول شرحه قال: وسألته ما الإيمان؟ فقال: هذا سؤال لا حقيقة له ولا معنى ينبىء عن مزيد من علم وإنما هو الإيمان بالله جل ثناؤه مجرداً وحقيقته في القلوب مفرداً وإنما هو ما وقر في القلب من العلم بالله والتصديق وبما أخبر من أموره في سائر سمواته وأرضه مما ثبت في الإيقان وإن لم أره بالعيان فكيف يجوز أن يكون للصدق صدق وللإيقان إيقان وإنما الصدق فعل قلبي والإيقان ما استقر من العلم عندي فكيف يجوز أن يفعل فعلي وإنما أنا الفاعل أو يعلم علمي وإنما أنا العالم والسؤال في الابتداء غير مستقيم ولو جاز أن يكون للآيمان إيمان وللتصديق تصديق جاز أن يوالي ذلك ويكرر إلى غاية تكثر في العدد وجاز أن يكون كماً عاد على ثواب إيماني وثواب تصديقي أن يعود على إيمان إيماني ثواب وعلى تصديق تصديقي جزاء ولو أردت استقصاء القول في واجب ذلك لا تسع به الكتاب وطال به الخطاب وهذا مختصر من الجواب [١].

---

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٦٦.

- أعلم الناس بالآفات أكثرهم بلاء وآفة.

- قال عثمان: كنت أمشي مع الجنيد فلقيه الشبلي فقال له يا أبا القاسم ما تقول فيمن الحق حسبه نعتاً وعلماً ووجوداً فقال له: يا أبا بكر جلت الألوهية وتعاظمت الربوبية بينك وبين أكابر الطبقة ألف طبقة في أول طبقة منها ذهب الاسم قال: وسمعت الجنيد يقول: من ظن أنه يصل ببذل المجهود فمتعن ومن ظن أنه يصل بغير بذل المجهود فمتن ومتعلم يتعلم الحقيقة يوصله الله إلى الهداية قال ﷺ :﴿كل ميسر لما خلق له﴾.

- قال أبو القاسم المطرز سمعت الجنيد بن محمد يقول لرجل وهو يكلمه في شيء لا تيأس من نفسك وأنت تشفق من ذنبك وتندم عليه بعد فعلك.

- كان التوكل حقيقة واليوم هو علم.

- لو بدت عين من الكرم لألحقت المسيئين بالمحسنين وبقيت أعمال العاملين فضلا لهم.

قال الجنيد: كتب إلي بعض إخواني من عقلاء أهل خراسان اعلم يا أخي يا أبا القاسم أن عقول العقلاء إذا تناهت تناهت إلى حيرة.

- عليكم بحفظ الهمة فإن حفظ الهمة مقدمة الأشياء.

- المروءة امتحان ذلل الإخوان [(١)].

- يامن هو كل يوم في شأن اجعلني من بعض شأنك.

---

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٦٧.

- ليس يتبشع علي ما يرد علي من العالم لأني قد أصلت أصلا وهو أن الدار دارهم وغم وبلاء وفتنة وأن العالم كله شر ومن حكمه أن يتلقاني بكل ما أكره فان تلقاني بكل ما أحب فهو فضل وإلا فالأصل هو الأول.

- لا تكون من الصادقين، أن تصدق مكانا لا ينجيك إلا الكذب فيه ".

- الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب قال الله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أي خاشعون متواضعون.

- سئل الجنيد عن التواضع فقال: خفض الجناح ولين الجانب.

- وسئل الجنيد عمن لم يبق له من الدنيا إلا مقدار مص نواة فقال: المكاتب عبد ما بقى عليه درهم.

- ليكن عملك من وراء سترك كعملك من وراء الزجاج الصافى.

- وفى المثل وهو منسوب إلى على (عليه السلام) إياك وما يعتذر منه.

- وسئل الجنيد رحمه الله عما يتولد منه الحياء من الله تعالى، فقال: أن يرى العبد آلاء الله سبحانه ونعمه عليه، ويرى تقصيره في شكره.

- لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها، فإن لها خدائع وإن سكنت إليها كنت مخدوعاً. وقيل: من رضي عن نفسه سخط الناس عليه.

- من فضيلة العلم على المال أن الله فهم سليمان مسألة فمنَّ عليه وقال: " ففهمناها سليمان "، وأعطاه الملك ولم يمن عليه بل قال: " هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ".

- وسئل الجنيد رحمه الله عن الفتوة فقال: العفو بدلالة قوله تعالى: " وليعفوا وليصفحوا ". وقيل: العفو عن المذنب زكاة النفس. قيل: من كرم الأخلاق أن تغفر الذنب. من شكر الموهوب العفو عن الذنوب الاحتمال قبر العيوب.

- عن الجنيد أنه قيل له: متى يكون الفقير مستوجباً لدخول الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام؟ فقال: إذا كان موافقاً لله تعالى، يعد فقره نعمة يخاف على زوالها مخافة الغني على زوال نعمته، وغناه مستغنياً بربه كما قال تعالى للفقراء:{ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ } [البقرة: ٢٧٣].

- البلاء على ثلاثة أوجه على المخلطين عقوبات وعلى الصادقين تمحيص جنايات وعلى الأنبياء من صدق الاختيارات.

- ينبغي للعاقل ألا يفقد من إحدى ثلاثة مواطن موطن يعرف فيه حاله أمزاد أم منتقص وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه وإلزامها ما يلزمها ويتقصى فيه على معرفتها وموطن يستحضر عقله برؤيته مجاري التدبير عليه وكيف تقلب فيه الاحكام في آناء الليل وأطراف النهار ولن يصفو عقل لا يصدر إلى فهم هذا الحال الأخير إلا بأحكام

ما يجب عليه من إصلاح الحالين الأولين فأما الموطن الذي ينبغي له أن يعرف فيه حاله أمزاد هو أم منتقص فعليه أن يطلب مواضع الخلوة لكي لا يعارضه مشغل فيفسد ما يريد إصلاحه ثم يتوجه إلى موافقة ما ألزم من تأدية الفرض الذي لا يزكو حال قربه إلا بإتمام الواجب من الفرائض ثم ينتصب انتصاب عبد بين يدي سيده يريد أن يؤدي إليه ما أمر بتأديته فحينئذ تكشف له خفايا النفوس المواربة فيعلم أهو ممن أدى ما وجب عليه أم لم يؤد ثم لا يبرح من مقامه ذلك حتى يوقع له العلم ببرهان ما استكشفه بالعلم فإن رأى خللا أقام على إصلاحه ولم يجاوزه إلى عمل سواه وهذه أحوال أهل الصدق في هذا المحل والله يؤيد بنصره من يشاء إن الله لقوي عزيز وأما الموطن الذي يخلو فيه بتأديب نفسه ويتقصى فيه حال معرفتها فإنه ينبغي لمن عزم على ذلك وأراد المناصحة في المعاملة فإن النفوس ربما خبت فيها منها أشياء لا يقف على حد ذلك إلا من تصفح ما هنالك في حين حركة الهوى في محبة فعل الخير المألوف فإن النفس إذا ألفت فعل الخير صار خلقاً من أخلاقها وسكنت إلى أنها موضع لما أهلت له وترى أن الذي جرى عليها من فعل ذلك الخير فيها هي له أهل ويرصدها العدو المقيم بفنائها المجعول له السبيل على مجاري الدم فيها فيرى هو بكيده خفي غفلتها فيختلس منها بمساءلة الهوى ما لا يمكنه الوصول إلى اختلاسه في غير تلك الحال فإن تألم لوكزته منه وعرف طعنته أسرع بالأمانة إلى من لا تقع الكفاية منه إلا به فاستقصى من نفسه علم الحال التي منا وصل عدوه إليه فحرسها بلياذة اللجأ وإلقاء الكنف وشدة الافتقار وطلب الاعتصام كما قال النبي ابن النبي ابن النبي الكريم ابن الكريم ابن الكريم كذا قال

النبي ﷺ :﴿الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم السلام{وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف: ٣٣]، وعلم يوسف عليه السلام أن كيد الأعداء مع قوة الهوى لا ينصرف بقوة النفس فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم وأما الموطن الذي يستحضر فيه عقله لرؤية مجارى الأحكام وكيف يقلبه التدبير فهو أفضل الأماكن وأعلى المواطن فإن الله أمر جميع خلقه أن يواصلوا عبادته ولا يسأموا خدمته فقال: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فألزمهم دوام عبادته وضمن لهم عليها في العاجل الكفاية وفي الأخرى جزيل الثواب فقال{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج: ٧٧]، وهذه كلها تلزم كل الخلق ووقف ليرى كيف تصرف الأحكام وقد عرض لرفيع العلم والمعرفة ألا يعلم أنه قال كل يوم هو في شأن يعني شأن الخلق وأنت أيها الواقف أترى أنك من الخلق الذي هو في شأنهم أو ترى شأنك مرضياً عنده ولن يقدر أحد على استحضار عقله إلا بانصراف الدنيا وما فيها عنه وخروجها من قلبه فإذا انقضت الدنيا وبادت أهلها وانصرفت عن ا لقلب خلا بمسامرة رؤية التصرف واختلاف الأحكام وتفصيل الأقسام ولن يرجع قلب من هذا وصفه إلى شيء من الانتفاع بما في هذه التي عنها خرج ولها ترك ومنها هرب ألا ترى إلى حارثة حين يقول عزفت نفسي عن الدنيا ثم يقول وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وكأني بأهل الجنة يتزاورون وكأني وكأني وهذه بعض أحوال القوم [1].

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٢.

- الأقوات ثلاثة فقوت بالطعام وهو مولد للأعراض وقوت بالذكر فهذا يشممهم الصفات وقوت برؤية المذكور وهو الذي يفنى ويبيد قال ثم أنشد يقول:

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها ::: فلم تلبث النفس التي أنت قوتها

- كتب الجنيد إلى أبي إسحاق المارستاني يا أخي كيف أنت في ترك مواصلة من عرضك للتقصير ودعاك إلى النقص والفتور وكيف ينبغي أن تكون مباينتك له وهجرانك وكيف إعراض سرك ونبو قلبك وعزوف ضميرك عنه حقيق عليك على ما وهبه الله لك وخصك به من العلم الجليل والمنزل الشريف أن تكون عن المقبلين على الدنيا معرضاً وأن تكون لهم بسرك وجهرك قالياً وأن تكون لهم في بلائهم إلى الله شافعاً فذلك بعض حقك لك وحري بك أن تكون للمذنبين ذائداً وأن تكون لهم بفهم الخطاب إلى الله رائداً وفي استنقاذهم وافداً فتلك حقائق العلماء وأماكن الحكماء وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله وأعمهم نفعاً لجملة خلقه جعلنا الله وإياك من أخص من أخلصه بالإخلاص إليه وأقربهم في محل الزلفى لديه أيحسن بالعاقل اللبيب والفهم الأديب الطالب المطلوب المحب المحبوب المكلأ المعلم المزلف المقرب المجالس المؤانس أن يعير الدنيا طرفه أو يوافقها بلحظه وقد سمع سيده ومولاه وهو يقول لأجل أصفيائه وسيد رسله وأنبيائه ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه الآية أفشاهد أنت لفهم الخطاب وإمكان رد الجواب فترك حظه من الله مما فاته ومصافاته وكافأته ومكانه منه وموالاته أن يواد من لا يواده أو يألف من لا يوافقه غض يا أخي بصر سرك وبصيرة قلبك عن الإيماء إلى النظر إليهم دون المواصلة

لهم وصن بالمضمون من ضميرك عن أن تكون لك بالقوم مؤالفة فوالله لا والى الله من يحاده ولا أقبل على من يبغضه ولا عظم من يعظم ما صغره وقلله إلا أن ينزع عن ذلك فكن من ذلك على يقين وكن لأماكن من أعرض عن الحق مستهيناً وبعد يا أخي فتفضل باحتمالي إن غلظ عليك مقالي وتجشم الصبر على أن يوافق قلبك ما في كتابي فإن المناصحة والمفاصحة خير من الإغضاء مع المتاركة وأني أختم كتابي وأستدعي جوابي بقولي الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وسلم تسليماً كثيرا [١].

قال أحمد بن جعفر بن هانئ: سألت أبا القاسم الجنيد بن محمد قلت: متى يكون الرجل موصوفا بالعقل؟ قال: إذا كان للأمور مميزاً ولها متصفحاً وعما يوجبه عليه العقل باحثاً يبحث يلتمس بذلك طلب الذي هو به أولى ليعمل به ويؤثره على ما سواه فإذا كان كذلك فمن صفته ركوب الفضل في كل أحواله بعد إحكام العمل بما قد فرض عليه وليس من صفة العقلاء إغفال النظر لما هو أحق وأولى ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير فمن كانت هذه صفته بعد إحكامه لما يجب عليه من عمله ترك التشاغل بما يزول وترك العمل بما يفنى وينقضي وذلك صفة كل ما حوت عليه الدنيا وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل به والعمل له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويتصل بقاؤها وذلك أن الذي يدوم نفعه ويبقى على العامل له حظه وما سوى ذلك زائل متروك مفارق موروث يخاف مع تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٦.

عليه كذلك صفة العاقل لتصفحه الأمور بعقله والأخذ منها بأوفره قال الله تعالى:{ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾} [الزمر: ١٨]، كذلك وصفهم الله وذوو الألباب هم ذوو العقول وإنما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله به للأخذ بأحسن الأمور عند استماعها وأحسن الأمور هو أفضلها وأبقاها على أهلها نفعاً في العاجل والآجل وإلى ذلك ندب الله عز وجل من عقل في كتابه [1].

- حاجة العارفين إلى كلاءته ورعايته قال الله عز وجل{ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ} [الأنبياء: ٤٢]، ونجح قضاء كل حاجة من الدنيا تركها وفتح كل باب شريف بذل المجهود قال: ورأيت الجنيد في المنام فقلت: أليس كلام الأنبياء إشارات عن مشاهدات؟ فتبسم وقال: كلام الأنبياء بناء عن حضور وكلام الصديقين إشارات عن مشاهدات قال: وكتب الجنيد إلى بعض إخوانه من أشار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه فإن انتبه وانقطع عمن سكن إليه ورجع إلى من أشار إليه كشف الله ما به من المحن والبلوى فإن دام نزع الله على سكونه من قلوب الخلق الرحمة عليه وألبس لباس الطمع لتزداد مطالبته منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم فتصير حياته عجزاً وموته كداً ومعاده أسفاً ونحن نعوذ بالله من السكون إلى غيره.

- لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٧.

وقال رجل للجنيد: علام يتأسف المحب؟ قال: على زمان بسط أورث قبضاً أو زمان أنس أورث وحشة وأنشأ يقول:

قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم ::: فكدرته يد الأيام حين صفا [1]

- إن الله عز وجل يخلص إلى القلوب من بره حسبما خلصت القلوب به إليه من ذكره فانظر ماذا خالط قلبك.

- يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه ويا بادئ العارفين بما به عرفوه ويا موفق العاملين لصالح ما عملوه من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك ومن ذا الذي يذكرك إلا بفضلك.

- وكتب إلى بعض إخوانه: الحمد لله الذي استخلص لنفسه صفوة من خلقه وخصهم بالعلم والمعرفة به فاستعملهم بأحب الأعمال إليه وأقربها من الزلفى لديه وبلغهم من ذلك الغاية القصوى والذروة المتناهية العليا وبعد فإني أوصيك بترك الالتفات إلى كل حال ماضية فإن الالتفات إلى ما مضى شغل عما يأتي من الحالة الكائنة وأوصيك بترك الملاحظة للحال الكائنة وبترك المنازلة لها بجولان الهمة لملتقي المستقبل من الوقت الوارد بذكر مورده ونسق ذكر موجوده فإنك إذا كنت هكذا كنت تذكر من هو أولى ولا تضرك رؤية الأشياء وأوصيك بتجريد الهم وتفريد الذكر ومخالصة الرب بذلك كله واعمل على تخليص همك من همك لهمك واطلب الخالص من ذكر الله جل ثناؤه بقلبك وكن حيث يراك لما يراد لك ولا تكن حيث يراد لك لما تريد لنفسك واعمل على محو شاهدك من شاهدك حتى يكون الشاهد عليك شاهداً لك بما يخلص من شاهدك واعلم أنه

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٨.

إن كنت كلك له كان لك بكل الكل فيما تحبه منه فكن مؤثراً له بكل من انبسط له منك ومنه بدا لك ومنه به يبسط عليك ما لا يحيط به علمك ولا تبلغ إليه أمانيك وآمالك وإذا بليت بمعاشرة طائفة من الناس فعاشرهم على مقادير أماكنهم وكن مشرفاً عليهم بجميل ما آتاك الله وفضلك به وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم [١].

- وسئل عن الرضا فقال: سألتم عن العيش الهنيء وقرة العين من كان عن الله راضياً قال بعض أهل العلم: أهنأ العيش عيش الراضين عن الله فالرضا استقبال ما نزل من البلاء بالطاقة والبشر وانتظار مالم ينزل منه بالتفكر والاعتبار وذلك أن ربه عنده أحسن صنعاً به وأرحم به وأعلم بما يصلحه فإذا نزل القضاء لم يكرهه وكان ذلك إرادته مستحسناً ذلك الفعل من ربه فإذا عد ما نزل به إحساناً من الله عز وجل فقد رضي فالرضى هو الإرادة مع الاستحسان أن يكون مريداً لما صنع محباً راضياً عن الله بقلبه.

- وكتب إلى بعض إخوانه كتاباً يقول فيه: إن الله جل ثناؤه لا يخلي الأرض من أوليائه ولا يعريها من أحبائه ليحفظ بهم من جعلهم سبباً لحفظه ويحفظ بهم من جعلهم سبباً لكونه وأنا أسأل المنان بفضله وطوله أن يجعلنا وإياك من الأمناء على سره الحافظين لما استحفظوه من جليل أمره تجميلاً منه لنا بأعظم الرتب وإشرافاً بنا على كل ظاهر ومحتجب وقد رأيت الله تعالى وتقدست أسماؤه زين بسيط أرضه وفسيح سعة ملكه بأوليائه وأولي العلم به وجعلهم أبهج

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٩.

لامع سطع نوره وعن لقلوب العارفين ظهوره وهم أحسن زينة من السماء البهجة بضياء نجومها ونور شمسها وقمرها أولئك أعلام لمناهج سبيل هدايته ومسالك طرق القاصدين إلى طاعته ومنار نور على مدارج الساعين إلى موافقته وهم أبين في منافع الخليقة أثراً وأوضح في دفاع المضار عن البرية خيراً من النجوم التي بها في ظلمات البر والبحر يهتدي وبآثارها عند ملتبس المسالك يقتدى لأن دلالات النجوم تكون بها نجاة الأموال والأبدان ودلالات العلماء بها تكون سلامة الأديان وشتان ما بين من يفوز بسلامة دينه وبين من يفوز بسلامة دنياه وبدنه [١].

- سئل الجنيد بن محمد عن المحبة أمن صفات الذات أم من صفات الأفعال فقال: إن محبة الله لها تأثير في محبوبه بين فالمحبة نفسها من صفات الذات ولم يزل الله تعالى محباً لأوليائه وأصفيائه فأما تأثيرها فيمن أثرت فيه فإن ذلك من صفات الأفعال فاعلم أرشدك الله للصواب [٢].

- اعلم أنه إذا عظمت فيك المعرفة بالله وامتلأ من ذلك قلبك وانشرح بالانقطاع إليه صدرك وصفا لذكره فؤادك واتصل بالله فهمك ذهبت آثارك وامتحيت رسومك واستضاءت بالله علومك فعند ذلك يبدو لك علم الحق [٣].

- لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها لك في طاعة ربك.

- متى أردت أن تتشرف بالعلم وتنسب إليه وتكون من أهله قبل

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٨.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٢٨١.
(٣) حلية الأولياء، ١٠ /٢٨١.

أن تعطى العلم ماله عليك احتجب عنك نوره وبقي عليك وسمه وظهوره ذلك العلم عليك لا لك وذلك أن العلم يشير إلى استعماله وإذا لم يستعمل العلم في مراتبه رحلت بركاته.

- يقول: الإنسان لا يعاب بما في طبعه إنما يعاب إذا فعل بما في طبعه.

- قال أبو القاسم الحفار: سمعت الجنيد وقد سأله رجل كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقال: توبة تحل الإصرار وخوف يزيل الغرة ورجاء مزعج إلى طريق الخيرات ومراقبة الله في خواطر القلوب [(١)].

- من طلب عزاً بباطل أورثه الله ذلاً بحق.

- من هم بذنب لم يفعله ابتلي بهم لم يعرفه.

- الصوفية أهل بيت واحد، لا يدخل فيهم غيرهم.

- الأدب أدبان: أدب السر، وأدب العلانية. فالأول طهارة القلب من العيوب، والعلانية حفظ الجوارح من الذنوب.

- علمني شيئاً يقربني إلي الله وإلي الناس، فقال: أما الذي يقربك إلي الله فمسألته، وأما الثاني فترك مسألتهم.

- معاشر الفقراء! إنما عرفتم بالله، وتكرمون له؛ فإذا خلوتم به فانظروا كيف تكونون معه.

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٦٩.

- الأرواح خلقت من الأفراح، فإذا لقيت الروح من أحبها أنست، وإذا لقيت غير ذلك كمدت " (١)

- كان يعارضني في بعض أوقاتي أن أجعل نفسي كيوسف وأكون أنا كيعقوب فأحزن على نفسي لما فقدت منها كما حزن يعقوب على فقده ليوسف فمكثت أعمل مدة فيما أجده على حسب ذلك.

- أعلى درجة الكبر وشرها أن ترى نفسك ودونها وأدناها في الشر أن تخطر ببالك.

- قيل للجنيد: هل عاينت أو شاهدت قال لو عاينت تزندقت ولو شاهدت تحيرت ولكن حيرة في تيه وتيه في حيرة

- حرم الله المحبة على صاحب العلاقة قال: وسئل الجنيد عن الدنيا ما هي؟ قال: ما دنا من القلب وشغل عن الله (٢).

- لا تكون عبد الله بالكلية حتى لا تبقى عليك من غير الله بقية.

- لا تكون عبد الله حقاً وأنت لشيء سواه مسترقا (٣).

- اعلم أن المناصحة منك للخلق والإقبال على ما هو أولى بك فيك وفيهم أفضل الأعمال لك في حياتك وأقربها إلى أوليائك في وقتك واعلم أن أفضل الخلق عند الله منزلة وأعظمهم درجة في كل وقت وزمن وفي كل محل ووطن أحسنهم إحكاماً لما عليه في نفسه وأسبقهم بالمسارعة إلى الله فيما يحبه وأنفعهم بعد ذلك لعباده فخذ

---

(١) وفيات الأعيان، ١ /٣٧٤.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٣.
(٣) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٤.

بالحظ الموفر لنفسك وكن عاطفاً بالمنافع على غيرك واعلم أنك لن تجد سبيلاً تسلكه إلى غيرك وعليك بقية مفترضة من حالك واعلم أن المؤهلين للرعاية إلى سبيل الهداية والمرادين لمنافع الخليقة والمرتبين للنذارة والبشارة أيدوا بالتمكين وأسعدوا براسخ علم اليقين وكشف لهم عن غوامض معالم الدين وفتح لهم في فهم الكتاب المستبين فبلغوا ما أنعم به عليهم من فضله وجاد به من عظيم أمره إحكام ما به أمروا والمسارعة إلى ما إليه ندبوا والدعاية إلى الله بما به مكنوا وهذه سيرة الأنبياء صلوات الله عليهم فيمن بعثوا إليهم من الأمم وسيرتهم في تأدية ما علموه من الحكم وسيرة المتبعين لآثارهم من الأولياء والصديقين وسائر الدعاة إلى الله من صالحي المؤمنين (١)

ومن دعائه ـ رحمه الله:

ـ اللهم إني أسألك منك ما هو لك وأستعيذك من كل أمر يسخطك اللهم إني أسألك من صفاء الصفاء صفاء أنال به منك شرف العطاء اللهم ولا تشغلني شغل من شغله عنك ما أراد منك إلا أن يكون لك اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذاكره منك إلا ما هو لك اللهم اجعل غاية قصدي إليك ما أطلبه منك اللهم املأ قلبي بك فرحاً ولساني لك ذكراً وجوارحي فيما يرضيك شغلاً اللهم امح عن قلبي كل ذكر إلا ذكرك وكل حب إلا حبك وكل ود إلا ودك وكل إجلال إلا إجلالك وكل تعظيم إلا تعظيمك وكل رجاء إلا لك وكل خوف إلا منك وكل رغبة إلا إليك وكل رهبة إلا لك وكل سؤال إلا منك اللهم اجعلني ممن لك يعطي ولك يمنع وبك يستعين وإليك يلجأ

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٨٤.

وبك يتعزز ولك يصبر وبحكمك يرضى اللهم اجعلني ممن يقصد إليك قصد من لا رجوع له إلا إليك اللهم اجعل رضائي بحكمك فيما ابتليتني في كل وقت متصلاً غير منفصل واجعل صبري لك على طاعتك صبر من ليس له عن الصبر صبر إلا القيام بالصبر واجعل تصبري عما يسخطك فيما نهيتني عنه تصبر من استغنى عن الصبر بقوة العصمة منك له اللهم واجعلني ممن يستعين بك استعانة من استغنى بقوتك عن جميع خلقك اللهم واجعلني ممن يلجأ إليك لجأ من لا ملجأ له إلا إليك واجعلني ممن يتعزى بعزائك ويصبر لقضائك أبداً ما أبقيتني اللهم وكل سؤال سألته فمن أمر منك لي بالسؤال فاجعل سؤالي لك سؤال محابك ولا تجعلني ممن يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ بل يسأل القيام بواجب حقك (١)

- الحمد لله إلهي حمداً كإحصاء علمك حمداً يرقى إليك على الألسنة الطاهرة مبرأ من زيغ وتهمة معرى من العاهات والشبهات قائماً في عين محبتك بحنين صدق إخلاصه ليكون نور وجهك العظيم غايته وقدس عظمتك نهايته لا يستقر إلا عند مرضاتك خالصاً بوفاء إرادتك نصب إرادتك حتى يكون لمحامدك سائقاً قائداً إلهي ليس في أفق سمواتك ولا في قرار أرضك في فسحات أقاليمها من يحب أن يحمد غيرك إذ أنت منشئ المنشآت لا تعرف شيئاً إلا منك وكيف لا تعرفك الأشياء ولم يقر الخلق إلا لك وبدؤه منك وأمره إليك وعلانتيه وسره محصى في إرادتك فأنت المعطي والمانع وقضاؤك الضار والنافع وحلمك يمهل خلقك وقضاؤك يمحو ما تشاء من قدرك تحدث ما شئت أن تحدثه وتستأثر بما شئت أن تستأثره

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٨٢.

وتخلق ما أنت مستغن عن صنعه وتصنع ما يبهر العقول من حسن حكمته لا تسأل عما تفعل لك الحجة فيما تفعل وعندك أزمة مقادير البشر وتصاريف الدهور وغوامض سر النشور ومنك فهم معرفة الأشخاص الناطقة بتفريدك لا يغيب عنك ما في أكنة سرائر الملحدين ولا يتوارى عن علمك اكتساب خواطر المبطلين ولا يهيم في قضائك إلا الجاهلون ولا يغفل عن ذكرك وشكرك إلا الغافلون ولا تحتجب عنك وساوس الصدور ولا وهم الهواجس ولا إرادة الهمم ولا عيون الهمم التي تخرج بصائر القلوب إلهي فكيف أنظر إن نظرت إلا إلى رحمتك وإن غضضت فعلى نعمك فمن فضلك جعلت حكمك يحتمل على عطفك ومن فضلك جعلت نعمك تعم جميع خلقك فهب لي من لدنك ما لا يملك غيرك مما تعلمه يا وهاب يا فعال لما يريد واجعلني من خاصة أوليائك يا خير مدعو وأكرم راحم إنك أنت على كل شيء قدير [١].

- الحمد لله حمداً دائماً كثيراً طيباً مباركاً موفوراً لا انقطاع له ولا زوال ولا نفاد له ولا فناء كما ينبغي لكريم وجهك وعز جلالك وكما أنت أهل الحمد في عظيم ربوبيتك وكبريائك ولك من كل تسبيح وتقديس وتمجيد وتهليل وتحميد وتعظيم ومن كل قول حسن ذلك جميل ترضاه مثل ذلك اللهم صل على عبدك المصطفى المنتخب المختار المبارك سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى أشياعه وأتباعه وأنصاره وإخوانه من النبيين وصل اللهم على أهل طاعتك

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٨٣.

أجمعين من أهل السموات والأرضين وصل على جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك اللهم وصل على الكروبيين والروحانيين والمقربين والسياحين والحفظة والسفرة والحملة وصل على ملائكتك وأهل السموات وأهل الأرضين وحيث أحاط بهم علمك في جميع أقطارك كلها صلاة ترضاها وتحبها وكما هم لذلك كله أهل وأسألك اللهم بجودك ومجدك وبذلك وفضلك وطولك وبرك وإحسانك ومعروفك وكرمك وبما استقل به العرش من عظم ربوبيتك أسألك يا جواد يا كريم مغفرة كل ما أحاط به علمك من ذنوبنا والتجاوز عن كل ما كان منا واد اللهم مظالمنا وقم بأودنا في تبعاتنا جوداً منك ومجداً وبذلاً منك وطولاً وبدل قبيح ما كان منا حسنا يا من يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب أنت كذلك لا كذلك غيرك اعصمنا فيما بقي من الأعمار إلى منتهى الآجال عصمة دائمة كاملة تامة وكره إلينا كل الذي تكره وحبب إلينا كل الذي ترضاه وتحبه واستعملنا به على النحو الذي تحب وأدم ذلك لنا إلى أن تتوفانا عليه أكد على ذلك عزائمنا واشدد عليها نياتنا وأصلح لها سرائرنا وابعث لها جوارحنا وكن ولي توفيقنا وزيادتنا وكفايتنا هب لنا اللهم هيبتك وإجلالك وتعظيمك ومراقبتك والحياء منك وحسن الجد والمسارعة والمبادرة إلى كل قول زكي حميد ترضاه وهب لنا اللهم ما وهبت لصفوتك وأوليائك وأهل طاعتك من دائم الذكر لك وخالص العمل لوجهك على أكمله وأدومه وأصفاه وأحبه إليك وأعنا على العمل بذلك إلى منتهى الآجال اللهم وبارك لنا في الموت إذا نزل بنا أجعله يوم حباء وكرامة وزلفى وسرور واغتباط ولا تجعله يوم ندم ولا يوم أسى وأوردنا من قبورنا على سرور وفرح وقرة عين واجعلها رياضاً من

رياض جنتك وبقاعاً من بقاع كرامتك ورأفتك ورحمتك لقنا فيها الحجج وآمنا فيها من الروعات واجعلنا آمنين مطمئنين إلى يوم تبعثنا يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه لا ريب في ذلك اليوم عندنا آمنا من روعاته وخلصنا من شدائده واكشف عنا عظيم كربه واسقنا من ظمئه واحشرنا في زمرة محمد ﷺ المصطفى الذي انتخبته واخترته وجعلته الشافع لأوليائك المقدم على جميع أصفيائك الذي جعلت زمرته آمنة من الروعات أسألك يا من إليه لجؤنا إليه إيابنا وعليه حسابنا أن تحاسبنا حساباً يسيراً لا تقريع فيه ولا تأنيب ولا مناقشة ولا مواقفة عاملنا بجودك ومجدك كرماً واجعلنا من السرعان المغبوطين واعطنا كتبنا بالأيمان وأجزنا الصراط مع السرعان وثقل موازيننا يوم الوزن ولا تسمعنا لنار جهنم حسيساً ولا زفيرا وأجرنا منها ومن كل ما يقرب إليها من قول وعمل واجعلنا بجودك ومجدك وكرمك في دار كرامتك وحبورك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا واجمع بيننا وبين آبائنا وأمهاتنا وقراباتنا وذرياتنا في دارة قدسك ودار حبورك على أفضل حال وأسرها وضم إلينا إخواننا الذين هم على ألفتنا والذين كانوا على ذلك من كل ذكر وأنثى بلغهم ما أملوه وفوق ما أملوه واعطهم فوق ما طلبوه واجمع بيننا وبينهم في دار قدسك ودار حبورك على أفضل حال وأسرها وعم المؤمنين والمؤمنات جميعاً برأفتك ورحمتك الذين فارقوا الدنيا على توحيدك كن لنا ولهم ولياً كالئاً كافياً وارحم جفوف أقلامهم ووقوف أعمالهم وما حل بهم من البلاء والأحياء منهم تب على مسيئهم واقبل توبتهم وتجاوز عن المسرف منهم وانصر مظلومهم واشف مريضهم وتب علينا وعليهم

توبة نصوحاً ترضاها فإنك الجواد بذلك المجيد به القادر عليه وكن اللهم للمجاهدين منهم ولياً وكالئاً وكافياً وناصراً وانصرهم على عدوهم نصراً عزيزاً واجعل دائرة السوء على أعدائك وأعدائنا اسفك الله دماءهم وأبح حريمهم واجعلهم فيئاًلإخواننا من المؤمنين وأصلح الراعي والرعية وكل من وليته شيئاًمن أمور المسلمين صلاحاً باقياً دائماً اللهم أصلحهم في أنفسهم وأصلحهم لمن وليتهم عليهم وهب لهم العطف والرأفة والرحمة بهم وأدم ذلك لنا فيهم ولهم في أنفسهم اللهم اجمع لنا الكلمة واحقن الدماء وأزل عنا الفتنة وأعذنا من البلاء كله تقول ذلك لنا بفضلك من حيث أنت به أعلم وعليه أقدر ولا ترنا في أهل الإسلام سيفين مختلفين ولا ترنا بينهم خلافاً اجمعهم على طاعتك وعلى ما يقر إليك فإنك ولي ذلك وأهله اللهم إنا نسألك إن تعزنا ولا تذلنا وترفعنا ولا تضعنا وتكون لنا ولا تكن علينا وتجمع لنا سبيل الأمور كلها أمور ا لدنيا التي هي بلاغ لنا إلى طاعتك ومعونة لنا على موافقتك وأمور الآخرة التي فيها أعظم رغبتنا وعليها معولنا وإليها منقلبنا فإن ذلك لا يتم لنا إلا بك ولا يصلح لنا إلا بتوفيقك اللهم وهب لنا هيبتك وإجلالك وتعظيمك وما وهبت لخاصتك من صفوتك من حقيقة العلم والمعرفة بك من علينا بما مننت به عليهم من آياتك وكراماتك واجعل ذلك دائماً لنا يا من له ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير اللهم وهب لنا العافية الكاملة في الأبشار وجميع الأحوال وفي جميع الإخوان والذريات والقرابات وعم بذلك جميع المؤمنين والمؤمنات أجر علينا من أحكامك أرضاها لك وأحبها إليك وأعونها على كل مقرب من قول وعمل يا سامع الأصوات ويا عالم الخفيات ويا جبار السموات صل

على عبدك المصطفى محمد وعلى آل محمد أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً واسمع واستجب وافعل بنا ما أنت أهله يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين [١].

ومن شعره ـ رحمه الله:

هل من سبيل إلى حبيب ::: أوقفني موقف العبيد
والله والله لو بدأني ::: بكل ضرب من الصدود
ما كان لي من هواه بد ::: ولو تقطعت بالوجود
تحمل عظيم الجرم ممن تحبه ::: وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم
أناس أمناهم فنموا حديثنا ::: فلما كتمنا السر عنهم تقولوا
ولم يحفظوا الود الذي كان بيننا ::: ولا حين هموا بالقطيعة أجملوا [٢]
إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها ::: فلم تلبث النفس التي أنت قوتها
القلب محترق والدمع مستبق ::: والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له ::: مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب إن كان شيء فيه لي فرج ::: فامنن علي به ما دام لي رمق [٣]
نون الهوان من الهوى مسروقة ::: فصريع كل هوى صريع هوان
قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم ::: فكدرته يد الأيام حين صفا [٤]
سرت بناس في الغيوب قلوبهم ::: وجالوا بقرب الماجد المتفضل
ونالوا من الجبار عطفاً ورأفة ::: وفضلًا وإحساناً وبراً يعجل
أولئك نحو العرش هامت قلوبهم ::: وفي ملكوت العز تأوي وتنزل [٥]

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٨٥.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٢٦٨.
(٣) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٣.
(٤) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٨.
(٥) حلية الأولياء، ١٠ /٢٨٤.

- وسئل الجنيد عن التوحيد، فأنشد قائلا:

وغـــــني لي مـــــن قلـــــبي ::: وغنيـــــت كـــــم غـــــني
وكنـــــا حيثمـــــا كـــــانوا ::: وكـــــانوا حيثمـــــا كنـــــا
وإن امـــرءاً لم يصـــف لله قلبـــه ::: لفي وحشة من كل نظـــرة نـــاظر
وإن امـــرءاً لم يرتحـــل ببضـــاعة ::: إلى داره الأخرى فلـــيس بتـــاجر
وإن امـــرءاً بـــاع دنيـــا بدينـــه ::: لمنقلـــب منـــها بصـــفقة خاســـر

- كان الجنيد يقول:

لِسَـــانِي كَتُـــومٌ لأســـرَارِكُم ::: وَدَمعـــي نَمُـــومٌ لســـرّي مُـــذِيعْ
وَلَوْلا دُمُـــوعي كَتَمـــتُ الهَـــوَى ::: وَلَوْلا الهوى لم تكـــنْ لي دُمُـــوعْ

- وسئل عن الفقر فأنشأ يقول:

لا الفقر عار ولا الغـــنى شـــرف ::: ولا شـــئ في طاعـــة ســـرف(١)

* * *

(١) طبقات الأولياء، ص ٢١.

الإمام بنان الحمال

أعـــلام التصــوف

الإمام بنان الحمال

الإمام، المحدث، الزاهد، شيخ الإسلام، أبو الحسن بنان بن محمد ابن حمدان بن سعيد الواسطي، نزيل مصر، ومن يضرب بعبادته المثل.

تلقى العلم عن الحسن بن محمد الزعفراني، والحسن بن عرفة، وحميد بن الربيع، وطائفة أخرى من العلماء.

ونقل علمه لنا: ابن يونس، والحسن بن رشيق، والزبير بن عبد الواحد الأسداباذي، وأبو بكر المقرئ، وجماعة كبيرة من العلماء والمحدثين.

وثقه: أبو سعيد بن يونس.

صحب: الجنيد، وغيره.

وقيل: إنه هو أستاذ الحسين أبي النوري، وهو رفيقه، ومن أقرانه.

وكان كبير القدر، لا يقبل من الدولة شيئاً، وله مكانة كبيرة عند الخاص والعام.

وقد عرف عنه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ليس لعامة المسلمين فقط بل اشتهر عنه زجره للخلفاء والأمراء وكان ذلك سبباً في تعرضه للابتلاء وقد امتحن في ذات الله، فصبر، وارتفع شأنه، فنقل أبو عبد الرحمن السلمي:أنه قام إلى وزير خمارويه - صاحب مصر - وكان نصرانياً، فأنزله عن مركوبه، وقال:لا تركب الخيل وعير، كما هو مأخوذ عليكم في الذمة.

فأمر خمارويه بأن يؤخذ، ويوضع بين يدي سبع، فطرح، فبقي ليلة، ثم جاؤوا والسبع يلحسه، وهو مستقبل القبلة، فأطلقه خمارويه، واعتذر إليه.

وقال الحسين بن أحمد الرازي:سمعت أبا علي الروذباري يقول:

كان سبب دخولي مصر حكاية بنان الحمال، وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف، فأمر به أن يلقى بين يدي سبع، فجعل السبع يشمه ولا يضره، فلما أخرج من بين يدي السبع، قيل له:ما الذي كان في قلبك حيث شمك؟

قال: كنت أتفكر في سؤر السباع ولعابها.

قال: ثم ضرب سبع درر، فقال له - يعني: للملك -: حبسك الله بكل درة سنة. فحبس ابن طولون سبع سنين - كذا قال -.

وما علمت خمارويه ولا أباه حبسا.

وذكر إبراهيم بن عبد الرحمن:أن القاضي أبا عبيد الله احتال على بنان حتى ضربه سبع درر، فقال:حبسك الله بكل درة سنة.

فحبسه ابن طولون سبع سنين.

توفي بنان في رمضان، سنة ست عشرة وثلاث مائة، وخرج في جنازته أكثر أهل مصر، وكان شيئاً عجباً من ازدحام الخلائق (١).

---

(١) طبقات الصوفية: ٢٩٤ ٢٩١، حلية الأولياء: ١٠ / ٣٢٥ ٣٢٤، تاريخ بغداد ٧ / ١٠٢ ١٠٠، الرسالة القشيرية: ٢٤، المنتظم: ٦ / ٢١٧، صفة الصفوة ٢ / ٤٥٠ ٤٤٨، العبر: ٢ / ١٦٤ ١٦٣، دول الإسلام: ١ / ١٩١ ١٩٠، الوافي بالوفيات ١٠ / ٢٩٠ ٢٨٩، مرآة الجنان: ٢ / ٢٦٩ ٢٦٨، البداية والنهاية: ١١ / ١٥٩ ١٥٨ طبقات الأولياء: ١٢٤ ١٢٢، النجوم الزاهرة: ٣ / ٢٢١ ٢٢٠، حسن المحاضرة ١ / ٥١٣ ٥١٢، شذرات الذهب: ٢ / ٢٧١، ٢٧٣، سير أعلام النبلاء، ١٤ /٤٨٨.

مواقف من حياته ـ رحمه الله:

خذها، وأطعم الحلواء صبيانك

يروى:أنه كان لرجل على آخر دين مائة دينار، فطلب الرجل الوثيقة، فلم يجدها، فجاء إلى بنان ليدعو له، فقال:أنا رجل قد كبرت، وأحب الحلواء، اذهب اشتر لي من عند دار فرج رطل حلواء حتى أدعو لك.

ففعل الرجل، وجاء، فقال بنان:افتح ورقة الحلواء.

ففتح، فإذا هي الوثيقة، فقال:هي وثيقتي.

قال:خذها، وأطعم الحلواء صبيانك (١).

أوصني!

قال: " بينا أنا أسير بين مكة والمدينة، وإذا شخص قد تراءى لي، فأممت نحوه، فلما قربت منه سلمت عليه، وقلت له: " أوصني! " فقال: " يا بنان! إن كان الله قد أعطاك من سر سره سراً، فكن مع ما أعطاك؛ وإن كان الله لم يعطك من سر سره سراً فكن مع الناس على ما هم عليه من الظاهر ".

أليس حبيبك معك؟ !

وقال: " دخلت البرية - على طريق تبوك - وحدي، فاستوحشت، فإذا هاتف يهتف: يا بنان! نقضت العهد! لم تستوحش؟ ! أليس حبيبك معك؟ ! " (٢).

(١) سير أعلام النبلاء، ١٤ /٤٨٩.
(٢) تاريخ بغداد، ٧ /١٠١.

من كلامه ـ رحمه ا لله:

- علامة سكون القلب إلى الله: أن يكون بما في يد الله أوثقُ منه بما في يده.

- اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام.

- الحر عبد ما طمع، والعبد حر ما قنع.

- متى يفلح من يسره ما يضره؟ !

- رؤية الأسباب على الدوام قاطعة عن مشاهدة المسبب، والإعراض عن الأسباب جملة يؤدي بصاحبه إلى ركوب الباطل (١).

- البريء جريء والخائن خائف ومن أساء استوحش (٢).

- من أنس بغير الله في الخلوة فهو أبداً في وحشة.

ومن شعره ـ رحمه الله:

وتكلم يوماً في المحبة بكلام عجيب، ثم أنشد:

لحانى العاذلون، فقلت: مهلا! ::: فإنى لا أرى فى الحب عارا

فقالوا: قد خلعت! فقلت: لسنا ::: بأول عاشق خلع العذارا

– من دعانا فأبينا ::: فله الفضل علينا

فإذا نحن أجبنا ::: رجع الفضل إلينا(٣)

* * *

(١) سير أعلام النبلاء، ١٤ /٤٨٩.
(٢) تاريخ بغداد، ٧ /١٠١.
(٣) تاريخ بغداد، ٧ /١٠١.

داود الطائي

أعـــلام التصــوف

داود الطائي

إنه من لو وزن بأهل الأرض لوزنهم فضلاً وصلاحاً، من لم يكن في حلقة أبي حنيفة أرفع صوتاً منه، من قال عنه معاصروه لو كان في الصحابة لبرز عليهم ولو كان في الأمم الماضية لقص الله علينا من خبره.

إنه الإمام الرباني داود بن نصير الطائي أبو سليمان أصله من خراسان وانتقل إلى الكوفة ونشأ بها سمع عبد الملك بن عمير وحبيب بن أبي عمرة وسليمان الأعمش ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى؛ روى عنه إسماعيل بن عيينة ومصعب بن المقدام وأبو نعيم الفضل بن دكين وغيرهم؛ وكان داود ممن شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه وغيره من العلوم ثم اختار بعد ذلك العزلة وآثر الانفراد والخلوة فلزم العبادة واجتهد فيها إلى آخر عمره، وقدم بغداد في أيام المهدي ثم عاد إلى الكوفة وفيها كانت وفاته سنة ١٦٥ هـ.

وكان بدء توبته أنه دخل المقبرة، فسمع امرأة عند قبر تقول:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ::: لقاؤك لا يرجى وأنت قريب
نريد تلاقي كل يوم وليلة ::: وتبلى كما تبلى وأنت حبيب

وقيل: سبب زهده أنه سمع نائحة تندب وتقول:

بأي خديك تبدى البلى ::: وأي عينيك إذا سالتا؟ (١)

ولما مات جاء الفقيه ابن السماك ووقف على قبره ثم قال:

أيها الناس إن أهل الزهد في الدنيا تعجلوا الراحة على أبدانهم مع

(١) أخبار أبي حنيفة، ١٢٣.

يسير الحساب غداً عليهم، وإن أهل الرغبة فيها تعجلوا التعب على أبدانهم مع ثقل الحساب غداً عليهم، والزهادة راحة لصاحبها في الدنيا والآخرة، والرغبة تعب لصاحبها في الدنيا والآخرة؛ رحمك الله أبا سليمان ما كان أعجب شأنك، ألزمت نفسك الصبر حتى قومتها: أجعتها وإنما تريد شبعها، وأظمأتها وإنما تريد ريها، أخشنت المطعم وإنما تريد طيبه، أخشنت الملبس وإنما تريد لينه؛ أبا سليمان: أما كنت تشتهي من الطعام طيبه، ومن الماء بارده، ومن اللباس لينه بلى ولكن أخرت ذلك لما بين يديك، فما أراك إلا قد ظفرت بما طلبت وما إليه رغبت، فما أيسر ما ضيعت، وأحقر ما فعلت في جنب ما أملت، فمن سعى مثلك عزم عزمك وصبر صبرك، آنس ما يكون إذا كنت بالله خالياً وأوحش ما يكون آنس ما يكون الناس. سمعت الحديث وتركت الناس يحدثون وتفهمت في دين الله وتركتهم يفتون. لا تقبل من السلطان عطية، ولا من الإخوان هدية، سجنت نفسك في بيتك فلا محدث لك، ولا ستر على بابك، فلو رأيت جنازتك وكثرة تابعك علمت أنه قد شرفك وأكرمك وألبسك رداء عملك، فلو لم يرغب عبد في الزهد في الدنيا إلا لمحبة هذا الستر الجميل والتابع الكثير لكان حقيقاً بالاجتهاد، فسبحان من لا يضيع مطيعاً ولا ينسى لأحد صنيعاً.

[وقيل إن ابن السماك لما قام على قبر داود قال: رحمك الله يا داود! كنت تسهر ليلك والناس نائمون، وكنت تربح إذ الناس يخسرون، فقال الناس جميعاً: صدقت؛ وكنت تسلم إذ الناس يخوضون، فقال الناس جميعاً: صدقت؛ حتى عدد فضائله كلها. ولما فرغ قام أبو بكر النهشلي فحمد الله ثم قال: يا رب إن الناس قد قالوا

ما عندهم مبلغ ما علموا، اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله، وفرغ من دفنه وقام الناس [(١)].

وقيل إنه صام أربعين سنة ما علم به أحد من أهله، فكان يحمل غذاءه معه ويتصدق به في الطريق ويرجع إلى أهله يفطر عشاء، ولا يعلمون أنه صائم.

وقال له رجل: ألا تسرح لحيتك قال: إني عنها مشغول.

وقالت أخته: لو تنحيت عن الشمس، فقال: هذه خطي لا أدري كيف تكتب.

مواقف من حياته رحمه الله:

لا ذاق داود تمراً ما دام في الدنيا

قال الوليد بن عقبة: كان يخبز لداود الطائي ستون رغيفاً فيعلقها بشريط ويفطر كل ليلة على رغيفين وملح وماء فأتي ليلة بفطره فجعل ينظر اليه ومولاة له تنظر إليه فقامت فجاءته بشيء من تمر فأفطر ثم قام فصلى حتى أصبح ثم أصبح صائماً فلما جاء وقت الإفطار أخذ الرغيفين وجعل ينظر إليهما قال الوليد بن عقبة: فحدثني جار له قال: سمعته يعاتب نفسه ويقول: اشتهيت البارحة تمراً قد أطعمتك واشتهيت الليلة تمراً لا ذاق داود تمراً ما دام في الدنيا فما ذاقه حتى مات.

---

(١) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٣٤، أخبار أبي حنيفة، ١٢٣، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ١ / ٥٤٠، تاريخ بغداد، ٨: ٣٤٧، طبقات الشيرازي، ص ٤٠، تهذيب التهذيب، ٣: ٢٠٣، حلية الأولياء ٧: ٣٣٥؛ وفيات الأعيان، ٢ / ٢٦٠.

فكان في اعتزالي أكثر العافية

قال القاسم بن معن: لما اعتزل داود الطائي أتيته فقلت: يا أبا سليمان تركت إخوانك ومجالسة من يذاكرك العلم فسكت طويلا ثم قال: رحمك الله إني رأيت قلوباً لاهية وألسنة مؤتلفة وهمماً مختلفة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة فكان في اعتزالي أكثر العافية.

لقد هان الخلق على داود

عن حبان بن علي قال: احتاج الحسن بن قحطبة أن يسأل داود الطائي عن مسألة فهابه أن يأتيه وحده فقال لرجل من وجوه طيء وشيوخها: إني احتجت إلى لقاء داود فكن معي فأتياه فدخلا وسلما عليه ورد السلام عليهما فلما عرف ابن قحطبة تقبض وجعل لا ينظر إليهما فابتدأ الحسن فسأله عن المسألة فلم يجبه ولم يكلمه فأعاد عليه فأعرض بوجهه عنه فلما رأى ذلك ابن قحطبة خرج وتوقف الشيخ عنده فقال له: يا أبا سليمان يجيئك ابن عم لك يسألك من مسألة من أمر دينه فلا تجيبه فنظر إليه نظرة منكرة ثم قال{ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾} [المؤمنون: ١٠١]، فقام الشيخ مبادراً فأصاب ابن قحطبة ينتظره فأخبره فقال ابن قحطبة: لقد هان الخلق على داود طوبى له ثم ذهب.

وهى تريد الجنة غداً

ويروى أنه خرج يوماً إلى السوق، فرأى الرطب، فاشتهته نفسه، فجاء إلى البائع فقال: " أعطني بدرهم إلى الغد ". فقال له: " اذهب إلى عملك " فرآه بعض من يعرفه، فأخرج له صرة فيها مائة درهم، وقال له: " اذهب فإن أخذ منك بدرهم رطباً فالمائة لك ". فلحقه البائع، وقال له: " ارجع خذ حاجتك " فقال: لا حاجة لي فيه.

أنا جربت هذه النفس، فلم أرها تسوى فى هذه الدنيا درهماً، وهى تريد الجنة غداً ".

كان لنا عند الله مذخورا

عن حماد بن أبي حنيفة أن مولاة لداود الطائي كانت تخدمه فقالت له: لو صنعت لك دسماً قال: وددت فطبخت له شحماً وجاءت به فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان قالت: على حالهم قال: اذهبي به إليهم قالت فديتك إنك لم تأكل أدماً منذ كذا وكذا قال: إن هذا إذا أكلوه كان لنا عند الله مذخوراً وإذا أكلته كان في الحش [1].

أقل من إتياني

قال نعيم بن يعقوب: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كنت ربما أتيت داود الطائي فإذا أتيته تبينت ثقل موضعي عليه وأراه يتململ فقال لي يوماً يا سفيان أما لك شغل يا سفيان أقل من إتياني [2].

ولما شبت صرت مرائياً

ودخل عليه رجل، فقال له: " ما حاجتك؟ "، قال: " زيارتك " فقال: " أما أنت فقد فعلت خيراً حين زرت، ولكن انظر ما ينزل بي أنا، إذا قال لي: من أنت لتزار؟ . من الزهاد؟ والله. أنت من العباد؟ لا والله. أنت من الصالحين؟ . لا والله ". ثم أقبل يوبخ نفسه " كنت في الشبيبة فاسقاً، ولما شبت صرت مرائياً ".

(١) أخبار أبي حنيفة، ١ / ١٢١.
(٢) أخبار أبي حنيفة، ١٢٣.

وأنا أستحي من الله

ودخل عليه بعض أصحابه، فرأى جرة ماء، قد انبسطت عليها الشمس، فقال له: " ألا تحملها إلى الظل؟ " فقال: " حين وضعتها لم يكن شمس، وأنا أستحي من الله أن يراني أمشى لما فيه حظ نفسي ".

أدعه حتى أشتهيه

ودخل عليه رجل، فوجده يأكل ملحاً جريشاً بخبز يابس، فقال له: " كيف يشتهى هذا؟ " قال: " أدعه حتى أشتهيه " (١).

تلك ضالة لا توجد

وأتاه الفضيل بن عياض يعوده فقال له: أقلل من زيارتنا فإني خليت الناس فجاءه يوماً ولم يفتح له الباب فقعد فضيل يبكي فى الخارج وداود فى الداخل فقال له: دلني على رجل أجلس إليه قال: تلك ضالة لا توجد (٢).

كنت أخاصم نفسي

وقال إسماعيل بن حسان: جئت إلى باب داود الطائي فسمعته يخاطب نفسه فظننت أن عنده أحداً، فأطلت القيام على الباب ثم استأذنت فدخلت، فقال: ما بدا لك في الاستئذان قلت: سمعتك تتكلم فظننت أن عندك أحداً، قال: لا ولكن كنت أخاصم نفسي؛ اشتهت البارحة تمراً فخرجت فاشتريت لها، فلما جئت اشتهت جزراً، فأعطيت الله عهداً أن لا آكل تمراً ولا جزراً حتى ألقاه.

(١) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٣٤.
(٢) عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ١ / ٥٤٠.

عتق رقابنا من الرق

وقدم محمد بن قحطبة الكوفة فقال: أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي حافظ لكتاب الله تعالى عالم بسنة رسول الله ﷺ وبالآثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس؛ فقيل له: ما يجمع هذه إلا داود الطائي، فسير إليه بدرة عشرة آلاف درهم، وقال: استعن بها على دهرك، فردها فوجه إليه بدرتين مع غلامين مملوكين وقال لهما: إن قبل البدرتين فأنتما حران، فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلهما، فقالا: إن في قبولهما عتق رقابنا من الرق، فقال لهما: إني أخاف أن يكون في قبولهما وهق رقبتي في النار، رداهما إليه وقولا له: إن ردهما على أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا.

فما أبقيت لآخرتي

قال أبو الربيع الأعرج: دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب فقرب لي كسيرات يابسة، فعطشت فقمت إلى دن فيه ماء حار، فقلت: رحمك الله! لو اتخذت دفاً غير هذا يكون فيه الماء بارداً، فقال لي: إذا كنت لا أشرب إلا بارداً ولا آكل إلا طيباً ولا ألبس إلا ليناً، فما أبقيت لآخرتي قال: قلت له: أوصني، قال: صم عن الدنيا، واجعل إفطارك فيها الموت، وفر من الناس فرارك من السبع، وصاحب أهل التقوى إن صحبت فإنهم أخف مؤونة وأحسن معونة، ولا تدع الجماعة، حسبك هذا إن عملت به.

فأني أحب أن أرزق وقتًا من الليل

وقال داود الطائي: ما حسدت أحداً على شيء إلا أن يكون رجلاً يقوم الليل؛ فإني أحب أن أرزق وقتاً من الليل. قال أبو خالد: وبلغني

أنه كان لا ينام الليل، [إذا غلبته عيناه احتبى قاعداً]؛ ومكث عشرين سنة لا يرفع رأسه إلى السماء.

إنما يفعل هذا بالصبيان

وقدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوماً من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي درهم فكان داود الطائي ممن كتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي فقالوا: داود يجيبكم أرسلوا إليه، قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة: نحن نذهب إليه، قال ابن السماك لحماد في الطريق: إذا نحن دخلنا عليه فانثرها بين يديه فإن للعين حظها، فقال حماد: رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردها!! فلما دخلوا عليه فنثروها بين يديه قال: سوءة، إنما يفعل هذا بالصبيان، وأبى أن يقبلها [(١)].

رأيت خيرها كثيراً

قال جعفر بن نفيل الرهبي: رأيت داود الطائي بعد موته فقلت له: كيف رأيت خير الآخرة؟ قال: رأيت خيرها كثيراً، قلت: فماذا صرت إليه قال:

صرت إلى خير الحمد لله، قال فقلت له: هل لك من علم بسفيان ابن سعيد فقال: كان يحب الخير وأهله فرقاه الخير إلى درجة أهل الخير.

---

(١) وفيات الأعيان، ٢ / ٢٦٢.

هذا إن قبلك

لقي رجلٌ داود الطّائي فقال: من أين يا داود وإلى أين؟ قال داود: استوحشت من الناس وأنست بالله تعالى، فقال: يا داود، هذا إن قبلك، فصاح صيحةً وخرّ مغشياً عليه ثم أفاق فقال: نبّهك الله إذ نبّهتني [١].

أحب أن أعيش في عز القناعة

أصابت داود الطائي ضيقة شديدة، فجاءه حماد بن أبي حنيفة بأربعمائة درهم من تركه أبيه، فقال داود: هي من مال رجل ما أقدم عليه أحداً في زهده وورعه وطيب كسبه، ولو كنت قابلاً من أحد شيئاً لقبلتها إعظاماً للميت وإيجاباً للحي، ولكن أحب أن أعيش في عز القناعة [٢].

يقولون ما لا يفعلون

قال ثابت البناني: دخلت على داود الطائي فقال لي: ما حاجتك؟ قلت: زيارتك قال: ومن أنا حتى أزار ليس من العباد أنا لا والله ولا من الزهاد أنا لا والله ثم ضرب بيده على لحيته وأقبل على نفسه يوبخها وقال: كنت في زمن الشباب فاسقاً ثم تبت فصرت مرائياً والله إن المرائي لشر من الفاسق ويقال: كان الناس يراؤن بما يفعلون لا بما يقولون فصاروا يراؤن بما يقولون ولا يفعلون ثم صاروا يراؤن بما لا يقولون ولا يفعلون [٣].

---

(١) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ٣/٣٠، ٤٦/٨.
(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٣، ١٢٤، ١٣٢، ١٨٥، ٣٠٥، ٤٨٧، ٤٨٩.
(٣) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ١ / ٢٣.

أردت أن تخدعني!

وقال عطاء بن مسلم الحلبي: عاش داود عشرين سنة بثلثمائة درهم ينفقها على نفسه، فأتاه ابن أخيه فقال: عم تكره التجارة؟ قال: لا، قال: فأعطني شيئاً أتجر به، قال: فأعطاه ستين درهماً وقال: فمكث شهراً ثم جاءه بعشرين ومائة درهم فقال: هذه ربحها، فقال: أنت كل شهر تربح للدرهم درهماً؟ ينبغي أن يكون عندك بيت مال، أردت أن تخدعني؟ قال: فرمى بها عليه وقال: رد علي رأس مالي.

اللهم غفراً

ودخل رجل على داود الطائي فقال: يا أبا سليمان بعت كل شيء حتى التراب، وبقيت تحت نصف سقف، فلو سويت هذا السقف فكان يكنك من الحر والبرد والمطر، فقال داود: اللهم غفراً، كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام، يا عبد الله، اخرج عني، فقد شغلت قلبي، إنّي أبادر جفوف القلم وطي الصحيفة. قال: يا أبا سليمان، أنا عطشان، قال: اخرج واشرب، فجعل يدور في الدار لا يجد ماء، فرجع إليه فقال: يا أبا سليمان ليس في الدار حب ولا جرة، فقال: اللهم غفراً، بل هناك ماء، فخرج يلتمس فإذا دن من هذه الأصص الذي ينقل فيه الطين وخزفة أسفل كوز فأخذ تلك الخزفة فغرف بها فإذا ماء حار كأنه قد غلي لم يقدر أن يسيغه، فرجع إليه وقال: يا أبا سليمان: مثل هذا الحر؟ الناس يكادون ينسلخون من شدة الحر، ودن مدفون في الأرض وكوز مكسور فلو كانت جريرة وقلة؟ فقال داود: حب حيري وجرة مذارية وقلال منقشة، وجارية حسناء وأثاث وناض - يعني بالناض الدنانير والدراهم •وفضول، لو أردت هذا الذي يشغل القلب لم أسجن نفسي ها هنا، إنما طلقت نفسي من

هذه الشهوات، وسجنت نفسي حتى يخرجني مولاي من سجن الدنيا إلى روح الآخرة. فقال: يا أبا سليمان ففي هذا الحر أين تنام وليس لك سطح؟ قال إني أستحي من مولاي أن يراني أخطو خطوة ألتمس راحة نفسي في الدنيا حتى يكون مولاي هو الذي يخرجني من الدنيا [(١)].

اغتبت رجلاً في هذا الموضع

- مر داود الطائي رحمه الله تعالى يوماً بموضع فوقع مغشياً عليه فحمل إلى منزله فلما أفاق سئل عن ذلك فقال: ذكرت أني اغتبت رجلاً في هذا الموضع فذكرت مطالبته لي بين يدي الله تعالى [(٢)].

ما شعرت بذلك!!

وقال إسحاق بن خلف: كان داود الطائي - رحمه الله تعالى - على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له، قال: فوثب صاحب الدار من فراشه عرياناً وبيده سيف وظن أنه لص، فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف، وقال: من ذا الذي طرحك من السطح، قال: ما شعرت بذلك!!.

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ٤٣.
(٢) الصفوري، زهة المجالس ومنتخب النفائس، ١ / ٧٧، ١٦٧.

لعل تركه أن يكون أنجى

وجاء داود الطائي أحد أصحابه بألفي درهم وقال: هذا شيء جاء الله به لم تطلبه ولم تشره له نفسك. قال داود: إنه لمن أمثل ما يأخذون قال فما يمنعك منه قال: لعل تركه أن يكون أنجى [١].

ما يوقفك هنا!

وعن عبد الأعلى بن زياد الأسلمي قال: رأيت داود الطائي يومًا قائمًا على شاطئ الفرات مبهوتًا؛ فقلت: يا أبا سليمان، ما يوقفك هنا؟ قال: انظر إلى الفلك، كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى؟ [٢].

من كلامه رحمه الله:

- قال محمد بن عبد العزيز التيمي: قلت لداود الطائي: يا أبا سليمان بما أقوى على نفسي قال: بقذعها عما تحب وإخراجها عما لا يعنيها وبفعلها ما لا بد لها منه قلت: يا أبا سليمان فكيف السبيل إلى ذلك؟ قال: بقطعها عن رؤية العالم فهو أول باب تقوى به على ذلك فإذا فقدت رؤيتهم خلت من همومهم قلت: يا أبا سليمان إنها تطالبني بهم كثيراً قال: يا أبا محمد اقذعها اقذعها وإلا أوردتك المهالك [٣].

- عن داود الطائي قال: ما أخرج الله تعالى عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس.

---

(١) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، ١/ ٣٦٧، ٣٨٨، ٢ / ١٧٥.
(٢) عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، الهم والحزن، تحقيق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩١، ص ٩١.
(٣) أخبار أبي حنيفة، ١ / ١٢١.

- عن بكر بن محمد العابد قال: قال لي داود الطائي: فر من الناس كما تفر من الأسد.

- اترك الدنيا قبل أن تتركك واعتبر فيها قبل أن يعتبر بك واحمد أيامها قبل أن تذمك وأعمرها بعمارة آخرتك وخربها بصلاح دينك وتزود منها ليوم وفاتك.

- وكان من دعاء داود الطائي: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا واكفنا من سعى علينا ولا تشمت بنا عدونا اكفنا كل هول بين أيدينا حتى تبلغنا من رحمتك ما أنت أهله آمين آمين آمين ثلاثاً.

- قال الوليد بن عقبة: سمعت داود الطائي يقول: كم من مسرور بأمر فيه هلكته وكم من كاره لأمر فيه صلاح دينه ودنياه غيبت عنا الخيرة فليس إلا التسليم والرضا والاستكانة والتضرع (١).

- وقال عبد الله بن إدريس، قلت لداود: " أوصني " فقال: " أقلل من معرفة الناس ". قلت: " زدني "، قال: " ارض باليسير من الدنيا، عن سلامة الدين، كما رضى أهل الدنيا بالدنيا، مع فساد الدين ". قلت: " زدني "، قال: " اجعل الدنيا كيوم صمته، ثم أفطر على الموت ".

- لا عبادة لمن لا مروءة له.

- ما أخرج الله عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا بشر.

- من رضى بالدنيا كلها عوضاً عن الآخرة (٢).

(١) أخبار أبي حنيفة، ١٢٣.
(٢) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٣٤.

- العلم العمل فإذا فني العمر فى الآلة متى تعمل.

- وقال له الحارث بن إدريس عظني قال: عسكر الموتى ينتظرونك[(١)].

- قال داود الطائي: يا ابن آدم ارتحلك الحرص فأنساك أجلك، ونصب لك أملك ورب حريص محروم، وواجد مذموم.

- قال داود الطائي: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله قصر عمله [(٢)].

- قال داود الطائي: إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة بعد مرحلة، حتى تنتهي بهم إلى آخر سفرهم، فان استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب، والأمر أعجل من ذاك، وكأنك قد بغتك. وعنه: لا تمهر الدنيا دينك، فإن من أمهر الدنيا دينه زفت إليه الندم. وسأله رجل أراد أن يتعلم الرمي، فقال: أن الرمي حسن، ولكنها أيامك فانظر بم تقطعها.

- كلم فضيل داود الطائي في عزلته فقال: أن كان لك بدينك حاجة ففر من الناس فرارك من الأسد، ولقد جالستهم، اللهم غفراً، فأما صغيرهم فلا يوقرك، وأما كبيرهم فيحصى عليك عيوبك.

- قال داود الطائي: ما أخرج الله عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس.

---

(١) عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ١ / ٥٤٠.
(٢) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ص ٢٩، ٢٤٧.

- قال وكان داود الطائي يقول: اللهم خلص خلص، ويقول: إنما يسأل السلامة من لم يقع، أما من فإنما يسأل الخلاص.

- قال داود الطائي: أرأيت المحارب إذا أراد أن يلقى الحرب؟ أليس يجمع آلته؟ فإذا أفنى عمره في جمع الآلة فمتى يحارب؟ إن العلم آلة العمل، وإذا أفنى عمره في جمعه فمتى يعمل؟ كان إبراهيم بن أدهم يستقي ويرعى، ويعمل بكراء، ويحفظ البساتين للناس والمزارع، ويحصد بالنهار، ويصلي بالليل (١).

- قال داود: اليأس سبيل أعمالنا هذه، ولكن القلوب تحن إلى الرجاء (٢).

- قال داود الطائي: يا بن آدم، فرحت ببلوغ أملك، وإنما بلغته بانقضاء أجلك، ثم سوفت بعملك، كأن منفعته لغيرك (٣).

- وذكر داود الطائي عند بعض الأمراء؛ فأثنوا عليه فقال: «لو يعلم الناس بعض ما نحن فيه ما ذل لنا لسان بذكر خير أبدا».

- قال داود الطائي: رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية وكفاك به خيراً وإن لم تنصب؛ أي حتى وإن لم تتعب فإن ما حصلته من اجتماع قلبك لله وقوة إرادة رضاه ومثوبته وكثرة الحرص على طاعته وشدة الرغبة فيها: أمر عظيم جداً؛ قال الفضيل: إنما يريد الله عز وجل منك نيتك وإرادتك.

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٣، ١٢٤، ١٣٢، ١٨٥، ٣٠٥، ٤٨٧، ٤٨٩.
(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ٤٣.
(٣) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٥ / ٢٤٤.

- وقال داود الطائي أيضاً: البر همة التقي، ولو تعلقت جميع جوارحه بحب الدنيا لردته يوماً نيته إلى أصلها.

- قال داود الطائي: إن للخوف حركات تعرف في الخائفين ومقامات تعرف في المحبين وإزعاجات تعرف في المشتاقين وأين أولئك؟! أولئك هم الفائزون.

- عن داود الطائي قال: أبت الدنيا أن تجري إلا بالاختلاط [١].

- قالت أم سعيد بن علقمة النخعي وكانت أمه طائية: كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصير فكنت أسمع حسه عامة الليل لا يهدأ

قالت: وربما سمعته يقول في جوف الليل: اللهم همك عطل علي الهموم وحالف بيني وبين السهاد وشوقي إلى النظر إليك أوشق من وحال بيني وبينك اللذات فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب.

قالت: وربما ترنم في السحر بالشيء في القرآن فأرى أن جميع نعيم الدنيا جع في ترنمه. وقالت: وكان يطوف في الدار وحده وكأنه لا يصبح فيها [٢].

* * *

(١) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، ١/ ٣٦٧، ٣٨٨، ٢ / ١٧٥.
(٢) عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، الهم والحزن، تحقيق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩١، ص ٩١.

البويطـــي

أعــــلام التصـــوف

سيد الفقهاء البويطي

الإمام العلامة سيد الفقهاء الزاهد، الذي طلب الشهادة ونالها، طلبوه أن يجيبهم إلى القول بخلق القرآن فأبى، قيدوه بالحديد في يديه ورجليه وأوثقوه بالأغلال في عنقه فما زاده إلا ثباتاً على الحق، ضربوه وعذبوه فما أراح لهم بال ولا أجاب لهم سؤال. قال له والي مصر ارفق بنفسك وأجبني بالموافقة فيما بيني وبينك ولا أعلم أحداً بذلك فأبي وقال: " لا يقتدي بي أحد في باطل " وقام مقام الصديقين فحملوه في الأغلال إلي العراق فحبس وعذب وقال قولته الشهيرة: " لأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم ".

كان إماماً جليلاً عابداً زاهداً فقيهاً عظيماً مناظراً جبلاً من جبال العلم والدين غالب أوقاته الذكر والتشاغل بالعلم غالب ليله التهجد والتلاوة سريع الدمعة

تفقه على الشافعى واختص بصحبته.

وله من المؤلفات المختصر المشهور والذى اختصره من كلام الشافعى رضى الله عنه، وكان الشافعى رضى الله عنه يعتمد علي البويطى فى الفتيا ويحيل عليه إذا جاءته مسألة واستخلفه على أصحابه بعد موته فتخرجت على يديه أئمة تفرقوا فى البلاد ونشروا علم الشافعى فى الآفاق وكان من الشافعى بمكان مكين.

وكانت الفتاوى ترد على البويطى من السلطان فمن دونه وهو متنوع فى صنائع المعروف كثير التلاوة لا يمر يوم وليلة غالباً حتى يختم فسعى به من يحسده وكتب فيه إلى وزير السوء ابن أبى دؤاد بالعراق فكتب إلى والى مصر أن يمتحنه فامتحنه فلم يجب.

كان إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن، فيقول له السجان: أين تريد فيقول: أجيب داعي الله، فيقول: ارجع عافاك الله، فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني.

إنه الفقيه شهيد الحق أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري البويطي [(١)]، صاحب الشافعي رضي الله عنه؛ كان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابةً، اختص به في حياته، وقام مقامه في الدرس والفتوى بعد وفاته، سمع الأحاديث النبوية من عبد الله بن وهب الفقيه المالكي ومن الإمام الشافعي، وروى عنه أبو إسماعيل الترمذي وإبراهيم بن إسحاق الحربي والقاسم بن المغيرة الجوهري وأحمد بن منصور الرمادي وغيرهم. وكان قد حمل في أيام الواثق بالله من مصر إلى بغداد في مدة المحنة وأريد على القول بخلق القرآن.

كان البويطي حين مرض الشافعي بمصر هو وابن عبد الحكم والمزني، فتنازعوا الحلقة، فبلغ ذلك الشافعي، فقال: الحلقة للبويطي.

فلهذا اعتزل ابن عبد الحكم الشافعي وأصحابه، وكانت أعظم حلقة في المسجد.

---

(١) والبويطي، بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها طاء مهملة، هذه النسبة إلى بويط، وهي قرية من أعمال الصعيد الأدنى من ديار مصر.

وتوفي يوم الجمعة قبل الصلاة في رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين، في القيد والسجن ببغداد، ونال الشهادة كيفما أراد في قوله: " لأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم " [١]

وقد أثني عليه الفقهاء والعلماء المحدثين كثيراً فقالوا عنه بأنه " كان صالحاً متنسكاً عابداً زاهداً.

وقال أبو حاتم: " هو صدوق. وكان إماماً في العلم، قدوة في العمل، زاهداً ربانياً، متهجداً، دائم الذكر والعكوف على الفقه.

وقال الشافعي: ليس في أصحابي أحد أعلم من البويطي.

وقال الربيع بن سليمان: كان البويطي أبداً يحرك شفتيه بذكر الله، وما أبصرت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله من البويطي.

ولقد رأيته على بغل في عنقه غل، وفي رجليه قيد، وبينه وبين الغل سلسلة فيها لبنة وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: إنما خلق الله الخلق ب " كن "، فإذا كانت مخلوقة، فكأن مخلوقاً خلق بمخلوق.

(١) الجرح والتعديل ٩ / ٢٣٥، الفهرست: ٢٦٥، ٢٦٦، طبقات الشافعية للعبادي: ٧، تاريخ بغداد ١٤، ٢٩٩، ٣٠٣، طبقات الفقهاء للشيرازي: ٧٩، اللباب ١ / ١٨٩، وفيات الاعيان ٧ / ٦١، ٦٤، تهذيب الكمال: ١٥٦٢، ١٥٦٣، تذهيب التهذيب ٤ / ١٩٢ / ١، العبر ١ / ٤١١، طبقات الشافعية للسبكي ٢ / ١٦٢، ١٧٠، طبقات الشافعية للاسنوي: ٢٠٨، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٤٥، تهذيب التهذيب ١١ / ٤٢٧، ٤٢٩، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٦٠، ٢٦١، حسن المحاضرة ١ / ١٢٣، خلاصة تذهيب الكمال: ٤٤٠، شذرات الذهب ٢ / ٧١، ٧٢. سير أعلام النبلاء، ١٢ / ٥٩.

ولئن أدخلت عليه لأصدقنه. (يعني بذلك الخليفة العباسي الواثق)، ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم [١].

وقال أبو الوليد بن أبي الجارود: كان البويطي جاري فما كنت أنتبه ساعة من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلي.

وقال أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم: رأيت أبي في المنام فقال لي: يا بني عليك بكتاب البويطي فليس في الكتب أقل خطأ منه.

وقال الربيع أيضاً: كتب إليّ أبو يعقوب من السجن: إنه ليأتي علي أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي، فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقتك، واستوص بالغرباء خاصة خيراً، فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ::: ولن تكرم النفس التي لا تهينها

مواقف من حياته رحمه الله:

ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف

قال ابن خزيمة: كان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أعلم من رأيت بمذهب مالك، فوقع بينه وبين البويطي خلاف عند موت الشافعي، فتنازع ابن عبد الحكم والبويطي مجلس الشافعي، فقال البويطي: أنا أحق به منك، وقال الآخر كذلك.

فجاء الحميدي، وكان بمصر، فقال: قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف، ليس أحد من أصحابي أعلم منه.

(١) وفيات الأعيان، ٧ / ٦٣.

فقال ابن عبد الحكم:

كذبت.

قال: بل كذبت أنت وأبوك وأمك.

وغضب ابن عبد الحكم.

فجلس البويطي في مكان الشافعي، وجلس ابن عبد الحكم في الطاق الثالث. وترك طاقاً بين مجلس الشافعي ومجلسه، وجلس البويطي في مجلس الشافعي في الطاق الذي كان يجلس فيه [1].

وقد كان الشافعي عليه السلام آخى محمد بن عبد الحكم المصري وكان يحبه ويقربه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، واعتل محمد فعاده الشافعي، فحدثني القرشي عن الربيع قال: سمعت الشافعي ينشد وقد عاد محمدا:

مرض الحبيب فعدته ::: فمرضت من حذري عليه
وأتى الحبيب يعودني ::: فبرأت من نظري إليه

وما شك أهل مصر أن الشافعي يفوض أمر حلقته إليه، وأنه يستخلفه بعد موته ويأمر الناس بالحضور عنده، حتى سئل عن ذلك في علته فقيل له: يا أبا عبد الله إلى من نجلس بعدك، ومن يكون صاحب الحلقة، وهم يظنون أنه يشير إلى محمد فاستشرف لذلك محمد وتطاول لها، وكان جالساً عند رأسه فقال: سبحان الله أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي، فانكسر لها محمد ووجد في نفسه ومال أصحابه إلى أبي يعقوب البويطي، وقد كان محمد حمل علم الشافعي ومذهبه وفارق مذهب مالك، إلا أن البويطي كان أزهد وأورع،

(١) سير أعلام النبلاء، ١٢ / ٦٠.

فحمل الشافعي نصحه للدين والنصيحة للمسلمين، ولم يداهن في ذلك بأن وجه الأمر إلى أبي يعقوب، وآثره لأنه كان أولى، فلما قبض الشافعي رضي الله عنه انتقل محمد بن عبد الحكم مذهبه، وفارق أصحابه ورجع إلى مالك، وروى كتب أبيه عن مالك، وتفقه فيها، فهو اليوم من كبار أصحاب مالك رضى الله عنه.

أنت تموت في الحديد

وما كان أبو يعقوب ليموت إلا فى الحديد كيف وقد قال الربيع كنت عند الشافعى أنا والمزنى وأبو يعقوب فقال لى: أنت تموت فى الحديث وقال لأبى يعقوب: أنت تموت فى الحديد وقال للمزنى: هذا لو ناظره الشيطان لقطعه

قال الربيع: فدخلت على البويطى أيام المحنة فرأيته مقيداً إلى أنصاف ساقيه مغلولة يداه إلى عنقه

هذا لساني

وقال الربيع: كان أبو يعقوب أبداً يحرك شفتيه بذكر الله تعالى، وما

رأيت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البويطي. وقال الربيع أيضاً: كان لأبي يعقوب منزلة من الشافعي، وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول له: سل أبا يعقوب، فإذا أجابه أخبره فيقول: هو كما قال. وقال أيضاً: ربما جاء رسول صاحب الشرطة إلى الشافعي فيوجه أبا يعقوب البويطي ويقول: هذا لساني.

لعل الله يخلصنى بدعائهم

وقال أبو عمرو المستملى حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلى فقرأ علينا كتاب البويطى إليه وإذا فيه والذى أسألك أن تعرض حالى على إخواننا أهل الحديث لعل الله يخلصنى بدعائهم فإنى فى الحديد وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة فضج الناس بالبكاء والدعاء له.

انظر إلى هذا الحبر رحمه الله لم يكن أسفه إلا على أداء الفرائض ولم يتأثر بالقيد ولا بالسجن فرضى الله عنه وجزاه عن صبره خيراً

أجيب داعى الله

كان أبو يعقوب البويطي إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن، فيقول له السجان: أين تريد فيقول: أجيب داعي الله، فيقول: ارجع عافاك الله، فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني[١].

من كلامه رحمه الله:

قال الربيع: كتب إلي أبو يعقوب البويطي أن اصبر نفسك للغرباء، وحسن خلقك لأهل حلقتك، فإني لم أزل أسمع الشافعي يقول كثيراً ويتمثل:

أهين لهم نفسي لكي يكرموها ::: ولن تكرم النفس التي لا تهينها

* * *

(١)وفيات الأعيان، ٧ / ٦٣.

أبو بكر الشبلي

أعـــلام التصــوف

أبو بكر الشبلي

دلف بن جحدر الشبلي: ناسك. كان في مبدأ أمره والياً في دنباوند (من نواحي رستاق الري) وولي الحجابة للموفق العباسي، وكان أبوه حاجب الحجاب، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة، فاشتهر بالصلاح. له شعر جيد، سلك به مسالك المتصوفة. أصله من خراسان، ونسبته إلى قرية (شبلة) من قرى ما وراء النهر، ومولده بسر من رأى، ووفاته ببغداد. اشتهر بكنيته، واختلف في اسمه ونسبه، فقيل(دلف بن جعفر) وقيل(جحدر بن دلف) و(دلف بن جعترة) و(دلف بن جعونة) و(جعفر بن يونس) وللدكتور كامل مصطفى الشيبي (ديوان أبي بكر الشبلي - وهو مطبوع - جمع فيه ما وجد من شعره.

وكان فقيهاً على مذهب مالك بن أنس وكتب الحديث الكثير ثم صدف عن ذلك ولزم العبادة حتى صار رأسا في المتعبدين ورئيساً للمجتهدين.

وكان الشبلي مولده بسر من رأى وكان حاجب الموفق (١) وكان أبوه حاجب الحجاب وكان الموفق جعل لطعمته دماوند (٢) قم لما قعد الموفق وكان ولي العهد من قبيل أخيه حضر الشبلي يوماً مجلس خير النخاس (٣) وتاب فيه ورجع إلى دماوند وقال: أنا كنت حاجب

(١) أبو أحمد الموفق ابن الخليفة المتوكل على الله وأخو الخليفة المعتمد على الله.
(٢) دماوند: لغة في دنباوند ودباوند: جبل قرب الري وكورة (معجم البلدان).
(٣) اسمه محمد بن إسماعيل من سامرا وإنما سمي خير النساج لأنه خرج إلى الحج فأخذه رجل على باب الكوفة وقال له: أنت عبدي واسمك خير وكان أسود فلم يخالفه واستعمله الرجل في نسج الخز ثم تركه الرجل وبقي الاسم معلقاً به.

الموفق وكان ولاني بلدتكم هذه فاجعلوني في حل فجعلوه في حل وجهدوا أن يقبل منهم شيئاً فأبى وصار بعد ذلك واحد زمانه حالاً ونفساً.

كان الشبلي إذا دخل شهر رمضان جد فوق جدّ من عاصره، ويقول: هذا شهر عظمه ربي، فأنا أوّل من يعظّمه.

وقال الشبلي مات أبي وخلف ستين ألف دينار سوى الضياع والعقار وغيرها فأنفقتها كلها ثم قعدت مع الفقراء حتى لا أرجع إلى مادي ولا أستظهر بمعلوم. قال محمد بن إبراهيم: حضرت وفاة الشبلي فأمسك لسانه عرق جبينه فأشار إلى وضوء الصلاة فوضأته ونسيت التخليل تخليل لحيته فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيته يخللها فبكيت وقلت أي شيء يتهيأ أن يقال لرجل لم يذهب عليه تخليل لحيته في الوضوء عند نزوع روحه وإمساك لسانه وعرق جبينه.

وكان يحصل له جفاف دماغ وسكر. فيقول:أشياء يعتذر عنه، ولا تكون قدوة. توفي ببغداد سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة. عن نيف وثمانين سنة [1].

---

(١) طبقات الصوفية: ٣٣٧ ـ ٣٤٨، حلية الأولياء: ١٠ / ٣٦٦ ـ ٣٧٥، تاريخ بغداد: ١٤ / ٣٨٩ ـ ٣٩٧، الرسالة القشيرية: ٢٥ ـ ٢٦، الأنساب: ٧ / ٢٨٢ ـ ٢٨٤، المنتظم: ٦ / ٣٤٧ ـ ٣٤٩، وفيات الأعيان: ٢ / ٢٧٣ ـ ٢٧٦، العبر: ٢ / ٢٤٠ ـ ٢٤١، مرآة الجنان: ٢ / ٣١٧ ـ ٣١٩، البداية والنهاية: ١١ / ٢١٥ ـ ٢١٦، الديباج المذهب: ١١٦ ـ ١١٧، طبقات الأولياء: ٢٠٤ ـ ٢١٣، النجوم الزاهرة: ٣ / ٢٨٩ ـ ٢٩٠، شذرات الذهب: ٢ / ٣٣٨، سير أعلام النبلاء، ١٥ /٣٦٧.

مواقف من حياته ـ رحمه الله:

من رأى ذاك ورأى هذا لا يغتر بالدنيا

قال أبو الحسين بن سمعون: قال لي الشبلي: كنت باليمن وكان باب دار الإمارة رحبة عظيمة وفيها خلق كثير قيام ينظرون إلى منظرة فإذا قد ظهر من المنظره شخص أخرج يده كالمسلم عليهم فسجدوا كلهم فلما كان بعد سنين كنت بالشام وإذا تلك اليد قد اشترت لحماً بدرهم وحملته فقلت له: أنت ذلك الرجل قال: نعم من رأى ذاك ورأى هذا لا يغتر بالدنيا.

اجعل للصلح موضعًا

وقال الشبلي: كنت في قافلة بالشام فخرج الأعراب فأخذوها وأميرهم جالس يعرضون عليه فأخرج جراباً فيه لوز وسكر فأكلوا منه إلا الأمير فما كان يأكل فقلت له: لم لا تأكل؟ قال: أنا صائم قلت: تقطع الطريق وتأخذ الأموال وتقتل النفس وأنت صائم: قال يا شيخ اجعل للصلح موضعاً فلما كان بعد حين رأيته يطوف حول البيت وهو محرم كالشن [١] البالي فقلت: أنت ذاك الرجل فقال: ذاك الصوم بلغ بي إلى هذا [٢].

فأجاب بثمانية عشر جوابًا

وقال الشبلي: كتبت الحديث عشرين سنة وجالست الفقراء عشرين سنة وكان يتفقه لمالك وكان له يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صيحة فصاح يوماً صيحة تشوش ما حوله من الخلق وكان يجنب حلقته حلقة أبي عمران الأشيب فقال الأبي الفرج العكبري: ما

---

(١) الشن: الخلق من كل آنية صنعت من جلد.
(٢) تاريخ دمشق، ٦٦ /٥٢.

للناس؟ قال: حردوا من صيحتك وحرد أبو عمران وأهل حلقته فقام الشبلي وجاء إلى أبي عمران فلما رآه أبو عمران قام إليه وأجلسه إلى جنبه فأراد بعض أصحاب أبي عمران أن يرى الناس أن الشبلي جاهل فقال له: يا أبا بكر إذا اشتبه على المرأة دم الحيض بدم الاستحاضة كيف تصنع فأجاب بثمانية عشر جواباً فقام أبو عمران وقبل رأسه وقال: يا أبا بكر أعرف منها اثني عشر وستة ما سمعت بها قط [1].

سألتك عن الرب الذي تعبده

- أدخل الشبلي دار المرضى ليعالج فدخل عليه علي بن عيسى الوزير عائداً فأقبل على الوزير فقال: ما فعل ربك؟ فقال الوزير: في السماء يقضي ويمضي فقال: سألتك عن الرب الذي تعبده لا عن الرب الذي لا تعبده يريد الخليفة المقتدر [2].

هو ذاك

- عن خير النساج قال كنا في المسجد فجاءنا الشبلي وهو سكران فنظرنا ولم يكلمنا فانهجم على الجنيد في بيته وهو جالس مع امرأته مكشوفة الرأس فهمت أن تغطي رأسها فقال لها الجنيد: لا عليك ليس هو هناك قال: فصفق على رأس الجنيد وأنشأ يقول:

عودوني الوصال والوصل عذب ::: ورموني بالصد والصد صعب
زعموا حين عاتبوا أن جرمي ::: فرط حبي لهم وما ذاك ذنب
لا وحسن الخضوع عند التلاقي ::: ما جزى من يحب إلا يحب

(١) تاريخ دمشق، ٦٦ /٥٤.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٣٦٧.

ثم ولى الشبلي فضرب الجنيد رجليه وقال: هو ذاك وخر مغشياً عليه (١).

أموات جاؤوا إلى جنازة حي

قال أبو الحسن المالكي بطرسوس اعتل الشبلي علة شديدة فأرجفوا بموته فبادرنا إلى داره فاتفق عنده ابن عطاء وجعفر الخلدي وجماعة من كبار أصحاب الجنيد قال: فرفع رأسه فقال لهم: مالكم إيش القصة؟ قال فقلت وكنت أجرأهم عليه: مالنا جئنا إلى جنازتك فاستوى جالسا فقال: الجوار الجوار أموات جاؤوا إلى جنازة حي ثم قال لهم: ويحكم أحسب أني قد مت فيكم من يقدر أن يحمل هيكلي (٢).

ما حملك على هذا

قال أحمد بن محمد النهاوندي مات للشبلي ابن كان اسمه غالباً فجزت أمه شعرها عليه وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلق الجميع فقيل له: يا أستاذ ما حملك على هذا؟ فقال: جزت هذه شعرها على مفقود فكيف لا أحلق لحيتي أنا على موجود (٣).

لهم تحت الثياب قبور

قال أبو نصر: سمعت أحمد يقول: حضرت الشبلي وسئل عن قول بعضهم لا تغرنكم هذه القبور وهدوها فكم من فرح مسرور وداع بالويل والثبور فقال: أيما هي القبور عندك؟ قال: قبور الأموات فقال: لا بل أنتم القبور كل واحد منكم مدفون فالمعرض عن الله داع

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٣٦٧.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٣٦٨.
(٣) حلية الأولياء، ١٠ /٣٧٠.

بالويل والثبور والمقبل على الله الفرح المسرور ثم أنشأ يقول:

قبور الورى تحت التراب وللهوى ::: رجال لهم تحت الثياب قبور

فقلت له يا سيدي ونعد في الموتى فقال:

يحبك قلبي ما حييت فإن أمت ::: يحبك عظم في التراب رميم [(١)]

إنني بريء مما تعبدون

- جاء ذات يوم الشبلي إلى أبي بكر بن مجاهد وكان في مسجده غائباً فسأل عنه فقيل له هو عند علي بن عيسى فقصد دار علي فاستأذن فقيل أبو بكر الشبلي يستأذنك فقال أبو بكر بن مجاهد لعلي بن عيسى: اليوم أريك من الشبلي عجباً فلما دخل وقعد قال له أبو بكر بن مجاهد: يا أبا بكر أخبرت أنك تحرق الثياب والخبز والأطعمة وما ينتفع به الناس من منافعهم ومصالحهم أين هذا من العلم والشرع؟ فقال له: قول الله:{فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ } [ص: ٣٣]، أين هذا من العلم فسكت أبو بكر ابن مجاهد وقال لعلي: كأني لم أقرأها قط وبلغني عن غيره أنهم عاتبوه في مثله فتلا هذه الآية:{إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} [الأنبياء: ٩٨]، وتلا إنني بريء مما تعبدون هذه الأطعمة وهذه الشهوات حقيقة الخلق ومعبودهم أبرأ منهم وأحرقه[(٢)].

من أسعد أصحابك بصحبتك!

قال أبو العباس محمد بن الحسن الخشاب: سمعت بعض أصحاب الشبلي يقول رأيت الشبلي في المنام فقلت له: يا أبا بكر من أسعد أصحابك بصحبتك فقال: أعظمهم لحرمات الله وألهجهم بذكر الله

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٣٧٠.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٣٧٤.

وأقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة في مرضات الله وأعرفهم بنقصانه وأكثرهم تعظيماً لما عظم الله من حرمة عباده قال الشيخ: ذكر جماعة من أعلام العارفين أدركنا أيامهم انتشرت في العالم أحوالهم لاعتصامهم بالشرع المتين فكانوا به عالمين وعاملين وبمعالي الأحوال عارفين قائمين وبمكارم الأخلاق متمسكين آخذين ذكرت عن كل واحد منهم نبذا مما نقل إلينا من أقوالهم الحميدة وأحوالهم الشديدة (١).

ما أعزك أحد إلا أذله الله!

ويروي أنه قال: " كنت يوماً جالساً، فجرى بخاطري أني بخيل، فقلت: أنا بخيل؟ ! فقاومني خاطري، وقال: بلا!، إنك بخيل!. فقلت: مهما فتح على اليوم، لأدفعنه إلى أول فقير يلقاني!. قال: بينا أنا أتفكر، إذ دخل على صاحب لمؤنس الخادم، ومعه خمسون ديناراً، فقال: اجعل هذه في مصالحك "، فأخذتها وخرجت. وإذا بفقير مكفوف، بين يدي مزين، يحلق رأسه، فتقدمت إليه، وناولته الصرة، فقال لي: أعطها للمزين ". فقلت: " إنها دنانير! "، فقال: " أو ليس قد قلنا إنك بخيل؟ ! "، فناولتها للمزين: " من عاداتنا أن الفقير إذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجراً ". قال: فرميتها في دجلة فقلت: " ما أعزك أحد إلا أذله الله! ".

فأيش كانت بضاعتك!

ورؤى الشبلي في جامع المدينة قد كثر الناس عليه في الرواق الوسطاني، وهو يقول: " رحم الله عبداً، ورحم والديه دعا لرجل

(١) حلية الأولياء ١٠ /٣٧٥.

كانت له بضاعة، وقد فقدها؛ وهو يسأل الله ردها! " والناس صموت. فخرق الحلقة غلام حدث، وقال: " من صاحب البضاعة؟ "، قال الشبلي: " أنا! " قال: " فأيش كانت بضاعتك؟ "، قال: " الصبر، وقد فقدته! " فبكى الناس بكاء عظيماً ".

أمجنون أنت؟ !

وقيل ضاق صدره يوماً ببغداد، فانحدر إلى البصرة، فلما ضاق صدره خرج لوقته، فلما قرب من دار الخليفة، إذا جارية تغني بين يدي الخليفة:

أيا قادماً من سفرة الهجر، مرحباً ::: أنا ذاك، لا أنساك، ما هب الصبا
قدمت على قلبي، كما قد تركته ::: كئيباً حزيناً بالصبابة متعبا

فصاح صيحة، ووقع مغشياً عليه، فقال الخليفة: ألحقوه واحملوه! " فحمل إليه، فقال له: " أمجنون أنت؟ ! ". قال: " يا أمير المؤمنين! كان من أمري كيت وكيت، فتحيرت في أمري " فبكى الخليفة لما رأى من حرقته.

ووجهك إن رأيتُ شفاء دائي

وآخر يوماً العصر، ونظر الشمس وقد نزلت للغروب، فقال: الصلاة ياسادتي! " وقام فصلى، وأنشأ يقول مداعباً وهو يضحك: ما أحسن من قال:

نسيت اليوم من عشقي صلاتي ::: فلا أدري عشائي من غدائي
فذكرك سيدي أكلي وشربي ::: ووجهك أن رأيتُ شفاء دائي[1]

(١) طبقات الأولياء، ص ٣٥.

إنما ضرب الوالدين تأديب

- قال أبو بكر الشبلي: جئت يوماً إلى باب الطاق فرأيت والدة تضرب ولدها، فقلت لها: لهذا حرمة، فقال الصبي: معارضتك بيني وبين والدتي أشد علي من ضربها، أرأيت أحداً يضرب ولده إلا من محبته إياه إنما ضرب الوالدين تأديب وشفقة وفرط محبة.

قال الشبلي: فكأني كنت المقصود بهذه المخاطبة، فانصرفت عنهما وأنا أقول:

لبيك تصديقاً أيا سيدي ::: من الذي يألم من عثرتك.

لى غداً مع هذا الشيخ شأن!

قال بكير الدينوري " وجد الشبلى خفة - في يوم جمعة - من وجع كان به، فأمر بمضيه إلى الجامع، فراح إليه متكئاً، فتلقاه رجل مقبل من الرصتفة، فقال: " سيكون لي غداً مع هذا الشيخ شأن! ". فصلينا ثم غدونا، فتناول شيئاً من الغداء، فلما كان الليل مات. فقيل لي: " في درب السقايين رجل يغسل الموتى " فدلوني عليه في السحر، فأتيته فدققت الباب خفيفاً فقلت: " سلام عليك "، فقال:، مات الشبلى؟ "، قلت: " نعم! " فخرج إلى، فإذا به الشيخ، فقلت: " لا إله إلا الله! " فقال: " لا إله إلا الله، تعجباً مم؟ " قال: " قال لى الشبلى أمس - لما وجدناك -: " غداً يكون لي مع هذا شأن. بحق معبودك!، من أين لك أن الشبلى قد مات؟ ". قال: " يا أبله! فمن أين للشبلى أن يكون له معي اليوم شأن؟ " [١].

---

(١) طبقات الأولياء، ص ٣٦.

يشكو كثرة العيال

- جاء رجل إلى الشبلى يشكو إليه كثرة العيال فقال: ارجع إلى بيتك فمن وجدت منهم ليس رزقه على الله فأخرجه من البيت.

أي صبر أشد على الصابرين

- وقف رجل على الشبلى فقال: أي صبر أشد على الصابرين؟ قال: الشبلى الصبر في الله تعالى فقال: لا قال: فالصبر لله فقال: لا قال: فالصبر مع الله تعالى فقال: لا قال: فأى شئ قال: الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخه عظيمة ووقع.

بم يبعد المرء من ربه ويخذل عن أمره؟

- وقام إلى الشبلي رجل فقال: بم يبعد المرء من ربه ويخذل عن أمره؟ فزعق زعقة ثم أنشد:

من لم يكن للوصال أهلاً ::: فكلّ إحسانه ذنوب

- سنة التوفيق أجدى من يقظة الرؤية، وقليل النجح خير من كثير من الجهد.

من جهة الإخلاص فالكل

- وسئل الشبلي عما يجب في مائتي درهم فقال: أما من جهة الشرع فخمسة دراهم، وأما من جهة الإخلاص فالكل.

فلم لا تطلب منه؟

- قال ابن شادان: دخلت مع جماعة من الصوفية على الشبلي رحمه الله فبعث إلى بعض المياسير يسأله ما ينفقه عليهم، فقال للرسول: قل له يا أبا بكر أنت تعرف الحق، فلم لا تطلب منه؟ فقال الشبلي: عد إليه وقل له: الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك، وأطلب

من الحق الحق، فوجه إليه بمائة دينار. وفي المثل: خذ من جذع ما أعطاك.

يعيب الباذنجان

وحكي أن الشبلي رئي يوماً على الجسر، وكان يوماً مطيراً، فقيل له: إلى أين؟ فقال: بلغني أن فلاناً يعيب الباذنجان فأريد أن أمر عليه فأخاصمه.

إن كنتم تحبون الله

وسأل فقير الشبلي عن قول الله تعالى:{إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ} [آل عمران: ٣١]، فزعق وقال:

إذا أنت لم تعطفك إلا شفاعةٌ ::: فلا خير في ودٍ يكون بشافع

لقد أوصاك الشاعر

وقال بعضهم: حضرت مجلس الشبلي فقام إليه رجل من أصحابه فقال له: أوصني، فقال له: لقد أوصاك الشاعر بقوله:

قالوا توق ديار الحي إن لهم ::: عيناً عليك إذا ما نمت لم تنم

إنك لتخون

ونظر الشبلي إلى رجل يسرع في صلاته فقال له: إنك لتخون وبعد الخيانة لا تقبل الأمانة.

وضيعت العمر وليس له بدل

وأوصى الشبلي رحمه الله أن يكتب على قبره: تركت الجنة وليس لها قيمة وتعلقت بالدنيا وليس لها بقاء، وضيعت العمر وليس له بدل واتبعت النساء وليس لهن وفاء، وجفوت الرب وليس منه عوض.

كيف أنت؟

واعتل الشبلي ثم برأ فقال له بعض أصحابه: كيف أنت؟ قال:

كلما قلت قد دنـــا حـــل قيـــدي ::: قـــدموني وأوثقـــوا المســـمارا

الأسود المتيم بالله

حكي لي عن الشبلي أنه دخل إلى مارستان، فإذا هو بأسود، إحدى يديه مغلولة إلى عنقه، والأخرى إلى سارية، وهو مقيد بقيدين. قال: فلما رآني قال لي: يا أبا بكر قل لربك أما كفاك أن تيمني بحبك حتى قيدتني؟ ثم أنشأ يقول:

على بُعدِكَ لا يصْبِرُ مَن عادَتُهُ القربُ ::: وعن قُرْبكَ لا يصْبِرُ من تيّمه الحُبّ

فإن لم تَرَكَ العَيْنُ فقد أبصرَكَ القلبُ

قال: فزعق الشبلي، وأغمي عليه، فلما أفاق رأى الغل مطروحاً والقيد والأسود مفقودين.

وإنما أرسلت المريض إلى الطبيب

مرض الشبلي فأرسل الخليفة إليه طبيباً فعالجه فازداد مرضه فقال: يا شيخ المسلمين لو علمت أن شفائك في قطع عضو من أعضائي لفعلت فقال: شفائي في قطع زنارك فقطعه وأسلم فوثب الشبلي كأن لم يكن به مرض فقال الخليفة: ظننت أني أرسلت الطبيب إلى المريض وإنما أرسلت المريض إلى الطبيب..

ما فعل الله بك؟

في الإحياء رأى بعضهم الشبلي في المنام فسأله ما فعل الله بك فقال: ناقشني حجتي يئست فلما رأى يأسي تغمدني برحمته.

جرى القلم بما حكم

- وحكى أنه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبي عبد الله الأندلسي وكان شيخاً لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله وكان يقرأ بجميع الروايات فخرج في بعض السنين إلى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلي وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلي: فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى إلى أن وصلنا إلى قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية وإذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الأصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا إلى بئر في آخر القرية وإذ نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفي عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال: هذه ابنة من؟ فقيل له: هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ: فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقي الماء؟ فقيل له: أبوها يفعل ذلك بها حتى إذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحداً غير أنه يؤدي الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلي: فتقدمت إليه وقلت له: يا سيدي إن أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحداً قال: فأقبل علينا وقال: يا قوم اعلموا أن الجارية التى رأيتها بالأمس قد شغفت بها حباً واشتغل بها قلبي وما بقيت أقدر أفارق هذه الأرض قال الشبلي: فقلت يا سيدي أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد في سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفاً فلا تفضحنا وإياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال: يا قوم جرى القلم

بما حكم ووقعت في بحار العدم وقد انحلت عني عرى الولاية وطويت عني أعلام الهداية ثم إنه بكى بكاء شديداً وقال: يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكي حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين إلى بغداد فخرج الناس إلى لقائه ومريدوه في جملة الناس فلم يروه فسألوا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزناً عليه وأسفاً وجعل الناس يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى أن يرده عليهم وغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فأقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابي نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا: أنه في البرية يرعى الخنازير قلنا: وما السبب في ذلك؟ قالوا: إنه خطب الجارية من أبيها فأبي أن يزوجها إلا ممن هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وهو في البرية يرعي الخنازير.

قال الشبلي: فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا إليه وإذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه وإذا عليه قلنسوة النصارى وفي وسطه زنار وهو متوكىء على العصا التى كان يتوكأ عليها إذا قام إلى المحراب فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا: يا شيخ ما ذاك؟ وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الأحاديث والعلوم؟ فقال: يا إخواني وأحبابي ليس لي من الأمر شيء سيدي تصرف في كيف شاء وحيث أراد أبعدني عن بابه بعد إن كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صده وإبعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه إلى السماء وقال:

يا مولاى ما كان ظنى فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكي ونادى يا شبلي اتعظ بغيرك فنادى الشبلي بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال: فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت إليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دويت منها الجبال قال الشبلي: فظننت أن القيامة قد قامت ثم إن الشيخ بكى بكاء شديداً قال الشبلي: فقلنا له: هل لك أن ترجع معنا إلى بغداد؟ فقال: كيف لي بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد أن كنت أرعى القلوب؟ فقلت: يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيئاً فقال: نسيته كله إلا آيتين فقلت: وما هما؟ قال: قوله تعالى:{وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ} [الحج: ١٨]، والثانية قوله تعالى{وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ }

[البقرة: ١٠٨] فقلت: يا شيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله فهل تحفظ منها شيئاً قال: حديثاً واحداً وهو قوله:﴿من بدل دينه فاقتلوه﴾ قال الشبلي: فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام وإذا نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد إسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر إلينا وقال: يا قوم أعطوني ثوباً طاهراً فأعطيناه ثوباً فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له: الحمد لله الذي ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ما جرى لك وكيف كان أمرك فقال: يا قوم لما وليتم من عندى سألته بالوداد القديم وقلت له: يا مولاى أنا المذنب الجاني فعفا عنى بجوده وبستره غطاني فقلنا له: بالله نسألك هل كان لمحنتك

من سبب؟ قال: نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت في نفسي: ما قدر هؤلاء عندى؟ وأنا مؤمن موحد فنوديت في سري ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبي فكان ذلك الطائر هو الإيمان قال الشبلي: ففرحنا به فرحاً شديداً وكان يوم دخولنا يوماً عظيماً مشهوداً وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل إليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفاً وأقام على ذلك زماناً طويلاً ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على على ذلك فبينما نحن جلوس عنده في بعض الأيام بعد صلاة الصبح وإذا نحن بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فإذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له: ما الذي تريد؟ فقال: قل لشيخكم إن الجارية الرومية التى تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال: فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديداً فقال لها الشيخ: كيف كان مجيئك؟ ومن أوصلك إلى ههنا؟ قالت: يا سيدي لما وليت من قريتنا جاءني من أخبرني بك فبت ولم يأخذني قرار فرأيت في منامي شخصاً وهو يقول: إن أحببت أن تكوني من المؤمنات فاتركى ما أنت عليه من عبادة الأصنام واتبعي ذلك الشيخ وادخلى في دينه فقلت: وما دينه؟ قال: دين الإسلام قلت: وما هو؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقلت: كيف لي بالوصول إليه؟ قال: اغمضي عينيك واعطيني يدك ففعلت فمشي قليلاً ثم قال: افتحي عينيك ففتحتهما فإذا أنا بشاطيء الدجلة فقال: امضي إلى تلك الزاوية واقرئي مني الشيخ السلام وقولي له إن أخاك الخضر يسلم عليك

قال: فأدخلها الشيخ إلى جواره وقال: تعبدى ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت: قولوا للشيخ يدخل على قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها: لا تبكي فإن اجتماعنا غداً في القيامة في دار الكرامة ثم انتقلت إلى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها إلا أياماً قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه.

قال الشبلي فرأيته في المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفي بالله عليما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (١).

من كلامه ـ رحمه الله:

ـ ليس من احتجب بالخلق عن الحق كمن احتجب بالحق عن الخلق وليس من جذبته أنوار قدسه إلى أنسه كمن جذبته أنوار رحمته إلى مغفرته (٢).

ـ ليس للمريد فترة ولا للعارف معرفة ولا للمعرفة علاقة ولا للمحب سكون ولا للصادق دعوى ولا للخائف قرار ولا للخلق من الله فرار قال: وسمعته يقول: اللحظة كفر والخطرة شرك والإشارة مكر واللحظة حرمان والخطرة خذلان والإشارة هجران.

ـ من انقطع اتصل ومن اتصل انفصل.

(١) المستطرف، ١ / ٣٣٥ ـ ٣٣٨.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٣٦٧.

- وسئل عن قول الله ادعوني أستجب لكم قال: ادعوني بلا غفلة أستجب لكم بلا مهلة.

- اشتغل الناس بالحروف واشتغل أهل الحق بالحدود فمن اشتغل بالحروف اشتغل بها خشية الغلبة ومن اشتغل بالحدود اشتغل بها خشية الفضيحة.

- قوم أصحاء جئتم إلى مجنون أي فائدة لكم في أدخلت المارستان كذا وكذا مرة وأسقيت من الدواء كذا وكذا دواء فلم أزدد إلا جنونا [(١)].

- وسئل عن المحبة فقال: المحبة الفراغ للحبيب وترك الاعتراض على الرقيب.

- إذا ظننت أني فقدت فحينئذ قد وجدت وإذا ظننت أني وجدت فهناك فقدت.

- صراط الأولياء المحبة.

- المحبة الكاملة أن تحبه من قبل بره.

- من أحب الله من قبل بر الله فهو مشرك.

- صاحب الهمة لا يشتغل بشيء وصاحب الإرادة يشتغل بشيء.

- الهمة لله وما دونه ليس بهمة.

- ما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أتم معانيكم فهو

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٣٦٨.

مردود إليكم محدث مصنوع.

- من قال الله بالعادة فهو أحمق ومن قال بالعرض فهو أخرق ومن قال بالإخلاص فالشرك وطنه ومن قال الله على أنها حقيقة للحق جهل بالله ظنه ومن قال الله معتصماً بها فقد جهل أوليته حتى يقول الله بالله.

- الأرواح تلطفت فتعلقت عند لدغات الحقيقة فلم تر غير الحق معبوداً يستحق العبادة فأيقنت أن المحدث لا يدرك القديم بصفات معلولة فإذا صفاه الحق أوصله إليه لا وصل هو.

- تاهت الخليقة في العلم وتاه العلم في الاسم وتاه الاسم في الذات [١].

- من اطلع على ذرة من علم التوحيد حمل السموات والأرضين على شعرة من جفن عينيه.

- وسئل عن الزهد فقال: تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء.

- من عرف الله خضع له كل شيء لأنه عاين أثر ملكه فيه [٢].

- إن الله تعالى موجود عند الناظرين في صنعه مفقود عند الناظرين في ذاته.

- التصوف لا حال يقل ولا سماء يظل.

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد المفيد يقول: سمعت الجنيد بن

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٣٦٩.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٣٧٠.

محمد وأقبل يوماً على الشبلي يقول: حرام عليك يا أبا بكر إن كلمت أحداً فإن الخلق غرقى عن الله وأنت غرق في الله

- وقال في قول الله يمحو الله ما يشاء ويثبت قال: يمحو ما يشاء من شهود العبودية وأوصافها ويثبت ما يشاء من شواهد الربوبية ودلائلها.

- وسئل عن قوله تعالى{وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣} [المؤمنون: ٣]، فقال: كل ما دون الله لغو.

- حفظ الأسرار صونها عن رؤية الأغيار.

- الغيرة غيرتان غيرة البشرية وغيره الإلهية على الوقت أن يضيع فيما سوى الله [(١)].

- نظرت في ذل كل ذي ذل فزاد ذلي عليهم ونظرت في عز كل ذي عز فزاد عزي عليهم فإذا عزهم ذل في عزي وتلا في أثره: " من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ".

- وسأله رجل عن مقام التوبة فقال له: يطرق سمعي من كتاب الله ما يحدوني على ترك الأشياء والأعراض عن الدنيا ثم أرد إلى نفسي وإلى أحوالي وإلى الناس ثم لا أبقى على هذا ولا على هذا وأرجع إلى الوطن الأول مما كنت عليه من سماعي القرآن فقال له يقول الله ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به إلي فهو عطف مني عليك ولطف مني بك وما أردك به إلى نفسك فهو شفقة مني لك لأنك لم يصح لك التبرؤ من الحول والقوة في التوجه إلي وسئل عن حقيقة الذكر فقال: نسيان القوي وسئل عن التوكل فقال: أن يحملك فيما

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٣٧١.

حملك.

- وسئل عن الخوف فقال: أن تخاف أن يسلمك إليك.

- وسئل عن الرجاء فقال: ترجو أن لا يقطع بك دونه [١].

- وسئل عن حديث:﴿إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية﴾: من هم أهل البلاء؟ . قال: " أهل الغفلة عن الله ".

- وسئل: ما علامة العارف؟ قال:صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه مطروح [٢].

- وقد سئل عن حديث:﴿خير كسب المرء عمل يمينه﴾ إذا كان الليل فخذ ماء، وتهيأ للصلاة، وصلي ما شئت، ومد يدك، وسل الله، فذلك كسب يمينك ".

وسئل عن قوله تعالى:{لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارًا } [الكهف: ١٨]، قال: " لو اطلعت على الكل لوليت منهم فراراً إلينا ".

- وقال، في معنى قوله تعالى:{قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ } [النور: ٣٠]، قال: " أبصار الرءوس عن المحارم، وأبصار القلوب عما سوى الله عز وجل ".

– مضت الشبيبة والحبيبة فانبرى ::: دمعان في الأجفان يستبقان
ما أنصفتني الحادثات! ::: رمينني بمودعيني، وليس لي قلبان[٣]

- إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها، فانظر إلى مزبلة، فهي الدنيا، وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك، فخذ كفا من تراب، فإنك

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٣٧٤.
(٢) سير أعلام النبلاء، ١٥ /٣٦٨.
(٣) طبقات الأولياء، ص ٣٥.

منها خلقت، وفيها تعود، ومنها تخرج، ومتى أردت أن تنظر إلى ما أنت، فانظر إلى ما يخرج منك في دخولك الخلاء، فمن كان حاله كذلك، فلا يجوز أن يتطاول، أو يتكبر على من هو مثله ".

- ترويح القلوب بمرواح الصفاء، وتجليل الخواطر بأردية الوفاء، والتخلق بالسخاء، والبشر في اللقاء ".

- " من أنس بالملك خذل، ومن أنس بالناس عزل، ومن أنس بالعمل شغل، ومن أنس بالله عز وجل فقد وصل "

- ليس للأعمى من رؤية الجوهرة إلا مسها، وليس للجاهل من الله إلا ذكره باللسان " قال: وسئل الشبلي عن الزهد، فقال: " الزهد أن تزهد فيما لك عند الله، وترغب فيما لله عندك ".

- ما مع العالم إلا ذكر، قال الله عز وجل إن هو إلا ذكر للعالمين، وسمعته ينشد خرجنا السن نستن ومعنا من ترى من فلما جننا الليل بذلنا بيننا دن [١].

- يا من باع كل شيء بلا شيء واشترى لا شيء بكل شيء [٢].

- وسئل عن الزهد فقال: تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء. - وقال: التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك؟ .

- وقال الشبلي: من عبده رجاء الجنة فهو عبدها، أو خوف النار فهو عبدها، لأن من خاف شيئاً أو رجاه فهو معبوده.

- وكان الشبلي إذا رأى من يدعي التصوف يقول: ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب.

(١) معجم الشيوخ لابن جميع الصيداوي، ٢ /٢٨٨.
(٢) القصاص والمذكرين، ص ٢٩٠.

- وسئل عن الدنيا فقال: قدر يغلي وحش يملي.

- وكان الشبلي ينوح يوماً ويقول: مكر بك في إحسانه فتناسيت وأمهلك في غيك فتماديت وأسقطك من عينه فما دريت ولا باليت

وقال: ليت شعري ما اسمي عندك غداً يا علام الغيوب وما أنت صانع في ذنوبي يا غفار الذنوب وبم تختم عملي يا مقلب القلوب.

- قال: وكان الشبلي يقول في جوف الليل: قرة عيني وسرور قلبي مالذي أسقطني من عينك ثم يصرخ ويبكي.

- قال: وقال الشبلي: لاتأمين على نفسك وإن مشيت على الماء حتى تخرج من دار الغرة إلى دار الأمل.

- وقال الشبلي: إذا وجدت قلبك مع الله فاحذر من نفسك وإذا وجدت قلبك مع نفسك فاحذر من الله.

سئل الشبلي عن الزهد فقال: الزهد لا شيء، لأن الشيء لا يخلو من أن يكون رزقي؛ فأنا لا أدفعه عني بزهدي فيه، ولا يكون رزقي، فأنا لا أحصله برغبتي فيه.

- وسئل مرة أخرى عن المعرفة فقال: أولها الله وآخرها ما لا نهاية له.

سئل الشبلى عن المحبة فقال: هي أن تغار على المحبوب أن يحبه أحد غيرك.

- وقال الشبلى: أدنى علامات الفقير أن لو كانت الدنيا بأسرها لواحد فأنفقها في يوم واحد ثم خطر بباله (لو أمسكت منها قوت يوم

آخر) لم يصدق في فقره.

- وقال الشبلي: سميت المحبة محبة لأنها تمحو عن القلب ما سوى المحبوب.

- وقال الشبلي: لو نظر قلبي إلى الدنيا لاغتسلت أو إلى الآخرة توضأت.

- من عرف الله عز وجل لايكون له غم وسمعته يقول: أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك [١].

- إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مزبلة فهي الدنيا وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفاً من تراب فإنك منه خلقت وفيه تعود ومنه تخرج وإذا أردت أن تنظر ما أنت فانظر ماذا يخرج منك في دخولك الخلاء فمن كان حاله كذلك فلا يجوز أن يتطاول أو يتكبر على من هو مثله [٢].

من شعره ـ رحمه الله:

ويقبح من سواك الشيء عندي ::: وتفعله فيحسن منك ذاكا
خليلي إن دام هم النفوس ::: على ما تراه قليلاً قتل
فيا ساقي القوم لا تنسني ::: ويا ربة الخدر غني رمل
لقد كان شيء يسمى السرور ::: قديماً سمعنا به ما فعل [٣]
على بعدك لا يصبر من عادته القرب ::: ولا يقوى على حجبك من تيمه الحب
فإن لم ترك العين ::: فقد يبصرك القلب
هذه دراهم وأنت محب ::: ما بقاء الدموع في الآماق

(١) صفة الصفوة، ٢ /٤٥٨.
(٢) صفة الصفوة، ٢ /٤٦٠.
(٣) المستطرف، ١ / ٣٣٥ ـ ٣٣٨.

وقـــديماً هـــدت أفنيـــة الـــدار ::: وفيهـــا مصـــارع العشـــاق
لي سكرتان، وللنـــدمان واحـــدة ::: شئ خصصت به، من بينهم، وحدي
لو يسمعون، كما سمعت، حديثها ::: خـــروا لعـــزة ركعـــاً وســـجوداً
أم الخيـــام فإنهـــا كخيـــامهم ::: وأرى نساء الحـــي غـــير نســـائها
كفى حزناً بالواله الصب أن يـــرى ::: منازل من يهوى معطلـــة صـــفرا
ولي فيـــك ياحســـرتي حســـرت ::: تقظي حيـــاتي ومـــا تنقضـــي [1]
ومن أين لي أين؟ وأني كما تـــرى ::: أعيش بلا قلب وأسعى بلا قصـــد

- كان الشبلي، رحمه الله، يقول في آخر أيامه:

وكم من موضع لـــو مـــت فيـــه ::: لكنت به نكـــالاً في العشـــيرة[2]

- قال أبو محمد عبدالله بن محمد الحربي سمعت الشبلي كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين:

والهجر لو سكن الجنـــان تحولـــت ::: نعم الجنان على العبيـــد جحيمـــا
والوصل لو سكن الجحيم تحولـــت ::: حر السعير على العباد نعيمـــا [3]
الغيـــــب رطـــــب ينـــــادي ::: يـــــا غـــــافلين الصـــــبوح
فقلـــــت أهـــــلا وســـــهلا ::: مـــــا دام في الجســـــم روح
ودادكم هجـــر وحـــبكم قلـــي ::: ووصلكم صرم وسلمكم حـــرب
لما بـــدا طالعـــاً غابـــت لهيبتـــه ::: شمس النهار ولم يطلع لنا قمـــر [4]

- وقال له رجل ادع الله لي فأنشأ يقول:

(١) طبقات الأولياء، ص ٣٥.
(٢) تاريخ دمشق، ٦٦ /٥٢.
(٣) حلية الأولياء، ١٠ /٣٦٧.
(٤) حلية الأولياء، ١٠ /٣٦٩.

مضى زمن والناس يستشــفعون بي ::: فهل لي إلى ليلي الغداة شــفيع [(١)]

- وقال له رجل: يا أبا بكر نراك جسيماً بديناً والمحبة تضني فأنشأ يقول:

أحــب قلــبي ومــا درى بــدني ::: ولو درى مــا أقــام في الســمن

– فلو أن لي في كل يــوم وليلــة ::: ثمانين بحراً مــن دمــوع تــدفق

لأفنيتها حــتى ابتــدأت بغيرهــا ::: وهذا قليل للفــتى حــين يعشــق

أهيم به حــتى الممــات لشــقوتي ::: وحولي من الحب المــبرح خنــدق

وفوقي سحاب تمطر الشوق والهوى ::: وتحتي عيــون للــهوى تتــدفق[(٢)]

- ما أحوج الناس إلى سكرة فقيل: أي سكرة؟ فقال: سكرة تغنيهم عن ملاحظة أنفسهم وأفعالهم وأحوالهم وأنشأ يقول:

وتحســـبني حيـــاً وإني لميـــت ::: وبعضي من الهجران يبكي على بعض

- والله ما أعطيت فيه الرشوة قط ولا رضيت بسواه ولقد تاه عقلي فيه وربما قال غلبت ثماني وعشرين مرة حتى قيل لي مجنون ليلى فرضيت ثم أنشد:

قالوا جننت على ليلى فقلت لهــم ::: الحــب أيســره مــا بالمجــانين

ثم أنشد وقال:

جننا على ليلــى وجنــت بغيرنــا ::: وأخرى بنــا مجنونــة لا نريــدها

ثم أنشد:

ولو قلت طأ في النار بادرت نحوها ::: سروراً لأني قد خطــرت ببالكــا

ثم أنشد:

ســألبس للصــبر ثوبــاً جمــيلاً ::: وأدرج ليلــى لــيلاً طــويلاً

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٣٧٠.

(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٣٧١.

وأصـــبر بـــالرغم لا بالرضـــا ::: أعلـــل نفســـي قلـــيلاً قلـــيلاً

ثم أنشد وقال:

تنقـــب وزر فقلـــت لهـــم ::: أشهر ما كنـــت حـــين أتنقـــب

إن عرفـــوني وأثبتـــوا صـــفتي ::: أصـــبحت درا والـــدر ينتـــهب

- وسئل عن قوله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فقال: لمن كان الله قلبه وأنشد:

ليس مـــني قلـــب إليـــك معـــنى ::: كل عضو مـــني إليـــك قلـــوب

وتلا قوله تعالى:{فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨)} [القيامة: ٧ - ٨]، إلى قوله:{إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢)} [القيامة: ١٢]، فلحقوا فهم ما أشار إليهم فقال بعضهم: متى ما يصح ذا؟ قال: إذا كانت الدنيا والآخرة حلماً والله تعالى يقظة وأنشد:

دع الأقمـــار تغـــرب أو تـــنير ::: لنـــا بـــدر تـــذل لـــه البـــدور

لنا مـــن نـــوره في كـــل وقـــت ::: ضـــياء مـــا تغـــيره الـــدهور [(١)]

- قيل لأبي بكر الشبلي: مزقت وأبليت كل ملبوسك والعيد قد أقبل والناس يتزينون وأنت هكذا فأنشأ يقول:

قالوا أتى العيد ماذا أنـــت لابســـه ::: فقلت: خلعة ساق حبـــه جزعـــا

فقر وصبر همـــا ثوبـــاي تحتـــهما ::: قلب يرى إلفه الأعيـــاد والجمعـــا

الدهر لي مأتم إن غبت يـــا أملـــي ::: والعيد ما كنت لي مرء أو مستمعا

أحرى الملابس ما تلقى الحبيب بـــه ::: يوم التزاور في الثوب الذي خلعـــا

- دخل أبو الفتح بن شفيع عليه عائداً في دار المرضى قال:

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٣٧٢.

فسمعت صياحه يقول:

صح عند الناس أني عاشق ::: غير أن لم يعلموا عشقي لمن

- قال أبو القاسم عبدالله بن محمد الدمشقي: وقفت يوماً على حلقة أبي بكر الشبلي فوقف سائل على حلقته وجعل يقول: يا الله يا جواد فتأوه الشبلي وصاح وقال: كيف يمكنني أن أصف الحق بالجود ومخلوق يقول في شكله:

تعود بسط الكف حتى لو أنه ::: ثناها لقبض لم تجبه أنامله
تراه إذا ما جئته متهللاً ::: كأنك تعطيه الذي أنت آمله
ولو لم يكن في كفه غير روحه ::: لجاد بها فليتق الله سائله
هو البحر من أي النواحي أتيته ::: فلجته المعروف والجود ساحله

ثم بكى وقال: بلى يا جواد فإنك أوجدت تلك الجوارح وبسطت تلك الهمم ثم مننت بعد ذلك على أقوام بالاستغناء عنهم وعما في أيديهم بك فإنك الجواد كل الجواد فإنهم يعطون عن محدود وعطاؤك لا حد له ولا صفة فيا جواد يعلو كل جواد وبه جاد من جاد [١].

- من اعتز بذي العز فذو العز له عز وقال:

أظلت علينا منك يوماً غمامة ::: أضاء لها برق وأبطأ رشاشها
فلا غيمها يجلو فييأس طامع ::: ولا غيثها يأتي فيروي عطاشها [٢]
- على بعدك ما يصبـ ::: ـر من عادته القرب
ولا يقوى على هجر ::: ك من تيمه الحب
فإن لم تروك العين ::: فقد يبصرك القلب

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٣٧٣.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٣٧٤.

مضت الشبيبة والحبيبة فانبرى ::: دمعان في الأجفان يزدحمان

ما أنصفتني الحادثات، رميني ::: بمودعين وليس لي قلبان[1]

* * *

(١) معجم الشيوخ لابن جميع الصيداوي، ٢ /٢٨٨.

يحيى بن معاذ

أعـــلام التصـوف

يحيى بن معاذ الرازي الواعظ

يحيى بن معاذ الرازي الواعظ أبو زكريا، أحد الأوتاد، كان أوحد وقته في فنه. من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة.

تلقى علم الحديث عن علي بن محمد الطنافسي، وإسحاق بن سليمان الرازي ومكي بن إبراهيم البلخي وغيرهم.

ونقل علمه ومواعظه الحسن بن علويه، وأحمد بن محمد البذشي، وأبو العباس بن حمكويه.

ولما قدم بغداد واجتمع إليه بها مشايخ الصوفية والنساك، ونصبوا له منصة وأقعدوه عليها وقعدوا بين يديه يتحاورون.

وكان له ثلاثة إخوة: يحيى، وإسماعيل، وإبراهيم، وكلهم زهاد.

قال محمد بن عبد الله: قرأت على اللوح في قبر يحيى بن معاذ الرازي: مات حكيم الزمان يحيى بن معاذ الرازي، رحمه الله تعالى وبيض وجهه وألحقه بنبيه محمد ﷺ، يوم الاثنين لست عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين ومائتين [1].

---

(١) طبقات الصوفية: ١٠٧ - ١١٤، حلية الأولياء: ١٠ / ٥١ - ٧٠، الفهرست: المقالة الخامسة: الفن الخامس، تاريخ بغداد: ١٤ / ٢٠٨ - ٢١٢، المنتظم: ٥ / ١٦ - ١٧، الكامل لابن الأثير: ٧ / ٢٥٨، وفيات الأعيان: ٦ / ١٦٥ - ١٦٨، عبر المؤلف: ٢ / ١٧، البداية والنهاية: ١١ / ٣١، طبقات الأولياء: ٣٢١ - ٣٢٦. شذرات الذهب: ٢ / ١٣٨ - ١٣٩، سير أعلام النبلاء، ١٣ /١٥.

مواقف من حياته رحمه الله:

إنك لتحب الدنيا

- وقال له رجل: " إنك لتحب الدنيا "، فقال: " أين السائل عن الأخرة؟ " قال " ها أنا! "، قال: أخبرني أيها السائل عنها، أبالطاعة تنال أم بالمعصية؟ ". قال: لا، بل بالطاعة " قال: " فأخبرني عن الطاعة، أبالحياة تنال، أم بالممات؟ " قال: " لا، بل بالحياة " قال: " فأخبرني عن الحياة، أبالقوت تنال، أم بغيره؟ " قال: " لا، بل بالقوت " قال: " فأخبرني عن القوت، أمن الدنيا هو، أم من الأخرة؟ " قال: " لا، بل من الدنيا "، قال: " فكيف لا أحب دنيا قدر لي فيها قوت، اكتسب به حياة، أدرك بها طاعة، أنال بها الآخرة؟ ! ". فقال الرجل: " أشهد أن ذلك معنى قول النبي، ﷺ: " إن من البيان لسحرا " [(١)].

ما تقول فينا أهل البيت

ودخل على علوي ببلخ زائراً له ومسلماً عليه فقال له العلوي: أيد الله الأستاذ، ما تقول فينا أهل البيت قال: ما أقول في طين عجن بماء الوحي، وغرس بماء الرسالة، فهل يفوح منهما إلا مسك الهدى وعنبر التقى فحشى العلوي فاه بالدر، ثم زاره من الغد، فقال يحيى بن معاذ: إن زرتنا فبفضلك وإن زرناك فلفضلك، فلك الفضل زائراً ومزوراً[(٢)].

أخرج ما في الجيب

قال أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي: " بدء أمري في سياحتي حيث خرجت من الري، فوقع في قلبي شأن المؤنة، والنفقة، فتفكرت

(١) طبقات الأولياء، ص ٥٥.
(٢) وفيات الأعيان، ٦ /١٦٧.

في نفسي، فإذا بهاتف يهتف في قلبي: أخرج ما في الجيب حتى نعطيك من الغيب "

ألا قلت له مع من هجرهم فيه

قال أ بو بكر بن طاهر:كان ليحيى بن معاذ أخ يقال له إسماعيل وكان أكبر منه قال رجل: مع من يريد أن يعيش أخوك يحيى وقد هجر الخلق قال: فذكر ذلك ليحيى فقال له يحيى: ألا قلت له مع من هجرهم فيه.

من كلامه ـ رحمه الله:

- لست أبكي على نفسي إن ماتت، إنما أبكي على حاجتي إن فاتت.

- لا يفلح من شممت رائحة الرياسة منه.

- مسكين ابن آدم، قلع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار.

- لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طريقها بالذنوب.

- الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وهو يسألك عن جناح بعوضة.

- الدرجات سبع: التوبة، ثم الزهد، ثم الرضى، ثم الخوف، ثم الشوق، ثم المحبة، ثم المعرفة.

- لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه، ويوم حشره ميزانه " - كيف يكون زاهداً من لا ورع له؟ !.

- تورع عما ليس لك، ثم ازهد فيما لك ".

- من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء ".

- " ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تسره فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه ".

- " الزهد ثلاثة أشياء: الخلوة، والقلة، والجوع ".

- " أولياؤه أسراء نعمه، وأصفياؤه رهائن كرمه، وأحباؤه عبيد منته. فهم أسراء نعم لا يطلقون، ورهائن كرم لا يفكون، وعبيد منن لا يطلقون ".

- " الصبر على الخلوة من علامة الإخلاص ".

- " بئس الصديق صديقا يحتاج أن يقال له: " اذكرني في دعائك!، وبئس الصديق صديقاً يحتاج أن يعتذر إليه، وبئس الصديق صديقاً يحتاج أن يعيش معه بالمداراة ".

- " من سعادة المرء أن يكون خصمه فهماً، وخصمي لا فهم له ".

- قيل له: " ومن خصمك؟ " قال: " نفسي!لا فهم لها، تبيع الجنة بما فيها من النعيم المقيم، والخلود فيها، بشهوة ساعة من دار الدنيا ".

- " على قدر حبك لله يحبك الخلق؛ وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق؛ وعلى قدر شغلك بالله يشتغل في أمرك الخلق ".

- " من كان غناه في كسبه لم يزل فقيراً "؛ ومن كان غناه في قلبه لم يزل غنياً "، ومن قصد بحوائجه المخلوقين لم يزل محروماً ".

- " جميع الدنيا - من أولها إلى آخرها - لا تساوي غم ساعة، فكيف بغم عمرك فيها مع قليل نصيبك منها؟ ! ".

- " إذا أحب القلب الخلوة أوصله حب الخلوة إلى الأنس بالله، ومن أنس بالله استوحش من غيره ".

- " العارف يخرج من الدنيا ولا يقضي وطره في شيئين: بكاؤه على نفسه، وثناؤه على ربه ".

- وقال، في قوله تعالى:{فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾} [طه: ٤٤]: " إلهي! هذا رفقك بمن يقول: أنا إله، فكيف بمن يقول: أنت إلهه!؟ ".

- وكان يقول، في جملة دعائه: " إلهي!، حبك أعطش كبدي!، وأوحشني من أهلي وولدي! ".

- " صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين، واعجبا!. كيف يصبرون؟! ".

ومنه: " حقيقة المحبة مالا تنقص بالجفاء، ولاتزيد بالبر " [١].

- الجوع للمريدين رياضة، وللتائبين تجربة، وللزهاد سياسة، وللعارفين مكرمة، والوحدة جليس الصديقين، والفوت أشد من الموت، لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق.

- والزهد ثلاثة أشياء: القلة، والخلوة، والجوع. ومن خان الله في السر هتك ستره في العلانية.

(١) طبقات الأولياء، ص ٥٥.

- الكلام الحسن حسن، وأحسن من الكلام معناه، وأحسن من معناه استعماله، وأحسن من استعماله ثوابه، وأحسن من ثوابه رضا من يعمل له.

- حقيقة المحبة أن لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء.

- من لم يكن ظاهره مع العوام فضة، ومع المريدين ذهباً، ومع العارفين المقربين دراً وياقوتاً، فليس من حكماء الله المريدين.

- أحسن شيء كلام صحيح، من لسان فصيح، في وجه صبيح، كلام دقيق، يستخرج من بحر عميق، على لسان رجل رفيق.

- إلهي كيف أنساك وليس لي رب سواك إلهي لا أقول لا أعود، لأنني أعرف من نفسي نقض العهود، ولكني أقول لا أعود لا

أعود، لعلي أموت قبل أن أعود.

- اللهم إن كان ذنبي قد أخافني، فإن حسن ظني بك قد أجارني، اللهم سترت علي في الدنيا ذنوباً إلى سترها في القيامة أحوج، وقد أحسنت بي إذا لم تظهرها لعصابة من المسلمين، فلا تفضحني في ذلك اليوم على رؤوس العالمين، يا أرحم الراحمين [1].

- ما بعد طريق إلى صديق، ولا استوحش في طريق من سلك فيه إلى حبيب.

- مسكين ابن آدم، لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة.

- ما صحت إرادة أحد قط فمات حتى حن إلى الموت واشتهاه اشتهاء الجائع إلى الطعام، لارتداف الآفات واستيحاشه من الأهل

(١) وفيات الأعيان، ٦ /١٦٦.

والإخوان، ووقوعه فيما يتحير فيه صريح عقله.

- وقال: من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يتصل إلى الجليل من العطاء.

- إن الله على العرش بائن من خلقه أحاط بكل شيء علماً لا يشذ عن هذه المقالة إلا جهمي يمزج الله بخلقه.

- ليكن بيتك الخلوة، وطعامك الجوع، وحديثك المناجاة، فإما أن تموت بدائك، وإما أن تصل إلى دوائك "

- عمل كالسراب، وقلب من التقوى خراب، وذنوب بعدد الرمل والتراب، ثم تطمع في الكواعب الأتراب، هيهات! أنت سكران بغير شراب ما أكملك لو بادرت أملك، ما أجلك لو بادرت أجلك، ما أقواك لو خالفت هواك (١).

- مصيبتان للعبد لم يسمع الأولون، والآخرون بمثلها له في مآله عند موته قيل: وما هما؟ قال: يؤخر منه كله، ويسأل عنه كله "

- حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبر، ولا تنقص بالجفاء "

- من عرف عاش، ومن مال إلى الدنيا طاش، والمؤمن عن دينه فتاش، والأحمق يسعى في لاش "

- " يا ابن آدم، طلبت الدنيا طلب من لابد له منها، وطلبت الآخرة طلب من لا حاجة له إليها، والدنيا قد كفيتها وإن لم تطلبها، والآخرة بالطلب منك تنالها، فاعقل شأنك ".

(١) وفيات الأعيان، ٦ /١٦٧.

- وقال يحيى: " ابن آدم، حفت الجنة بالمكاره، فأنت تكرهها، وحفت النار بالشهوات، فأنت تطلبها، فما أنت إلا كالمريض الشديد الداء، إن صبرت نفسه على مضض الدواء اكتسب بالصبر عافية الشفاء، وإن جزعت نفسه على ما تلقى من ألم الدواء طالت به علته "

- وسئل عن الزهد، فقال: " الزهد ثلاثة أحرف، زاي وهاء ودال، أما الزاي فترك الزينة، والهاء ترك الهوى، والدال ترك الدنيا "

- " الناس ثلاثة رجال: رجل شغلة معاده عن معاشه، ورجل شغله معاشه عن معاده، ورجل مشغول بهما جميعاً، فالأولى درجة الفائزين، والثانية درجة الهالكين، والثالثة درجة المخاطرين "

- المغبون من عطل أيامه بالبطالات، وسلط جوارحه على الهلكات، ومات قبل إفاقته من الجنايات ".

- " لولا أن العفو من أحب الأشياء إليه، لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه "

- لست أبكي على نفسي إن ماتت إنما أبكي على حاجتي إن فاتتظر.

- كيف أمتنع بالذنب من رجائك ولا أراك تمتنع للذنب من عطائك.

- إلهي ذنبي إلى نفسي فأنا معناه وحبي لك هو لك فأنت معناه والحب أعتقده لك طائعاً والذنب آتيه كارهاً فهب كرامة ذنبي لطواعية حبي إنك أرحم الراحمين.

- إلهى إن لم ترحمني رحمة الكرامة عليك فارحمني رحمة الإيقاع إليك إلهي بكرمك غداً أصل إليك كما بنعمتك دللت اليوم عليك.

- إن وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة وإن أنالهم فضله لم تبق لهم سيئة.

- مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب.

- يا ابن آدم لا يزال دينك متمزقاً ما دام القلب بحب الدنيا متعلقا.

- ما ركن إلى الدنيا أحد إلا لزمه عيب القلوب ولا مكن الدنيا من نفسه أحد إلا وقع في بحر الذنوب.

- ورأى رجلاً يوماً يقلع الجبل في يوم حار وهو يغني فقال: مسكين ابن آدم قلع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار.

- من لم يرض عن الله في الممنوع لم يسلم من الممنوع.

- طلبوا الزهد في بطن الكتب وإنما هو في بطن التوكل لو كانوا يعملون.

- وسئل متى يعلم الرجل أنه قد أصاب الطريق وأمن هذا الخلق قال: إذا استحلوه واستمرهم وأحبوا لقاءه وكره لقاءهم قال: ونظر يوماً إلى إنسان وهو يقبل ولداً له صغيراً فقال: أتحبه؟ قال: نعم قال: هذا حبك له إذ ولدته فكيف بحب الله له إذ خلقه.

- سبحوا في بحار البلايا حتى جاوزوها إلى العطايا ثم سبحوا في بحار العطايا حتى جاوزوها إلى رب البرايا.

- وقيل له: من أي شيء دوام غمك؟ قال: من شيء واحد قيل: وما هو؟ قال: خلقني ولا أدري لم خلقني.

- من أشخص بقلبه إلى الله انفتحت ينابيع الحكمة من قلبه وجرت على لسانه [1].

- الأبدان في سجن النيات والناس ثلاثة رجل تشاغل بالدنيا عن الله مذموماً ورجل تشاغل بالآخرة محموداً ورجل تشاغل بالله عما دونه مقرباً مرفوعاً.

- جماع الأمر كله في شيئين سكون القلب على رزق هذه الناحية والاجتهاد في طلب رزق تلك الناحية وسمعته يقول: إن لقيني القضاء بكيد من البلاء لقيت القضاء بكيد من الدعاء.

- لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طرقاتها بالذنوب.

- اترك الدنيا قبل أن تترك واسترض ربك قبل ملاقاته واعمر بيتك الذي تسكنه قبل انتقالك إليه يعني القبر.

- إنما ينبسطون إليه على قدر منازلهم لديه.

- من كان قلبه مع الحسنات لم تضره السيئات ومن كان مع السيئات لم تنفعه الحسنات.

- لو رأت العقول بعيون الإيمان نزهة الجنة لذابت النفوس شوقاً ولو أدركت القلوب كنه هذه المحبة لخالقها لانخلعت مفاصلها إليه ولها عليه ولطارت الأرواح إليه من أبدانها دهشاً فسبحان من أغفل

---

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٥٢.

الخليقة عن كنه هذه الأشياء وألهاهم بالوصف عن حقائق هذه الأشياء.

- لا تطلب العلم رياء ولا تتركه حياء.

- أعظم المصيبة على الحكيم في اليوم أن يمضى عنه لا يأتيه فيه هدية من ربه يعني حكمة جديدة.

- الدنيا أمير من طلبها وخادم من تركها الدنيا طالبة ومطلوبة فمن طلبها رفضته ومن رفضها طلبته الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها ليس من العقل بنيان القصور على الجسور الدنيا عروس وطالبها ماشطتها وبالزهد ينتف شعرها ويسود وجهها ويمزق ثيابها ومن طلق الدنيا فالآخرة زوجته فالدنيا مطلقة الأكياس لا تنقضي عدتها أبداً فخل الدنيا ولا تذكرها واذكر الآخرة ولا تنسها وخذ من الدنيا ما يبلغك الآخرة ولا تأخذ من الدنيا ما يمنعك الآخرة (١)

- تمام المغفرة في ثلاث حسن القبول وتقليد العلم وبذل الفضل وتفسير حسن القبول أن تسمع بينة الاستفادة وتنظر الإرادة لا تهز رأسك كأنك عالم بما تسمعه فهذا يدخله في الكبر ويفسد العمل قال وسمعت يحيى يقول: عدم التواضع من فاته خصال علمه بما خلق له وما خلق منه وما يعود إليه.

- علامة من اتقى الله ثلاثة خصال من آثر رضاه وقارن تقاه وخالف هواه يعني رضى الله على رضى نفسه وقارن تقاه يعني جعل التقى قرينه فلا يزايله في حال عسره ويسره وسروره ورضاه

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٥٣.

وغضبه وخالف هواه يعني فيما يبعده عن الله وينقصه حظ الجزاء.

- إن أعرضت عنا بوجهك الكريم استعطفناك بقول لا إله إلا الله.

- إن تلقاني بمكر منه اقتداراً تلقيته بذل مني افتقاراً.

- التائب يبكيه ذنبه والزاهد يبكيه غربته والصديق يبكيه خوف زوال الإيمان.

- فكرتك في الدنيا تلهيك عن ربك وعن دينك فكيف إذا باشرتها بجميع جوارحك.

- اتق على جراب إيمانك لا يقرضه الفأر.

- تضاحكت الأشياء إلى أولياء الله العارفين بأفواه القدرة عن مليكهم لما يرون من آثار صنعه فيها ويعاينون من بدائع خلقه معها فلهم في كل شيء معتبر وعند كل شيء مدكر وقال في دعائه: إلهي ضمن أعمالي غنيمة عقباها وامنع نفسي لذاذة دينها.

- سبحان من يبيع الحبيبة بالبغيضة يعني الدنيا.

- الجنة حبيبة المؤمن يبيعها منه بالبغيضة يعني الدنيا.

- ربما رأيت أحدهم يقول: عشرين سنة أطلب ربي ويحك ربك لا تجبره على تضييع نفسك أبداً اطلب نفسك حتى تجدها فإذا وجدتها فقد وجدت ربك.

- أيها المريدون طريق الآخرة والصدق والطالبون أسباب العبادة والزهد اعلموا أنه من لم يحسن عقله لم يحسن تعبد ربه ومن لم يعرف آفة العمل لم يحسن يحترز منه ومن لم تصح عنايته في

طلب الشيء لم ينتفع به إذا وجده واعلموا أنكم خلقتم لأمر عظيم وخطر جسيم وأن العلم لم يرد ليعلم إنما أريد ليعلم ويعمل به لأن الثواب على العمل بالعلم يقع لا على العلم ألا ترى أن العلم إذا لم يعمل به عاد وبالا وحجة وانظروا ألا تكونوا معشر المريدين ممن قد تركوا لذة الدنيا ونعيمها ثم لا يصدق طلبكم بالآخرة فلا دنيا ولا آخرة وفكروا فيما تطلبون فإن من لم يعرف خطر ما يطلب لم يسهل عليه الجهل في جنب طلبه واعلموا أنه من لم يهن عليه الخلق لم يعظم عليه الرب ومن لم يكن طلبه في طريق الرغبة والرهبة والشوق والمحبة كان متحيراً في طلبه مخلطاً في عمله لا يجد لذة العبادة ولا يقطع طريق الزهادة فاتقوا الله الذي إليه معادكم وانظروا ألا تكونوا ممن يعرفهم جيرانهم وإخوانهم بالخير والإرادة والزهادة والعبادة وحالكم عند الله على خلاف ذلك فإن الله إنما يجزيكم على ما يعرف منكم لا على ما يعرفه الناس ولا تكونوا ممن يولع بصلاح الظاهر الذي إنما هو للخلق ولا ثواب له بل عليه العقاب ويدع الباطن الذي هو لله وله الثواب ولا عقاب عليه [(١)].

- من الدنيا لا ندرك آمالنا وللآخرة لا نقدم أعمالنا وفي القيامة غداً لا ندري ما حالنا.

- الناس ثلاثة فرجل شغله معاده عن معاشه فتلك درجة الصالحين ورجل شغله معاشه لمعاده فتلك درجة الفائزين ورجل شغله معاشه عن معاده فتلك درجة الهالكين.

- لا تسكن إلى نفسك وإن دعتك إلى الرغائب.

---

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٥٥.

- الدنيا بحر التلف والنجاة منها الزهد فيها.

- يا جهول يا غفول لو سمعت صرير القلم حين يجري في اللوح المحفوظ بذكرك لمت طربا.

- استشعرت الفقر فاتهمته ووثقت بعبد مثلك فقير فائتمنته ثم صرخ وقال: واسوأتاه منك إذا شاهدتني وهمتي تسبق إلى سواك أم كيف لا أضنى في طلب رضاك.

- إلهي إن كانت ذنوبي عظمت في جنب نهيك فإنها قد صغرت في جنب عفوك إلهي لا أقول لا أعود لما أعرف من خلقي وضعفي إلهي إنك إن أحببتني غفرت سيئاتي وإن مقتني لم تقبل حسناتي ثم قال: أواه قبل استحقاق قول أواه.

- قال: وسمعت يحيى يقول: لو سمع الخلق صوت النياحة على الدنيا في الغيب من ألسنة الفناء لتساقطت القلوب منهم حزناً ولو سمعت الخليقة دمدمة النار على الخليقة لتصدعت القلوب فرقا [(١)].

- لا تجعل الزهد حرفتك لتكتسب بها الدنيا ولكن اجعلها عبادتك لتنال بها الآخرة وإذا شكرك أبناء الدنيا ومدحوك فاصرف أمرهم على الخرافات وقال: ترى الخلق متعلقين بالأسباب والعارف متعلق بولى الأسباب إنما حديثه عن عظمة الله وقدرته وكرمه ورحمته يحترف بهذا دهره ويدخل به قبره.

- من كانت الحياة قيده كان طلاقه منها موته.

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٥٦.

- الدنيا لا قدر لها عند ربها وهي له فما ينبغي أن يكون قدرها عندك وليست لك.

- وسئل يحيى عن الوسوسة فقال: إن كانت الدنيا سجنك كان جسدك لها سجناً وإن كانت الدنيا روضتك كان جسدك لها بستاناً.

- وقيل ليحيى: كيف يتعبد الرجل من غير بضاعة تعينه على العبادة؟ قال: أولئك بضاعتهم مولاهم وزادهم تقواهم وشغلهم ذكراهم ومن اهتم بعشائه لم يتهن بغذائه ومن أراد تسكين قلبه بشيء دون مولاه لم يزد استكثاره من ذلك إلا اضطراباً.

- أوثق الرجاء رجاء العبد ربه وأصدق الظنون حسن الظن بالله.

- طوبى لعبد أصبحت العبادة حرفته والفقر منيته والعزلة شهوته والآخرة همته وطلب العيش بلغته وجعل الموت فكرته وشغل بالزهد نيته وأمات بالذل عزته وجعل إلى الرب حاجته يذكر في الخلوات خطيئته وأرسل على الوجنة عبرته وشكى إلى الله غربته وسأله بالتوبة رحمته طوبى لمن كان ذلك صفته وعلى الذنوب ندامته جأر الليل والنهار وبكاء إلى الله بالأسحار يناجي الرحمن ويطلب الجنان ويخاف النيران.

- الكيس من فيه ثلاثة خصال من بادر بعمله وتسوف بأمله واستعد لأجله.

- المغبون يوم القيامة من فيه ثلاثة خصال من قرض أيامه بالبطالات وبسط جوارحه على الحسرات ومات قبل إفاقته من السكرات.

- سبحان الله فلعل لا إله إلا الله تستوهبه من أهل لا إله إلا الله فليس ما أتى به من الذنب عصياناً أكثر مما أتى به من التوحيد إيمانا.

- إن العبد على قدر حبه لمولاه يحببه إلى خلقه وعلى قدر توقيره لأمره يوقره خلقه وعلى قدر التشاغل منه بأمره يشغل به خلقه وعلى قدر سكون قلبه على وعده يطيب له عيشه وعلى قدر إدامته لطاعته يحليها في صدر وعلى قدره لهجته بذكره يديم ألطاف بره وعلى قدر استيحاشه من خلقه يؤنسه بعطائه فلو لم يكن لابن آدم الثواب على عمله إلا ما عجل له في دنياه لكان كثيراً سوى ما يريد أن يصير إليه من جزيل جزائه وعظيم إعطائه مالا يحيط به إحصاء ولا تبلغه مني إذ كان يعطي على قدر ما هو أهله إنه ملك كريم (١).

- من سعادة المرء أن يكون خصمه فهماً وخصمي لا فهم له قيل له من خصمك؟ قال: خصمي نفسي لا فهم لها تبيع الجنة بما فيها من النعيم المقيم والخلود فيها بشهوة ساعة في دار الدنيا.

للتائب فخر لا يعادله فخر ::: ي جميع أفخاره فرح الله بتوبته
مجد إلهك يحيي إنه ملك ::: مهيمن صمد للذنب غفار
اشكر له حكماً أتاكها مننا ::: تترى توافقها في الدين آثار

- لو لم يسكنهم ببلواه لطارت بهم نعماه ولم يصل إليه من لم يرض بقسمه ولم يعرفه من لم يتمتع بنعمه ولم يحب من لم يته في كرمه.

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٥٨.

- وسمعته يقول حين خاطروا بالنفوس: اقتربوا وهذا طعم الخبر فكيف طعم النظر .

- أفواه الرجال حوانيتها وشفتاها مغاليقها وأسنانها مخاليبها فإذا فتح الرجل باب حانوته تبين لك العطار من البيطار.

- قد دعاك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه أمن الدنيا أم من قبرك إنك أن أجبته من دنياك دحلتها وإن أجبته من قبرك منعتها.

- إن الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه بيدك فإنه إن لدغك قتلك.

- الدنيا سم الله القتال لعباده فخذوا منها حسب ما يؤخذ السم في الأدوية لعلكم تسلمون.

- أولياؤه أسراء نعمه وأصفياؤه رهائن كرمه وأحباؤه عبيد مننه فهم عبيد محبة لا يعتقون ورهائن كرم لا يفكون وأسراء نعم لا يطلقون.

- ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده عليك الأسف ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت.

- عجبت لمن يصبر عن ذكر الله وأعجب منه من صبر عليه كيف لا ينقطع ثم قال:

نـدافع عيشـنا بالجهـد جهـدا ::: مدافعـة إلى جهـد المنايـا [(١)]

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٦٠.

- القلوب كالقدور في الصدور تغلي بما فيها ومغارفها ألسنتها فانتظر الرجل حتى يتكلم فإن لسانه يغترف لك ما في قلبه من بين حلو وحامض وعذب وأجاج يخبرك عن طعم قلبه اغتراف لسانه.

- إنما صار الفقراء أسعد على الذكر من الأغنياء لأنهم في حبس الله ولو أطلقوا من حصار الفقر لوجدت من ثبت منهم على الذكر قليلا قال وسمعت يحيى يقول من يستفتح أبواب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى المخلوقين.

- الق حسن الظن على الخلق وسوء الظن على نفسك لتكون من الأول في سلامة ومن الآخر على الزيادة.

- حسبي من ثوابك النجاة من عقابك.

- أبناء الدنيا يجدون لذة الكلام وأبناء الآخرة يجدون لذة المعاني(١).

- الدرجات التي يسعى إليها أبناء الآخرة سبع التوبة ثم الزهد ثم الرضا ثم الخوف ثم الشوق ثم المحبة ثم المعرفة فبالتوبة تطهروا من الذنوب وبالزهد خرجوا من الدنيا وبالرضا ألبسوا قراطن العبودية وبالخوف جازوا قناطر النار وبالشوق إلى الجنة استوجبوها وبالمحبة عقلوا النعيم وبالمعرفة وصلوا إلى الله وهو في البحر السابع ولا يزالون فيه أبد الآبدين في الدنيا والآخرة.

- الدنيا خزانة الله فما الذي يبغض منها وكل شيء من حجر أو مدر أو شجر يسبح الله فيها قال الله تعالى:{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} [الإسراء: ٤٤]، وقال الله تعالى:{ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ } [فصلت:

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٦٣.

١١]، فالمجيب له بالطاعة لا يستحق أن يكون بغيضا في قلوب المؤمنين ليعلم أن الذنب والذم زائلان عنها إلى بني آدم لو كانوا يعلمون.

- اعلموا أنه لا يصح الزهد والعبادة ولا شيء من أمورالطاعة لرجل أبداً وفيه للطمع بقية فإن أردتم الوصول إلى محض الزهد والعبادة فأخرجوا من قلبكم هذه الخصلة الواحدة وكونوا رحمكم الله من أبناء الآخرة وتعاونوا واصبروا وأبشروا تظفروا إن شاء الله واعلموا أن ترك الدنيا هو الربح نفسه الذي ليس بعده أمر أشد منه فإن ذبحتم بتركها نفوسكم أحييتموها وإن أحييتم أنفسكم بأخذها قتلتموها فارفضوها من قلوبكم تصيروا إلى الروح لراحة في الدنيا والآخرة وتصيبوا شرف الدنيا والآخرة وعيش الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون عذبوا أنفسكم في طاعة الله بترك شهواتها قبل أن تلقى الشهوة منها أجسامكم في دبار عاقبتها واعلموا أن القرآن قد ندبكم إلى وليمة الجنة ودعاكم إليها فأسرع الناس إليها أتركهم لدنياه وأوجدهم لذة لطعم تلك الوليمة أشدهم تجويعاً لنفسه ومخالفة لها فإنه ليس أمر من أمور الطاعة إلا وأنتم تحتاجون أن تخرجوه من بين ضدين مختلفين بجهد شديد وسأظهر لكم هذا الأمر فإني وجدت أمر الإنسان أمراً عجيباً قد كلف الطاعة على خلاف ما كلف سائر الخلق من أهل الأرض والسماء فأحسن النظر فيه وليكن العمل منك فيه على حسب الحاجة منك إليه واستعن بالله فنعم المعين واعلم أنك لم تسكن الدنيا لتتنعم فيها جاهلاً وعن الآخرة غافلاً ولكنك أسكنتها لتتعبد فيها عاقلاً وتمتطي الأيام إلى ربك عاملاً فإنك بين دنيا وآخرة ولكل واحدة منهما نعيم وفي وجود إحداهما بطول الأخرى فانظر أن

تحسن طلب النعيم فقد حكى عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: غلط الملوك طلبوا النعيم فلم يحسنوا وعلى حسب اقتراب قلبك من الدنيا يكون بعدك من الله وعلى حسب بعد قلبك من الدنيا يكون قربك من الله وكما كان معدوماً وجود نفسك في مكانين فكذلك معدوم وجود قلبك في دارين فإن كنت ذا قلبين فدونك اجعل أحدهما للدنيا وأحدهما للآخرة وإن كنت ذا قلب واحد فاجعله لأولى الدارين بالنعيم والمقام والبقاء والأنعام واعلم أن النفس والهوى لا تقهران بشيء أفضل من الصوم الدائم وهو بساط العبادة ومفتاح الزهد وطلع ثمرات الخير وأجساد العمال من شجراته دائم الجذاذ دائم الإطعام وهو الطريق إلى مرتبة الصديقين وما دونه فمزرعة الأعمال فثمر غرسها وربيع بذرها في تركها وفقدها في أخذها وليس معنى الترك الخروج من المال والأهل والولد ولكن معنى الترك العمل بطاعة الله وإيثار ما عند الله عليها مأخوذة ومتروكة فهذا معنى الترك لا ما تدعيه المتصوفة الجاهلون أنت من الدنيا بين منزلتين فإن زويت عنك كفيت المؤنة وإن صرفت إليك ألزمتها طاعة مولاك وإن كانت طاعتك لله في شأنها تصلحها ومعصيتك لله في أمرها يفسدها فدع عنك لوم الدنيا واحفظ من نفسك وعملك ما فيه صلاحها فإن المطيع فيها محمود عند الله إنما تلزمه التهمة وعيب الأخذ لها إذا خان الله فيها لأن الدنيا مال الله والخلق عباد الله وهم في هذا المال صنفان خونة وأمناء فإذا وقع المال في أيدي الخائنين فهو سبب دمارهم ولا عتب على المال إنما العتب على فعلهم بالمال وإذا وقع في أيدي الأمناء كان سبب شرفهم وخلاصهم ولا معنى للمال إنما كسب لهم الشرف عند الله فعلهم بالمال أدوا أمانة الله في أموالهم فلحق بهم نفع

المال لا ذنب للمال الذنب لك الذنوب إنما تكتسب بالجوارح وليس للضيعة والحانوت جوارح إنما الجوارح لك وبها تكتسب الذنوب فعلك بما لك أسقطك من عين ربك لا مالك وفعلك بمالك يصحبك إلى قبرك لا مالك وفعلك بمالك يوزن يوم القيامة لا مالك [1].

- يامن أقام لي غرس ذكري وأجرى إلى أنهار نجوى وجعل لي أيام عيد في اجتماع الورى وأقام لي فيهم أسواق تقوى أقبلت إليك معتمداً عليك ممتلىء القلب من رجائك ورطب اللسان من دعائك في قلبي من الذنوب زفرات ومعي عليها ندامات إن أعطيتني قبلت وإن منعتني رضيت وإن تركتني دعوت وإن دعوتني أجبت فأعطني إلهي ما أريد فأن لم تعطني ما أريد فصبرني على ما تريد.

- من أكثر ذكر الموت لم يمت قبل أجله ويدخل عليه ثلاث خصال من الخير أولها المبادرة إلى التوبة والثاني القناعة برزق يسير والثالث النشاط في العبادة ومن حرض على الدنيا فإنه لا يأكل فوق ما كتب الله له ويدخل عليه من العيوب ثلاث خصال أولها أن تراه أبداً غير شاكر لعطية الله له والثاني لا يواسى بشيء مما قد أعطي من الدنيا والثالث يشتغل ويتعب في طلب مالم يرزقه الله حتى يفوته عمل الدين.

- الصبر على الناس أشد من ا لصبر على النار.

- تأبى القلوب للأسخياء إلا حباً وإن كانوا فجاراً وللبخلاء إلا بغضاً وإن كانوا أبراراً.

---

(١) حلية الأولياء، /٦٥.

- ليس على وجه الأرض أحد إلا وفيه فقر وحرص ولكن من أخلاق المؤمنين أن يكونوا حرصاء على طلب الجنة فقراء إلى ربهم والمنافق حريص على الدنيا فقير الى الخلق [١].

- من أصبح لم يكن معه هذه الخصال الثلاث لم يصب طريق العزم أولها كما أن الله لم يعط رزقك اليوم غيرك فلا تعمل لغيره وكما أن الله لم يشارك فيما أعطاك أحداً فلا تشارك في العمل الذي تعمل له يعني الرياء وكما أن الله لم يكلفك اليوم عمل غد فلا تسأله رزق غد على جور حتى إذا لم يعطك شكوته.

- إذا لاحظت الأشياء منه كان لها طعم آخر.

- ليس بصادق من ادعى حبه ولم يحفظ حده.

- إذا عملوا على الصدق انطلقت ألسنتهم على الخلق بالشدة وإذا عملوا في التفويض انكسرت ألسنتهم عن الخلق مبهوتين الأول من صفة الزاهدين والثاني من صفة العارفين.

- من أقام قلبه عند الله سكن ومن أرسله في الناس اضطرب.

- قسم الدنيا على البلوى والجنة على التقوى وجوع التوابين تجربة وجوع الزاهدين سياسة وجوع الصديقين تكرمة والجوع طعام يشبع الله منه أبدان الصديقين وإذا امتلأت المعدة خرست الحكمة وأشرف الجوع حالة ينظر إليك فيها العدو فيرحمك وأمقت الشبع حالة ينظر إليك معها الصديق فيستثقلك فالحزن يمنع ا لطعام

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٦٦.

والخوف يمنع الذنوب والرجاء يقوي على أداء الفرائض وذكر الموت يزهد في الشيء وفي لقاء الأخوان مدافعة ما فضل من النهار وصلاح الأمر في ذلك كله أن يكون على نية.

- الدنيا كالعروس فطالبها كماشطتها تحسن وجهها وتعطر ثوبها والزاهد فيها كضرتها تسخم وجهها وتنتف شعرها وتحرق ثوبها والعارف مشتغل بالله لا يلتفت إليها ولا يشعر بها.

- الدنيا حانوت الشيطان، فلا تسرق من حانوته شيئاً فيجيء في طلبك فيأخذك. وعنه: الدنيا دار خراب، وأخرب منها قلب من يعمرها، والآخرة دار عمران، وأعمر منها قلب من يطلبها.

- الدنيا خمر الشيطان، فمن شرب منها لم يفق من سكرتها إلا في عسكر الموتى نادماً خاسراً.

- مقدار عمرك في جنب عيش أهل الجنة كنفس واحد، فإذا ضيعت نفسك فخسرت عيش الأبد إنك لمن الخاسرين.

- " اجتنب ثلاثة أصناف من الناس: العلماء الغافلين، والفقراء المداهنين، والصوفية الجاهلين ".

- زلة بعد التوبة اقبح من سيعين قبلها ولا تستقيم التوبة إلا بدوام المجاهدة وتوالي الأحزان.

- الطاعة خزانة من خزائن الله مفتاحها الدعاء وأسنانها لقمة الحلال.

- انكسار العاصين أفضل عندنا من صولة المصلين.

- تولد الخوف في القلب من ثلاث خصال إدامة الفكر معتبراً

والشوق إلى الجنة مشفقاً وذكر النار متخوفاً والورع من ثلاث خصال من عز النفس وصحة اليقين وتوقع الموت وتمام المعرفة من ثلاث خصال حسن القبول وتقليد العلم وبذل النصح وقال: عدم التواضع من فاتته ثلاث خصال علمه بما خلق منه وما يعود إليه والمتواضع من ظن أنه من أذنب أهل الأرض ومن آثر صحبة المساكين وقال: لا تتخذوا من القرناء إلا ما فيه ثلاث خصال من حذرك غوائل الذنوب وعرفك مدانس العيوب وسايرك إلى غلام الغيوب وقال: شرف المعاد من ثلاث احتمال الشدائد وإذلال النفس وكراهة المعرفة ومعنى كراهة المعرفة يكره أن يعرف في الناس لا يبتغي معرفة الناس إنما استئناسه بذكر الله في الخلوة ومع الناس وقال: غنيمة الآخرة في ثلاثة أشياء الطاعة والبر والعصيان طاعة الرب وبر الوالدين وعصيان الشيطان وقال: الفارس في الدين من كان فيه ثلاث خصال حفظ لسانه وإمساك عنانه وصدق بيانه حفظ لسانه لا يتكلم إلا بماله وإمساك عنانه هو في حلبة الأعمال فيمسك عنان إرادته إذا كان لغير الله ويرسله إذا كان لله وصدق بيانه إذا علم شيئاً عمل به وثلاثة من السعادة مقلة دامعة وعنق خاضعة وأذن سامعة ولا يجد حلاوة العبادة إلا من فيه ثلاث خصال أن يستأثر الرجلة ويستلذ العزلة ويترقب النقلة الرجلة الإقلال والعزلة الوحدة والنقلة الرحلة إلى القبر وأغبط الناس من سلك طريق آخرته وأصلح شأن عاقبته واجتهد في فكاك رقبته وقال: لم أجد السرور إلا في ثلاث خصال التنعم بذكر الله واليأس من عباد الله والطمأنينة إلى موعود الله يعني في الرزق وقال: المصيب من عمل ثلاثة أشياء يلقاه من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله وأرضى

ربه قبل أن وقال: عجبت لثلاث وفرحت لثلاث واغتممت لثلاث فالتي عجبت منها فتنة العالم وسرور الإنسان بما أصاب من الدنيا وهو تراث من تقدمه وتراث من يخلفه يسلبه ثم يؤخذ بحسابه ومن رتع في أفواه أمانيه في مراتع الموت وفرحت لثلاث إظهار الله آدم على إبليس وهذا ملك وهذا بشر وإخراجه إيانا في هذه الأمة والخصلة الثالثة وهي أشرف الثلاث معرفة الله تعالى واغتممت لثلاث لذنوب أسلفتها وأيام ضيعتها والخصلة الثالثة وفيه الخطر العظيم وقوفي بين يدي الله عز وجل لا أدري ما يبدو لي منه وذلك المقام الشديد يتوقع فيها المحاسب بماذا يختم له أيام ضيعها يعني في الغفلة وترك الاستعداد (١).

- يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية، وأثوابكم طالوتية، وأخفافكم جالوتية، وأوانيكم فرعونية، ومراكبكم قارونية، وموائدكم جاهلية، ومذاهبكم شيطانية، فأين المحمدية.

- أحسن شيء كلام صحيح من لسان فصيح في وجه صبيح كلام دقيق مستخرج من بحر عميق على لسان رجل رفيق.

- وقال يحيى: ثلاثة من الأموال الدراهم والدنانير والدر والياقوت فكلامي في العظات الدراهم وفي الصفات الدنانير وفي المعرفة وكرم الله الدر والياقوت (٢).

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٦٨.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٦٩.

ومن شعره ـ رحمه الله:

نظر يحيى بن معاذ إلى طاقات ريحان وضعها بعض الصبيان في حجرته وقد ذبلت فأتى بالماء يسقيها فقال له: ما تصنع؟ قال: رأيت هذا الريحان ذابلاً قد جففوه بترك سقيه فاعتصر به قلبي فسقيته لأنه هاجت لي فيه عبرة وكأني رأيته يستسقيني بذبوله خاضعاً وكان أبوه وأخوه يدعوانه إلى طلب الدنيا فأنشأ أخوه يقول:

أترحم أغصناً ذبلت ولانت ::: ولا ترحم أخاك إذا دعاك

فقال يحيى مجيباً له:

رأيت أخي يريد هلاك نفسي ::: ونفسي لا تريد له هلاكا
أموت بدائي لا أصيب دوائيا ::: ولا فرجاً مما أرى من بلائيا
إذا كان داء العبد حب مليكه ::: من دونه يرجو طبيباً مداويا
رضيت بسيدي عوضاً وأنساً ::: من الأشياء لا أبغي سواه
فيا شوقاً إلى ملك يراني ::: على ما كنت فيه ولا أراه
خلا يستمطر النجم العطايا ::: فيعطى منه أكثر ما رجاه
أنا إن تبت مناني ::: وإن أذنبت رجاني
وإن أدبرت ناداني ::: وإن أقبلت أدناني
وإن أحببت والاني ::: وإن أخلصت ناجاني
وإن قصرت عافاني ::: وإن أحسنت جازاني
حبيبي أنت رحماني ::: أصرف عني أحزاني
إليك الشوق من قلبي ::: على سري وإعلاني

فيـــا أكـــرم مـــن يرجـــى ::: ويـــا قـــديم إحســـاني

مـــا كنـــت علـــى هـــذا ::: إلـــه النـــاس تنســـاني

لـــدى الـــدنيا وفي العقـــبى ::: على مـا كـان مـن شـاني [1]

تبـارك ذو الجـلال وذو المحـال ::: عزيـز الشـان محمـود الفعـال

ســروري بالســؤال لكـي أراه ::: فكيـف أسـر منـه بـالنوال

فيا ذا العز يـا ذا الجـود جـدلي ::: وغير ما ترى مـن سـوء حـالي

أشكو إليك ذنوبا لست أنكرهـا ::: قد رجوتك يـا ذا المـن تغفرهـا

من قبل سؤلك لي في الحشر يا أملي ::: يوم الجزاء على الأهوال تـذكرها

أرجوك تغفرها في الحشر يا أملـي ::: إذ كنت سؤلي كما في الأرض تسترها

سلم على الخلق وارحل نحو مولاك ::: واهجر على الصدق والإخـلاص

دنياك عساك في الحشر تعطى ما تؤمله ::: يكـرم الله ذو الآلاء مثـواك[2]

يا ليته لم يكن في اللوح مسـطوراً ::: ذنب على عبده قد كان مقـدورا

كيف النجاة بعبد أنـت خالقـه ::: ماذا تريد بـه يـا رب مفطـورا

يا ويحه يوم يسـتدعي صـحائفه ::: إليك من خمدة الأموات منشـورا

أنا مشـغول بـذنبي يـا رجـل ::: كـف عـني إن قلـبي في شـغل

كيـف أرجـو توبـة تـدركني ::: وأرى قلـبي بـويلي يشـتغل

ذهبت نفسي بـلا شـك علـى ::: أنـني أدفـع دهـري بالعلـل

سلم على الخلق، وارحل نحو مولاكا ::: اهجر على الصدق والاخلاص دنياكا

عساك في الحشر تعطى ما تؤملـه ::: ويكـرم الله ذو الآلاء مثواكـا!

دعني أدارى الحب من كل جانب ::: فليس لها مني سـبيل ومهـرب

وحملتني مـالا تطيـق جـوارحي ::: فسرك في الأحشاء مـنى مغيـب

– الصبر يجمل في المواطن كلـها ::: إلا عليـك فانـه لا يجمـل

– لم أسـلم للأسـقام تتلفهـا ::: إلا لعلمي بـان الوصـل يحييهـا

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٦٢.

(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٦٣.

نفس المحب علـــى الالام صـــابرة ::: لعل ســـقمها يومـــا يـــداويها [١]

* * *

(١) طبقات الأولياء، ص ٥٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله، غير مَكْفِيٍّ ولا مكفورٍ ولا مودَّع ولا مستغني عنه ربُّنا، ونسأله أن يوزعنا شكر نعمته، وأن يوفّقنا لأداء حقه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يرزقنا الشهادة في سبيله، وأن يجعل ما قصدنا له في هذا الكتاب وفي جميع أقوالنا وأفعالنا خالصاً لوجهه الكريم، ونصيحة لعباده. فيا أيها القاريءُ له، لك غُنْمُه وعلى مؤلفه غُرْمُه، لك ثمرتُه وعليه تَبِعَتُه، فما وجدتَ فيه من صوابٍ وحقٍ فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال وقد ذمَّ الله تعالى من يَرُدُّ الحقَّ إذا جاء به مَن يبغضه، ويقبله إذا قاله من يحبه فهذا خُلُقُ الأمة الغضبية أي: اليهود. فقد قال ابن القيم رحمه الله: ": اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضاً، ورُدَّ الباطل على من قاله وإن كان حبيباً.

وقرر أنه لا يردُّ كل قول من أخطأ جملة، بل لا بد من تمييز الحق من الباطل، فقال: " فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات ".

وقال أيضًا: ".. فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق، ورد ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله

له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسر عليه من الأسباب " [١].

وما وجد القارئ فيه من خطأ فإن قائله لم يألُ جهد الإصابة، ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال، كما قيل:

والنَّقْصُ في أصلِ الطبيعــةِ كــامنٌ ::: فَبَنُو الطبيعةِ نَقْصُــهم لا يُجْحَــدُ

وكيف يُعْصَمُ من الخطأ من خُلق ظلوماً جهولاً، ولكن من عُدَّت غلطاته أقربُ إلى الصوابِ ممن عُدَّت إصاباته، وعلى المتكلم في هذا الباب وغيره أن يكون مصدر كلامه عن العلم بالحق، وغايته النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولإخوانه المسلمين، وإن جعلَ الحقَ تبعاً للهوى: فَسَدَ القلبُ والعملُ والحالُ والطريقُ.. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين محمدٍ وعلى آله أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلي عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص٣٧٨.

المصادر والمراجع

- محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: 1 - ١٩٦٨ م.

- عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج بن الجوزي: صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ - ١٩٧٩.

- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

- ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار.

- الشعراني: الطبقات الكبرى.

- خليفة بن خياط أبو عمر الليثي العصفري، الطبقات، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ - ١٩٨٢

- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر،

- ابن قتيبة الدينوري: المعارف.

- أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي [ت: ٢٧٧هـ]، المعرفة والتاريخ، المحقق: د أكرم العُمَري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨١

- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥.

- أبو إسحاق الشيرازي، طبقات الفقهاء، هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، المحقق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، ١٩٧٠، بيروت - لبنان

- شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)

١ - تذكرة الحفاظ، الناشر: صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية دار أحياء التراث العربي

٢ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. لبنان/ بيروت. الطبعة: الأولى. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣ - سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة التاسعة ١٤١٣ ه - ١٩٩٣ م

٤ - العبر في خبر من غبر، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت

٥ - ميـزان الاعتـدال فـي نقـد الرجـال، تحقيـق: علـي محمـد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان

- أبـو الفـداء إسـماعيل بـن عمـر بـن كثيـر القرشـي الدمشـقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة محققة الطبعة الأولى ١٤٠٨ ه - ١٩٨٨ م،

- أبو المحاسن بن تغربردي: النجوم الزاهرة.

- السيوطي: طبقات الحفاظ.

- الحنبلي: شذرات الذهب.

- د/ عبد الرحمن رأفت الباشا: صور من حياة التابعيين.

- محمد بدر الدين: سعيد بن المسيب.

- تقـي الـدين أبـو عمـرو عثمـان بـن عبـد الـرحمن بـن الصـلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق محيي الدين علي نجيب، دار البشـائر الإسلامية، ١٩٩٢م، بيروت.

- البلاذري: أنساب الأشراف.

- الإمام أحمد بن حنبل: الزهد

- أحمد بن علـي أبـو بكـر الخطيـب البغـدادي، تـاريخ بغداد، دار الكتب العلمية - بيروت.

- ابن عساكر تاريخ ابن عساكر

- اليـافعي: مـرآة الجنـان وعبـرة اليقظـان فـي معرفـة حـوادث الزمان

- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية - بيروت.

- محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، المحقق: ماهر ياسين فحل.

- محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، الفهرست، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٨ – ١٩٧٨.

- ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر – بيروت.

- محمد بن محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة.

- السلمي: طبقات الصوفية.

- يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي [٦٥٤ - ٧٤٢]، تهذيب الكمال مع حواشيه، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠

- الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية/دار البشائر، مكان النشر حلب / بيروت، سنة النشر ١٤١٦ هـ،

- اليافعي:روض الرياحين

- أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ت: ٨٥٢هـ، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

- ابن الشجري، الأمالي الشجرية

- ابن حمدون: التذكرة الحمدونية

- ابن عبد ربه، العقد الفريد

- أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر - بيروت / لبنان - ١٤١٩هـ - ٩٩٩ م، الطبعة الرابعة.

- محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

- أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، بيروت.

- أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م الطبعة: الأولى

- كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة الثانية، - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م،

- أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق المحامي فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨

- هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، الناشر: دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢.

- أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، نسب قريش، تحقيق ليفي بروفسال، دار المعارف - القاهرة.

- أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، المكتب الإسلامي، دار الخاني - بيروت، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨،

- ابن الكلبي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثالثة، - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م،

- محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

- الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة - للإمام البغوى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت، الطبعة: الثانية، - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م،

- الطرطوشي، سراج الملوك.

- تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع

القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ)، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، المحقق: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م،

- يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي [٦٥٤ - ٧٤٢]، تهذيب الكمال مع حواشيه، المحقق: د. بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، ٥/ ٣٩٢.

- العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي

أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين.

- شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.

- الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - ٢٠٠١ / ٢٠٠٢.

- أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الأجري، أخلاق العلماء،

تحقيق ومراجعة: إسماعيل بن محمد الأنصاري وعبدالله بن عبدالطيف آل الشيخ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- محمد بن حبان البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء،، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧

- أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار ابن زيدون - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.

- محمد بن أحمد بن جميع الصيداوي أبو الحسين، معجم الشيوخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، مؤسسة الرسالة، دار الإيمان، مكان النشر بيروت، طرابلس، سنة النشر ١٤٠٥.

- محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية - بيروت، - ١٩٥٩.

- ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة.

- محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، المحقق: إحسان عباس،: دار صادر - بيروت.

- ابن أبي الدنيا، الأولياء، المحقق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣.

- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق د. عامر حسن صبري، دار البشائر

الإسلامية، مكان النشر بيروت / لبنان، سنة النشر ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، التوابين، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣ - ١٩٨٣.

- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبارالظراف والمتماجنين، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجاني، دار ابن حزم - بيروت - ١٩٩٧م.

- ابن الملقن، طبقات الأولياء.

- بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

- أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

- بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، (تهذيب لكتاب شعب الإيمان للبيهقي)، هذبه: محمد خلف سلامة.

- أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب

العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الأولى - ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م.

- المشتولي، سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان.

- أبو الحسين بن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت.

- أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، طبقات الصوفية، حقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

- إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ.

- ابن الكلبي، أنساب الخيل.

- الثعالبي، اللطف واللطائف.

- الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم.

- أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق.

- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية - بيروت.

- كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

- عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١ - ١٩٥٢.

- أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: د. إحسان عباس ود. عبدالمجيد عابدين، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣.

- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

- محمد بن حبان البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧.

- ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس.

- عائض القرني، سلسلة دروس القمم لأهل الهمم الصوتية.

- الدكتور عبد الله العبد المحسن التركي: أصول مذهب الإمام أحمد.

- عبد الحليم الجندي: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة.

- أحمد عبد الجواد الدومي: أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا.

- ولتر م. باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ترجمة عبد العزيز عبد الحق.

- أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي: الفتح الرباني وشرحه بلوغ الأماني.

- ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد.

- عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، أحمد بن حنبل، مجلة البحوث الإسلامية.

- طه جابر فياض العلواني، أدب الاختلاف في الاسلام.

- محمد بن حبان البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧.

- أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي، معجم السفر، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، المكتبة التجارية - مكة المكرمة.

- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر.

- محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

- إبراهيم بن إسحاق الحربي، رسالة في أن القرآن غيرمخلوق، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.

ابن كنان، يوميات شامية.

- الإمام النووي، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر، دار النشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى سنة النشر ١٩٩٦.

- سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

- الوطواط، غرر الخصائص الواضحة.

- عبد الله بن عبد المحسن التركي، مجمل اعتقاد أئمة السلف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ.

- اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم.

- زَيْنُ العَابِدِيْنَ بْن إِبْرَاهِيْم بْن نُجَيْمٍ (٩٢٦ - ٩٧٠هـ)، الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَةَ النُّعْمَان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

- القاضي أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، عالم الكتب، سنة النشر ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية.

- أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية.

- الصفدي، صرة الثائر على المثل السائر.

- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين دراسة وتحقيق:طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، القصاص والمذكرين، تحقيق د. محمد لطفي الصباغ، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

- السرّاج القارئ، مصارع العشاق.

- أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الأداب وثمر الألباب، تحقيق: أ. د / يوسف على طويل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م

- عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين، شرح نهج البلاغة، المحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه

- عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، الثبات عند الممات، تحقيق: عبد الله الليثي الأنصاري، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ

- أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، العلو للعلي الغفار، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥

- محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٢ - ١٩٩٢

- أبو علي عبد الجبار بن عبد الله الخولاني المعروف بابن مهنا (٣٦٠ هـ)، تاريخ داريًّا ومن نزل بها من الصحابة والتابعين وتابعي

التابعين، حققه سعيد الأفغاني، دار الفكر بدمشق، ١٤٠٤ هـ.

- تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي المعروف بابن حجة، طيب المذاق من ثمرات الأوراق، تحقيق أبو عمار السخاوي، دار النشر: دار الفتح - الشارقة - ١٩٩٧م

- عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، الهم والحزن، تحقيق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩١م.

* * *

الفهــرس

أعــــلام التصــوف

الفهـرس

* * *

المؤلف في سطور

الدكتور/ رجب محمود إبراهيم بخيت

- ولد في محافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية عام (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

- حصل علي ليسانس الآداب من جامعة طنطا (تخصص تاريخ) في عام ١٩٩٦ م.

- حصل علي دبلوم الدراسات العليا (تخصص تاريخ وحضارة إسلامية) عام ١٩٩٧م.

- نال درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية (تخصص آسيا الوسطي والقوقاز) من جامعة طنطا - كلية الآداب - عام ٢٠٠١ م.

- نال درجة الدكتوراة في التاريخ والحضارة الإسلامية (تخصص آسيا الوسطي والقوقاز) من جامعة عين شمس - كلية الآداب - عام ٢٠٠٦ م.

أهم أعمال المؤلف

م	عنوان الكتاب	دار النشر
١	تاريخ دولة المماليك	دار الإيمان بالمنصورة
٢	تاريخ الدولة الأيوبية	دار الإيمان بالمنصورة
٣	الشيعة.. التاريخ الكامل	دار الإيمان بالمنصورة
٤	تاريخ المغول	دار الإيمان بالمنصورة
٥	تاريخ الإسلام في الأندلس	دار الإيمان بالمنصورة
٦	الفتح الإسلامي لبلاد القوقاز	دار العلم والإيمان
٧	الفتح الإسلامي لأذربيجان	دار العلم والإيمان
٨	معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي	دار الإيمان بالمنصورة
٩	سلاح المؤمن (الذكر والدعاء)	دار الإيمان بالمنصورة
١٠	شهداء العلماء	دار الإيمان بالمنصورة
١١	فاعتبروا يا أولي الأبصار	دار الإيمان بالمنصورة
١٢	الظالمون في الدنيا وكيف كان نهايتهم	دار الإيمان بالمنصورة
١٣	ماذا يعني حب النبي ﷺ ؟	دار العلم والإيمان
١٤	مطالب الظالمين في الآخرة	دار الإيمان بالإسكندرية
١٥	مختصر سير أعلام النبلاء	دار الإيمان بالمنصورة
١٦	مختصر تاريخ الإسلام للذهبي	دار الإيمان بالمنصورة
١٧	مختصر المنتظم لابن الجوزي	دار الإيمان بالمنصورة
١٨	مختصر الطبقات الكبري لابن سعد	دار الإيمان بالمنصورة
١٩	مختصر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة	دار الإيمان بالمنصورة
٢٠	مختصر السلوك في معرفة دول الملوك	دار الإيمان بالمنصورة

٢١	مختصر نفح الطيب للمقري	دار الإيمان بالمنصورة
٢٢	ألف حكمة وحكمة من حكم الحكماء ومواعظ الصالحين	دار الإيمان بالمنصورة
٢٣	١٠٠٠ قصة من حياة الأئمة الأربعة	دار الإيمان بالإسكندرية
٢٤	قصص ونوادر الأنام في الرؤي والأحلام	دار الإيمان بالمنصورة
٢٥	قصص ونوادر من حياة الطفيليين والبلاغيين والنحاة	دار الإيمان بالمنصورة
٢٦	قصص ونوادر من حياة البخلاء	دار الإيمان بالإسكندرية (تحت الطبع)
٢٧	مختصر تاريخ الطبري	دار الإيمان بالمنصورة
٢٨	مختصر وفيات الأعيات لابن خلكان	دار الإيمان بالمنصورة
٢٩	من مشاهير أعلام المسلمين	دار الإيمان بالمنصورة
٣٠	أعلام الحديث	دار الإيمان بالمنصورة
٣١	أعلام التفسير	دار الإيمان بالمنصورة
٣٢	أعلام الفقه	دار الإيمان بالمنصورة
٣٣	أعلام التابعين	دار الإيمان بالمنصورة

* * *